(الكشاف الفريد)

عن معاول الهدم ونقائض التوحيد
تأليف
خالد محمد علي الحاج
الجزء الثاني
حققه وراجعه
عبدالله إبراهيم الأنصاري
طبع على نفقة / إدارة إحياء التراث الإسلامي- بدولة قطر
الطبعة الثانية
1405هـ- 1985م

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم:
الحمد لله وحده، نحمده ونستعينه ونستهديه، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضلّ له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أ لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمداً عبده ورسوله. أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولوكره المشركون. فبلغ الرسالة، وأدّى الأ مانة، ونصح الأمة، فترك المسلمين على المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هاهلك.
اللهم صلّ وسلم وبارك على هذا الرسول الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد:
فقد كنت ألمحت في كلمتي- بين يدي الكتاب- التي قدمت فيها الجزء الأول من هذا السفر الجليل الفائدة إلى الجزء الثاني منه، دون الغوص بحثاً عن درره وكنوزه.. لمؤلفه المحقق الفاضل الشيخ خالد محمد علي الحاج . ولعلي لا أعدو الحقيقة إذا قلت: إن المؤلف من خيرة فرسان هذا الميدان اليوم.
وكتابه هذا ليس أول جولة له في المضمار، بل إنه أثرى المكتبة العربية والإ سلامية بأكثر من كتاب: السنة مفتاح الجنة، ومصرع الشرك والخرافة و غيرهما.
ولا شك أن هذا الميدان ينادي رواده وكتابه، لإيضاح الحقائق- حقائق هذا العصر خاصة- للجيل المسلم وإعطائه المعلومات الصحيحة، التي من شأنها إنارة الطريق أمام الأمة الإسلامية، في سيرها الحثيث لاستعادة مواقعها الصحيحة في قيادة البشرية على طريق الهدى.

سيما وقد تبدلت المواقع، فأصبح الإسلام مهاجماً- في أرضه- بعد أن كان مهاجماً، وبعد أن كثرت الدعاوى الباطلة في أرض الإسلام اليوم.. وما أكثر ما استجاب المسلمون لها: فمن التنصير إلى الشيوعية، وفلسفة الإباحية و الوجودية والحزبيات السياسية ذات الاتجاهات غير الإسلامية والعمالة للكافرين، باسم التقدمية ومحاربة الرجعية. واستطاعت كل دعوى أن تجد لها قواعد وأتباعاً في كل مكان من العالم الإسلامي الكبير. وما كان ذلك ليحدث لولا جهل المسلمين بدينهم من جهة، ولما يحاك ويدبر لهذا الدين في الخفاء من تآمر، بقصد هدمه واجتثاثه من نفوس أبنائه من جهة ثانية.

وكتابنا هذا الذي بين يديك- أخي القارىء- قد جعله المؤلف بابين، في أربعة فصول وخاتمه. تحدث من خلال الباب الأول بفصليه، عن الشرك- أهم نقائض التوحيد- ثم عن الابتداع والتدليس على المسلمين، وتلبيس دينهم عليهم.

وخص الباب الثاني بذكر شبهات ومعارف أدخلت في الدين ما ليس منه، بدعوى عدم تعارضها مع قيم الدين ومثله العليا، وضرورة مسايرة العصر، كدعوى انتشار الإسلام بالسيف، وفرية تناقض العلم مع الدين، وفتنة الاختلا ط، وتحديد النسل.. إلى ما هنالك من شبهات وأباطيل يتمسك بها بعض الجهلة ممن يسمون أنفسهم بالمسلمين اليوم.

كما أنه عرض جملة من المواضيع الإسلامية سيء فهمها، كموضوع التوكل على الله، والتوسل والوسيلة وموضوع الولاية في ميزان الشريعة..

ولم يقصر المؤلف- جزاه الله خيراً- في تفنيد مزاعم المبطلين المضللين، و الرد على شبهات المشككين، بعبارة وافية جزلة، انقادت له فيها اللغة طيعة سهلة. وكان مستنده- في ذوده ومحاماته عن الإسلام- كتاب الله تعالى، وسنة نبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم. لذلك جاء بيانه أقوم حجة، وأعدل محجة، وأشد برهاناً، وأشد أركاناً. مما أفحم المبطلين، وقطع ألسنة المشككين، وأزاح بلية تشكيكاتهم وأوهامم عن عقول المسلمين.

وإن اكتمال هذا المؤلف لم يكن عفو البديهة وفيض الخاطر، كما أن تقصي حقائقه والبحث عنها ما كان أمراً هيناً، فقد أنفق الشيخ خالد محمد علي الحاج أكثر من خمس سنوات باحثاً ومحققاً، اطلع خلالها على ما يزيد عن مائتي مرجع وكتاب منقباً فيها مدققا، حتى تكامل لديه هذا المؤلف الجليل الفائدة.

وإن إدارة إحياء التراث الإسلامي بدولة قطر ليسرها أن تضع بين أيدي القراء المسلمين، والعرب بصورة خاصة، هذا الكتاب النافع المفيد، مساهمة منها في الذود عن حمى الدين وتبصرة للمسلمين وذكرى.

نسأل الله تعالى أن يجزي المؤلف عنا وعن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يجزل له الأجر والثواب، ويشركنا معه في صالح قوله وعمله. اللهم آمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عبدالله بن إبراهيم الأنصاري
مدير عام إدارة إحياء التراث الإسلامي

-

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين، المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد بن عبدالله وعلى آله وصحبه الطاهرين و التابعين لهم بإحسان، والمجاهدين في سبيل الله المخلصين الموحدين إلى يوم الدين.
أما بعد:
فهذا هو الجزء الثاني من كتاب: الكشاف الفريد عن معاول الهدم ونقائض التوحيد، نقدمه للقراء الكرام، سائلين المولى عز وجل أن ينفع به، وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم، وأن يدخره لي إلي يوم المعاد إنه كريم جواد.
خالد بن محمد علي الحاج

(الباب الأول)

في الشرك والابتداع والتدليس
الفصل الأول
نقائض التوحيد
(9)

(التوحيد جوهر الإسلام)

تمهيد:
إن نعمة التوحيد التي أنعمها الله سبحانه على عباده، نعمة عظمى لا تساويها نعمة، فمن ا لناس من أقبل على دين الله وانقاد لأمره واستسلم إلى حكمه، فنال سعادة الدنيا ونعيم الآخرة. ومنهم من نكص على عقبيه وحُرم نعم الله عليه، ورضي أن يكون عبداً للهوى والشيطان من دون الله، فخسر دنياه وساءت له عقبى الدار.
ومما يجدر ذكره أن العقيدة الصحيحة السليمة هي أساس المجتمع الإسلا مي، وأن التوحيد الخالص هو جوهر هذه العقيدة وروح الإسلام كله. أما أهم ما يسعى إليه الإسلام فهو حماية العقيدة وصيانة التوحيد عن عبث المفسدين ودعوات المبطلين، حتى يتحرر المجتمع المسلم من ضغوط الضلا ل، ولوثات المفسدين وشوائب الشرك ورواسب الخرافة.

(التوحيد وأقسامه)

معنى التوحيد:

هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، ونفي المثل والنظير عنه، وعدم الإشراك به سبحانه وتعالى.

(10)

وهو دين الرسل الذي أرسلهم الله به إلي عباده.

فالتوحيد- الذي بعث الله به رسله[1] وأنزل به كتبه، وخلق الخلق لأجله- ثلاثة أقسام:

1- توحيد الربوبية والملك: وهو اعتقاد أن الله تعالى رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء ورازقه، والمتصرف فيه وحده بمشيئته وعلمه وحكمته.

وهذا القسم قد أقرّ به مشركو العرب.

قال تعالى: (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ والأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ والأَبْصَارَ ومَنْ يُخْرِجُ الحيّ منَ الميّتِ ويُخْرِجُ المَيّتَ من الحيّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الأَمْرَ فَسَيَقُولونَ الله فَقلْ أَفَلا تَتَقُونَ)[2]، وهذا التوحيد لا يكفي وحده ولا يدخل في الإسلام وحده، بل لابد أن يأتي العبد معه بلازمه وهو القسم الثاني: توحيد الألوهية.

2- توحيد الألوهية: وهو مبني على إخلاص التأله لله تعالى وإفراده بجميع العبادة. وهذا التوحيد هو الذي افتتح به الرسل دعوتهم، كما قال أول الرسل نوح عليه السلام لقومه: (اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُمْ مِنْ إلهٍ غَيْرُهُ)[3].

3- توحيد الأسماء والصفات: وهو العلم والاعتقاد بأن الله تعالى بكل شيءٍ عليم، وعلى كل شيءٍ قدير، حي قيوم لا تأخذه سنة ولا نوم، منزّه عن كل عيب ونقص، له المشيئة النافذة والحكمة البالغة، سميع بصير رؤوف رحيم على العرش استوى، العزيز الجبار المتكبر، سبحان الله عما يشركون. له الأسماء الحسنى والصفات العلى، فما أثبت الله لنفسه وأثبته له رسوله، من صفات الكمال ونعوت الجلال، وجب إثباته له على ما يليق بجلال الله تعالى وعظمته، إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل. وهذا هو الذي عليه الصحابة والتابعون والأئمة الأربعة ومن في طبقتهم، ومن بعدهم من أهل الحديث، والفقهاء من أهل السنة والجماعة[4].

أصل الإسلام

إن الإسلام مبني على أصلين عظيمين هما:

1- عبادة الله وحده.

---

[1] - التوحيد: هو أعظم فريضة جاء بها الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أعظم فرائض الإسلام، كالصلاة والصوم وغيرهما، وقد جاء به الإسلام قبل غيره من الفرائض.

[2] - سورة يونس: 31.

[3] - سورة الأعراف: 59.

[4] - بتصرف عن الجامع الفريد: ص537- 538. وقارن الفتح المجيد وشرح العقيدة الطحاوية.

2- ولا يعبد سبحانه إلا بما شرع لعباده.
فالمسلم الحقيقي هو الذي يتعبد الله تعالى بما أمر به ولا يتجاوز ذلك.
ولا يعبده بالبدع المخترعة. قال تعالى: (فَمَنْ كانَ يَرْجُو لقاء ربّهِ فليَعْمَلْ عَمَلا ً صالِحاً ولا يُشْرِكْ بعِبَادَةِ ربّهِ أحدا)[5] وقال سبحانه: (لِيَبْلُوَكُمْ أيُّكُمْ أحْسَنُ عملا ً)[6].

(12)

قال الفضيل بن عياض: المقصود من ذلك أخلصه وأصوبه. قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه؟ إن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صواباً لم يقبل، وإذا كان صواباً ولم يكن خالصاً لم يقبل حتى يكون خالصاً لم يقبل حتى خالصاً وصواباً، والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السنة والكتاب.
هذا كله لأن دين الله بلغه عنه رسوله، فلا حرام إلا ما حرمه الله، ولا دين إلا ما شرعه الله. والله تعالى ذم المشركين، لأنهم شرعوا في الدين ما لم يأذن به الله، فحرموا أشياء لم يحرمها الله، كالبحيرة والسائبة والوصيلة والحام، وشرعوا ديناً لم يأذن به الله، كدعاء غير وعبادته، والرهبانية التي ابتدعها النصارى[7].
فالإسلام الحنيف دعا أتباعه إلى التقيد بالشرع وعدم التزيد عليه، بل لابد من الالتزام بالأمر الإلهي، إذ لا يجوز لأحد أن يعدل عما في الكتاب والسنة واتفق عليه سالف الأمة، وليس لأحد أن يضع للناس عقيدة ولا عبادة من عنده، بل عليه أن يتبع ولا يبتدع، يقتدي ولا يبتدىء، فإن الله سبحانه وتعالى يقول: (وما آتاكُمُ الرّسُولُ فَخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنْهُ فَانْتَهُوا)[8].
فالله سبحانه قد أرسل رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وقال له: (قُلْ هذه سبيلي أدْعُو إلى الله على بصيرةٍ

(13)

أنا ومنِ اتبَعني)[9] وقال تعالى: (اليَوْمَ أكْمَلْتُ لكُمْ دِينَكُمْ وأتمَمْتُ عليْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لكُمُ الإسْلام ديناً)[10].
وقد علّم الرسول صلى الله عليه وسلم المسلمين جميع ما يحتاجونه من العبادات والاعتقادات.
ولما كان الحق رائد المسلم فلا ينبغي له أن يعدل عنه، بل عليه التحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله ففيهما الحل لكل نزاع، فإذا قال أحد قولا ً يخالف ما دل عليه الكتاب والسنة أو الإجماع رد قوله وبطل، أما إذا صح قياسه على مدلول كتاب أو سنة ولم يكن هنالك فارق فأكثر العلماء يقول مثل هذا

---

[5] - سورة الكهف: 110.
[6] - سورة الملك: 2 .
[7] - بتصرف عن الجامع الفريد: ص415- 416.
[8] - سورة الحشر: 7.
[9] - سورة يوسف: 108.
[10] - سورة المائدة: 3 .

ويحتج به[11].

نقائض التوحيد- الشرك

توطئه:

لما كان التوحيد هو حق الله على العبيد، وأهم ما ينبغي على المسلم معرفته ومعرفة ما ينقضه ويفسده- وهو الشرك بالله سبحانه، الذي يبطل سائر الأعمال، ويعرض متلبسيه لغضب الله وسخطه- لذا كان جديراً بالمسلم الحق أن يحرص على معرفة التوحيد وأركانه، ويتحصن
به ويدعو إليه، وتبيان ما يناقضه ليتلاشى الوقوع في فتنة نقيضه، ألا وهو الشرك، وهو أعظم ما نهى عنه الشارع الحكيم.

معنى الشرك:

هو دعوة غير الله معه، وأن تجعل لله نداً في العبادة، وهو خلقك.. وهو أعظم شيءٍ نهى الله عنه[12] ودليل ذلك قوله تعالى: (وَاعْبُدُوا اللَّه ولا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئا)[13]. وقوله سبحانه وتعالى: (فلا تجْعَلُوا لله أنْدَادا)[14].

قال شيخ الإسلام: الشرك نوعان، أكبر وأصغر. فمن خلص منهما وجبت له الجنة، ومن مات على الأكبر وجبت له النار، ومن خلص من الأكبر وحصل له بعض الأصغر، مع حسنات راجحة على ذنوبه دخل الجنة. فالشرك يؤاخذ به العبد إذا كان أكبر أو كان كثيراً أصغر. والأصغر القليل في جانب الإخلاص الكثير لا يؤاخذ به[15].

وللوقوف على نواقض التوحيد فإني أقدم إلى القارىء الكريم أهمها وهي:

1- الشرك في عبادة الله تعالى: قال تعالى: (إنّ الله لا يغفِرُ أنْ يُشْرَكَ بهِ ويَغْفِرُ ما دون ذلك لمن يشاء[16]). ومن أمثلته: الذبح والنذر لغير الله، كمن يذبح للجن أو للموتى والأولياء مثلاً.
(15)

2- من جعل بينه وبين الله وسائط يدعوهم ويسألهم الشفاعة ويتوكل عليهم، فهذا يكفر بإجماع علماء المسلمين.

3- من لم يكفر المشركين أو يشك في كفرهم أو صحح مذهبهم كفَرَ.

4- من اعتقد أن غير هدي النبي صلى الله عليه وسلم أكمل من هديه. أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم السلاطين أو الشيوخ أو الزعماء أو غيرهم من الطواغيت المؤلهين من دون الله، فهو كافر.

5- من أبغض شيئاً مما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم أو عمل به كفر.

---

[11] - الجامع الفريد: ص537.

[12] - فالشرك الأصغر أعظم من الكبائر. ومن أمثلته: الرياء وقول القائل: لولا الله وأنت، والحلف بغير الله، كمن يحلف بشرفه أو بأبيه أو بشيخه أو بالولي و غيره. أما الشرك الأكبر فهو كالدعاء والسجود والركوع والذبح والنذر لغير الله.

[13] - سورة النساء : 36.

[14] - سورة البقرة: 22.

[15] - تيسير العزيز الحميد.

[16] - سورة النساء: 48.

6- من استهزأ بشيءٍ من دين الرسول صلى الله عليه وسلم أو ثوابه أو عقابه كفَرَ.
والدليل قول تعالى: (قلّ أبِالله ِ وآياتهِ ورَسُولهِ كُنْتُم تسْتَهْزئونَ لا تعْتَذروا قدْ كفَرْتُمْ بَعْدَ إيمانِكُمْ)[17].
7- السحر: ومنه الصرف والعطف، فمن فعله أو رضي به كفر.
8- مظاهرة المشركين ومعاونتهم على المسلمين. والدليل قوله تعالى: (ومَنْ يَتَوَلّهُمْ مِنْكُمْ فإنّه مِنْهُمْ إنّ الله لا يَهْدِي القوْمَ الظاّلمين[18].
9- من اعتقد أن بعض الناس يسعه الخروج عن شريعة محمد صلي الله عليه وسلم كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى عليه السلام، فهو كافر.
10- الإعراض عن دين الله بحيث لا يتعلمه ولا يعمل به[19]. والدليل

(16)

قوله تعالى: (وَمَنْ أظلَمُ مِمّنْ ذكِرَ بآياتِ ربّهِ ثمّ أعْرَضَ عَنْها إنّا منَ المُجْرمين مُنْتَقِمُونَ)[20].
وبعد: فهذه هي أهم نواقض الإسلام، وهي من أظلم الظلم وأفسد المفاسد. ينبغي على المسلم أن يحذرها وينبه المسلمين من ويلاتها. لاجتنابها لأنها مفسدة للدين والدنيا.
وفي الصفحات التالية عرض موجز لأهم ألوان الشرك، نسأل الله أن يجنبنا موجات غضبه وأليم عقابه.

الاستغاثة بغير الله ودعاء غيره

من المعلوم من الدين بالضرورة أن العبادات كلها من خصائص الألوهية، فلا يجوز أن تصرف لغيره سبحانه وتعالى: ومن صرف واحدة منها لغير الله فقد أشرك بالله عز وجل، ومن بين هذه العبادات الاستغاثة والدعاء.
قال شيخ الإسلام- رحمه الله: الاستغاثة هي طلب الغوث، وهو إزالة الشدة. كالاستنصار أي طلب النصر، والاستعاذة طلب العوذ[21].
لقد أنكر الله على من يدعو أحداً من دونه ممن لا يملك نفعاً ولا ضراً.
فقال سبحانه: (قلْ أتعْبُدُونَ منْ دُونِ الله، ما لا يَمْلِكُ لكمْ ضرّا ولا نفْعاً والله هُو السّميع العليمُ)[22]

(17)

وقال: (ولا تدْعُ منْ دُونِ الله ما لا ينفعُكَ ولا يضرُّكَ فإن فعلتَ فإنّكَ إذاً من الظالمين)[23].

---

[17] - سورة التوبة : 65- 66.
[18] - سورة المائدة: 51.
[19] - انظر الجامع الفريد: ص277- 278بتصرف.
[20] - سورة السجدة: 22.
[21] - فتح المجيد: ص170.
[22] - سورة المائدة: 76 .
[23] - سورة يونس: 106.

إن كل أمر شرعه الله لعباده وأمرهم به، ففعله لله عبادة، فإذا صرف من تلك العبادة شيئاً لغير الله فهو مشرك، مصادم لما بعث الله به رسوله[24] من قوله: (قل الله أعْبُدُ مُخْلِصا له ديني)[25].
قال الإمام ابن تيمية: طلب الدعاء مشروع من كل مؤمن لكل مؤمن. حتى قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعمر لما استأذنه في العمرة: (لا تنْسَنَا يا أخي منْ دُعَائكَ). إن صح الحديث[26] قال تعالى: (وقال ربُكمُ ادْعُوني أسْتَجِبْ لكمْ)[27].
وقال أيضاً: (وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيب دعوة الدّاعِ إذا دعان...)[28] يتبين من هذه الآيات أن يلجأ المسلم إلى الله في سرائه وضرائه ، فهو سبحانه الكفيل بقضاء الحاجات، وتحقيق المطالب، وإغاثة المكروب، ودفع الضر والبلاء.
قال شيخ الإسلام: فأما ما لا يقدر عليه إلا الله تعالى، فلا يجوز أن يطلب إلا من الله سبحانه، لا يطلب ذلك من الملائكة، ولا من الأنبياء، ولا من غيرهم. ولا يجوز أن يقال لغير الله: اغفر لي. واسقنا الغيث. وانصرنا علي القوم الكافرين. واهد قلوبنا، ونحو ذلك.

(18)

ولهذا روى الطبراني في معجمه أن كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم منافق يؤذي المؤمنين، فقال الصديق: قوموا بنا نستغث برسول الله صلى الله عليه وسلم من هذا المنافق. فجاؤوا إليه، فقال: (أنه لا يُسْتَغَاثُ بي، وإنما يُستغَاثُ بالله)[29].
وفي الاستعانة مثل ذلك، فليتدبر المسلمون هذا.
قال ابن القيم: رحمه الله: ومن أنواعه- يعني الشرك- طلب الحوائج من الموتى، والاستغاثة بهم، والتوجه إليهم- وهذا أصل شرك العالم- فإن الميت قد انقطع عمله، وهو لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضراً، فضلا عمن استغاث به، أو سأله أن يشفع له إلى الله، وهذا من جهله بالشافع والمشفوع عنده[30].
قال أحد العلماء: من جعل بين وبين الله وسائط، يتوكل عليهم، ويدعوهم، ويسألهم، كفر إجماعاً. وفي الفتاوى البزازية من كتب الحنفية: قال علماؤنا: من قال: أرواح المشايخ حاضرة تعلم، يكفر[31].
وفي دعاء موسى عليه السلام: (اللهمّ لك الحمدُ وإليْكَ المُشْتَكى وأنْتَ المُسْتعانُ وبك المُسْتَغَاثُ وعليك التّكلان، ولا حول ولا قوة إلا بك). وقال أبو عبدالله القرشي: استغاثة المخلوق بالمخلوق كاستغاثة المسجون بـ

---

[24] - فتح المجيد: ص172.
[25] - سورة الزمر: 14.
[26] - راجع كتاب التوسل والوسيلة ص 134 الحديث رواه أبو داود والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.
[27] - سورة المؤمن: 60.
[28] - سورة البقرة: 168
[29] - راجع كتاب التوسل والوسيلة: ص173.
[30] - فتح المجيد: ص173.
[31] - فتح المجيد: 173.

المسجون[32].

(19)

وخير ما نختم به هذا الفصل قول الحق تبارك وتعالى: (ومنْ أضَلُ ممّنْ يدْعو من دون الله من لا يستجيب له إلى يوم القيامة وهُمْ عنْ دُعائهم غَافِلُونَ)[33].

الاستعاذة بغير الله

معنى الاستعاذة: الالتجاء والاعتصام. ولهذا يسمى المستعاذ به معاذاً وملجأ. فالعائذ بالله قد هرب مما يؤذيه أو يهلكه إلى ربه ومالكه، واعتصم واستجار به والتجأ إليه[34].

ومن الشرك الخبيث: الاستعاذة بغير الله، فالاستعاذة من أنواع العبادات التي أمر الله تعالى بها عباده ليفردوه بها. قال تعالى: (وإمّا يَنْزَغنّكَ منَ الشّيْطان نَزْغٌ فاسْتَعِذْ بالله إنّه هُوَ السّميع العَليمُ)[35].

وقوله سبحانه: (قُلْ أعُوذ بربِّ النّاس). و(قُلْ أعوذُ بربِّ الفلق).

وعن خولة بنت حكيم قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (منْ نَزَلَ منْزِلا ً فقال: أعوذُ بكلمات الله التّامّات من شرّ ما خلق. لمْ يضُرّهُ شيء حتى يرْحَلَ منْ منْزِلِهِ ذلك)[36].

(20)

شرع الله لأهل الإسلام أن يستعيذوا به، بدلا عما يفعله أهل الجاهلية من الا ستغاثة بالجن، فشرع الله للمسلمين أن يستعيذوا بأسمائه وصفاته[37].

وقال ابن القيم- رحمه الله: ومن ذبح للشيطان ودعاه، واستعاذ به وتقرب إليه بما يحب، فقد عبده، وإن لم يسم ذلك عبادة ويسميه استخداماً. وصدق ، هو استخدام من الشيطان له، فيصير من خدم الشيطان وعابديه، وبذلك يخدمه الشيطان، لكن خدمة الشيطان له ليست خدمة عبادة، فإن الشيطان لا يخضع له ولا يعبده كما يفعل هو به)[38] أ. هـ.

التطير- التشاؤم

راجعت في العصور المتعاقبة ضلالة التطير أو التشاؤم، التي كانت منتشرة في عهد الجاهلية، وكانت سوقها رائجة لدى أولئك القوم الذين لم يعرفوا الإ سلام ولم يذوقوا طعم الإيمان، وعندما تشرفت البشرية بظهور نور التوحيد وبزوغ فج الإسلام، الذي أبطل دعوات الجاهلية وخرافاتها، ومن بينها فتنة التطير، عندئذ عاد للإنسانية قدرها وناموسها.

---

[32] - راجع كتاب التوسل والوسيلة: ص136. ومن أراد مزيد بيان فليراجع هذا السفر النافع..
[33] - سورة الأحقاف: 5.
[34] - راجع فتح المجيد: ص167.
[35] - سورة فصلت: 36.
[36] - رواه مسلم.
[37] - فتح المجيد ص: 169.
[38] - المصدر السابق.

فبالإسلام عادت للبشرية معالم فطرتها، واستعادت الإنسانية كيانها

(21)
وقدسيتها، إذ التشاؤم- الذي لا يزال كثير من الناس يعيشون في أسره في هذه الأيام، متأسين بجهلاء الجاهلية الأولى ودعواتها الباطلة- قد حاربه الإ سلام ووضع حداً له. وقديماً قال قوم نبي الله صالح عليه السلام له:
(اطيّرْنا بكَ وبِمَنْ مَعَكْ)[39]. وكثيراً ما قال الكفار الضالون- حينما ينزل بهم بـ لاء الله- لدعاتهم ولرسل الله إليهم: (إنا تطيّرْنا بكمْ)[40]. وكان جواب هؤلاء المرسلين: (طائرُكمْ مَعَكمْ)[41] أي سبب شؤمكم مصاحب لكم، وهو كفركم وعنادكم وعتوكم على الله ورسله.
ونظم النبي صلى الله عليه وسلم التطير مع الكهانة والسحر في سلك واحد قال:
(ليْس منّا منْ تطيّرَ أوْ تُطيّرَ له، أوْ تكهّنَ أو تُكهّنَ له أوْ سَحَرَ أوْ سُحِرَ لهُ)[42].
إن المسلم الحقيقي صاحب العقيدة السليمة لا يكترث لهذه اللوثات الساقطة ، كالتشاؤم ببعض الأيام والشهور، أو الطيور أو المنازل أو الأماكن أو الأ شخاص وما شابه ذلك، لأنها أوهام جاهلية، واعتقادات شركية، يرتفع عنها المسلم صاحب النهج القويم، الذي يلتزم بالإسلام منهجاً وتشريعاً.
والإسلام لا يقبل لأتباعه الارتماء في أحضان الشرك والضلال. إن

(22)
التطير أمر قائم على غير أساس من العلم أو الواقع الصحيح، إنما هو انسياق وراء الضعف وتصديق للوهم، وإلا فما معنى أن يصدق إنسان عاقل أ نّ النحس في شخص معين، أو مكان معين، أو ينزعج من صوت طائر- ك البوم- أو حركة عين أو سماع كلمة؟![43].. وقال صلى الله عليه وسلم: (لا عَدْوَى ولا طِيَرَةَ ولا هَامَةَ ولا صَفَرَ). وزاد مسلم: (ولا نَوْء ولا غول). رواه الشيخان.
قال عكرمة: كنا جلوساً عند ابن عباس فمر طائر يصيح، فقال رجل من القوم: خير، خير. فقال له ابن عباس: لا خير ولا شر.
فبادره بالإنكار عليه لئلا يعتقد تأثيره في الخير والشر[44].

الذبح والنذر لغير الله

قال تعالى: (قلْ إنّ صلاتي ونُسُكي وَمَحْيَايَ ومماتي لله ربِّ العالمينَ لا شريك لهُ وبذلكَ أمرت وأنا أوّل المُسلمين)[45]. وقال سبحانه:

---

[39] - سورة النمل: 47.
[40] - سورة يس: 18.
[41] - سورة يس: 19.
[42] رواه الطبراني عن ابن عباس بإسناد حسن. انظر الحلال والحرام: ص235.
[43] - راجع الحلال والحرام: ص236.
[44] فتح المجيد: ص213- 215.
[45] - سورة الأنعام: 162- 163.

(فصَلّ لربّكَ وانْحَرْ)[46]. وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لعنَ الله منْ ذَبَحَ لغيرِ الله...)[47].

(23)

قال الإمام النووي: المراد بقوله: (لَعَنَ الله منْ ذبَحَ لغير الله).
أن يذبح باسم غير الله تعالى، كمن ذبح للصنم، ومثله من يذبح لصاحب القبر، أو نحو ذلك. وكل هذا حرام، ولا تحل هذه الذبيحة.
نص عليه الشافعي، واتفق عليه أصحابنا، فإن قصد مع ذلك تعظيم المذبوح له هذه الذبيحة- غير الله والعبادة له- كان ذلك كفراً، فإن كان الذابح مسلماً قبل ذلك، صار بالذبح مرتداً. ذكره في شرح مسلم ونقله كثيرون[48].
قال الزمخشري: كانوا إذا اشتروا داراً أو بنوها، أو استخرجوا عيناً ذبحوا ذبيحة خوفاً أو تصيبهم الجن، فأضيف إليهم الذبائح لذلك.
وذكر إبراهيم المروزي: أن ما ذبح عند استقبال السلطان تقرباً إليه، أفتى أهل بخاري بتحريمه، لأنه مما أهل به لغير الله[49].
وهكذا حمى الإسلام جناب التوحيد، وحارب الضلالة، وسد منافذ الشرك، وأبطل دعوات الجاهلية. وأما النذر فمعناه- كما يقول اللغويون: هو ما كان وعداً على شرط، أو أن توجب على نفسك ما ليس بواجب لحدوث أمر[50]..
إن الأموال والهدايا والذبائح والأطعمة التي تحمل إلى أضرحة المشايخ أو ا لأولياء- بقصد الوفاء بالنذر- هي عمل باطل، ومعصية لله

(24)

ولا يجب الوفاء بهذا النذر، لأن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (منْ نَذَرَ أنْ يُطيعَ الله فليُطِعْهُ ومن نذر أنْ يَعْصيهُ فلا يعْصهِ)[51].
أما ما يقوله الجهلاء والمبتدعة، بخصوص الذبائح والأطعمة والهدايا المنذورة، التي تحمل للقبور وأضرحة الشيوخ والأولياء، بأن الولي أو الشيخ الذي حملت إليه لا يأخذها ولا يناله منها شيءٌ، إنما يأخذها الفقراء و المحتاجون، الذين ينتظرون بفارغ الصبر تلك الموالد المباركة والمواسم الكريمة- على حد زعمهم- ليحصلوا منها على أرزاقهم وحاجاتهم.
إن هذا لهو الضلال، وأي ضلال أعظم من ضلالهم؟
أقول: إن الله تبارك وتعالى قد بين لنا أن العبادات بأسرها هي من خصوصياته سبحانه، ولا يجوز أن يشرك معه غيره كائنا من كان، ومن بينها النذر- وهو عبادة أيضاً- والله تعالى يقول: (يُوفُونَ بالنّذْرِ ويَخَافونَ يوْماً كانَ شرّهُ مُسْتَطِيراً)[52] لذا فلا يجوز حمل الذبائح والنذور إلى الأولياء والشيوخ،

---

[46] - سورة الكوثر: 2.
[47] - رواه مسلم: قطعة من حديث شريف.
[48] - انظر رسالة تقاليد يجب أن تزول.
[49] - راجع فتح المجيد: ص152.
[50] - انظر المفردات للراغب. والقاموس المحيط للفيروز أبادي.
[51] - رواه الشيخان.
[52] - سورة الإنسان: 7.

أو إلى زواياهم أو مشاهدهم- مقاماتهم.
إن الشارع الحكيم قد نهى أن تحمل النذور إلى مكان فيه صنم، أو يقام فيه عيد من أعياد الجاهلية، كالموالد التي تقام اليوم لأصحاب القبور والأضرحة من الشيوخ والأولياء[53]. فقد ورد في كتب السنة

(25)

عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ينحر إبلا ً ببوانة، فأتى النبي فقال: إني نذرت أن أنحر إبلا ً ببوانة. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (هلْ كان فيها وثنٌ من أوثان الجاهليّةِ يُعْبَدُ؟). قالوا: لا. قال: (هلْ كان فيها عيدٌ منْ أعيادهم؟).
قالوا: لا. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوْفِ بنَذْرِكَ إنّه لا وفاء لنَذْرٍ في معْصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم)[54].
فالرسول الكريم لم يبح للناذر أن يوفي بنذره- مع أنه خالص لله- إلا بعد أن تأكد أن بوانة لم يكن بها وثن، ولم يكن يقام بها مولد أو عيد من أعياد الجاهلية، حتى لا يضيع أجر عمل الرجل بإيقاعه في مكان يعصى الله فيه[55].
وفي كتب الحنفية: أن النذر الذي يقع للأموات من أكثر العام، وما يؤخذ من الدراهم والشمع والزيت ونحوها إلى أضرحة الأولياء[56] الكرام تقرباً إليهم، كأن يقول: يا سيدي فلان إن رد غائبي، أو عوفى مريضي، أو قضيت حاجتي، فلك من النقد أو الطعام أو الشمع

(26)

أو الزيت كذا. فهو بالإجماع باطل وحرام لوجوه منها:
1- أنه نذر لمخلوق، والنذر للمخلوق لا يجوز، لأنه عبادة، وهي لا تكون إلا لله.
2- أن المنذور له ميت، والميت لا يملك.
3- أنه إن ظن أن الميت يتصرف في الأمور دون الله تعالى، فاعتقاده ذلك كفر[57] والعياذ بالله.
لذا كان حريا بكل موحد لله من أبناء القرن العشرين أن يتدبر هذا، وأن ينكر على من يجاري الجاهليين في أعمالهم الشركية، وينهاهم عن ذبح الذبائح حول القبور أو على مداخل البيوت، ومقدمة السيارة، كما يفعل كثير من جه

---

[53] - إن هذا الأمر مشاهد ومعروف، وخاصة قرب مشهد النبي موسى- عليه السلام- قرب أريحا بفلسطين. وضريح الصحابي أبي عبيدة في غور الأردن، وضريح أحمد البدوي بطنطا في مصر، وغيرها من الأضرحة والمشاهد، التي أصبحت محط رحال الكثير من أدعياء الصوفية والمبتدعة. ألا ساء ما يصنعون.
[54] - رواه أبو داود.
[55] - راجع صراع بين الحق والباطل: ص114 بتصرف.
[56] - ومن المضحك أنه وجد في أحد صناديق النذور عقد اتفاق قانوني بين السيد صاحب الضريح - الميت- والسيدة الناذرة وفيه: إن الطرف الثاني يتعهد بأن يدفع للطرف الاول مبلغ جنيه واحد كل شهر بدون تأخير ولا مماطلة ولا تسويف إذا ما توسط الطرف الاول- عند الله طبعاً- في أن يعيش ابن الطرف الثاني. يا لها من مأساة يعيشها أبناء القرن العشرين، الذين ينتسبون لأمة محمد صلى الله عليه وسلم فهؤلاء يعتقدون في الأموات بدفع الضر وقضاء الحاجات، التي لا تطلب بحق إلا من رب الأرض والسموات. ولا يقول بهذه الترهات إلا كل ضال معتوه جاهل. فلا حول ولا قوة إلا بالله.
[57] - راجع كتاب فقه السنة: ج3- ص28.

لاء المسلمين والمبتدعة في هذا الزمان. وفي هذا محادة لله ولرسوله العظيم، الذي أرسله تعالى منقذاً ومخلصاً للإنسانية من جبروت الشرك وهيمنة الجاهلية.
والناذر حين ينذر للشيخ أو للولي إنما يريد إرضاءهما لا إرضاء الله تعالى، فهو يذهب إلى الشيخ أو الولي حاملا ً له النذر، ليدفع عن نفسه ما رسخ في اعتقاده من أن الشيخ أو الولي حاملا له النذر، ليدفع عن نفسه ما رسخ في اعتقاده من أن الشيخ أو الولي سيصيبه بمكروه في نفسه، أو في ماله، أو في أحد من أهله إذا لم يوف بنذره[58].
فالأولى والأجدر بالناذر أن يبحث عن الفقراء من أهله ومعارفه،

(27)

بعيداً عن الموالد وأعياد الجاهلية وتقاليد الصوفية، وسيجد الكثير من الأسر المستورة التي هي بحاجة لنذره وصدقته، وبهذا يكسب رضوان الله، وينقذ الفقراء من أنياب الفاقة، ويصون عقيدته وتطيب حياته.

الحلف بغير الله

للأشقياء وسائل مختلفة ومسالك متنوعة يستخدمونها للوصول إلى أغراضهم، حيث يلجأ كثير من هؤلاء- وخاصة المفتونون منهم بشيوخهم وساداتهم- فيرفون منزلتهم ويقدسونهم من دون الله، كما يكثرون من إطرائهم ويتباهون بالانتساب إليهم ويحلفون بهم.
وبعد وفاء هؤلاء- المعظمين في دنياهم- تعلو مكانتهم وتسمو درجاتهم في نفوس المولعين بحبهم، فيرفعون قبورهم لتصبح مزاراً أو مكاناً مقدساً للتوسل، لدفع الضر وجلب الخير.
والإسلام الحنيف يحرم على أتباعه أن يعظموا المخلوقات أو يؤلهوهم - كما يفعل المبتدعة والمشركون- أو يحلفون بهم، لأن التعظيم والتقديس والإجلا ل لا ينبغي لأحد من المخلوقات، بل هي من خصائص الله جل علاه.
فالحلف والتقديس والإجلال تعظيم للمحلوف به، وقد منع رسولنا الأعظم صلى الله عليه سلم أن يحلف المسلم بغير الله تعالى فقال: (منْ حَلَفَ بغيرِ الله

(28)

فقدْ كفَرَ أوْ أشْرَكَ)[59]. وقال أيضاً: (ألا إنّ الله ينْهاكمْ أن تحلِفوا بآبائكمْ فمنْ كان حالفاً فليَحْلف بالله أوْ ليَصْمُتْ)[60].
لذا كان المطلوب من كل مسلم ألا يحلف بالآباء أو الأمهات، أو الشيوخ أو الزعماء، أو الأولياء أو الأنبياء أو الكعبة، أو الشرف أو كلمة الطلاق، أو أي شيءٍ آخر يكون عزيزاً عند الحالف.

---

[58] - راجع صراع بين الحق والباطل.

[59] - رواه الترمذي وحسّنه، وصحّحه الحاكم.
[60] - رواه البخاري ومسلم. انظر سبل السلام: ج4- ص101.

وعن حذيفة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لا تقُولوا: ما شاء الله وشاءَ فُلانٌ. ولكنْ قُولوا: ما شاء الله ثمّ شاء فُلانٌ)[61].

قال ابن تيمية رحمه الله: من أيمان الشرك أن يحلف المرء بتربة أبيه أو بـ الكعبة، أو بنعمة السلطان أو بحياة الشيخ، أو غيره من المخلوقات.

فهذه أيمان غير منعقدة ولا كفارة فيها بالحنث باتفاق أهل العلم[62].

أقول: إنها أيمان خطرة على الدين والدنيا، وهي ذرائع شركية قد تهلك صاحبها بالدارين.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً (لا تحْلِفُوا بآبائكمْ ولا بأمّهاتِكُمْ ولا با لأندادِ ولا تحْلِفوا بـالله لا وأنتُمْ صادقون)[63]. وهذا الحديث دليل واضح على النهي عن الحلف بغير الله تعالى، وهو التحريم.

(29)

لقد كانت الجاهلية الأولى تعظم الأصنام وتحلف بها لتأكيد أيمانها، لهيبتها في نفوس معظميها، وثمة ما نعاني في جاهلية عصرنا من تشابه بين الجاهليتين، فتجد من يحلف بالسلطان والرئيس أو الملك أو بالأنبياء والأ ولياء. وأصحاب الأضرحة، كالدسوقي والحسين والسيدة زينب والبدوي، وسيدنا الخضر وضريح الأنبياء- في مدينة الخليل بفلسطين- وضريح الصحابي أبي عبيدة في غور الأردن، وغيرهم من الأحياء والموتى، المؤلهين المقدسين من دون الله تعالى لدى جمهرة كبيرة من المنحرفين، الذين استحوذ عليهم الشيطان، فعميت لديهم القلوب والأبصار.

ولنتأمل أيضاً قول الرسول صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (ليْسسَ منّا منْ حَلَفَ بالأمانةِ ومنْ خَبّب- أفسد- على امرىءٍ زوجته أوْ مملوكه فليْسَ منّا)[64].

من هذا وغيره يعلم[65] أن الإنسان لا يجوز له أن يحلف بغير الله، لئلا يدخل في عداد المشركين المغضوب عليهم[66].

(30)

الاشتغال بالسحر

ومن الشرك الملعون، الاشتغال بالسحر، وتصديق من يشتغل به.

ومعنى السحر نفسه: عبارة عما خفي ولطف سسببه. ولهذا جاء الحديث: (إنّ منَ البيانِ لسحْراً)[67] وسمي السحرُ سحراً لأنه يقع خفياً آخر الليل.

---

[61] - رواه أبو دواد بسند صحيح. راجع فتح المجيد: ص426- 427.

[62] - راجع الفتاوى الكبرى: ج3- ص4.

[63] - رواه النسائي وأبو داود. انظر سبل السلام: ج4- ص101.

[64] - رواه أحمد وابن حبّان، وصحح إسناده المنذري في الترغيب. وراجع سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج- ص35.

[65] - ومما يجدر ذكره أن الله سبحانه وتعالى قد نعى على كثير الحلف، فقال: (ولا تُطع كلّ حلا ّفٍ مهينٍ).. سورة القلم: 10 وكما هو معلوم فإن وقوع الحلف يكثر من قبل التجار وأرباب المهن والصنائع وأشباههم. فعلى هؤلاء وغيرهم عدم الإ سراف في الأيمان لمناسبة أو غير مناسبة.

[66] - راجع العبادة في الإسلام. وصراع بين الحق والباطل: ص116 .

[67] - رواه مالك وأحمد والبخاري وغيرهم.

قال ابن فارس في معجمه: السحر - قام قوم- هو إخراج الباطل في صورة الحق. ويقال: هو الحذيفة. قال أبو محمد المقدسي في الكافي: السحر عزائم ورقي وعقد، يؤثر في القلوب والأبدان، فيمرض ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه. وقال سبحانه: (ومنْ شرِّ النّفّاثات في العُقَدِ)[68]
يعني السواحر اللاتي يعقدن في سحرهن، وينفثن في عقدهن. ولولا أن للسحر حقيقة لم يأمر الله تعالى بالاستعاذة منه.
وقال الراغب في المفردات: خداع وتخيلات لا حقيقة لها، نحو ما يفعله المشعبد بصرف الأبصار عما يفعله لخفة يده، وما يفعله النمام بقول مزخرف عائق للأسماع. وجاء في القرآن: (يُخَيّلُ إليهِ منْ سِحْرِهِمْ أنها تسْعَى)[69].
وكذلك يعني استجلاب معاونة الشيطان بضرب من التقرب إليه، بقوله سبحانه: (هلْ أُنَبِّئُكُمْ على منْ تنَزّلُ الشّياطينُ تنَزّلُ على كلِّ أفّاكٍ أثيمٍ)[70].

(31)

وقد سمى الله تعالى السحر كفراً بقوله: (وما كفَرَ سُلَيْمانُ ولكنّ الشّياطين كفروا يُعَلِّمونَ النّاس السِّحرَ)[71] وحذرنا الله من الاشتغال بالسحر، لأن الشياطين يعلمونه للناس عن طريق الوسوسة إليهم، ويعرفونهم كيف يثيرون الفتن ويوقدون نار العداوة بين الزوجة وزوجها بالوشاية، وفي هذا العمل قطع للأرحام وخراب للبيوت[72]. قال تعالى:
(فيتَعَلّمونَ منْهُما ما يُفَرِّقون به بيْنَ المرْءِ وزوجه وما هُمْ بضارّين به منْ أحدٍ إلا بإذن الله)[73] وقد ذم الله عمل الساحر، وصمم ما يفعله بالخسران في قوله تعالى: (ولا يُفْلِحُ السّاحرُ حيْثُ أتى)[74].
كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم يقول عن السحر والساحر: (منْ عقدَ عُقْدَةً ثمّ نفَثَ فيها فقدْ سَحَرَ فقد أشْرَكَ ومن تعلّقَ بشيءٍ وكل إليه)[75].
ويقول أيضاً: (اجتنبوا السّبْعَ المُوبِقاتِ). قالوا: يا رسول الله ما هن؟. قال: (الشرك بالله السِّحْرُ وقتْل النّفس التي حرّم الله إلا بالحقّ وأكلُ الرِّبا وأكل مالِ اليَتيم، والتولي يومَ الزّحف، وقذف المحصنات الغافلاتِ المؤْمناتِ).
واختلفوا: هل يكفر الساحر أو لا؟ فذهب طائفة من السلف إلى

(32)

أنه يكفر. وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد- رحمهم الله- قال لأصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيءٍ لا يضر فلا يكفر.
وقال الشافعي: إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك. فإن وصف ما يوجب الكفر، مثل ما اعتقده أهل بابل من التقرب إلى الكواكب السبعة، وأنها

---

68 - سورة الفلق: 4.
69 - سورة طه: 66. المشعبد: الهازيء كالمشعوذ.
70 - سورة الشعراء: 221، 222.
71 - سورة البقرة: 102.
72 - راجع صراع بين الحق والباطل: ص127.
73 - سورة البقرة: 102.
74 - سورة طه: 69.
75 - حديث رواه النسائي.

تفعل ما يتلمس منها فهو كافر، وإن كان لا يوجب الكفر، فإن اعتقد إباحته كفر. أ.ه-.
وقد سماه اللّه كفراً بقوله: (إنّما نحنُ فِتْنَةٌ فلا تكفُرْ)[76].
قال ابن عباس في هذه الآية: وذلك أنهما علما الخير والشر والكفر والإيمان، فعرفا أن السحر من الكفر[77].
وعن بجالة بن عبدة قال: كتب عمر بن الخطاب- رضي اللّه عنه- أن اقتلوا كل ساحرة. قال: فقتلنا ثلاث سواحر[78].
وصح عن حفصة- رضي اللّه عنها- أنها أمرت بقتل جارية لها سحرتها فقتلت[79]. ويلحق بالسحر ما في معناه من العرافة والعيافة - التي هي زجر الطير- والطرق بالحصى، وخط الرمل ونحو ذلك مما يدعي أصحابه أنهم يعلمون الغيب بواسطته. قال الشاعر:

لعمرك ما تدري الطوارق بـ الحصى		ولا زاجرات الطير ما اللّه صانع

(33)

وعن عمر بن الخطاب-رضي اللّه عنه- في قوله تعالى: (يُؤْمِنُونَ بالجِبْتِ و الطّاغُوتِ)[80] قال: الجبت، السحر. والطاغوت، الشيطان[81] وقال تعالى: (ولقدْ عَلِمُوا لمَنِ اشْتَرَاهُ ما له في الآخرة منْ خلاقٍ)[82].
قال ابن عباس- رضي اللّه عنهما: أي ليس له نصيب.
وقال الحسن رحمه اللّه: أي ليس له دين. فدلت الآية على مفارقة الساحر لدينه[83]. وكما حرم الإسلام على المسلم الذهاب إلى العرّافين، لسؤالهم عن الغيوب والأسرار، حرّم عليه أن يلجأ إلى السحر أو السحرة، لعلاج مرض ابْتُلِيَ به، أو حلّ مشكلة استعصت عليه[84].
فهذا ما بريء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم منه. قال: (ليْسَ منّا منْ تطيّرَ أو تُطيِّرَ له أوْ تكهّنَ أوْ تُكُهّنَ له، أوْ سحرَ أو سُحِرَ له)، (ومنْ أتى كاهناً فصدّقه بما يقول فقدْ كفرَ بما أُنزِلَ على محمدٍ)[85].

ما جاء في النشرة- فك السحر

قال أبو السعادات: النشرة ضرب من العلاج والرقية ، يعالج من يظن أن به مسًا من الجن. سميت نشرة لأنه ينشر بها عنه ما خامره من الداء. أي يكشف

[76] - سورة البقر: 102.
[77] - انظر فتح المجيد: ص286- 287.
[78] - حديث رواه البخاري في صحيحه.
[79] - رواه مالك في الموطأ . راجع الجامع الفريد ص112، 113.
[80] - سورة النساء: 51.
[81] - دعوة التوحيد ص: 80.
[82] - سورة البقرة: 102.
[83] - دعوة التوحيد ص: 79.
[84] - الحلال والحرام: ص231.
[85] - رواه البزار بإسناد جيد. فتح المجيد 302- 303.

ويزال[86].

(34)

عن جابر أن رسول الله صل الله عليه سلم سئل عن النشرة فقال: (هي منْ عَمَلِ الشَيَطان)[87].

وقال ابن الجوزي: النشرة حل السحر عن المسحور، ولا يكاد يقدر عليه إلا من يعرف السحر. وروي عن الحسن أنه قال: لا يحل السحر إلا ساحر.

قال ابن القيم: النشرة حل السحر عن المسحور وهي نوعان، أحدهما: حل بسحر مثله، وهو الذي من عمل الشيطان، وعليه يحمل قول الحسن، فيتقرب الناشر والمنتشر إلى الشيطان بما يحب، فيبطل عمله عن المسحور. والثاني: النشرة بالرقية والتعوذات والأدوية والدعوات المباحة فهذا جائز.

وكذلك فالنشرة بالتعويذ والرقي بأسماء الله وكلامه من غير تعليق، فلا أعلم أحداً كرهه[88] وقد قال صلى الله عليه وسلم: (عباد الله تداووْا ولا تداوَوْا بحرام). وقال: (ثلاثة لا يدخلون الجنّة: مُدْمِنُ الخمْرِ، وقاطعُ الرّحم ومُصدِّقٌ بالسِّحر)[89] والحاصل أن ما كان منه يسحر فيحرم، وما كان بالقرآن والدعوا ت والأدوية المباحة فجائز. والله أعلم[90].

(35)

(الأحجبة والتمائم والرقى والأوتار)

ومن الشرك الملعون عمل الأحجبة والرقى وتعليق الأوتار، وقد عرف الجاهليون قديماً هذه الأعمال الشركية نتيجة اعتقادات وهمية باطلة، ولما جاء الإسلام الحنيف حارب هذه الاعتقادات، وقضى على تلك العادات الفاسدة والخرافات الساقطة، التي تفسد وتشوه معالم الحياة.

ونظراً لما يترتب على هذه الأعمال الشركية من شرور ومفاسد، فقد حذر رسولنا صلى الله عليه وسلم من أخطارها وويلاتها فقال: (إنّ الرُقى والتّمائم والتِّولة شرْكٌ)[91] وقال أيضا: (منْ علق تميمةً فلا أتمّ الله له)[92]. وقال: (مَنْ تعلق تميمةً فقدْ أشْركَ)[93].

---

[86] - راجع فتح المجيد: ص307.

[87] - رواه أحمد بسند جيد.

[88] - راجع تيسير العزيز الحميد: ص309.

[89] - رواه أحمد وابن حبان في يصحيحه. راجع تيسير العزيز الحميد: 449.

[90] - راجع فتح المجيد: ص310 ومن أراد الاستزادة فعليه بهذا السفر الفريد فهو زاخر بمآثر السلف الرشيد.

[91] - انظر الأحادث الصحيحة: رقم 492، ص265. راجعه فهناك فوائد كثيرة. الرقي: دعاء يقرأ على المريض.

التولة: شيء يصنعه الناس ليحبب المرأة إلى زوجها والرجل إلى امرأته. وقيل: هو نوع من السحر.

التمائم: جمع تميمة، وهي خرزات زرقاء كانت العرب تعلقها على الأولاد لرد العين عنهم.

ولا زالت هذه العادة الشركية مستعملة حتى الآن. قد روى الحديث الإمامان أحمد، وأبو داود.

[92] - رواه أحمد في مسنده.

[93] - رواه الإمام أحمد.

وهذا وعيد وتهديد لمن يتعلق قلبه بالتمائم والأحجبة، وفيه أيضاً دعاءٌ عليه بعدم تحقيق المطالب.
ومما يؤسف له أن كثيراً من المبتدعة، المنتسبين للإسلام اليوم،
(36)
يعتنقون عقائد أهل الجاهلية المشركين نفسها، حيث يعتقدون أن الأحجبة و التمائم والأوتار- التي يعلقونها على الأطفال والرجال والنساء، والدواب و المنازل والسيارات وما شابه ذلك- تعمل خلاف ما هو مسجل عند الله، فتشفي بعض الأمراض، وتطيل الأعمار، وترد ُ العين عن الإنسان والدواب والسيارات والعمارات، وتمنع عنها عين الحاسد، وتسلمها من الآفات، وتحفظها من كل سوء أكثر مما قدر الله لها، كما تحيل الشقاء إلى سعادة و الكراهية إلى محبة.
ومن وراء هذه العقيدة الفاسدة الملوثة، يعيش قوم من المشايخ الدجاجلة و المبتدعة الفسقة، الذين يطلقون لحاهم، ويعلقون المسابح الطويلة بأعناقهم وصدورهم- كما هو حال الرهبان- ليموهو على بسطاء المسلمين، بل وحتى شخصيات كبيرة، على جانب كبير من العلم، لم يسلموا من تضليلهم، فوقعوا أسرى خرافاتهم وشركهم.
وهكذا راجت تجارة الأحجبة والرقى الشركية والأوتار الجاهلية لدى طائفة كبيرة من هؤلاء الحجابين المتمشيخين، وأدعياء علم الغيب المشركين، فلعبوا بعقول أبناء المسلمين، وزينوا لهم الباطل، وسطروا لهم الأحجبة والتمائم وغيرها من الأعمال الكفرية، وبذلك تمكنوا من سرقة أموال الناس بهذه الطرق الشيطانية الملتوية، وراجت تجارتهم وأصبحت لهم المنزلة لدى الكثيرين من المفتونين بهم، فأطلقوا عليهم الأسماء والألقاب، كالولي، و الشيخ المتصل، وصاحب الخطوة، مع أنهم دجاجلة مشعوذون وأولياء للشيطان، وأعداء لله، وخونة لصوص
(37)
في المجتمع يجب محاسبتم وتقليم أظفارهم، وتطهير المجتمع من شرورهم.
والإسلام الحنيف لم يهمل جانب الجسم، وما يتعرض له الإنسان من آفات وأمراض، بل أمر بالتداوي ومعالجة كل داءٍ. وقد صرح بذلك رسولنا صلى الله عليه وسلم حين قال: (إنّ الله أنزل الدّاء والدّواء وجعل لكلّ داءٍ دواءً فتداووا ولا تداووا بحرامٍ)[94]. بهذا أرشدنا الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الأخذ بسنن الله في الحياة، وهي التداوي بالعقاقير الطبية التي يقررها الطبيب المختص، بعد الكشف على المريض، وهذا هو الطريق الشرعي لصلاح أمراض الأبدان، أما أمر الشفاء فهو موكول إلى الله الرحيم بعباده، العليم بآلامهم ومصائبهم[95].

[94] - رواه أبو داود.
[95] - انظر صراع بين الحق والباطل: ص123، 124 بتصرف.

جاء في الصحيح عن أبي بشير الأنصاري، رضي الله عنه أنه كان مع رسول الله صلي الله عليه وسلم في بعض أسفاره، فأرسل رسولا ً (أن لا يبْقين ّ في رقبةِ بعيرٍ قلادةٌ من وترٍ، أوْ قلادةٌ منْ حَبْلٍ إلا قطعتْ)[96].

قال البغوي في شرح السنة: تأول مالك أمره عليه السلام بقطع القلائد على أنه من أجل العين، وذلك أنهم كانوا يشدون تلك الأوتار والتمائم، ويعلقون عليها العوذ، يظنون أنها تعصمهم من الآفات، فنهاهم النبي صلي الله عليه وسلم وأعلمهم أنها لا ترد من أمر الله شيئاً.

وقال أبو عبيد: كانوا يقلدون الإبل الأوتار لئلا تصيبها العين، فأمرم النبي عليه الصلاة والسلام بإزالتها إعلاماً بأن الأوتار لا ترد شيئاً. وكذا قال ابن الجوزي وغيره[97].

قال العلماء: المنهي عنه من الرقى ما كان بغير لسان العرب فلا يُدرى ما هو، ولعله قد يدخله سحر أو كفر، فأما إذا كان مفهوماً، وكان فيه ذكر الله تعالى فإنه مستحب[98]. والرقية حينئذ دعاء ورجاءٌ إلى الله، لا علاج ودواءٌ. وقد كانت رقى أهل الجاهلية ممزوجة بالسحر والشرك والطلاسم، التي ليس لها معنى مفهوم[99].

إن ضلالة التمائم والحجب ما زالت فاشية، وتنتشر بين البدو والفلاحين خاصة، وسكان المدن عامة، فأينما ذهبنا نشاهد هذه الشركيات، فبعض سائقي السيارات يضعون الخرزات الزرق في سياراتهم، حيث يعلقونها أمامهم في السيارة على المرآة! وبعضهم يعلق نعلا ً في مقدمة السيارة أو في مؤخرتها! وغيرهم يضع نعل فرس في واجهة الدار أو الدكان!.

كل ذلك لدفع العين وطرد الشيطان، الذي أصبح مهيمناً على عقولهم الزائفة، بسبب الجهل بالتوحيد، وما ينافيه من الشركيات والوثنيات

التي ما بعثت الرسل وأنزلت الكتب إلا من أجل إبطالها والقضاء عليها، ليعود للبشرية سمو فطرتها ونقاؤها.

ولم يقف الأمر ببعضهم عند مجرد المخالفة، بعد تعداه إلى التقرب بها إلى الله تعالى، فهذا الشيخ صاحب دلائل الخيرات يقول في الحزب السابع، في يوم الأحد- ص111. ط. بولاق: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، ما سجعت الحمائم، وحمت الحوائم، وسرحت البهائم، ونفعت التمائم[100].

والتمائم هي الشاهد في قول صاحب الدلائل، وهي التي يتقرب بها إلى الله تعالى- كما يزعم- مع أن التمائم هي الخرزات- كما قال ابن الأثير عند إطلا

---

[96] - حديث متفق عليه.

[97] - راجع فتح المجيد ص: 129، 130.

[98] - وهذا لا يعني أن يذكر بعض الألفاظ القرآنية في الرقى، ثم تخلط بها أدعية شركية وثنية، كالا ستغاثة بالجن ومخاطبتهم، أو الكتابة بالحروف المقطعة، وبخطوط متعرجة كالطلاسم، كما يفعل أصحاب العزائم في رقاهم ا لمخترعة وحجبهم الممتهنة المبتدعة.

[99] - راجع الحلال والحرام: ص234.

[100] - سلسلة الأحاديث الصحيحة: ج-1 ص266.

اقها- ولا دليل في الشرع على أن التميمة بهذا المعنى تنفع، وقد ذكر ذلك كثير من السلف الصالح[101].
فإلى الله المشتكى[102] من جهل المسلمين اليوم وبعدم عن الدين.
(40)

(شرك الكهان والعرافين)
ومن الشرك الخبيث ما يقوم به الكهان والعرافون وأشباههم، من أعمال الدجل والضلال، كدعوى معرفة علوم الغيب وما يبيته المستقبل أو الإخبار بما في ضمير الإنسان.
وفي الصحيحين ومسند أحمد عن عائشة رضي الله عنها قالت: سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكهان فقال: (ليسوا بشيءٍ). فقالوا: يا رسول الله، إنهم يحدثون أحياناً بالشيء يكون حقاً!.
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تلك الكلمةُ من الحقّ يخْطفها الجنّيُّ فيقرُّها في أذن وليّهِ قرّ الدّجاجة فيخلطون فيها أكثر من مائةِ كذبةٍ)[103].
وعن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (من أتى عرّافا أوْ كاهناً فصدّقه ما يقول فقد كفر بما أنزل على محمدٍ)[104].؟
قال القرطبي: المراد بالمنزّل: الكتاب والسنة. أ. هـ.
قال الإمام البغوي: العراف، الذي يدعي معرفة الأمور بمقدمات يستدلّ بها على المسروق، وبمكان الضالة ونحو ذلك.
وقال أبو العباس ابن تيمية: العراف اسم للكاهن والمنجم والرمّال
(41)
ونحوهم، ممن يتكلم في معرفة الأمور بهذه الطرق، أو كمن يدعي علم الغيب أو يدعي الكشف[105].
يقف الإسلام من الكهان والعرافين وأضرابهم موقفاً صارماً، لارتكابهم أسوأ المنكرات التي نهى عنها الشاع الحكيم، كما أن عاقبتهم وخيمة حيث يؤولون إلى البوار والفشل. إن هؤلاء الدجاجلة يستحقون التعذيب والتنكيل والسجن والقتل في الدنيا، والخزي والعار والخلود في نار جهنم، التي أعدت

---

[101] - للاستزادة راجع تعليق الألباني على الكلم الطيب: ص44، 45.
[102] - أذكر الذين يصابون بالأمراض وتنزل بهم العاهات، بأن يلجؤوا إلى أطباء متخصصين في الطب والمعالجة. وقد بين لنا الرسول الكريم هذا الطريق فقال: (إن كان شيء من أدْويتكم خيرٌ ففي شرطة محجم أوْ شربة من عسل، أو لذعة بنارٍ، وما أحبُّ أن أكتوى). رواه البخاري ومسلم وغيرهما. أما أدعياء الطب العربي- المشعوذون- الذين يدعون بالتخصص في معالجة المرضى المزمنين، وإخراج ا لجن من أجسام المصابين لابتزاز أموال المسلمين، فهذا طريق غير مشروع، لم يأذن به الشارع الحكيم. أما الطريق المشروع فقد بينه الرسول الكريم منذ أربعة عشر قرناً حين قال:
(إنّ الله أنزل الدّاء والدّواء وجعل لكلّ داء دواء فتداووا ولا تداووا بحرام).
رواه أبو داود.
[103] - متفق عليه. انظر شرح الطحاوية: ص567.
[104] - رواه الأربعة والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.
[105] - انظر فتح المجيد: ص302، 303.

لكل من يكفر بالإسلام، ويرتد عنه ويصر على ضلاله وكفره.
فمن ادعى معرفة الغيب الحقيقي فهو كاذب على الله وعلى الناس وعلى الحقيقة.
وقد جاء بعض الوفود إلى النبي صلى الله عليه وسلم فظنوا أنه ممن يزعمون الاطلاع على الغيب، فخبؤوا له شيئاً في أيديهم وقالوا له: أخبرنا ما هو؟ فقال لهم في صراحة: (إنّي لستُ بكاهنٍ وإنّ الكاهن والكهانة و الكهّان في النّار)[106].
أقول: على أبناء الأمة أن يتحمل كل مسؤوليته، لتخليص الأمة من رواسب الجاهلية الفاسدة، والعقائد الزائغة، والإشاعات الكاذبة، التي تخل بعقول أبناء الأمة وتفسدها. وقد صحّ عن الرسول صلى الله عليه وسلم أنه قال:
(42)
(إنّ الناس إذا رأوا المُنْكرَ فلمْ يُغَيّروه أوشك أنْ يعُمّهُمُ الله بعقابٍ منه)[107].
رواه ابن ماجه وصحّحه الترمذي.
إن أدعياء علم الكهانة والعرافة والحجابين وكافة المشعوذين- الذين يتعاطون هذه الأعمال الشكية كمهنة للتكسب- يفسدون العقول ويأكلون أموال الناس بالباطل. هؤلاء بمجموعهم بؤر للمفاسد وحرب على القيم والأخلاق. فلا صلاح للأمة إلا بتطهير المجتمع من آثارهم وضلالهم، حتى يتخلص الإنسان من ضغوط الشرك وربقة الوثنية.

(تصديق الكهان كفر)

صبّ الإسلام جام غضبه، ووعد وتهدد الكهان والعرافين وأشباههم لخروجهم على تعاليم الدين وأمر الشارع الحكيم.
ولم تقتصر حملة الإسلام على هذه الطوائف الشاذة والدعوات الضالة وحدها، بل نجده قد أشرك معها في الإثم والمعصية والخذلان من يلجؤون إليهم ويسألونهم ويصدقونم في أوهامهم وتضليلهم. وفي هذا يقول عليه الصلاة والسلام: (من أتى عرّافاً فسأله عن شيءٍ فصدّقه بما قال لمْ تُقبَلْ له صلاةٌ أرْبعين يوماً)[108].
وقال: (من أتى كاهناً فصدّقه بما قال فقدْ كفر بما أنزل على مُحمّدٍ)[109].
مما تقدم يتبين لنا أن الإسلام قد نهى وحذّر المسلمين من الذهاب إلى العرافين والكهان، وكل من كان على شاكلتهم، وذلك واضح مما ورد على لسان رسولنا عليه الصلاة والسلام، الذي أمرنا الله باتباعه والتزام شرعه الحكيم. فلا ينبغي تصديق هؤلاء الدجالين، والإيمان بما يدّعون من علوم غيبية، لأن هذا يعتبر كفراً بالرسول صلى الله عليه وسلم وخروجاً عن

---

[106] - راجع الحلال والحرام: ص229.
[107] - حديث صحيح مخرج في المشكاة. راجع كتابنا: مصرع الشرك والخرافة ص: 240.
[108] - رواه مسلم.

القرآن والسنة المطهرة.
ومن المعلوم مما أنزل على محمد صلي الله عليه وسلم أن الغيب لله وحده، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب ولا غيره من باب أولى. قال تعالى: (قلْ لا أقول لكمْ عندي خزائن الله ولا أعْلمُ الغيب ولا أقول لكمْ إنّي ملكٌ، إنْ أتبعُ إلا ما يُوحى إليّ)[110].
فإذا عرف المسلم هذا من قرآنه- صريحاً واضحا- ثم صدّق أن بعض الخلق يكشفون القدر، ويعلمون ما يكنّه صدر الغيب من أسرار، فقد كفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم[111].

(علم الغيب من خصائص الله سبحانه)

ورد في القرآن الكريم والسنة المطهرة نصوص مستفيضة، تبين أن علم الغيب هو من خصائص الألوهية، استأثر به الله تبارك وتعالى.
ومن هذه النصوص الصريحة قوله تبارك وتعالى: (قلْ لا يعْلمُ منْ في السّموات والأرض الغيب إلا الله)[112]. وقوله عز وجل: (يسْألك الناس عن السّاعة قلْ إنّما علمُها عند الله وما يُدرك لعلّ الساعة تكون قريباً)[113].
وقوله سبحانه: (قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغَيْبَ)[114].
وكما ود في الحديث الصحيح، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (مِفْتَاحُ الغَيْبِ خَمْسٌ لا يعلمُها إلا الله، لا يَعْلَمْ أحد ما يكون في غدٍ، ولا يعْلمُ أحدٌ ما يكون في الأرحام، ولا تعْلمُ نفسٌ ماذا تكسب غداً، وما تدري نفسٌ بأيّ أرض تموت، وما يدري أحدٌ متى يجيء المطر)[115].

(إطلاع الملائكة والرسل على الغيب)

إن الله عز وجل لم يطلع أحداً من خلقه على علم الغيب، ولكنه سبحانه وتعالى قد استثنى الملائكة والرسل الكرام من هذا، وأخبر أنه أطلعهم على ما شاء لهم من الغيب أن يعرفوه، بقصد تبليغ رسالاته

وأوامره العلية، وبما لا يخرج عن النطاق الذي يكون فيه مصلحة البشر ومنفعتهم.
فقال تعالى: (عَالمُ الغيبِ فلا يُظْهرُ على غَيْبِهِ أحداً إلا من ارتضى منْ رسول فإنّه يسلك منْ بين يديه ومنْ خَلفِهِ رصداً، ليعْلم أنْ قدْ أبْلغوا رسالات ربّهم

---

[110] - سورة الأنعام: 50.
[111] - انظر كتاب الحلال والحرام: ص230.
[112] - سورة النمل: 65.
[113] - سورة الأحزاب: 63.
[114] - سورة الأنعام: 50.
[115] - انظر جواهر البخاري: 26- 28.

وأحاط بما لديهمْ وأحصى كلّ شيءٍ عدداً)[116].
أما خلاف ذلك فلا يحيط أحد من خلقه بشيءٍ، مما استأثر بعلمه من الغيب، حتى الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه نفى الله عنه علمه بالغيب وقال سبحانه: (قلْ لا أقولُ لكمْ عندي خزائنُ الله ولا أعْلم الغيب)[117].
وقوله تعالي: (قلْ لا أملِكُ لنفسي نفعاً ولا ضرًا إلا ما شاء الله ولو كنْتُ أعلمُ الغيب لاستكثرتُ من الخير وما مسّني السُوء..ش[118].
فإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم- وهو سيد البشر وأفضل المرسلين- نفي الله عنه علمه بالغيب، إلا ما يحى إليه وينزل به عليه الملك بأمره سبحانه[119].
(46)
فكيف إذن يزعم الجهال والمبتدعون والدجاجلة والحجابون، معرفتهم للغيب واطلاعهم على أمور المستقبل؟![120].

(استخدام الجن وعلم الغيب)

يفتري كثير من الناس الكذب علـى الله، فيموهون الحقائق، ويلبسون الحق بالباطل، ويطلقون المزاعم والأوهام، فيحاربون بها الحق وأهله، ويشيعون الفساد والرذيلة في جنبات المجتمع، مما يفسد الحرث والنسل ويشوه معالم الحياة.
ومن هذه المزاعم ما يفتريه بعضهم على الله بأن الجن يعرفون غيب الماضي فقط، أما غيب المستقبل فلا يعلمونه، مع أن الله قد نفى عن الجن معرفتهم بالغيب كله. وهذه قصة الجن الذين كانوا يعملون بين يدي سليمان عليه السلام، بإذن الله تعالى، وفيهم يقول الله سبحانه:
(47)

---

[116] - سورة الجن: 26- 28.
[117] - سورة الأنعام: 50.
[118] - سورة الأعراف: 188.
[119] - ومن المؤسف حقا أن يلجأ بعض المنتسبين لأمتنا فيكذبون على الله وعلى الرسول. فيدعون- زوراً أو بهتاناً- أن الله سبحانه قد أطلع رسولنا الكريم صلى الله عليه وسلم على علوم الغيب كلها- ما كان وما سيكون- مع أن هذا الادعاء يناقض آيات الله البينات، وما جاء على لسان رسولنا صلى الله عليه وسلم من السنن المطهرات، والله تعالى يقول: (قلع لا أقولُ لكمْ عندي خزائن الله ولا أعلمُ الغيبَ).
وقد ناقشت في هذه المسألة الكثير ممن لا يتوقفون عند النصوص الشرعية، بل يطلقون لعقولهم القاحلة وعقائدهم الزائغة العنان، ولم يقبلوا إلا ما ورثوه عن شيوخهم المنحرفين، وما لبسه عليهم الشيطان الرجيم. مع معظمهم من ذوي المراتب الرفيعة, كالقضاة والمحامين وحملة الشهادات العليا وغيرهم. إن مثل هذا الاعتقاد الفاسد قد يؤدي بصاحبه إلى النار إذا لم يتب ويقف عند حدود الشرع, ونحن نقول بأن الله سبحانه قد أطلع رسوله الكريم على بعض علم الغيب لا كله, كما يزعم المبطلون. إن مثل هؤلاء الأدعياء- الذين يهرفون بما لا يعرفون- مرض خطير في الأمة, حيث ينخدع البسطاء من المسلمين بضلالهم, مع أن الثقافة والعلوم والمراكز التي يتبوؤونها ليست المقياس الحقيقي لا ستقامة الإنسان, فكثير من الرؤوس المتعلمة- مع الأسف- نجدها فارغة من الإيمان, كافرة بمبادىء الدين وتعاليمه. فعلى الأمة الحذر الحذر, واليقظة من أمثال هؤلاء.
[120] - انظر كتابنا مصرع الشرك والخرافة. وكتاب صراع بين الحق والباطل: ص136.

(فلمّا قضيْنا عليه الموْت ما دلّهم على موته إلا دابّة الأرض تأكُلُ منْسَأته[121] فلمّا خرّ تبيّنت الجنُّ أنْ لوْ كانوا يعْلمون الغيب ما لبثوا في العذاب المُهين)[122].

يقول ابن كثير- رحمه الله- في تفسير هذه الآية: يذكر تعالى كيفية موت سليمان عليه السلام، وكيف عمّى الله موته على الجان المسخرين له في الأعمال الشاقة، فإنه مكث- النبي سليمان- متوكئاً على عصاه- وهي منسأته- كما قال ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاهد والحسن وقتادة وغير واحد، مدة نحواً من سنة، فلما أكلتها دابة الأرض- وهي الأرضة- ضعفت وسقط إلى الأرض، وعلم أنه قد مات قبل ذلك بمدة طويلة، وتبينت الجن والإنس أيضاً أن الجن لا يعلمون الغيب، كما كانوا يتوهمون ويوهمون الناس ذلك[123].

إذن لو كان الجن يعلمون الغيب حقاً ما ظلوا في عذاب مدة من الزمن، وهم يعتقدون أن سليمان حيٌّ، بينما هو ميت لا يدري من أمرهم شيئاً[124].

وخلاصة القول: إذا كان الجن قد جهلوا موت سليمان- عليه السلام- الذي حدث قبل اكتشافهم له بمدة طويلة قد تصل إلى سنة! فكيف إذن يعلمون الماضي، فضلا ً عن غيب الحاضر والمستقبل؟!

(48)

وكذلك فالقرآن الكريم يصرح بأن الجن قد نفوا عن أنفسهم معرفة الغيب كلية، وهذا ما نجده في قوله سبحانه: (وأنّا لا ندري أشرٌّ أريد بمن في الأرض أمْ أراد ربُّهم رشداً)[125].

لقد غفل ضعفاء العقل من الناس عن هذه الحقائق الثابتة، وصدقوا هذه الأوهام والخيالات التي تحكى عن الجن، وعلمهم بالغيب، الذي هو من خصائص الألوهية، ومع الأسف فقد ظنوها من عقائد الإسلام وهو منها براءٌ.

أما دعاة الباطل، وما يتبجح به المشعوذون المرتزقة، والنصابون الفسقة، و الحجابون الدجاجلة الذين يدعون- زوراً وبهتاناً- بأنهم يحكمون الجن، ويستخدمونهم لقضاء مصالحهم، وذلك للمنزلة الدينية والكرامات الربانية التي حباها الله لهم!!.

أقول: إن الواقع ينفي هذا ويدحضه، حيث لا نسمع أو نقف على مصدر نقلي أو عقلي يؤيد هذا التخرص، ولم يرد عن السلف الصالح ما يؤيد هذا الزعم وهم خير القرون- الصحابة- وأفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل الكرام.

ولكن حصول هذا قد يتم على أيدي البشر- وهم شياطين الإنس- الذين يتمردون على شرع الله، ويصبحون عبيداً للشيطان من دون الله،

---

121 - منسأته: عصاه.
122 - سورة سبأ: 14.
123 - تفسير ابن كثيري: ج-3، ص: 529.
124 - صراع بين الحق والباطل: ص139.
125 - سورة الجن: 10.

ويستسلمون لرغبات الجن الفسقة، ويكفرون بالله تعالى.

(49)

ونخلص من هذا كله، أن الادعاء بأن الإنسان الصالح المؤمن يستطيع أن يحكم الجن ويتصل بهم، فهذا قول فاسد، لا يقول به إلا الفسقة المبتدعة و المشركون الضالون، فالاتصال مع شياطين الجن يتم مع شياطين الإنس فقط، الذين أصبحوا عبيداً للشياطين يأتمرون بأمرهم، وقد أمرنا الله بالا ستعاذة من شياطين الإنس وشياطين الجن فقال:

(قلْ أعوذ بربِّ النّاس. ملكِ النّاس إلهِ النّاس. منْ شرّ الوَسْوَاسِ الخنّاس الّذي يُوَسْوِسُ في صدورِ الناس من الجنّة والنّاس)[126] وقوله تعالى:

(فَوَسْوَس لهما الشّيْطان)[127].

فيجب الحذر واليقظة من هؤلاء الشياطين، ومطاردتهم وتطهير المجتمع من شرورهم ومن رجسهم. والله المستعان وهو على كل شيء قدير.

(اتخاذ القبور مساجد)

حرم الإسلام على أتباعه كل نوازع الشر ومنابت الضلال، وتشدد كثيراً في كل ما من شأنه إحباط عمل الفرد وإفساد مسعاه.

وكما هو معلوم فقد حارب الإسلام كافة الشرور، وصب جام غضبه على الشرك الخبيث لأنه أشدها ضراً، وأكثرها فتكاً وتأثيراً على حياة الفرد و الجماعة.

(50)

ومما لا ريب فيه فإن الشرك هو الداء العضال، والوباء المعدي، والسرطان الفتاك، الذي ما حل بأرض إلا وشوّه معالمها، وأهلك أهلها وعطل مسيرتها.

أما أخطر الشرك في هذه الأيام- وإن زعم بعضهم عدم وجوده- فهو الذي يتمثل في بناء المساجد على القبور!! وقد حرم الإسلام بناء المساجد على القبور، وأغلظ أشد الغلظة على مرتكبي هذه الجريمة البشعة، التي تودي با لفرد إلى دار البوار. ولنستمع إلي رسولنا الأعظم.

صلى الله عليه وسلم يقول:

(لعنَ الله اليَهُود والنّصارى اتّخذوا قبُور أنبيائهمْ مساجد)[128].

وقال: (شرارُ الخلق عند الله منْ تدْركهُمُ السّاعة وهُمْ أحْيَاء والذين اتخذوا علي القبور مساجد)[129].

يتبين لنا من هذه النصوص الشريفة، بأن مقت الله وغضبه سيحلان بالذين يبنون المساجد علي القبور، كما نزلت لعائن الله على اليهود والنصارى، الذين ارتكبوا هذه المنكرات والشركيات.

---

[126] - سورة الناس.

[127] - سورة الأعراف: 20.

[128] - رواه مسلم.

[129] - رواه أحمد وابن ماجه.

وعن عائشة قالت: لما نزل برسول الله صلى الله عليه وسلم طفق يطرح خميصة له على وجهه، فإذا اغتم بها كشفها فقال- وهو كذلك: (لعْنَةُ الله على اليهود والنّصارى اتخذوا قبُورَ أنبيائهمْ مساجد)- يحذر ما صنعوا-
(51)
ولولا ذلك أبرز قبره، غير أنه خُشي أن يتخذ مسجداً[130].
قال القرطبي في معنى هذا الحديث: وكل ذلك يقطع الذريعة المؤدية إلى عبادة من فيها، كما كان السبب في عبادة الأصنام. أ. هـ[131].
والأصل في تحريم بناء المساجد على القبور، هو خشية تعظيم الميت لدرجة تجعل الإنسان يعطي ما يجب أن يكون لله- من الحب والتعظيم والخشية و الرجاء والتقديس- لهذا الميت، معتقدا أن الميت بيده النفع والضرر، ف التعظيم والخشية والرجاء والذل، يجب أن يكون لله وحده، لأنه الرب الحي الخالق الرازق المانع المعطي المالك لكل شيءٍ في الوجود، أما المقبور الذي يدعوه الإنسان ويسأله فهو عبد ميت، لا يخلق ولا يرزق ولا يعطي ولا يعز و لا يذل[132]، بل هو فقير محتاج كالذي يدعوه تماماً.
وقد قال الله تعالى لمن يرتادون مساجد الأضرحة: (قلْ أمرَ ربِّي بالقسطِ وأقيموا وجوهكم عندَ كلِّ مسجدٍ وادْعوه مُخلصين له الدِّين[133].
فعندما يبنى المسجد على قبر شيخ أو أي مخلوق آخر، ويزين بالستائر و القباب وغيرها، يخرج من عداد المساجد الصالحة للصلاة، لأن مساجد القبور ليست لله، بل هي لمن فيها من الأموات المعظّمين لدى المفتونين بهم من الأ حياء، الذين يعتبرون الصلاة فيها تزيدهم منزلة ودرجة.
(52)
وصدق الله العظيم: (وأنّ المساجد لله فلا تدْعُوا مع الله أحداً)[134].
يكن المسجد لعبادة الله وحده، واعبده كما أمر سبحانه، ولا تعظم أي أحد غيره، لأن تعظيمك وحبك للميت الذي أقيم المسجد على ضريحه يصرفك عن عبادة الله الحقة. فعلى المسلم أن يحذ هذه المفاتن، ويغلق الباب في وجه كافة المسالك التي قد تسبب الانحراف بالجماعة الإسلامية عن مسار ا لإسلام الصحيح.

(زيارة القبور)

أنعم الله تبارك وتعالى على عباده بنعم كثيرة، لا يمكن الإحاطة بها أو حصرها، ومع ذلك فقد أعرض الجاحدون، وتنكر المتمردون عن حمده عز وجل، والثناء عليه بما هو أهل له، وفي هذا يقول سبحانه:

---
130 - رواه الشيخان.
131 - فتح المجيد: ص238.
132 - صراع بين الحق والباطل: ص93.
133 - سورة الأعراف: 29.
134 - سورة الجن: 180.

(وقليلٌ مِّنْ عباديَ الشّكُورُ)[135].
ولما كانت الحياة الدنيا هي دار العمل والجنى، والآخرة هي دار الحساب و الثواب، حيث تجد كل نفس ما عملت محضراً- من خير أو شر: (قدْ أفْلحَ منْ زكّاها وقدْ خابَ منْ دسّاها)[136].
لذا كان حرياً بكل إنسان عاقل، أن يؤدي حق الله كاملا ً على الوجه المشروع، لينال الخير والسعادة والثواب الجزيل، الذي أعده الله

(53)

لأهل طاعته، العاملين وفق شريعته، للفوز بالدرجات العلى، التي وعد الله بها عباده المؤمنين، الذين يتقربون إليه بالقربات ويسارعون في الخيرات. والله كفيل بمضاعفة الأجر والمثوبة لمن يشاء من عباده (وما تقدِّموا لأنفسكم من خيْرٍ تجدوه عند الله)[137].
إن مجالات الخير والإحسان متنوعة، وطرقها كثيرة لا يحصيها إلا الله سبحانه، ومن هذه الطرق: زيارة القبور التي أمر الشرع الحكيم بأدائها للا تعاظ والاعتبار، حيث الخير والإحسان للأحياء والأموات، فينال الميت الدعاء والاستغفار من قبل الحي- الزائر- ويعتبر الحي بما يشاهده في زيارته ، فيستعد لمؤونة الرحيل الأبدية- الموت- بإكثاره من عمل الخير والتزود بـ التقوى، ومن هنا تتعدد موارد الخير لتحقيق سعادة الفرد حيا وميتاً. وقد وردت عدة نصوص شريفة تحث على زيارة القبور ومنها قوله صلى الله عليه وسلم: (كُنْتُ نَهَيْتُكمْ عنْ زيارة القبُورِ فزوروها فإنّها تذكِّركمْ الآ خرة)[138].
أما كيفية الزيارة المشروعة للميت فهي، عندما يصل الزائر إلى القبر عليه أن يستقبل وجه الميت ويسلم عليه ويدعو له[139].
وقد وردت عدة أدعية، كان عليه الصلاة والسلام يدعو بها، ومنها هذين الدعائين: عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبور

(54)

المدينة، فأقبل عليهم بوجهه فقال: (السّلام عليْكمْ يا أهل القبور. يغفر الله لنا ولكمْ. أنْتمْ سلفُنا ونحن بالأثرِ)[140].
وقال بريدة رضي الله عنه: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر أن يقول قائلهم: (السلام عليكمْ أهل الدّيار من المؤمنين والمسلمين، وإنّا إنْ شاء الله بِكمْ لاحقون. نسْأل الله لنا ولكمُ العافية)[141].

---

[135] - سورة سبأ: 13.
[136] - سورة الشمس: 9، 10.
[137] - سورة البقرة: 110.
[138] - رواه أحمد ومسلم وأصحاب السنن.
[139] - راجع كتاب فقه السنة: ج-1- ص565.
[140] - رواه الترمذي وقال: حديث حسن. انظر الأذكار النووية: ص142.
[141] - أخرجه مسلم.. راجع: الكلم الطيب: ص85 تحقيق الألباني.

لقد انتشرت المنكرات في هذا العصر وعمّت وطمّت، حتى عادت لعهد الجاهلية الأولى، إذ ارتكبت البدع والمحظورات والخرافات عند القبور وأضرحة الأموات[142]، حيث يطوف الجهلاء والقبوريون حول الأضرحة، ويستغيثون بالأموات ويسألونهم قضاء الحاجات، وهذه بدع منكرة وشركيات مكفرة، يجب اجتنابها، ويحرم فعلها لمخالفتها تعاليم الإسلام الحنيف، فعلى المسلم الكيّس أن يكون متبعاً لا مبتدعاً، لأن الخير كل الخير في الاتباع، والشر كله في الابتداع.
ومما قاله شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في زيارة القبور: إن منهم- الزوار- من يجعل الحج إليها أعظم من الحج إلى الكعبة. وهو يرى

- رحمه الله- أن هذه المغالاة في تعظيم القبور والمشاهد وشد الرحال إليها، لم يرد بها كتاب ولا سنة ولا عمل من صحابة أو تابعين[143].
لقد نهى الشارع الحكيم عن رفع القبو وتزيينها بالستائر، وتجميلها أو إسراجها، لئلا يفتتن بها الناس ويقدسونها، لأن فتنة القبور كانت من أكبر الأ بواب التي دخل منها الشرك على ابن آدم.
فإذا ما عُظّمت القبور أو زينت، فإنها ستصبح مزاراً للتبرك والتقديس و التوسل، أو السؤال بها من دون الله. ولعمر الله فهذه نافذة كبيرة من أهم النوافذ التي بواسطتها دخل الشرك إلى حظيرة الإسلام، فضاع ضعاف العقائد وتشوهت ضمائرهم. وقد حسم الإسلام هذه الفتنة وحذر منها وأغلق مسالكها وسدها سداً محكماً، وبذا خلص الإنسانية من حمأة الشرك وبراثن الجاهلية.

(عبادة الأهواء)
ومن الشركيات المظلمة انقياد الإنسان لهوى نفسه، فلا تميل نفسه إلى شيء أو يهواه إلا اتبعه، وهذا ما ذكره القرآن:
(أَرَأَيْتَ من اتَّخَذَ إِلهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنتَ تَكُونُ عليْهِ وَكِيلا ً)[144].
فاتباع الهوى من الآفات الكبرى. إذ حين يذهب العلم يبرز الهوى ليقود ويستعلي، ويلمح ذلك من الآيات التي تذكر الذين يتبعون أهواءهم. قال: (ومَنْ أضَلُّ ممن اتبَعَ هَواهُ بِغَيْرِ هدى مِّنَ الله)[145].

[142] - لقد كانت فتنة القبور من أعظم الفتن التي ابتلي بها الناس، حتى أشركوا بالله سبحانه. وهذا حال القبوريين والمبتدعة الذين فتنوا بأضرحة الشيوخ والأولياء، الذين أضحوا مقدسين ومؤلهين في نفوس معظميهم من دون الله سبحانه، فنجدهم يتمسحون بالقبور ويحملون إليهم الذبائح والنذور، ويستغيثون بهم لجلب الخير ودفع الضر من دون الله، كما يستعطفونهم ويستغفرونهم ويتضرعون إليهم. وهو بعينه فعل المشركين بالأصنام، وهو شرك عظيم ومحادة لله ولرسوله القائل: (إذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله...).
[143] - راجع منهاج السنن.
[144] - سورة الفرقان: 43.
[145] - سورة القصص: 50.

وقال تعالى: (بل اتبع الذين ظلموا أهْواءَهُمْ بغيْرِ علمٍ)[146].
ومن أبرز الأهواء التي ألهها الإنسان، وصيّر نفسه عبداً لها، المال والجاه و الحسب. فالمال- ذلك المعبود الطاغي- الذي سيطر على عقول كثير من الناس، وجعل حياتهم مسخرة لجمعه، وطلب الرفاهية عن طريقه، والاقتتال في سبيل جمعه، فألهى الناس عن ربهم، وصرفهم عن القيام بواجب الشكر له والتزام حدود أوامره.
والقرآن لم يغفل عن التحذير من سلطان المال، وتأثيره على الجماعات فقال: (يا أيُّها الذين آمنوا لا تُلهِكُمْ أمْوَالُكمْ ولا أوْلادُكمْ عنْ ذكرِ الله ومن يفعَلْ ذلك فأولئكِ هُمُ الخَاسِرون)[147].
فالمال يصبح عدواً للإنسان عندما يسيطر على حواسه، ويؤدي به إلى ترك عبادة ربه. والبذل في سبيل مرضاته، لهذا حذر أنبياء الله الجماعات البشرية من طغيان المادة، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تعِسَ عبدالدِّرْهَمِ..)[148] وقوله صلى الله عليه وسلم: (اثنان لا يشْبَعَانِ طالبُ علمٍ وطالبُ مالٍ).
وقال السيد المسيح- عليه السلام- في وعظه هذه الجملة الرائعة:
لا تعبدوا ربّين: الله والمال[149].
والإنسان عندما يهتدي بسنة الله، ولا يهتدي بالعلم والهدى الذي جاء من عند الله، يميل به هواه، لأنه فقد الميزان، فصار سهلا ً عليه أن يميل مع هواه، حيث لا يخشى سنة ولا علماً، فكيف يخشاهما[150] وهو لم يشعر بقوانينهما في الحياة، وأسلوب كشفهما للباطل؟!!
فلذا نجد أن ضيق نظره والمحدودية في إدراكه يسهلان عليه اتباع الظنون وما تهواه نفسه، دون أن يخشى نكيراً.. ولنستمع لهذه الآية الكريمة: (والذين جاهدوا فينا لَنَهْدِيَنّهمْ سُبُلنا...)[151].
قال الجنيد معلقاً على هذه الآية: والذين جاهدوا أهواءهم فينا بالتوبة لنهدينهم سبل الإخلاص، ولا يتمكن من جهاد عدوه في الظاهر إلا من جاهد هذه الأعداء باطناً، فمن نُصِرَ عليها نُصِرَ على عدوه، ومن نُصرت عليه نُصِر عليه عدوه[152].
وحكي عن عبدالرحمن بن مهدي أن رجلا ً سأل إبراهيم النخعي عن الأ هواء: أيها خير؟ فقال: ما جعل الله في شيء منها مثقال ذرة من خير. وما هي إلا زينة الشيطان، وما الأمر إلا الأمر الأول. يعني ما كان عليه

---

[146] - سورة المنافقون: 9.
[147] - سورة المنافقون: 9.
[148] - قطعة من حديث رواه البخاري وابن ماجه. كشف الخفاء: ج-1 - ص366.
[149] - روح الدين الإسلامي.
[150] - انظر كتاب حتى يغيروا ما بأنفسهم.
[151] - سورة العنكبوت: 69.
[152] - انظر الفوائد: ص79.

السلف الصالح[153].

(عبادة الشخصية الإنسانية)

كانت دعوة التوحيد حرباً على الشرك والوثنية وعبادة النيران والإنسان، وجعل الأمر كله لله الواحد الديان، فلا قدسية لفرد ولا

(58)

عبادة لإنسان حتى ولو كان نبياً، فإن القرآن العظيم يأمر الرسول الكريم في أن يبلغ الناس أنه بشر يوحى إليه فقال سبحانه: (قُل إنما أنا بشرٌ مثلكم يُوحى إليّ)[154].

وغاب عن بعض الناس أن يتخذوا آلهة من البشر يتبعون آراءهم، ويسيرون على هواهم بدون تفكير ولا تمييز: (اتّخذوا أحْبارَهُمُ ورُهْبانهمْ أرْباباً من دون اللّه)[155]. والحقيقة أنهم لم يتخذوا آلهة يسجدون لهم، ولكنهم اتبعوا آراءهم بدون وعي ولا إدراك ولا كبير فهم ولا عظيم عقل، فأسود اليوم أبيض الغد، و حلال اليوم حرام الأمس، وقبيح الأمس حسن اليوم.. يتبعهم أتباعهم في كل ما يقولون وما يصنعون، وهكذا فقد لفظت أمتنا حياة الجاهلية بقبحها وعفونتها وشركها وعبودية غير اللّه، وانطلقت تفكر بحرية وانعتاق.

فكثيراً ما أله الناس بعض أبناء جنسهم اعتقاداً منهم بأنهم يتمتعون بمميزات وخواص ينفردون بها عن سائر البشر.

وقد كان لهؤلاء البشر المتألِهين عدة سبل للوصول إلى غاياتهم، منها: استغلا ل البسطاء من الناس والسذج خاصة والتدجيل عليهم، واستعمال وسائل العنف والإرهاب في أحيان كثيرة، حيث استغلوا الإنسان أسوأ استغلال لتحقيق مطامعهم وتنفيذ مخططاتهم، وقادوهم إلى الإذلال والخسران.

(59)

وقد لاقت الجماعات البشرية من شرور هؤلاء المتألهين ما تضيق به الصدور وما تلفظه الأنفس، هذا ما كان يعانيه كثير من الشعوب البدائية والشعوب المتحضرة.

فستالين- أحد أساطين روسيا الشيوعية- الذي كان شبه إله في قومه، كفر به الشعب الروسي بعد موته، فمزقوا صوره وحطموا تماثيله ورفعوا الصيحات من كل جانب باستهجان عبادة الشخصية الإنسانية.

وأمثال هذا كثيرن كالميكادو امبراطور اليابان، وأباطرة العجم والفرس وغيرهم[156].

---

[153] - انظر مصرع الشرك والخرافة: ص436.

[154] - سورة الكهف: 110.

[155] - سورة التوبة: 31.

[156] - ومما يؤسف له أن عدوى هذه العبادة والتأله قد سرت إلى أوساط كثيرة من المسلمين، بتقليدهم الكفار في ذلك، وهذا ممثل أصدق تميل بقيام المصلين للحاكم إذا دخل المسجد، وهم يصفقون له ويهتفون وكأنهم في مهرجان أو احتفال. ناسين أنهم في بيت اللّه وبين يديه.

وقد جاءت المبادىء العظيمة في القرآن الكريم- منذ أربعة عشر قرناً- تلك المبادىء السامية الداعية إلى عبادة الله وحده، وعدم عبادة الشخصية الإ نسانية بأي صورة كانت، فانظر كيف يوجه الإسلام الخطاب إلى اليهود و النصارى، واضعاً الأسس الراسخة التي يجب أن تلتقي حولها هذه الديانات الثلاث، في سبيل إسعاد البشرية ورفع الظلم والاستغلال، اللذيْن تؤدي إليهما عبادة الشخصية الإنسانية: (قلْ يا أهْلَ الكتابِ تعَالوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيْننا وبَيْنَكمْ ألا نَعْبُدَ إلا الله ولا نُشرِكَ به شيئا ولا يتّخذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أرْبَاباً من دون الله)[157].

(60)

ولما كان بعض الأنبياء والمصلحين اتخذهم قومهم- بعد مماتهم- آلهة أو أنصاف آلهة، فقد بين القرآن بطلان هذا الشطط والانحراف في المعتقد بقوله: (ما كانَ لبشرٍ أنْ يُؤْتيه الله الكتابَ والحُكمَ والنُبُوّة ثمّ يقول للنّاس كونوا عباداً لي منْ دون الله ولكن كُونوا ربّانيّين بما كُنْتُمْ تُعلِمون الكتاب وبما كُنْتمْ تدْرُسُون ولا يأمُرَكمْ أنْ تتّخذُوا الملائكةَ والنّبييّن أرْباباً أيَأمُرُكمْ بِ الكفرِ بعْدَ إذْ أنْتمْ مُسْلِمونَ)[158].

فعبادة المصلحين والأنبياء أمر مشهور في كثير من الأمم، فالمعلم -بوذا- مثلا ً لم يدّع الألوهية في حياته، ولكن كثيراً من أتباعه ألهوه بعد مماته، ونصبوا التماثيل له[159]. وكذلك يفعل المبتدعة وبعض الصوفية المنحرفون مثل هذا لشيوخهم المقبورين، وكذلك تنصبُ الأضرحة وترفع بناياتها لتصبح مزارات، بدعوى أنها قبور للأولياء والصالحين، ومثل هذا كثير ومعروف.

وقد عمل الإسلام على معالجة هذه النظريات الضالة- القائلة بتأليه الأولياء و الأنبياء والصالحين- احتياطاً ودرءاً للمفاسد. وقد كان من صميم المعتقدات الإسلامية أن محمداً صلى الله عليه وسلم بشر كسائر البشر وأنه عبدالله ورسوله، فها هو رسول الإسلام يأمره الله أن يخاطب أتباعه قائلا:

(قلْ لا أمْلِكُ لِنَفْسي نَفْعَاً ولا ضرّا إلا ما شاء الله ولوْ كُنْتُ أعْلَمُ الغيْبَ لا سْتَكْثَرتُ من الخير وما مسّني السُوء إن أنا إلا نذيرٌ وبشيرٌ لقوْم يُؤْمِنون)[160] وجاء في القرآن الكريم في هذا المعنى: (قُلْ إنّما أنا بشرٌ مثْلُكمْ يوحى إليّ أنّما إلهكمْ إلهٌ واحدٌ)[161] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو أكرم الخلق على ربه واحداً من أمته لا يفضلهم بطعام ولا شراب، يأكل مما يأكلون، ويشرب مما يشربون، ويسر كما يسرون ويحزن كما يحزنون.

ونظير ذلك مشاهد لدى الصوفية الذين يقفون لشيخهم متى دخل عليهم، ولو كانوا داخل المسجد.

[157] - سورة آل عمران: 64.

[158] - سرة آل عمران: 79- 80.

[159] - انظر روح الدين الإسلامي: ص98.

[160] - سورة الأعراف: 188.

[161] - سورة الكهف: 110.

دخل عليه أحد الوفود فسلم بسلام الملوك في الجاهلية، بقوله[162]: أبيت اللعن. فقال عليه الصلاة والسلام: (ما أنا بملكٍ، إنما أنا ابنُ امرأةٍ كانتْ تأكلُ القديد في مكة). قالوا: فيم أنت؟. قال:
(أنا أبُو القاسم). فقالوا: يا أبا القاسم، ثم ذكروا حاجتهم. فهو ينفي عن نفسه المنزلة الخاصة غير منزلة النبوة ومكان الرسالة، وهكذا ربّى صلى الله عليه وسلم أصحابه على عبادة الله وتقديس كلام الله. وإنه صلى الله عليه وسلم يلحقه الموت وغير الموت مما يلحق الناس، من خير أو شر في أجسامهم وأحوالهم الدنيوية وأموالهم، حتي عاب الكفار عليه ذلك واعتبروا أنه لا يمكن أن يكون الرسول من جنسهم، يأكل من أكلهم ويمشي في أسواقهم: (وقالوا ما لهذا الرّسول يأكلُ الطّعام ويمشي في الأسواق)[163].
لما رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن المسلمين بدؤوا يزورون شجرة الرضوان، التي تمت البيعة تحتها يوم أن أراد الرسول صلى الله عليه وسلم وصحبه

أن يدخلوا مكة معتمرين فمنعتهم قريش، وجاءت الأنباء بمقتل عثمان رضي الله عنه، وكان سفير الرسول صلى الله عليه وسلم إلى أهل مكة، فبايع أصحاب الرسول نبيهم على الموت تحت تلك الشجرة، فأخذ المسلمون يزورونها فيها بعد، فقطعها عمر لئلا يقدسها المسلمون ويعودوا إلى وثنيتهم الأولى.
وأعجب لأمتي هذه- التي ورثت حضارة الإسلام وعظمة الإسلام، وبين أيديها كتاب الله تتلوه صباح مساء- ما لها تقدس بشراً من الحكام، وزعماء من القادة وناساً من الناس... حتى استخَفّوا بها ورقصوا على أشلائها، وكادا أن يبيعوها أو هم قد باعوها في سوق النخاسة الدولية.
والأمة التي تبرر للزعيم أو الحاكم خطأه المتعمد ورأيه القبيح، وتقلبه وانتهازيته وأخذه للمبادىء يستوردها، إنما هي تعبده من دون الله، ولقد سبب ذلك غضب الله وسخطه. وصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول: (لا يؤْمِنَ أحَدُكُمْ حتى يكون هواهُ تبَعاً لما جئْتُ به)[164].
ومما لا ريب فيه أنه قد يظهر بين حين وآخر- في كل أمة من الأمم- أفذاذ منها يبلغون درجة عظيمة في التقوى والاستقامة، أو في العلم أو في العبقرية أو في الإخلاص لأمتهم وبلادهم، وقد يكتب الله على أيديهم الظفر والازدهار والنجاح الباهر والتوفيق العظيم، وما إلى ذلك من رغائب، فيعظمهم الناس ويمجدونهم، ثم يبالغ بعضهم في ذلك حتى يصل تقديسهم في نفوس الرعاع السذج أو الجهلاء أو ناقصي

---

162 - انظر رسالة أضواء كاشفة للشيخ أسعد بيوض التميمي. نفع الله به المسلمين.
163 - سورة الفرقان: 7.
164 - رواه الإمام البغوي في شرح السنة، والنووي في سند صحيح.

التفكير إلي حد توهم الألوهية أو جزء منها فيهم، وينحرفون بذلك عن منهج التفكير السليم ويتجاوزون كل حد مقبول في العقول السليمة، وقد يشجعهم على بعض ذلك الأذكياء الذين يستطيعون استغلالهم من خلال هذه العقائد الباطلة. ولقد أصيب بهذا الداء شعوب كثيرة، جعلت زعماءها وعظماءها آلهة من دون الله، أو جعلتهم شركاء لله في خلقه وأمره، واتخذت لهم أنصاباً أوثاناً، يقدسونها ويعبدونها ويقربون لها القرابين زاعمين أنها آلهتهم من دون الله.

ومن الذين ضلوا بهذا السبب معظم الوثنيين الأولين الأولين، الذي اتخذوا ا لأوثان والأصنام لعظمائهم ثم عبدوها من دون الله، ومنهم النصارى الذين ألهوا سيدنا عيسى عليه السلام مبالغة في تعظيمه وتقديسه[165].

إن القرآن الكريم قد لفتنا إلى وثن أو إله خطير يتعبد له الملايين- وهم لا يشعرون- ذلك هو الهوى: (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضَلَّهُ اللّٰه على علمٍ)[166]. (أرأيْتَ من اتخذَ إلهَهُ هواهُ أفأنْتَ تكُون عليه وكيلا ً)[167].

وكذلك من الأوثان ما يعبده الناس ويقدمون له الولاء[168]، كموالاة

(64)

المريد لشيخه، والفرد والعنصر لحزبه أو رئيسه، وإن لم يسموه وثناً أو إلهاً أو رباً، ولم يسموا ما يقدمونه إليه عبادة، ولكن العبرة بالمقاصد لا بالألفاظ و لا بالمسميات ولا بالأسماء.

(اتباع الآباء والأسلاف والشيخ)

إن المتتبع لأحداث التاريخ وتراجم الماضين- قديماً وحديثاً- ليقف حائراً مدهوشاً لما يرى من وقائع مذهلة أقدمت عليها طوائف من الناس، فأسبغت قدسية وتعظيماً على الآباء والشيوخ والأجداد، وأطلقت عليهم من الصفات والنعوت ما يطلق عادة على الآلهة.

إن الذين يفقدون السنن والقوانين في أحداث الكون وحوادث البشر، يستبدلون تقاليد الآباء والشيوخ بالسنن! ولتقاليد الأسلاف سلطان قوي يأخذ بمخانق البشر! وسلطان الأجداد والشيوخ يجب أن يقف عند حد معين لا يتجاوزه، وإلا كان وبالا ً ومصيبة على البشرية لا يعرف مداها إلا الله.

وقد ادعى العالم- تايلور- أن عبادة الأجداد نشأت من الاعتقاد بالأرواح، فالآ باء والأجداد- في القبائل البدائية- كانوا رؤساء الأسر وبيدهم مقاليد الأمور.

---

165 - العبادة في الإسلام، ورسالة العبودية لابن تيمية رحمه الله.

166 - سورة الجاثية: 23.

167 - سورة الفرقان: 43.

168 - لقد كان تعدد الأحزاب وتفرق الجماعة الواحدة واختلافها فيما بينها من الأسباب الرئيسية لضعف المسلمين وتفرقهم، فقد ألحق الحرب- والتشرذم- بالإسلام والمسلمين أضراراً بالغة، لا ينكرها إ لا جاهل مغرور. والحق عندي هو اتباع الكتاب والسنة، وهما الفيصل لكل أمر، ثم الاقتداء بالسلف الصالح، وإني لا أرى الرشد والهداية ملكاً لجماعة فقهية أو لمدرسة عصرية أو تجمع أو طريقة إلا إذا كان لذلك أصل عند السلف الصالح.

لأنهم أخبر بشؤون الحياة، فإذا ماتوا فإن أرواحهم ترفرف في سماء الأسرة، لتقيها شر النوائب ورد أذى الأعداء[169].

وكذلك تمجيد الأبطال والخوف منهم هو الذي حمل البشر على عبادة الأسلا ف[170].

أي مفكر في حقيقة هذا المعتقد الفاسد يجده غريباً بعيداً عن التصديق والإ قناع. فمن هم الأسلاف لنتفكر بأصلهم ومصيرهم؟!. إنهم من البشر يأكلون ويشربون ويمرضون ثم يأتيهم المت، وبعده ينخر الدود أجسامهم ويحيلها إلى البلى، ومن كان هذا أصله ومآله، فهل من العقل اللجوء إليه وطلب المعونة أو تحقيق المطالب منه؟!

إن عبادة الأسلاف تشتمل على كثير من الخرافات والأساطير، و القيام بشعائر وطقوس يمكن وصفها بالإجمال بأنها نوع من التخديرات التي خدرت الشعوب، وحالت دون تقدمها ورقيها.

فمن آثار عبادة السلف عند العلماء: حلق الرأس وإحداث جروح في الجسد، واحتفالات دفن الموتى، ولبس المسوح، والعناية بالقبور، والصلاة عليها أو إقامة شعائر دينية فوقها[171].

ومن روعة القرآن أنه لم يغفل عن هذه الأباطيل التي طرأت على الجنس البشري، فكانت تعاليمه تحض على تخليص الإنسان منها. قال تعالى: (لا إله إ لا هو يُحْيي ويُميتُ ربُكم ورب آبائِكّمُ الأوّلين)[172]

فتأمل- أخي القاريء- استهلال هذه الآية بوصف قدرة الله في

الإحياء وفي الإماتة، بينما الأسلاف والشيوخ الغابرون لا يملكون هذه الصفة ، بل هم أموات، فما أبعد الميت عن نفع غيره، ثم تأمل كيف أن الآية أعلنت أن الله هو ربهم ورب آبائهم، وإذا كان الله رب الجميع فقد أبطل الدعوة إلى عبادة الأسلاف، والاستمرار في منهج الآباء والشيوخ التي تجازتها الأحداث.

إن الالتزام بما كان عليه الأجداد والشيوخ يعيق الحركة ويعطل المسيرة ويرهق الأجساد، ثم يتحول إلى الآصار والأغلال: (إنهم ألفوْا آباءهمْ ضالين فهمْ على آثارهم يُهْرَعونَ)[173] لأن إحلال الآباء محل آيات الله وسننه، أمر جذاب شديد الإغراء.

وللاستفادة مما كان عليه الآباء ينبغي أن يخضع- ما كان عليه الآباء- للعلم و الهدى، ويجري عليه التصحيح دائماً، وعلى المسلم أن لا يضع الآباء المسلمين- المتقدمين منهم والمتأخرين- مكان القواعد والسنن المأثورة،

---

[169] - تاريخ الأديان وفلسفتها: ص68، للأستاذ طه الهاشمي.
[170] - تاريخ العرب قبل الإسلام: ج- 5 ص34. جواد علي.
[171] - روح الدين الإسلامي.
[172] - سورة الدخان: 8.
[173] - سورة الصافات: 69- 70.

ومهما أحسنا الظن فيهم فإنهم ليسوا فوق أن نختبر ما هم عليه، على أساس الآيات والسنن والعلم والقوانين[174].

يقول الإمام الشاطبي[175]: إن اتباع ما كان عليه الآباء والأشياخ وأشباه ذلك هو التقليد المذموم، فإن الله ذم بذلك في كتابه[176] كقوله:

(67)

(إنّا وجدْنا آباءنا على أمّةٍ)[177].. الآية. (قلْ أو لوْ جئتُكمْ بأهدى مما وجدْتمْ عليه آباءكم قالوا إنّا بما أرْسِلتُمْ به كافرونَ)[178]. وقوله: (هلْ يسْمَعُونكُمْ إذْ تدْعُونَ أوْ ينْفَعُونكمْ أوْ يَضُرُّون)[179] فنبههم على وجه الدليل الواضح، فاستمسكوا بمجرد تقليد الآباء: (قالوا بلْ وجدْنا آباءنا كذلك يفْعَلُونَ)[180].

وهو مقتضى الحديث الشريف في قوله صلى الله عليه وسلم: (اتّخذ النّاس رُؤساء جُهّالا ً..)[181] فإنه يشير إلى الأستنان بالرجال كيف كان، وأن الإنسان لا ينبغي له أن يعتمد على عمل أحد البتة حتى يتثبت فيه ويسأل عنه حكمه، إذ لعل المعتمد على عمله يعمل على خلاف السنة.

وكذلك قيل: (لا تنظُرْ إلى عمل العالم، ولكن سَلْه يَصْدُقكَ)[182].

قال الشاطبي: إذا ثبت أن الحق هو المعتبر دون الرجال، فالحق أيضاً لا يعرف دون وسائطهم، بل بهم يتصل إليه، وهم الأدلاءُ على طريقه[183].

الباب الأول

الفصل الثاني

الابتداع والتدليس

(71)

(الإسلام دين الأنبياء)

لما كانت الخلائق وسائر الأكوان من إبداع الله- سبحانه بديع السموات والأرض، والمهيمن عليها وبيده مقاليدها- فهو يصرف الأمور كيفما يشاء وعنده لكل أجل كتاب، لا معقب له سبحانه الكبير المتعال، وهو الخبير سبحانه

---

174 - انظر كتاب حتى يغيّروا ما بأنفسهم: ص174.

175 - الاعتصام: ج-2- ص180- 182.

176 - قوله: فإن الله ذم بذلك في كتابه كقوله، كذا في الأصل، ولعل ذلك تحريف من الناسخ وربما كان الأصل: فإن الله ذم ذلك في كتابه بقوله: وعلى ذلك يستقيم ويظهر المعني جلياً.

177 - سورة الزخرف: 23، 24.

178 - سورة الزخرف: 23، 24.

179 - سورة الشعراء: 72، 73، 74.

180 - سورة الشعراء: 72، 73، 74.

181 - قطعة من حديث رواه الشيخان. انظر مشكاة المصابيح: ج-1 ص72، تحقيق الألباني.

182 - راجع كتابنا مصرع الشرك والخرافة: ص429.

183 - الاعتصام: ج-2- ص362.

بخفايا أكوانه والبصير بحاجاتها، يدبرها وفق مشيئته العلية، تدبيراً حكيماً.
خلق الله سبحانه الخلق لمهمة عظيمة وغاية سامية، وقد هيأ سبحانه لهذه الخلائق- ومنذ عهد أبي البشر آدم عليه السلام- هيأ لهم رجالا ً أمناء على وحيه، فبلغوه لأممهم على الطريق السوي، إذ لا يعقل أن يعيش الناس بغير رعاية أو توجيه أو هداية، لكن العناية الإلهية والرعاية الربانية كانت راعية ومهيمنة على خلق الله تعالى، توجههم حسب مقتضى المشيئة الإلهية وضمن الإطار الذي يعيش في كنفه خلق الله.
وقد كانت بعثات الأنبياء والرسل تتعاقب على سطح هذا الكوكب لتبلغ أوامر الله لخلقه، وقد كان أول الأنبياء سيدنا آدم عليه السلام، ثم مروراً بنوح وموسى وأنبياء بني إسرائيل، داود وسليمان وزكريا ويحيى وغيرهم، ثم عيسى- عبدالله ورسوله- ثم بخاتم الأنبياء والمرسلين سيد الخلق محمد بن عبدالله عليه وعلى أنبياء الله ورسله

(72)

أفضل الصلاة وأتم التسليم. وقد كان الذي حمله أنبياء الله ورسله جميعاً ديناً واحداً هو الإسلام، فدين محمد صلى الله عليه وسلم إنما هو آخر حلقة من حلقات دين الله الذي هو الإسلام، ويتحدث القرآن عن ذلك فيقول:
(ما كان إبْراهيم يهُوديًا ولا نصْرانيًا، ولكن حنيفاً مُسْلماً)[184].
ويورد دعاء سيدنا يوسف عليه السلام مخاطباً ربه: (.. أنت وليّي في الدُنْيا والآخرة توفّني مُسْلماً وألحقني بالصّالحين)[185]. ودعاء إبراهيم وإسماعيل: (ربّنا واجْعَلنا مُسْلمين لك ومن ذُريّتنا أمّة مُسلمة لك)[186].
ووصية إمام الحنفاء إبراهيم خليل الله عليه السلام: (ووصّى بها إبراهيم بنيه ويَعْقُوبُ يا بنيّ إنّ الله اصطفى لكم الدِّين فلا تمُوتنّ إلا وأنتم مسلمون)[187].
فالإسلام هو دين الأولين والآخرين من الأنبياء والرسل الكرام. ويوجه الله سبحانه المسلمين إلى ذلك فيقول لهم: (قُولوا آمنّا بالله وما أنْزِلَ إلينا وما أنزلَ إلى إبراهيم- إلى قوله- ونحن له مُسْلِمُون)[188].
قال ابن تيمية رحمه الله: والحقيقة- حقيقة الدين، دين رب العالمين- هو ما اتفق عليه الأنبياء والمرسلون، وأن لكل منهم شرعة ومنهاجاً، فالشرعة هي الشريعة، قال الله تعالى: (لكلّ جعلنا

(73)

منْكمْ شرْعةً ومنْهاجاً)[189].. والمنهاج: هو الطريق. قال تعالى:

---

[184] - سورة آل عمران: 67. انظر الشفاء: ج-1 ص489.
[185] -0 سورة يوسف: 101.
[186] - سورة البقرة: 128.
[187] - سورة البقرة: 132.
[188] - سورة البقرة: 136.
[189] - سورة المائدة: 48.

(وأن لو اسْتَقاموا على الطّريقة لأسْقيْنَاهم ماءً غدقاً لنفْتِنَهُمْ فيه ومنْ يعْرضْ عنْ ذكر ربّه يسْلكْهُ عذاباً صعداً)[190].

فالشرعة بمنزلة الشريعة للنهر، والمنهاج هو الطريق الذي سلك فيه، والغاية المقصودة هي حقيقة الدين، وهي عبادة الله وحده لا شريك له وهي حقيقة الإسلام، وهي أن يستسلم العبد لله رب العالمين، لا يتسلم لغيره، فمن استسلم لغيره كان مشركاً، والله (لا يغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ به)[191].

ومن لم يستسلم لله بل استكبر عن عبادته، كان ممن قال الله فيه:

(إنّ الّذين يسْتَكْبرون عنْ عبادتي سيدْخلون جهنمّ داخرين)[192] ودين الإسلا م هو دين الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين[193].

جاء في شرح الطحاوية: ودين الله في الأرض والسماء واحد، وهو دين الإسلام. قال تعالى: (إنّ الدين عند الله الإسلام)[194]. وقال تعالى: (ورَضِيتُ لكمُ الإسْلام ديناً)[195] ، وهو بين الغلو والتقصير، وبين التشبيه والتعطيل، وبين الجبر والقدر، وبين الأمن والأياس. وثبت في الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:

(إنّا معاشر الأنبياء ديننا واحدٌ)[196] ، ويأمر الله سبحانه رسوله

(74)

محمداً صلى الله عليه وسلم فيقول له: (قلْ إنّني هداني ربّي إلى صراطٍ مُستقيم ديناً قيماً ملّة إبراهيم حنيفاً وما كان من المشركين)[197].

وخاطب السحرة فرعون فقالوا له: (وما تنْقِمُ منّا إلا أن آمنّا بآياتِ ربّنا لمّ جاءتنا ربّنا أفرغ علينا صبراً وتوفّنا مُسْلمين)[198].

ويخاطب نوح عليه السلام قومه فيقول لهم: (فإنْ توَلّيْتُمْ فما سألتكم منْ أجرٍ إنْ أجريَ إلا على الله وأمرْتُ أن أكون من المسلمين)[199].

وينقل القرآن عن أتباع عيسى بن مريم عليه السلام فيقول:

(فلمّا أحسّ عيسى منْهُمْ الكفر قال من أنصاري إلى الله قال الحواريُون نحنْ أنصار الله آمنّا بالله واشهد بأنّا مسلمون)[200].

وفي حديث القرآن عن إيمان قوم لوط يقول: (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدْنا فيها غير بيتٍ من المُسلمين)[201].

---

[190] - سورة الجن: 16-17.
[191] - سورة النساء: 48.
[192] - سورة غافر: 60.
[193] - انظر كتاب الفرقان: ص67.
[194] - سورة آل عمران: 19.
[195] - سورة المائدة: 3.
[196] - رواه أحمد- صحيح- راجع شرح الطحاوية: ص585.
[197] - سورة الأنعام: 161.
[198] - سورة الأعراف: 126.
[199] - سورة آل عمران: 52.
[200] - سورة يونس: 72.
[201] - سورة الذاريات: 26.

وهكذا نجد الإسلام دين جميع الأنبياء، من لدن آدم عليه السلام حتى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم وهذا باعتراف الأنبياء السابقين وأقوامهم، فكلهم أعلنوا أنهم مسلمون، ودينهم هو الإسلام، وجدناهم يوصون أقوامهم باتباع الإسلام إذا أدركهم وهم على أديانهم، وعيسى عليه

(75)

السلام كان بالطبع من هؤلاء الذين دعوا أقوامهم إلى ذلك[202].

ومما يجدر ذكره بأنه لا حجة بالمسلمين اليوم على الإسلام، فغالبية المسلمين في جميع أنحاء الأرض على غير الإسلام، بحيث لم يعملوا بنصوصه ولم يطبقوا تشريعاته ولذلك لم يتحقق فيهم ما جاء به القرآن من عزة المسلم وتفوقه، بل هم كما قال فيهم المرحوم الشيخ محمد عبده في مطلع هذا القرن: مسلمون قولاً لا عملاً، وأهل أوربية مسلمون بالعمل لا بالقول. واتباع العمليات يسبب التفوق في الدنيا وإن كانت الأمة أو الأمم التي تفوقت لا يؤمنون بهذا الدين الذي جاء بتلك العمليات، على حسب قاعدة الأسباب والمسببات التي جاء بها الدين[203].

نخلص من هذا كله إلى القول: فمن آمن بنبي وكفر بآخر أو كذبه فليس بمؤمن، لأن الدين وحدةٌ واحدةٌ الأديان الأنبياء يصدق بعضم بعضاً، فمن آمن بواحد من الأنبياء الكرام فقد آمن بجميع الأنبياء وإن لم يكذب أحداً منهم، ومن كذب بواحد منهم فقد كذب بالجميع، وخرج من حظيرة الأديان كلها، لأن التكذيب بالحقائق والصفات الإلهية التي جاء بها عن الله عز وجل: (آمن الرّسول بما أنزل إليهِ من ربّه والمؤمنونَ كلٌّ آمن بالله وملائكتهِ وكتبه ورُسلهِ)[204]

(76)

فيجب على الدعاة إلى الله أن يفهموا هذه الحقائق، ويعلنوها على الملأ ويسعوا جادين لإعادة مجد الإسلام كما كان ذات يوم، وعندها يفرح المؤمنون بنصر الله.

(المسلم من التزم بأحكام الشريعة)

الإسلام لغة: الانقياد والخضوع، أو الدخول في السلم- ضد الحرب- ويقال في الشرع على ضربين:

أولهما: الاعتراف اللساني بالله وبرسوله صلى الله عليه وسلم.. إلخ. وافق القلب اللسان أو خالف.

وثانيهما: التصديق بالقلب إلى التصديق باللسان مع الوفاء بالفعل والاستسلام لله في جميع ما قضى وقدر[205].

---

[202] - مجلة التوحيد، العدد 10 لسنة 1394 هـ القاهرة.

[203] - المصدر السابق.

[204] - سورة البقرة: 285.

[205] - القاموس المحيط ولسان العرب.

والإسلام[206] بهذا المعنى شامل خضوع جميع المخلوقات له سبحانه، كما يندرج تحته رسالات رسل الله صلوات الله عليهم وسلامه. يقول الله تعالى: (أفغير دين الله يبْغون وله أسلمَ منْ في السّموات والأرض طوعاً وكرْهاً وإليه تُرْجعون)[207].

(77)

فالإسلام هو الدستور الكامل، والمنهج الرباني الذي استهدف إقامة حياة إنسانية رفيعة سامية، يتحرر فيها العقل والضمير، وتستغل فيها الإرادة و التفكير في ظلال العدل الإلهي، بعيداً عن الجور وشوائب التقصير. يقول تعالى: (ومنْ يرْغبُ عنْ ملةِ إبراهيم إلا من سفهَ نَفْسَهُ ولقد اصْطَفَيْنَاهُ في الدُنيا وإنّهُ في الآخرة لمنَ الصّالحين)[208].

ويقول سبحانه عن نبيه يوسف عليه السلام: (ربِّ قد آتيْتني من الملك وعلّمتني من تأويلِ الأحاديث فاطر السّموات والأرض أنْتَ وليّي في الدُنيا و الآخرة توفّني مُسلماً وألحقني بالصّالحين)[209].

وقوله سبحانه: (ما كان إبراهيم يهُوديّا ولا نصرانيّا ولكن كان حنيفاً مُسْلماً وما كان منْ المشركين)[210] ، فجميع شرائع الله عز وجل تلتقي في إخلاص العبادة لله، والخضوع له والاستسلام لشرعه، والالتزام بأمره ونهيه، وإن تنوعت الشرائع وتعددت المناهج. كما ورد في الحديث الشريف: (نحن معاشر الأنبياء أوْلاء علّات ديننا واحدٌ).

وهكذا يظهر جلياً أن أنبياء الله ورسله الكرام كانت دعواتهم واحدةٌ، من حيث عبادة الله، وإخلاصها لله الواحد القهار، ومنافاتها للشرك بكل أشكاله وألوانه.

وبعد بعثة رسوله الخاتم- عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم- أصبح

(78)

الإسلام علماً على شريعته، وعنواناً لأهل ملته ومصدر سعادة للعاملين بهديه، والمتمسكين بأحكامه وتعاليم نبيه صلى الله عليه وسلم، ولا يسع أحد من الجن والإنس الخروج عن دين الإسلام الذي بعث به رسوله الهادي لسائر الأ نام.

وهذه بعض النصوص القرآنية أضعها بين يدي القارىء الكريم ليتخذها برهاناً وحجة، ويستلهم منها العبة ويقيم على الناس الحجة، ويدحض شبهات الملحدين ودعوات المبطلين.

قال تعالى: (إنّ الدين عنْد الله الإسلام وما اخْتَلَفَ الذين أوتوا الكتاب إلا منْ

---

[206] - المسلم: اسم فاعل من أسلم بمعنى أذعن وانقاد لربه وخالقه سبحانه عز وجل، وخالف الهوى وصدع لأمر الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم.

[207] - سورة آل عمران: 83.

[208] - سورة البقرة: 130.

[209] - سورة يوسف: 101.

[210] - سورة آل عمران: 67.

بعْدِ ما جاءهمُ العلمُ بَغْياً بينهمْ، ومن يَكْفرْ بآياتِ الله فإنّ الله سريع الحسابِ ، فإن حاجُوك فقلْ أسْلمتُ وجهي لله ومن اتبَعني، وقلْ للذين أوتوا الكتابَ و الأمّيّين أأسلمتُمْ، فإن أسلموا فقد اهتدوا وإنْ تولوا فإنما عليك البلاغ والله بصير بالعبادِ)[211].

ويقول سبحانه: (ومنْ يبتغَ غير الإسلام ديناً فلن يُقبل منْهُ وهو في الآخرة من الخاسرين)[212] ويقول سبحانه: (يا أيُّها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته و لا تموتُنّ إلا وأنتم مُسلمونَ)[213].

وقد فسر النبي صلى الله عليه وسلم الإسلام في حديث جبريل المشهور بقوله:

(الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله وتقيم الصلاة

(79)

وتؤتيَ الزّكاة وتصُوم رمضان وتحجّ البيت إن اسْتطعْتَ إليه سبيلا ً)[214].

وفسر عليه الصلاة والسلام الإيمان في حديث جبريل بقوله: (أنْ تُؤْمنَ ب الله ملائكته وكُتُبهِ ورسله واليوم الآخر وتؤْمن بالقدر خيرهِ وشرّه). والإسلا م والإيمان لفظان إذا جمع بينهما في الذكر، عني بالإسلام الأعمال الظاهرة، وبالإيمان الأعمال الباطنة، كما في حديث جبريل هذا، فإذا ذكر كل واحد منهما منفرداً عن الآخر عني به الأعمال الظاهرة والباطنة معاً.

وهكذا فالإسلام عقيدة وعمل، دين ودولة ومنهج حياة في جميع المجالات.

يقول الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في تعريف الإسلام بأنه الاستسلام لله بالتوحيد والانقياد له بالطاعة والخلوص من الشرك[215].

ونحن نطمئن الحيارى والتائهين- إذا أرادوا لأنفسهم الطمأنينة وسعادة الدارين- عليهم الالتزام بالرسلام قولا وعملا ً واعتقاداً، لأن المسلم هو من وُفّق للدخول في الإسلام والنشأة عليه حتى يأتيه اليقين.

(80)

(كيف يلتزم المسلم بالشرع)

هذه الشريعة الكاملة الشاملة الخالدة، التزام المسلم بأحكامها لازم لابد منه، ولا خيار للمسلم فيه، وحاجة المسلم إلى السير طبقاً لتعاليم الشريعة الإسلامية فوق كل حاجة، وضرورته إلى ذلك فوق كل ضرورة ليفوز برضى الله عز وجل وينجو من سخطه وأليم عقابه.

يقول الله عز من قائل: (وما كان لمؤْمنٍ ولا مؤْمنةٍ إذا قضى الله ورسوله

---

211 - سورة آل عمران: 19-20.
212 - سورة آل عمران: 85.
213 - سورة آل عمران: 102.
214 - حديث صحيح رواه مسلم، أي الإيمان بالله وحده لا تشرك به شيئاً، وأن تؤمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وتتبع سنته وتقف عند حدودها ولا تتجاوزها وتحارب من خالفها.
215 - لزيادة الفائدة راجع كتابي مصرع الشرك والخرافة وكتاب فتح المجيد.

أمْراً أنْ يكُون لهمُ الخيرةُ من أمْرِهِمْ ومنْ يعْصِ اللّه ورسولهُ فقد ضلّ ضلالاً مبيناً)[216] ويقول سبحانه: (وما آتاكمُ الرّسول فخذوه وما نهاكم عنهُ فانْتَهُوا واتقوا اللّه إنّ اللّه شديد العقاب)[217].

ويقول سبحانه: (فليَحذَرِ الذين يُخالفون عنْ أمْرِهِ أن تُصيبهمْ فتْنَةٌ أوْ يُصيبهُمْ أليمٌ)[218] ، ويقول عز وجل: (فلا وربّكَ لا يؤمنون حتى يُحَكِّموك فيما شجر بيْنهمْ، ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضَيْتَ ويُسلِّموا تسْليماً)[219].

فالتزام المسلم بأحكام شرعه الحنيف ودينه القويم، وتطبيقه قولاً وعملاً، والرجوع إليه عند الخلاف والتنازع، وتقديمه على غيره من الأقوال المخالفة والمصادمة لأحكامه ونصوصه- مهما ارتفعت المراتب والمنازل للمخالفين في كل زمان ومكان- فالتزام المسلم وهو أساس فلاحه

(81)

وعنوان سعادته وسبب عزه ونصره على أعدائه، ومصدر أمنه واستقراره، ومتي كان حاله بعكس ذلك حصل له الخسران والهلاك والذل والهوان.

وقد أقسم سبحانه بالعصر على خسارة كل إنسان: (إلا الّذين آمنُوا وعملوا الصّلحات وتواصوْا بالحقّ وتواصوا بالصّبْرِ)[220].

كما أن كتاب اللّه- عز شأنه- وسنة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم مليئان بِالنصوص التي توضح هذه الحقيقة، وما سجلته كتب السير والتواريخ من حصول العزة لمن أطاعه سبحانه وتعالى، والذلة والإهانة والضراء لمن عصاه وتنكب تعاليم أنبيائه ورسله بصدق ذلك. والواقع المشاهد أصدق برهان.

وصدق اللّه العظيم: (وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللّه فقدْ هُدِي إلى صراطٍ مُستقيم)[221].

وقال تعالى: (والذين جاهدوا فينا لنهْدينّهمْ سبُلنا وإنّ اللّه لمع المُحسنين)[222] وقال تعالى: (يا أيُها الذين آمنوا إنْ تنْصُروا اللّه ينْصُرْكُمْ ويُثَبّتْ أقْدامكمْ)[223] هكذا قال اللّه في حق من أطاعه واتقاه والتزم شرعه وهداه.

وهذه بعض النصوص القرآنية نضعها بين يدي القارىء الكريم لتبين مكانة ومنزلة المعرضين عن أمر اللّه، الذين لم يلتزموا بشرعه وتعدوا حدوده واستبدلوا الأدنى بالذي هو خير. ولنتأمل ما يقوله سبحانه: (ومَنْ أعْرضَ عن ذِكْري فإنّ له معيشةً ضنكاً ونحْشُرُهُ يوم

(82)

[216] - سورة الأحزاب: 36.
[217] - سورة الحشر: 7.
[218] - سوة النور: 63.
[219] - سورة النساد: 65.
[220] - سورة العصر: 3.
[221] - سورة آل عمران: 101.
[222] - سورة العنكبوت: 69.
[223] - سورة محمد: 7.

القيامة أعمى. قال رب ِّ لم حَشَرْتني أعْمى وقدْ كُنْتُ بصيراً قال كذلك أتتْك آياتُنا فَنَسِيَتها وكذلك اليوم تُنْسى وكذلك تجْزي من أسْرَفَ ولم يُؤْن بآيات ربّه ولعذاب الآخرة أشدُّ وأبقى)[224].

ويقول سبحانه: (وَمَنْ يعْشُ منْ ذكرِ الرّحْمن نُقيّضْ له شيطاناً فهو له قرينٌ وإنّم ليصُدونهم عن السّبيل ويحْسَبُونَ أنّهم مُهتدون)[225].

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الصحيح: (كلُّ أمّتي يدْخلون الجنّة إلا من أبى) قيل: يا رسول الله، ومن يأبى؟!. فقال: (منْ أطاعني دخل الجنّة ومن عصاني فقد أبى)[226] وقوله عليه الصلاة والسلام: (مَنْ أحْدثَ في أمرنا هذا ما ليْس فيه فهوَ ردٌ)[227].

وقد حدثت صحائف التاريخ أخبار انتصار المسلمين الصادقين على أعدائهم وتغلبهم عليهم ليس لكثرة عددهم وعُددهم، وإنما هو بسبب قوة إيمانهم وتمسكهم بكتاب ربهم وسنة نبيهم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم، مع أخذهم بالأسباب التي أمرهم الله بها: (وأعدُّوا لهمْ ما اسْتَطعْتُمْ منْ قُوّةٍ)[228]. فظفروا بنصر الله لأنهم نصروه، وجاهدوا في سبيله لتكون كلمته العليا وكلمة أعدائه السفلى، فكان لهم ما أرادوا نصراً في الدنيا وسعادة في الآ خرة. وصدق الله إذ يقول: (يا أيُّها الذين آمنوا إنْ تنْصُروا الله ينْصُرْكُمْ ويُثَبّتْ أقْدَامَكُمْ)[229].

(83)

وصدق هذه الحقيقة ظاهر لكل ذي عينين. وكمثال عصري نضربه شاهداً ودليلا ً على انتصار المسلمين سابقاً، كان بسبب التزامهم شريعة الإسلام التي اختارها الله لهم، أما الآن فإنهم ينهزمون لزهدهم فيها وبعدهم عن الأ خذ بتعاليمها. وشاهدنا الواضح على هذه الحقيقة هو هزيمة جيوش العرب أمام عصابات الصهاينة في فلسطين وغيرها، وفي هذه الحرب تجلت هذه الحقيقة بوضوح، ذلك أن العرب الذين أعزهم الله بالإسلام، لما لم يلتزموا في هذا العصر- إلا ما شاء الله له منهم- بشرع الله، ولم يحكموا الوحي الذي نزل به جبريل من الله على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم واختاروا لأ نفسهم التحاكم إلى قوانين وضعية رخيصة مستوردة ما أنزل الله بها من سلطان، لما لم يلتزموا بهذه الشريعة الكاملة الشاملة الصالحة لكل زمان ومكان ظفروا بالخذلان، وصارت لهم الذلة أمام من كتب الله عليهم الذلة و المسكنة.

وأي ذل وهوان أشد من هذا الذل والهوان، الذي آلت إليه أمتنا الممزقة

---

[224] - سورة طه: 124- 127.

[225] - سورة الزخرف: 36، 37.

[226] - حديث صحيح رواه البخاري.

[227] - رواه البخاي ومسلم وابن ماجة. كشف الخفاء: ج-2- ص310.

[228] - سورة الأنفال: 60.

[229] - سورة محمد: 7.

المتصدعة. وسيسجل التاريخ ذلك للذين يأتون من بعد، كما سجل ما جرى من خير وشر للذين مضوا من قبل. ولن يقوم للمسلمين قائمة إلا إذا رجعوا إلى الاعتصام بحبل الله، والالتزام بشريعته وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وصدق الله العظيم: (يا أيُّها الّذين آمنوا إنْ تتقوا الله يَجْعَلْ لكمْ فُرْقانا ويُكفِّرْ عنْكمْ سيّئاتكمْ ويَغفِرْ لكمْ والله ذو الفَضْلِ العظيمِ)[230].

(84)

(وجوب الإيمان بكتب الله ورسله)

أمر الإسلام الحنيف أتباعه بالإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله الكرام، والإيمان برسل الله وكتبه من صلب عقيدة المسلمين، ومن أركان الإيمان التي لا يكون المرء مسلماً لا باعتقادها. وقد ودت بعض الآيات القرآنية التي توجب الإيميان بالكتب السماوية وبرسل الله أنبيائه الكرام، منها قوله تعالى: (آمنَ الرّسُول بما أنْزلَ إليه منْ ربّهِ والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكتهِ وكُتبِهِ ورُسُلهِ)[231].

وذكر القرآن من هذه الكتب التوراة المنزلة على نبي الله موسى، والإنجيل المنزل على السيد المسيح عيسى عبدالله ورسوله، والزبو وهو كتاب نبي الله داود، وصحف إبراهيم عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم التسليم.

والقرآن يدعو إلى الإيمان بالرسل جميعاً. قال تعالى: (قُولوا آمنّا بالله وما أنْزِلَ إليْنا وما أنْزلَ إلى إبراهيمَ وإسْمَاعيل وإسْحاقَ ويَعْقوب والأسباط ما أوتي مُوسى وعيسى وما أوتي النّبيُّون من ربّهم لا نُفرّق بينَ أحدٍ منْهُمْ ونحْنُ لهُ مُسْلمونَ)[232].

فالمسلم الحق هو من آمن بالله وكتبه ورسله، الذين أرسلهم الله لتبليغ الناس دعوته، فقاموا بما أمروا به وكانوا بحق هداة ورحمة للعالمين.

(85)

فالقرآن مصدّق لما سبقه من الكتب الإلهية، ولما بقي من أجزائها الأصلية التي فيها الخير للإنسانية، وتصحيح لما طرأ عليها من البدع والإضافات الغريبة الزائفة.

قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: (وأنْزَلنا إليْكَ الكتابَ بالحقّ مُصدِّقا لما بيْنَ يديْهِ من الكتابِ ومُهَيْمناً عليْهث فاحْكُمْ بيْنَ يَدَيْهِ من الكتاب ومُهَيْمناً عليْه فاحْكُمْ بيْنهمْ بما أنزل الله ولا تتّبعْ أهْواءهمْ عمّا جاءك من الحقّ، لكلٍّ جعلنا منْكم شرْعَةً ومنْهاجاً)[233].

ومعنى الآية: أنزلنا إليك أيها الرسول الكتاب- وهو القرآن- مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية- كالتوراة والإنجيل- ومهيمناً أي رقيباً عليها، وشهيداً بما

---

[230] - سورة الأنفال: 29.
[231] - سورة البقرة: 285.
[232] - سورة البقرة: 136.
[233] - سورة المائدة: 48.

بينه من حقيقة أمرها، فاحكم بين اليهود والنصارى بما أنزل إليك من الأ حكام، ولا تتبع أهواءهم، فقد جعلنا لكل أمة شريعة أوجبنا عليهم إقامة أحكامها.

(بعض مزايا القرآن الكريم)

مر على البشرية حين من الدهر والأوامر الإلهية التي جاءت بها الكتب السماوية ما زالت بعيدة عن أيدي المشوهين، ومصونة من عبث العابثين و فساد المفسدين، ومع مرور الزمن اختلفت المشارب وتنكرت النفوس لما جاءت به رسالات السماء، وامتدت إليها يد التحريف والتبديل،

(86)

وبلغت الاختلافات الدينية مبلغاً كبيراً، كانت البشرية في خطر المروق من دين الله والاستسلام للوثنية والإلحاد، وأصبح العالم في حاجة ماسة إلى وحي من الله يجنبه مواطن الضلال ويهديه إلى سواء السبيل.

وقد اختلف الناس في حقيقة الدين ومعرفة الخالق سبحانه، فجاء القرآن يبين الحق من الباطل ويبين للناس ما أشكل عليهم، وفي هذا يقول الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه سلم: (تاللّه لقدْ أرْسلنا إلى أممٍ من قبلكَ فزيّنَ لهم الشيطان أعمالهمْ فهوَ وليُّهمُ اليوم ولهُمْ عذابٌ أليمٌ وما أنْزلنا عليك الكتابَ إلا لتُبيّنَ لهمُ الذي اختلفوا فيه، وهُدىً ورحْمَةً لقومٍ يؤْمنون)[234].

فالقرآن الكريم قد تضمن خلاصة تعاليم الكتب السابقة، وفيه كلمة الله الأ خيرة لهداية البشرية. وهو محفوظ من قبله سبحانه، لا تمتد إليه يد العبث والتشويه. وفي حقه يقول سبحانه: (إنّا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا لهُ لحافظونَ)[235].

وهو الرسالة الخالدة الخاتمة السهلة الجامعة لكافة مصالح البشرية، وحلول مشاكلها في كل زمان ومكان، وصدق الله العظيم: (سَنُريهمْ آياتنا في الآفاق وفي أنْفسمْ حتى يتَبَيّنَ لهُمْ أنّه الحقُ أولمْ يكفِ بربّك أنّه على كلّ شيءٍ شهيدٌ)[236].

(87)

(تحريف التوراة)

إن الإيمان بالتوراة المقدسة- التي أنزلها الله تعالى على كليمه موسى عليه السلام- ركن من أركان الإيمان، ولا يكمل إيمان إلا إذا اعتقد بها وبصاحبها الذي أرسل بها. وقد أخبرنا الله سبحانه أن فيها نوراً وهدى ورحمة، وأثنى عليها سبحانه بقوله: (ولقدْ آتيْنا مُوسى وهارون الفرقان وضياء وذكراً

---

[234] - سورة النحل: 63- 64.
[235] - سورة الحجر: 9.
[236] - سورة فصلت: 53.

للمُتّقين)[237].
ومع هذا فتوراة سيدنا موسى عليه السلام التي أرسل بها غير موجودة- كما هو مسلم من الجميع[238]- حيث لحق بها التزوير والتحريف والتشويه والإ فساد، فضاعت ولم يبق منها سوي الاسم فقط.
ومن جهة ثانية نجد الأستاذ سعيد حوى يقول: إن الدراسات النقدية للتوراة لم تعترف بالصحة إلا لسفر واحد من أسفارها من سفر (ارمياء) كما يذكر- مونيه- في تاريخ الكتاب المقدس. وليس الإنجيل بأسعد حالا، فقد ألغى مجمع أساقفة (نيقيه) كثيراً من أخباره، مما زرع الشك حول ما تبقى منه- وهو الأناجيل. وهذه الأخيرة بدورها لا تعتبر الآن من الصحاح، لأن النقد أثبت أنها قد وضعت بعد المسيح بأكثر من قرن، أي بعد عصر الحواريين الذين تنسب إليهم التعاليم النصرانية، وعلى هذا فإن شكوكاً كثيرة تحوم الآ ن حول القيمة التاريخية للوثائق اليهودية والنصرانية[239]. أ. ه.-

(88)

فالتوراة المتداولة الآن قام بكتابتها أكثر من كاتب، وفي أزمان مختلفة، علا وة على ما دخلها من التحريف والتزييف.
يقوم المرحوم الأستاذ محمد فريد وجدي: ومن أدلة التحريف الحسية أن التوراة المتداولة لدى النصارى تخالف التوراة المتداولة عند اليهود . أ. ه -[240].
وقد أثبت القرآن هذا التحريف، ونعى على اليهود التغيير والتبديل الذي أدخلوه على التوراة. يقول سبحانه: (أفَتَطْمَعُونَ أنْ يُؤمنوا لكُمْ وقدْ كانَ فَريقٌ منْهُمْ يسْمَعُونَ كلام الله، ثمّ يُحَرّفُونهُ منْ بَعْدِ ما عقلوه وهُمْ يعْلمُون)[241].
فهم تجرؤوا على كتاب الله، فحرفوه وشوهوه ليخفوا ما فيه من الحق، ونسوا قدراً مما ذكرهم الله به في التوراة، وهذه جبلتهم التي جبلوا عليها، وهي الغش والمخادعة والتضليل، فالذي عندهم من التوراة الصحيحة هو بعضها فقط، والقرآن يكشف ذلك فيقول: (ومن الذين هادُوا يُحَرّفون الكلِمَ عنْ مواضعهِ)[242].
وأول دليل على حجة نقد القرآن للتوراة المتداولة، وأنها ليست كلها هي توراة موسى عليه السلام، التي جعلها الله نوراً وهدى، ما جاء في التوراة من وصف الله بما لا يليق بجلاله وكماله، ففي سفر التكوين: وقال الرب الإ له: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا، عارف بالخير والشر.

---

[237] - سورة الأنبياء: 48.
[238] - العقائد الإسلامية: ص166.
[239] - كتاب الرسول: ج-1- ص61، 62.
[240] - راجع العقائد الإسلامية: ص166.
[241] - سورة البقرة: 75.
[242] - سورة النساء: 46.

وفيه: فحزن الرب أنه عمل الإنسان وتأسف في قلبه[243].
فهل يقبل العاقل أن يكون هذا كلام رب العالميين؟!. وهل يصح أن ينسب إليه الحزن والأسف على شيءٍ عمله؟! تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.
القرآن الكريم يتحدى حملة التوراة وأتباعها في مواقف عديدة، على أن يأتوا بالتوراة ليثبتوا ما يدعون مما يذكر القرآن خلافه، ومنها قوله سبحانه وتعالى: (كلُّ الطّعام كان حلا ً لبني إسْرائيلَ لا ما حرّم إسْرائيل على نفسه من قبلِ أنْ تُنَزّل التوراة قُلْ فأتوا بالتّوراة فاتلُوها إن كُنْتُمْ صادقين)[244].
وكذلك ما جاء في التوراة مما يمس شرف الأنبياء، ويتنافى مع ما لهم من عصمة ومكانة رفيعة وخلق متين. فقالوا عن إبراهيم عليه السلام: إنه كذاب. وإن لوطاً زنى بابنتيه، وهارون عليه السلام دعا الإسرائيليين إلى عبادة العجل. وسليمان عليه السلام عبد الأصنام إرضاءً لزوجته[245].
فهل ثمة دليل على التحريف أقوى من هذا؟ لقد اضطر النقاد من مصلحي اليهود أنفسهم إلى الاعتراف بهذه الحقيقة، وأن التوراة قد حرفت، وقد أورد مذهبهم حاخام باريز- جوليان ويل- في كتابه اليهودية: ص2.
(90)
وعلى العموم فالكتب السماوية ومن ضمنها التوراة قد لحق بها التحريف و التبديل، فحصل انحراف ضخم نتيجة هذا التخبط والضياع، وطال أمده إلي أن قضت إرادة الله وكلمته خلاصاً للبشرية لنهضها من كبوتها وإعادتها إلى سيرتها الأولى، فأنزل سبحانه القرآن على خاتم أنبيائه، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.
وقد جاء القرآن منذراً وموبخاً ومطالباً بالعودة إلى رحاب الله، واتباع طريقه المستقيم. وفي هذا يقول القرآن: (إنّ هذا القرآن يقصُ على بن إسرائيل أكْثَرَ الذي هُمْ فيه يختلفون)[246] وقوله سبحانه:
(يا أهْلَ الكتاب قدْ جاءكُمْ رسولنا يُبَيّنَ لكُمْ على فترةٍ من الرُسل أن تقولوا ما جاءنا منْ بشيرٍ ولا نذيرٍ فقدْ جاءكمْ بشيرٌ ونذيرٌ والله على كل شيءٍ قديرٌ)[247].

(تحريف الإنجيل)
إن من أركان الإيمان وجوب الإيمان بالسيد المسيح عيسى- عبدالله ورسوله عليه السلام- وأنه مبعوث من قبل الله، أنزل عليه الإنجيل، شأنه كشأن سائر الأنبياء والرسل، عليهم وعلى رسولنا أفضل الصلاة والسلام.
فالإنجيل المنزل على روح الله عيسى بن مريم عليه السلام هو كلام الله،

---
[243] - العقائد الإسلامية: ص167. وكتاب الرسول: ج-2 ص62.
[244] - سورة آل عمران: 93.
[245] - راجع العقائد الإسلامية: ص167.
[246] - سورة النمل: 76.
[247] - سورة المائدة: 19.

كما أن التوراة التي نزلت على كليم الله موسي عليه السلام
(91)
هي أيضاً كلام الله عز وجل، وفيهما الحكمة والنور والهدى، إلا أن الإنجيل لم يكن أسعد حظاً من التوراة، فقد لحقه من التبديل وشابه من التشويه ما لحق التوراة من التحريف والتبديل.
ولنلاحظ ما يقوله القرآن: (ومن الّذين قالوا إنّا نصارى أخذْنا ميثَاقهُمْ فَنَسوا حظاً مما ذُكِروا به فأغْرَيْنا بيْنَهُمْ العداوةَ والبغضاء إلى يوم القيامة، وسوف يُنَبّ ئهُمُ الله بما كانوا يصْنَعُون. يا أهل الكتاب قدْ جاءكمْ رسولنا يُبيّن لكمْ كثيراً مما كنْت مْ تُخْفُونَ من الكتاب ويَعْفو عن كثيرٍ)[248].
لقد ألغى مجمع أساقفة نيقيه كثيراً من أخبار الإنجيل، مما زرع الشك حول ما تبقى منه- وهو الأناجيل الأخيرة- وهي بدورها لا تعتبر الآن من الصحاح، لأن النقد أثبت أنها قد وضعت بعد المسيح عليه السلام بأكثر من قرن، أي بعد عصر الحواريين الذين تنسب إليهم التعاليم النصرانية[249]، وهذا يزيد من الشبهات والشكوك حول قيمة الوثائق اليهودية والنصرانية تاريخياً[250].
إن إنجيلا ً واحداً نطق به المسيح عيسى بن مريم عليه السلام على أنه كلمة الله، فلم يكون الإنجيل أربعة؟! ولم كان بينهما اختلاف وتعارض وزيادة ونقص؟!
ولقد طعن أرميا في سفره المذكور- أقلام النساخ الكاذبة-[251].
ويكفي لصحة التدليل على التحريف في الأناجيل المتداولة بأيدي النصاري الآن أنها أربعة، اختيرت من نحو سبعين إنجيلا ً، وهذه الأناجيل تناولت الكتابة عن سيرة سيدنا عيسى عليه السلام، ومؤلفوها معروفون وأسماؤهم مكتوبة عليها، وقد قرر نقاد النصرانية أنفسهم أن عقائد الأناجيل هي رأي بولس دون سائر الحواريين، دون أقرب الأقربين إلى عيسى عليه السلام[252].
من الدلائل القاطعة على صحة تزوير وتحريف الإنجيل وغيره من الكتب السماوية- علاوة على أقوال النقاد والمنصفين- ما يقصه علينا القرآن الكريم الذي يقول: (ومِنْهُمْ أمِيُّون لا يَعْلمونَ الكتابَ إلا أمانيّ وإنْ هُم يظنُّون. فويْلٌ للذين يكتبون الكتاب بأيْديهمْ ثمّ يقولون هذا من عنْد الله ليْشتَروا به ثمناً قليلا ً فويْلٌ لهُمْ مما كتبتْ أيْديهمْ وويلٌ لهُمْ يَكسبون)[253].
ويقول إنجيل متى- الباب التاسع عشر- 16:
وإذا واحد تقدم وقال: أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية؟ فقال له: لماذا تدعوني صالحاً؟! ليس أحد صالحاً إلا أحد، وهو الله

---

248 - سورة المائدة: 14، 15.
249 - كتاب الرسول محمد صلى الله عليه وسلم: ج-2 ص61- 62.
250 - المصدر السابق.
251 - العقائد الإسلامية: ص68.
252 - العقائد الإسلامية: ص168، وروح الدين الإسلامي: ص145.
253 - سورة البقرة: 78- 79.

لله[254].
وهذا نص صريح في الإنجيل الحالي يثبت أن دعوة سيدنا عيسى
(93)
كانت توحيدية وأنه رسول الله، ثم كان الانحراف وأتى القرآن ليصحح الا نحراف.
يقول القرآن: (وآتيْنَاهُ الإنْجيلَ فيه هُدًى وثورٌ ومُصَدّقاً لِما بيْنَ يدَيْهِ من التّوراة)[255].
وقد وجد في مكتبة أمير من الأمراء في باريس نسخة من إنجيل برنابا- وقد طبعته المنار بعد ترجمته إلى العربية- وهو يخالف الأناجيل الأربعة[256] المعروفة مخالفة كبيرة[257].

(الاختلاف في الدين)

إن نظرة سريعة لأدوار التاريخ ترينا ما آل إليه حال المجتمع الإنساني من اختلاف وتفرق، وكان مرد ذلك إلى الاختلاف في الدين، وكثيراً ما وقع الا ختلاف بين الجماعات المتباينة في مشاربها ومذاهبها المختلفة، وكانت كل جماعة من هذه الجماعات تثور على مخالفيها في العقيدة والدين.
وقد نشأ من جراءِ ذلك مذابح وحشية وفتن مروعة تقشعر لها الأبدان،
(94)
وبالتالي فقد كان لها الأثر الأكبر في تشويه معالم الحياة وتعطيل سيرها.
لقد كان الضلال والبغي على الدين- عبر العصور المتعاقبة- من الأسباب الهامة للاختلاف فيه، حيث انشق الناس على بعضهم، وتمزقت وحدتهم وأصبحت كل طائفة تدعي أنها على حق وغيرها على الباطل فاتسع الخرق وتداعت كل طائفة لدعم موقفها وتعزيزه بما يتفق وأهواءها حتى وصل الأ مر إلى التحريف والتزوير في جانب العقيدة وأصول الدين، لتحقيق المصالح الشخصية والوصول الى الرياسة وكل ما يتعلق بحظوظ الدنيا.
وكانت رسالة الإسلام التي أنزلت على خاتم الأنبياء محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم لإظهار هذه الحقيقة، والتي فيها دعوة الناس جميعاً ليجتمعوا على الدين الإسلامي. وفي هذا يقول سبحانه وتعالى: (إنّ الدّين عند اللّه الإسلام وما اخْتَلَفَ الذين أوتوا الكتاب إلا منْ بعْدِ ما جاءهم العِلْمُ بغياً بيْنَهُمْ ومن يكفر بآيات الله فإنّ اللّه سريع الحساب، فإنْ حاجُّوك فقلْ أسلمتُ وجهي لله ومن اتبعن وقلْ للذين أوتوا الكتاب والأمِّيّين أأسْلمْتُمْ فإنْ

---

[254] - كتاب الرسول: ج-2 - ص63.
[255] - سورة المائدة: 46.
[256] - لقد كثرت الأناجيل كثرة عجيبة بعد السيد المسيح، وأجمع على ذلك مؤرخو النصرانية، ثم أرادت الكنيسة في أوائل القرن الأول الميلادي أن تختار الأناجيل المعتبرة، فوقع اختيارها على الأ ربعة التالية: إنجيل متى، وإنجيل مرقص، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.
[257] - العقائد الإسلامية: ص168.

أسْلموا فقدِ اهْتدوا وإنْ تولوْا وإنما عليكَ البلاغ والله بصيرٌ بالعباد)[258].
ولذا كان الدين واحداً لا يجوز الاختلاف فيه، فهذا الخلاف الذي حصل من أتباع الأديان اليهودية والنصرانية والإسلامية، وافتراق كل طائفة إلى فرق، وحصول العداوة بينهم، هو مخالف لتعاليم الله،

(95)

الذي ما أنزل الأديان إلا لتكون سلاماً على الأرض، ومحبة بين الأفراد والأمم. ولهذا كانت رسالة محمد صلي الله عليه وسلم التوفيق بين المتخالفين ببيان الحق الذي حادوا عنه، وكان القرآن محذرا ً أتباعه من الاختلاف، ولهذا يقول القرآن الكريم مخاطباً أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم: (شرع لكمْ من الدِّين ما وصّى به نُوحاً والذي أوحينا إليك وما وصّينا به إبراهيم وموسى عيسى أنْ أقيموا الدين ولا تتفرّقوا فيه[259]، كبُرً على المشركين ما تدعوهمْ إليه الله يَجْتَبي إليه منْ يشاءُ ويهدي إليْهِ منْ يُنيب وما تفرّقوا[260] إلا من بعد ما جاءهم العلمُ بغياً بينهم ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربّك إلى أجلٍ مُسمًى لقُضي بينهم وإن الذين أورثوا الكِتَابَ منْ بعْدهِم لفي شكٍّ منْهُ مُريبٍ)[261].
هذه حقيقة أعلنها القرآن، وهي تدحض شبهات الماديين والملحدين وأصحاب الأهواء والنحل، الذين ينكرون الأديان بسبب اختلافها في تشريعها. فادعاؤهم بأن كل نبي يأتي من عنده بدين يناقض سابقيه.
قول فاسد مردود ولا يمت إلي حقيقة الأديان بصلة، فالدين واحد في أصوله- في نظر القرآن-ولكن تختلف الأديان في تشريعاتها لاختلاف أحوال الأمم الاجتماعية ودرجة استعدادها العقلي.
ولقد اختتم الله سبحان الأديان بالدين الإسلامي وهو مسك الختام.

(96)

وأعطي الله سبحانه خيرة خلقه من رسله محمداً صلى الله عليه وسلم شريعة خاتمة نسخت ما قبلها من الشرائع، مظهراً في الإسلام كنه الدين الحق.
وهذه الشريعة توافق ما اقتضاه التطور العقلي للإنسان، وتصلح لكل زمان ومكان. وأنها هي الشريعة المقبولة عند الله لا يقبل غيرها[262].
كما صرح بذلك القرآن: (ومنْ يبَتْغِ غَيْرَ الإسْلام ديناً فلنْ يُقبَلَ منه هو في الآخرة من الخاسرين)[263].

---

[258] - سورة آل عمران: 19، 20 الأميين: الذين لا كتاب لهم وهم مشركو العرب.
[259] - أقيموا الدين: إقامة الشيء توفيته حقه من علم وعمل والدين المراد هو الإسلام.
ولا تتفرقوا فيه: تحذير للمسلمين من الاختلاف والتفرق.
[260] - تفرقوا: يعني اليهود والنصارى.
[261] - سورة الشورى: 13- 14.
[262] - راجع روح الدين الإسلامي: ص21.
[263] - سورة آل عمران: 85.

(أسباب انحراف الناس عن الحق)

خلق الله الخلق وأهّلهم بمؤهلات، وزودهم بقوى فطرية متباينة لحكمة بالغة وأمر حكيم. كما هيأ الإنسان وزوده بقدرات فطرية قدرها بقدرته العلية، فطرة الله التي فطر الناس عليها، فاطر السموات والأرض ومبدعها، سنة الله: (فَلَنْ تجِدَ لسُنّة الله تبْديلا ً)[264].

فالحق تبارك وتعالى خلق عباده على الفطرة التي فطرهم عليها، وبعث إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، فصلاح العباد وقوامهم بالفطرة المكملة بالشرعة المنزلة.

وهؤلاء الذين تنكروا للفطرة الإلهية وانساقوا وراء الهوى والشهوات، بدلوا وغيروا فطرة الله ولم يستعملوا حواسهم، وتمردوا على شرع الله

(97)

ولم يحتكموا للنفس الملهمة بأمر الله: (قدْ أفْلح منْ زكّاها وقدْ خاب من دسّاها)[265].

وهكذا فطر الله الناس على الفطرة السليمة الدالة عليه سبحانه، كما أن إبداع الله للأكوان وعظيم آياته تدل على وحدانيته وكمال صفاته، تنزهه عن كل نقص في صفاته العلية.

إن ما يلقيه الله من إلهام، وما يفيضه من رحمة وحنان على عباده، وبيان لطريق الصواب على صفحات القلوب والوجدان، يجعل بين الخلائق وخالقهم صلة دائمة لا تنقطع: (وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دعْوةَ الدّاعي إذا دعانِ فليَسْتَجيبوا لي ليُؤْمنوا بي لعلّم يرَشُدُونَ)[266].

وفي كل العصور لم يستطع أحد إنكار وجود الله العلي العظيم إلا جحوداً وكفراً، إذ لو اجتمع أهل الأرض والسماء، وكان بعضهم لبعض ظهيراً، ما استطاعوا تصوير شبهة تحجب دلائل وحدانيته وتفرده وتدبره، لما شوهد من قدرته وعظمته وبديع صنعه[267].

أما الذين أبوا دعوة الله، ولم يرتضوها منهاجاً لهم، ولم يقبلوا هدى الله الذي بعث به رسوله صلى الله عليه وسلم ولم يرفعوا به رؤوسهم، فهؤلاء هم الأ شقياء الذين تمردوا على خالقهم والتجؤوا إلى الطاغوت، واستسلموا للهوى فما ربحت تجارتهم فكانوا من الخاسرين.

(98)

إن هذا الصنف المعاند المكابر المنحرف، قد فسدت طويته وخابت مقاصده، ولم يجن إلا البوار وسوء عقبى الدار، إنه صنف الأشقياء الذين يقول الله عنهم سبحانه: (مثلُ الذين حُمِّلوا التّوراة ثمّ لمْ يحْمِلوها كمثل الحِمَار يحْملُ

---

[264] - سورة فاطر: 43.
[265] - سورة الشمس: 9- 10.
[266] - سورة البقرة: 186.
[267] - انظر كتابنا: مصرع الشرك الخرافة: ص 80- 83.

أسفاراً)[268].
وصفوة القول: فقد تفرعت عن الظلم والضلال والبغي أسباب الكفر والا نحراف والتفرق، فعبد قوم الشمس والقمر والنجوم والأوثان وغيرها من الطواغيت، بعد أن جحدوا وكفروا بالله، وزين لهم الشيطان أعمالهم وسول لهم أن يرغموا غيرهم على هذه العبادة، ليضلوا عن سواء السبيل وليكونوا شركاء، فكانوا أئمة الكفر والضلال، عناداً وكبراً وعتواً. (وبرزوا لله جميعا فقال الضُّعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهلْ أنْتمْ مُغْنُون عنّا من عذاب الله من شيءٍ قالوا لوْ هدانا الله لهديْناكمْ سواءً علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا منْ محيصٍ)[269].
وقال تعالي: (يومَ يحْشرُهمْ وما يعْبدون من دون الله فيقول أأنتمْ أضْللْتُمْ عبادي هؤلاء أمْ همْ ضلوا السّبيل قالوا سبْحانكَ ما كانَ ينْبَغي لنا أنْ نتّخذَ منْ دونكَ منْ أوْلياءَ ولكن متّعتهم وآباءهُمْ حتى نسوا الذّكر وكانوا قوْماً بورا)[270].
وكان هؤلاء الطغاة في الأرض بعد كفرهم سبب كل مصائب البشر، وسبب ض لال كثير من الناس بعد الهدى وكفرهم بعد الإيمان، فانطمست

العقول وعميت البصائر، فدخل خلق كثير من تبعيتهم، وصموا آذانهم عن نداء الحق ودعوة الرسل، وعطلوا عقولهم فهم في غفلة معرضون، لأنهم وجدوا في الكفر خروجاً عن ربقة التكاليف، وهدماً لصرح العدل الذي كرهوه ، وتجرؤوا على الحقوق تكبراً وتجبراً اتباعاً للهوى والشهوات.
هذا ولم يكن ذلك خاصاً بزمن دون زمن، فكم أضل البغي والظلم والكبر و الهوى قوماً بعد إيمانهم من أتباع المرسلين، فغيروا الأحكام طبقاً لمشتهاهم، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلا ً، يبدلونها تبديلا ً، فكفروا بعد إيمانهم وضلوا وأضلوا كثيراً.

(بعض أسباب الكفر والانحراف)

وإلى القارىء الكريم أهم أسباب الضلال والكفر والانحراف موجزة كما يلي:
أولا ً: الغرور بالدنيا وشغف الناس بالشهات، فيلهيهم الأمل عن اتباع الواجب والعدل في الأمور، فيتأخرون في البغي والظلم والتمتع بحق وبغير حق، ويكفرون بعد الإيمان استحباباً في كل متاع عاجل ويأساً من كل خير موعود[271].
قال سبحانه: (زُيّنَ للنّاس حبُّ الشّهوات من النِّساء والبنينَ

[268] - سورة الجمعة: 5.
[269] - سورة إبراهيم: 21.
[270] - سورة الفرقان: 17- 18.
[271] - جريدة منبر الشرق سنة 1945.

والقَنَاطِيرِ المُقَنْطَرَةِ من الذّهب والفضّة والخَيْلِ المُسوّمة والأنْعامِ والحَرْثِ ذلك متاعُ الحياة الدّنيا واللّه عنْدَهُ حسْنُ المآبِ)[272].

وهؤلاء الذين استهوتهم الشهوات كالأنعام بل هم أضل، يرتعون في المنكر ما شاء لهم الهوى، وهم عاجزون عن القيام بالقسط لانعدام إنسانيتهم، لا يستحيون من الله ولا يستحيون من الناس، يحرمون الناس حقوقهم، يسلبونها سلباً لا يرعون فيهم إلا ولا ذمة، وكذلك فهم يهزؤون من الحق، ويعتبرون التمسك به ضعفاً وعجزاً من بلوغ المعالي والرغبات.

ثانياً: استخفاف الطغاة بشعوبهم واستبدادهم بهم، أو إغراؤهم لهم بالمال و الجاه حتى يعبدوهم من دون الله استخفافاً بعقولهم، ويزينون لهم ذلك حتى يألفوا عبادتهم، فلا يخرجون من طاعتهم وطاعة ذراريهم لأبنائهم، وهذا مشاهد لدى أبناء المشرق الإسلامي في هذه الأيام، وقد أخبر سبحانه عن فرعون وقومه إذ قال جل شأنه: (فاسْتَخَفّ قوْمَهُ فأطاعوهُ إنّهُمْ كانوا قوماً فاسقين)[273].

وقال سبحانه: (وأضلّ فرْعوْنُ قوْمَهُ وما هدى)[274].. ولم تنفع فيهم الآيات البينات ولا النذر، حتى أخذهم الله بذنوبهم أخذ عزيز مقتدر.

وفي بطون التاريخ وصفحاته أمثال فرعون، ممن خلعوا على أنفسهم ثوب ا لألوهية، وغرّتهم الحياة الدنيا وغرهم بالله الغرور.

(101)

ثالثاً: طبع كثير من الناس على التقليد الممقوت، يقلدون الغالب ويقلدون قومهم وآباءهم- كما هو واضح في هذا العصر، حيث يتسابق دعاة التفرنج بتقليد الغرب الكافر في كل تفاهاته، حتى انخلعوا من كل فضائل دينه و تقاليده الرفيعة- وهكذا تطبع العقائد والعادات في نفوس المقلدين بلا بحث ولا تعقل، ويتعصبون لما هم عليه من ضلال وإفك، ويصمون آذانهم عن دعوة الحق، بل يقولون: في آذاننا وقر. وقلوبنا غلف: (وإذا قِيلَ لهُمْ اتبِعُوا ما أنْزلَ اللّه قالوا بلْ نتبِعُ ما ألفَيْنا عليْهِ آباءنا أوَلوْ كان آباؤُهُمْ لا يعْقِلون شيئاً ولا يهْتَدُون)[275]..

وهكذا يشوّشون على غيرهم بعنادهم وأباطيلهم، يلتمسون أوهى الأدلة، ويدللون على أن النور ظلام والظلام نور، ويعقدون السهل ويدخلونه بتأويلا ت ساقطة، تعيد إلى الأذهان تأويلات بعض سخفاء أساطين الصوفية البلهاء ومبتدعة العصور، وهي في مجموعها خرافات وأباطيل ما أنزل الله بها من سلطان، والله سبحانه يقول في شأنهم وشأن كل من يقف في وجه دعوة الحق، ويمجد عفن الآباء وخرافات الشيوخ الماضين: (وقالوا لوْ كنّا نسْمَعُ أوْ نعْقِلُ ما كنّا في أصْحاب السّعير فاعْتَرَفوا بذنبهمْ فسُحقا لأصحاب

---

[272] - سورة آل عمران: 14.
[273] - سورة الزخرف: 54.
[274] - سورة طه: 79.
[275] - سورة البقرة: 170.

السّعير)[276].
رابعاً: التعصب والغلو في الدين، امتناعاً عن إعطاء الحق لأهله وتكبراً، حتى لا يكونوا تابعين بعد أن كانوا متبوعين، وحباً في

(102)

الزعامة وتبعاً للأهواء والمنافع الشخصية، فيحاربون الرسل وأهل الحق والإصلاح، يكذبونهم تارة وتارة يبخسونهم ويحقرونهم، بالتغالي في رفع أقدار السابقين إلى مقام الألوهية، يكرمون زعماءهم وشيوخهم وقادتهم وأولى الرأي في نحلتهم أو حزبهم[277]، مما يوقعهم في الشرك، ولا يخالفون ربهم فيحرفون الكلم عن مواضعه، ويلبسون الحق بالباطل حتى يغيب الحق عن أبصار المبصرين.
(قلْ أهْلَ الكِتاب لا تغلوا في دينكمْ غيْرَ الحقّ ولا تتّبعوا أهْواء قومٍ قدْ ضلّوا منْ قبْلُ وضلّوا كثيراً عنْ سواء السبيل)[278].
ومن هؤلاء الأصناف والطوائف[279] من غيروا في الكتب المنزلة وحرفوا، ليشتروا بآيات الله ثمناً قليلا ً، ومنهم من وقف في سبيل الرسل ودعاة الخير والإصلاح يكذبونهم بغير الحق ظلماً وبغياً، حتى تبقى لهم الزعامة و الكبرياء والمنزلة بين الناس في الأرض: (أولئك الذين اشتروا الضّلالة بالهُدى ، فما رَبِحَتْ تجارتُهُمْ وما كانُوا مُهْتدين)[280].
مع أنهم لم يطفئوا نور الله بأفواههم، والله متم نوره ولو كره الكافرون.

(103)

خامساً: رأى كثير من الملوك والسياسيين أن المبادىء السياسية والاقتصادية والاجتماعية لا تصلح أساسا ثابتاً لتملك زعامة الشعوب، وتثبيت سلطانهم وقضاء مآربهم، لأن أتباع هذه المبادىء أبعد الناس عن الثبات عليها لمدد طويلة، وأقلهم تضحية من أجلها، فهم كثيرو التحول من مبدأ لآخر، تبعاً للمنافع والأغراض والشهوات، وتبعاً للغالب الذي يرهب جانبه، ويؤمل في مؤازرته الأمن والفوز والرخاء بلا غضاضة على نفوسهم.
ورأوا أتباع الأديان أسلس قياداً، متفانين في مبادئهم الدينية، يضحون في سبيلها بكل مرتخص وغال، يصعب تحويلهم عنها، يطيعون زعماءهم طاعة تقديس عمياء.
وهكذا وجد الساسة المنحرفون في الدين الأسلحة الناجعة لمحاربة الخصوم

[276] - سورة الملك: 11، 12.
[277] - وهذا ما كنت ألمسه من أمثالهم- الضالين المضلين- عند التعرض لبعض المسائل الدينية فقهاً أو عقيدة، وذلك أثناء إلقاء الدروس في المساجد أو الحوار والمناقشة، وخاصة في مدينة الزرقاء بالأردن ومحافظة خليل الرحمن- الخليل- في فلسطين.
[278] - سورة المائدة: 77.
[279] - ومن أمثال هؤلاء المغالين، المبتدعة وبعض أتباع الصوفية ودعاة الضلال، والمتعصبة للتقاليد الفاسدة، وأفراد الأحزاب وأتباع النحل والتجمعات المختلفة، وهذا واضح في عصرنا ولا يخفى على عاقل.
[280] - سورة البقرة: 16.

، يستنفرون به الناس على أعدائهم، فجعلوا من أنفسهم حراساً على العقائد حتى ولو لم يعتنقوها[281].

ولما كانت العقائد الصحيحة حقا مشاعاً للبشر، ولكل شريعة حراس من أهلها المصلحين، لجأ السياسيون إلى الحيل واستهواء بعضهم بالمال والجاه وليؤيدوا بهم سلطانهم، فإن لم يطاوعوهم ولم يجدوا فيهم مأرباً، سلطوا عليهم المرتزقة من الكتاب وأصحاب الذمم المنحرفة والأقلام المأجورة، لتحقير شأنهم وإثارة الجدل والشبهات في العقائد وإكراههم على ما يريدون ، وهكذا تدب الخلافات وتظهر الفتن. وهذه

(104)

أمور مشاهدة ومحسوسة في الزمان لدى المتسلطين على رقاب الشعوب، ومصاصي الدماء من الحكام المرتزقة الذين يتاجرون بكراسيهم وهي مثلهم العليا.

وهكذا تشيع أهل الدين الواحد وصاروا فرقاً وأحزاباً مختلفة.

وصدق الله العظيم: (إنّ الذين فرّقوا دِينَهُمْ وكانوا شيعاً لسْتَ منْهُمْ في شيءٍ إنّما أمْرُهُمْ إلى اللّه، ثمّ يُنَبّئُهُمْ بما كانوا يفعلون)[282].

وقد يعمد بعض الساسة والمتنفذين- عند اشتداد العناد- إلي تغيير الدين و التجديد فيه- إما في أصوله أو فروعه- ليأتوا بعقيدة جديدة تخالف عقائد ا لآخرين، ليُلقحوا أذهان الجماهير والعامة ويرهفوا إحساسهم بالجديد، ولا يرهبون في بعض الأحيان من وضع دين جديد يختصون بالدفاع عنه، ويكون سلاحاً قوياً في أيديهم، وهذا هو حال دعاة الضلال والابتداع، ك الدعوة البهائية والقاديانية- الساقطتين- وكذلك فرقة الآغاخانية والبهرة و الدرزية وغيرها من دعوات الباطل.

ومع ذلك فإن هذه العقائد والأديان والمصطنعة لن تقوى على البقاء وسط العقائد الصحيحة، إلا بالملاحدة والفلاسفة الضالين والكتاب المأجورين و الشعراء المتكسبين والشيوخ المشعوذين وبيان ذلك في مقالات رنانة ودلائل مزيفة منهارة. والله جل شأنه يقول:

(ومن النّاس منْ يُجادلُ في اللّه بغَيْرِ علمٍ، ولا هُدىً ولا كتابٍ مُنيرٍ

(105)

ثاني عطْفهِ ليُضلّ عنْ سبيل اللّه لهُ في الدّنيا خِزْيٌ ونُذيقهُ يومَ القيامةِ عذابَ الحَريقِ)[283].

ومن هؤلاء السياسيين ذاقت الأمم والأديان في كل العصور هواناً وقهراً، ولعبت بها الأهواء، فأفسدوا على الناس عقائدهم، وعرضوا للعناء حياتهم وقل أمنهم، وتعرضوا لسخط رب العالمين. أولئك الذين يقول الله في شأنهم: (الذين اتخذوا دينهم لهْواً ولعباً وغرّتهُمُ الحياة الدّنيا فاليوم نَنْسَاهمْ

---

[281] - انظر كتاب: الايمان والروح: ص55- 57 بتصرف.

[282] - سورة الأنعام: 159.

[283] - سورة الحج: 8، 9.

كما نسوا لقاء يومهمْ هذا وما كانوا بآياتنا يجْحَدُونَ)[284].
سادساً: فئة أخفقت ولم تفلح في حياتها، وحسدت من نجح وحمل راية الحق والكرامة واستظل بها، وهكذا اتخذت سبيل المخالفة في الرأي و العقيدة سبيلا ً لإثبات وجودها بين الشخصيات البارزة والأعلام المرموقة.
وهذه هي التي ينطبق عليها المثل: خالفْ تعْرفْ. من أمثال علماء السوء المتفيهقين والفلاسفة المغرضين، الذين يزينون دعواهم المخترعة بالألفاظ الخلابة وزائف المنطق، ليستهووا بذلك العقول الضعيفة، مع أنهم في قرارة أنفسهم يعتقدون أنهم كاذبون وأنهم على الحق مجترئون.
إن الجهل بالحق والخوف من الأصحاب والعشيرة والقوم، وألفة

(106)

المرء لمرباه وتقاليد وعادات الآباء والشيوخ والزعماء المعظمين من دون الله ، لهي من الأسباب الرئيسية لانحراف الناس عن الحق وضلالهم.
وصدق الله العظيم:
(وإنْ تُطعْ أكثرَ منْ في الأرض يُضلوك عنْ سبيل الله إنْ يتبعون إلا الظنّ وإنْ همْ إلا يخرْصون)[285].

(الابتداع)

مقدمة في تعريف السنة والبدعة

معنى السنة لغة وشرعاً

قال الأزهري: السنة، الطريقة المحمودة المستقيمة[286].
وقيل: معنى السنة، الوجه أو دائرته، أو الصورة أو الجهة، أو السيرة و الطبيعة[287] ومعنى السنة عند علماء الأصول: هي ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير[288]. ويعرفها علماء الحدييث بأنها: ما أضيف إلى النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، وما يتصل بالرسالة من أحواله الشريفة قبل البعثة ونحو ذلك[289].

(107)

أما البدعة، فمعناها- كما عرّفها الإمام الشاطبي- بأنها: طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، ويقصد بالسلوك عليها المبالغة في التعبد لله تعالى[290].
وأصل مادة بدع: للاختراع على غير مثال سابق. ومنه قوله تعالى:

---

[284] - سورة الأعراف: 51. راجع كتاب الإيمان والروح: ص58، 59 للشيخ أحمد عبدالمنعم الحلواني.
[285] - سورة الأنعام: 116.
[286] - لسان العرب: جزء 17- ص60.
[287] - القاموس المحيط ولسان العرب.
[288] - فواتح الرحموت:ج-2- ص97.
[289] - الحديث والمحدثون: ص10.
[290] - الاعتصام: ج-1- ص127.

(بديعُ السّمواتِ والأرض)[291]. أي مخترعها من غير مثال سابق[292].
وقوله تعالى: (قُلْ ما كُنْتُ بِدْعاً من الرُسل)[293].
جاء في القاموس: البدعة، الحدث في الدين بعد الإكمال. أو: ما استحدث بعد الإكمال. أو ما استحدث بعد النبي عليه الصلاة والسلام من الأقوال والأ عمال.
قال الشيخ محمد بخيت في رسالته عن البدعة: إن البدعة الشرعية هي التي تكون ضلالة ومذمومة. وأما البدعة التي قسمها العلماء إلى واجب وحرام إلخ.
فهي البدعة اللغوية، وهي أعم من الشرعية لأن الشرعية قسم منها[294].
ويقول ابن حجر العسقلاني: البدعة أصلها ما أحدث على غير مثال سابق، وتطلق في الشرع في مقابل السنة فتكون مذمومة[295].
(108)

(التحذير من البدع)

وقد حذر النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ومن بعدهم أهل زمانهم من البدع ومحدثات الأمور، وأمروهم بالاتباع الذي فيه النجاة من كل محظور.
وجاء في كتاب الله تعالى من الأمر بالاتباع بما لا يرتفع معه الترك وفي هذا يقول سبحانه: (وأنّ هذا صراطي مُستقيماً فاتبعوهُ ولا تتّبعوا السُبُل فتفَرّق بكُمْ عنْ سَبيلهِ ذلكمْ وصّاكمْ به لعلّكمْ تتّقون)[296].
وقال تعالى: (قُلْ إنْ كُنْتُمْ تحِبُّون اللّه فاتبِعُوني يُحْبِبْكُمُ اللّه ويَغْفرْ لكمْ ذُنُوبَكُمْ)[297].
وقال عز وجل: (فإنْ تنازعتمْ في شيءٍ فرُدُّوه إلى اللّه والرّسُول إنْ كُنْتُمْ تؤْمنونَ باللّه واليوم الآخر ذلك خيْرٌ وأحْسَنُ تأويلا)[298].
وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (ما منْ نبيّ بعثهُ اللّه عزّ وجلّ في أمّةٍ قبْلي إلا كان له من أمّته حواريُّون وأصحابٌ يأخذُونَ بسُنّته ويقتدون بأمره)[299] وفي رواية: (يَهْتدون بهديه ويَستنُّون بسُنّتهِ ثمّ إنّها تخْلُفُ منْ بعدهم خُلوفٌ يقولون ما لا يفعلون ويفعَلُون ما لا يؤمرون فمنْ جاهدهم بيدهِ فهو مؤمنٌ، ومنْ جاهدهمْ بلسانه فهو مؤمنٌ، ومنْ جاهدهمْ بقلبه فهو مؤْمنٌ وليْس وراء ذلك

---

291 - سورة البقرة: 117.
292 - سورة الأحقاف: 9.
293 - سورة الأحقاف: 9.
294 - الفتاوى الحديثة: ص205- لابن حجر الهيثمي.
295 - فتح الباري: جزء 5- ص 156 للعسقلاني.
296 - سورة الأنعام: 153.
297 - آل عمران: 31.
298 - سورة النساء: 59.
299 - رواه مسلم.

من الإيمان حبّة خرْدل).
(109)
وفي صحيح مسلم عن جابر بن عبدالله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في خطبته: (خَيْرُ الحديث كتاب الله، وخيْرُ الهدْيِ هدْيُ محمد صلى الله عليه وسلم وشر الأمور مُحْدثاتها وكلُ مُحدثةٍ بدعةٌ وكلُ بدعةٍ ضلالةٌ).
وفي سنن أبي داود عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما: (كُلُ عبادةٍ لا يتعبّدها أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا تعبدوها، فإنّ الأوّل لم يدع للآخر مقالا ً فاتقوا الله يا معشر القرّاء وخذوا طيق من كان قبْلكُمْ)[300] وعن الحسن رحمه الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (عملٌ قليلٌ في سنّةٍ خير منْ عملٍ كثيرٍ في بدعةٍ)[301].
وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (ما بالُ رجالٍ بلغهمْ عنّي أمرٌ ترَخّصت فيه فكرهوه وتنزّهوا عنه فوالله لأنا أعلمُ بالله وأشدُهمْ له خشْيةً). وقال عليه الصلاة والسلام: (من أحْيا سُنّة منْ سُنني قد أميتتْ كان له من الأجر مثل من عمل بها من غير أنْ ينقص ذلك من أجورهم شيئاً، ومنْ ابتدع بدعةً ضلالة لا يرْضاها الله ولا رسوله كان عليه من الإثم مثل آثامِ من عمل بها لا يُنْقص ذلك من أوزار الناس شيئاً)[302].
ونختم القول في هذا المجال بهذا الحديث الجامع الذي يشتمل على رد
(110)
كل محدث في الدين، ويعطي الميزان الصحيح لتمييز ما هو من الدين مما ليس من الدين، قال صلى الله عليه وسلم: (منْ أحدث في أمرنا هذا ما ليْس منه فهو ردٌ). وفي رواية: (من عمل عملا ً ليْسَ عليه أمرنا فهو ردٌ)[303].
وفي كلتا الروايتين ما يبين أن من عمل بالبدعة كمن ابتدعها، في الخروج عن الدين، وإن تفاوتا في قيمة الوزر.
وفيما يلي بعض آثار السلف الصالح:
1- فعن ابن مسعود قال: الاقتصاد في السنة أحسن من الاجتهاد في البدع[304]. وعنه أيضاً أنه قال: (اتبِعوا ولا تبتدعوا فقدْ كُفيتُمْ)[305].
2- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: (ما أتى على النّاس عامٌ إلا أحدثوا فيه بدعةً وأماتوا فيه سُنّةً حتى تحيا البدعُ وتموت السُننُ)[306].
3- وقال الشافعي رحمه الله: إذا رأيت رجلا ً من أصحاب الحديث، فكأني

---

300 - انظر الباعث على إنكار البدع: ص16.
301 - انظر المصدر السابق: ص16.
302 - أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال: هذا حديث حسن.
303 - رواه الشيخان وغيرهما.
304 - انظر قواعد التحديث ص: 49 وما بعدها. وكتاب: الاعتصام ج-1.
305 - رواه الطبراني في الكبير، ورجاله رجال الصحيح.
306 - روه الطبراني في الكبير، ورجال موثقون: ج-1- ص188.

رأيت رجلاً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه سلم[307].

4- وقال الجنيد رحمه الله: الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا على من اقتفى أثر الرسول عليه الصلاة والسلام[308].

(111)

(أهم أسباب البدع)

إن أسباب البدع كثيرة، يصعب حصرها أو تعدادها. وفيما يلي أهمها:

أولاً: القول في الدين بغير علم، وممارسة الجاهل لأمور التعليم والفتوى.

ثانيا: الجهل بأساليب اللغة العربية أو تجاهلها.

ثالثاً: الجهل في السنة الشريفة ومكانتها من التشريع.

رابعاً: عدم التمييز بين الأحاديث الصحيحة وغيرها- الضعيفة والموضوعة.

خامساً: اتباع الهوى والشهوات والتسليم لغير المعصوم[309].

سادساً: اتباع المتشابه ابتغاء الفتنة من العلماء المبتدعين، وابتغاء تأويله من الجهلة المتعالمين.

(أساس البدع وأخطارها)

إن التنبيه على المنكر واجب على المسلمين، وبخاصة على أهل العلم. لما كانت البدع من أعظم المنكرات، فقد حذر الشارع الحكيم من أخطارها ومفاسدها، لأنها تبطل العبادة وتفسد الأعمال، ويخرج صاحب البدعة من الدين كما تخرج الشعرة من العجين.

(112)

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال عليه الصلاة والسلام: (.. ولوْ تركْتُمْ سُنّةَ نبيّكمْ لضَلَلتمْ..)[310].

وفي حديث معاذ مرفوعاً: (إذا حدثَ في أمّتي البدَعُ وشُتِمَ أصْحابي فليُظْهِر العالمُ علمَهُ، فمَنْ لمْ يفعل فعليه لعْنة الله والملائكة والناس أجمعين)[311].

وكما هو معلوم فالابتداع هو الإفلات من دائرة الحق والاستقامة وولوج دائرة الباطل، ومسار الهوى والغواية فضلاً عن اغتيال للقيم والمعاني الرفيعة، وطمس لمعالم الخير والفضيلة وإغلاق لآفاق المعرفة، وانقلاب على سنن الفطرة وتمرد على نواميس الكون[312].

وقد تبرأ الله ورسوله من أصحاب البدع لآثارها المدمرة وعواقبها الوخيمة

---

307 - انظر قواعد التحديث، والاعتصام ج-1.

308 - الرسالة للقشيري: ج-1- ص55 عن البدعة: تحديدها وموقف الإسلام منها: ص110.

309 - انظر كتاب الاعتصام: ج-1. للإمام الشاطبي رحمه الله.

310 - رواه مسلم.

311 - كتاب السنة، ذكره الآجري من طريق الوليد بن مسلم.

312 - انظر كتابنا مصرع الشرك والخرافة ص: 345 وما بعدها.

على الأمة، وقال تعالى: (إنّ الذين فرّقوا دينَهُمْ وكانوا شيعاً لسْتَ منْهُمْ في شيءٍ)[313].

وجاء في الحديث الشريف: (ما ابْتَدعَ قوْمٌ بدعةً إلا تركوا من السنّة مثلها)[314].

وقد قال تعالى: (فنسوا حظًا مما ذُكِرِوا به فأغْرينا بينهم العدواة (والبغضاء)[315] فلما تركوا حظًا مما ذكروا به اعتاضوا بغيره، فوقعت بينهم العداوة والبغضاء. قال تعالى: (ومنْ يَعْشُ عنْ ذكرِ الرّحمن نقيّض فهو له قرينٌ)[316]. وقال تعالى: (اتبعوا ما أنزل إليكم منْ ربّكمْ ولا تتبعوا منْ دونهِ أوْلياء قليلا ً ما تذكرون)[317].

فأمر باتباع ما أنزل، ونهى عما يضاد ذلك، وهو اتباع أولياء من دونه، فمن لم يتبع أحدها اتبع الآخر، ولهذا قال سبحانه،: (ويتّبعْ غيرَ سبيلِ المؤمنين)[318].

قال العلماء: من لم يكن متبعاً سبيلهم كان متبعاً غير سبيلهم.

فاستدلوا بذلك على أن اتباع سبيلهم واجب، فليس لأحد أن يخرج عما أجمعوا عليه[319].

وعن ابن عباس قال في قوله تعالى: (يومَ تبْيَض وجوه وتسودُ وجوهٌ)[320].

قال: تبيض وجوه أهل السنة وتسود وجوه أهل البدعة[321].

وعن ابن عمر قال: صلاة السفر ركعتان. من خالف السنة كفر[322].

ولعل معنى الحديث: من خالف مكذباً لما ورد في السنة.

(114)

قال ابن الجوزي: وتأملت الدخل الذي دخل في ديننا من ناحيتي العلم و العمل، فرأيته من طريقين قد تقدما هذا الدين وأنس الناس بهما، فأما أصل الدخل في العلم والاعتقاد فمن الفلسفة، وهو أن خلق ًا من العلماء في ديننا لم يقنعوا بما قنع به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الانعكاف على الكتاب والسنة، فأغلوا في النظر في مذاهب أهل الفلسفة، وخاضوا في الكلام الذي حملهم على مذاهب رديّة أفسدوا بها العقائد.

وأما أصل الدخل في باب العمل فمن الرهبانية، فإن خلقاً من المتزهدين أخذوا عن الرهبان طريق التقشف، ولم ينظروا في سيرة نبينا صلي الله عليه وسلم وأصحابه، وسمعوا ذم الدنيا وما فهموا المقصود، فاجتمع لهم الإ

---

[313] - سورة الأنعام: 159.

[314] - رواه الإمام أحمد.

[315] - سورة المائدة: 14.

[316] - سورة الزخرف: 36.

[317] - سورة الأعراف: 3.

[318] - سورة النساء: 115

[319] - الايمان : ص 164- 165 للإمام ابن تيمية.

[320] - سورة آل عمران : 106.

[321] - راجع تفسير ابن كثير: ج-1، سورة آل عمران.

[322] - الاعتصام: ج-1- ص 180.

إعراض عن علم شرعنا مع سوء الفهم للمقصود، فحدثت منهم بدع قبيحة، فأول ما ابتدأ به إبليس أنه أمرهم بالإعراض عن العلم فدفنوا كتبهم وغسلو ها، وألزمهم زاوية التعبد فيما زعم، وأظهر لهم من الخزعبلات ما أوجب إقبال العوام عليهم فجعل إلههم هواهم، ولو علموا أنهم منذ دفنوا كتبهم وفارقوا العلم انطفأ مصباحهم ما فعلوا، لكن إبليس كان دقيق المكر يوم جعل عملهم في دفين تحت الأرض، وبالعلم يعلم فساد الطريقين ويهتدي إلى الأصوب[323].

قال الشيخ محمود شلتوت في فتاوي: كل مبتدع في ابتداعه هواه، والهوى متشعب النواحي مختلفة الأهداف، ومن هنا نجد الشخصية الدينية التي انتابها لا تقف في العقيدة الواحدة أو العبادة

الواحدة عند وضع واحد، بل تتعدد في أوضاعها وصورها بتعدد الأهواء التي أدخلت عليها الابتداع، ومن ثم تصير الشخصية الدينية الواحدة- التي نزلت للتوحيد بين الناس فيما يتقربون به إلى الله الواحد- شخصيات متعددة تقف كل شخصية منها عند مبتدع من المبتدعين، وأتباعه الذين يسلكون طريقه، ومن هنا تفقد الأمة وحدتها الدينية ويتحكم بين هيئاتها الا بتداعية تنافس العداوة والبغضاء, وكثيراً ما يشتدّ التنافس والخصام و تشتعل نارها فيقع بينهم التكفير، واستحلال الدماء وتنقلب الأمة يضرب بعضها رقاب بعض. وقد جاء- حفظاً لوحدة الأمة في هذا الجانب- قوله تعالى: (واعتصموا بحَبْلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا)[324].

وقد عرفنا- من تاريخ الأديان والشرائح- أن التحريف الابتداعي قد أصابها من جهات ثلاث:

1- من جهة العقيدة: ومنها دخل الشرك، وعبادة غير الله، ودعاؤه. والا ستعانة به، واللجوء إليه.

2- ومن جهة العبادة: ومنها دخل التغيير بالزيادة أوالنقص والتغيير في الكيفية[325].

3- ومن جهة الحلال والحرام: ومنها حرّم الحلال واحتيل فحلل الحرام.

---

323 - راجع صيد الخاطر: ص226 - 227 للإمام ابن الجوزي.

324 - سورة آل عمران: 103.

325 - وكما هو معلوم، فإن الابتداع في الدين- كالزيادة فيه أو النقصان- أمر محظور لا يجوز فعله، ولا أجر لصاحبه فيه، حتى ولو كان لنية العبادة لله عز وجل، فقد قال صلى الله عليه وسلم: «منْ أحْدث في أمْرنا هذا ما ليْسَ منهُ فهو رد».
والبدعة شر من المعصية، لأن في الابتداع تغييراً للدين ولأحكام الشرع، واتهاما له بنقصانه أو بحاجته إلى تكميل وتعديل، وهذا أمر خطير لا يجوز اعتقاده أو العمل بموجبه، إذ أن العمل الصالح هو ما كل خالصاً لله ووفق شريعة الإسلام، حتى إن الرسول صلى الله عليه وسلم توعد المبتدعين وحذر عن شرورهم حين قال: «إيّاكم ومحدثات الأمور فإن كان محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة..» ف الخير كل الخير لمن تمسك بالسنة وعمل بما جاء به الشرع ووقف عند حدد الله.

فهل لعلمائنا الفقهاء أن يعلموا على إحياء الجانب الديني ليكون سليماً نقياً، وعلى وحدة المسلمين فيه والرجوع بهم إلى المحجة البيضاء التي تركها الرسول صلى الله عليه وسلم، وظلت قائمة بمصادرها الخالدة من كتاب سنة[326]؟.

(نماذج من البدع)

أولا ً: من بدع الأذان:

قال إمام الحرمين: وإذا أذن المؤذن فلا يستحب أن يتوسلوا في الأذان، بل إن وسع الوقت ترتبوا، وإن ضاق تبددوا في أطراف المسجد وأذنوا، فيكون كل واحد منفرداً بأذانه، يظهر أثر ذلك في الإسماع والإبلاغ، ثم لا يقيم في المسجد إلا واحد وإن كثر المؤذنون[327].

قلت: يريد بذلك الأذان الأول- الذي هو الإعلان بدخول الوقت- وهو الذي يفعل على المنابر، وأما الأذان بين يدي الخطيب بعد صعوده المنبر فلا ينبغي أن يكون إلا واحداً، لأنه لإقامة الشعائر والإعلام

بصعود الخطيب المنبر، لإنصات الناس الحاضرين، والسنة فيه إفراد المؤذن.

ومنع القاضي أبو الحسن الماوردي- في كتاب الحاوي- الترسل في الأذان أيضا وقال: يؤذن واحد بعد واحد، لأن الصوت يختلط باجتماعهم فلا يفهم إ لا أن يكون البلد كبيراً والمسجد واسعاً، فلا بأس أن يجتمعا في الأذان دفعة واحدة كالبصرة، لأن اجتماع أصواتهم أبلغ في الإعلام.

ويتفق في الأذان إذا اجتمعوا عليه كلمة واحدة، فإن اشتراكهم في كل كلمة منها أبين وإذا اختلفوا فيه اختلط[328].

ومنها: الاكتفاء بأذان واحد لعموم مساجد المدينة، كما في عمان بالأردن مع أن السنة تخصيص كل مسجد بمؤذن.. ومنها: الأذان من داخل المسجد في السماعة مع أن السنة أن يصعد المؤذن على سطح المسجد أو المنارة. كما سمعنا ذلك من المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني.

ثانياً: ومن بدع الصلاة

صلاة ليلة القدر الموضوعة. قال المجد اللغوي في سفر السعادة:

وصلاة ليلة القدر وصلاة كل ليلة من رجب وشعبان ورمضان، هذه الأبواب لم يصح فيها شيء أصلا ً، وإن قراءة المعراج بدعة ولم يقدم على ليلة الإ سراء.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله- حينما سئل عن صلاة

---

[326] - الفتاوى: ص185 وما بعدها. للشيخ محمود شلتوت رحمه الله.

[327] - الباعث: على إنكار البدع: ص89.

[328] - المصدر السابق: ص89- 90 بتصرف.

ليلة القدر: إن هذه الصلاة لم يستحبها أحد من أئمة المسلمين، بل هي بدعة مكروهة. إلى أن قال: والذي ينبغي أن تترك وينهى عنها.. أ. هـ[329].
ومن البدع المكروهة: صلاة ليلة عيد الفطر ويومه، وهي مائة ركعة بالفاتحة والإخلاص عشر مرات، ويستغفر بعدها مائة مرة ... ألخ.
حديث طويل ذكره جلال السيوطي في اللآلىء المصنوعة وقال: موضوع.
وكذا صلاة نهارها[330].
ثالثا: ومن بدع الجنائز
ما يفعله الناس اليوم في جنائزهم، من مخالفات ومحظورات ومنكرات لا تليق بأتباع الإسلام، وتخالف سنة سيد الأنام صلى الله عليه وسلم، حيث ترك الإسراع بها والقرب منها والإنصات فيها. ومن قراءتهم بالقرآن بالألحان، واتباعهم[331] في تزيينها والمباهاة بالحاضرين لها، وحديثهم
(119)
فيها فيما خلفه من المال والأولاد[332].
وفي ترجمة عبدالرحمن بن سليمان قال هارون المعروف: حدثنا ضمرة، حدثنا رجاء بن جميل قال: شهدت رجاء بن حيوه في جنازة عبدالرحمن بن سليمان بن عبدالملك بعسقلان فسمع رجل يقول: استغفروا له، غفر الله لكم.
فقال رجاء: اسكت، دق الله عنقك.
وجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا اتبع جنازة أكثر الإنصات ورؤي عليه الكآبة وأكثر حديث النفس[333].
وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: كانوا إذا كانوا في جنازة يعرف ذلك فيهم ثلاثة أيام. قال: ورأى ابن مسعود رجلا ً يضحك في جنازة فقال: تضحك؟. لا أكلمك أبداً.
وعن سعيد بن المسيب أنه قال في مرضه: إياي وحاديهم، هذا الذي يحدوه لهم ويقول: استغفروا الله، غفر الله لكم. وكرهه الحسن والنخعي وأحمد وغيرهم.

---

[329] - السنن المبتدعات: ص156 ومن الصلوات الموضوعة صلاة الرغائب وليلة المعراج.
[330] - السنن المبتدعات: ص156 ومن الصلوات الموضوعة صلاة الرغائب وليلة المعراج.
«2» المصدر السابق: ص161. ومن أشنع البدع صلاة الظهر بعد صلاة الجمعة بحجة أن العدد ناقص عن الأربعين كما يتوهم بعضهم، أو أن المأمومين لا يحسنون القراءة. إن هذه البدعة الضالة تجر إلى الكفر إن اعتقد أن صلاة الظهر بعد الجمعة فرض، كما تجر إلى الضلال إن اعتقد أنها سنة، وهذه بدعة مذمومة يواظب عليها جمهرة المتصوفة الذين يرفضون السنة في كثير من الأحيان، ويتأولون الأحاديث والروايات الموضوعة التي يمليها عليهم شيخهم الشيطان.
[331] - ومن المؤسف أن تنتشر في هذه الأيام البدع والمنكرات، حيث تحمل الجنازة في سيارة خاصة مزودة بمكبرات الصوت، يُتلى منها القرآن الكريم في موكب حاشد من السيارات كما ترفع الأصوات بالتكبير والتهليل والهرج والمرج والضجيج، وهذه مخالفة صريحة للسنة المطهة، وآدابها في تشييع الجنائز، حيث يفقد الخشوع والتفكير بالموت والتأمل والاعتبار الذي يتوخى منه في مثل هذه المناسبات، وكفى بالموت واعظاً.
[332] - الباعث الحثيث: ص91، 92.
[333] - الباعث الحثيث: ص91، 92.

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع قائلا ً يقول ذلك فقال له: لا غفر الله لك. وإنما كره ذلك لما فيه من التشويش على المشيعين[334].

ومن البدع المذمومة أيضاً اتباع بعض الأموات- كالزعماء والقادة- بـ الموسيقى العسكرية وإطلاق النار عند الدفن. وكذلك استخدام الطبول

(120)

والدفوف والمزامير- العدة- أثناء تشييع الأموات، كما يفعل ذلك المبتدعة وأتباع الصوفية.

وكذلك زيارة قبور الكفرة وزعمائهم، خاصة من قبل أبناء الإسلام وقادتهم الذين يضعون أكاليل الزهور والورود على ضرائحهم ومشاهدهم ويتلون سورة الفاتحة على أرواحهم ويترحمون عليهم، كما يؤدي بعضهم التحية العسكرية لتماثيلهم ومشاهدهم- كما يفعل ذلك لتحية العلم، تلك الضلالة القبيحة المستوردة- وهذا يتم أثناء الزيارات الرسمية وغير الرسمية لتلك الدول الكافرة، أو الاحتفال بذكرى وفاة أولئك الزعماء الكفرة أو ميلادهم، وغير ذلك من مناسبات مذمومة.

ومنها أيضاً: إسقاط الصلاة عن الميت واتخاذ الطعام من أهل الميت أول خميس[335]. ومن العادات القبيحة ما يفعله الجهلة، الذين يضعون حلي النساء والملابس الثمينة والمجوهرات مع الموتى في القبور، وبخاصة مع الشابات اللواتي لم يتزوجن بعد.

ومن البدع القبيحة والأعمال الشنيعة أيضاً ما يفعله أولياء الميت، كإقامة السرادقات وإحضار القراء لتلاوة القرآن باستخدام مكبرات الصوت، وتوزيع السجائر على المعزين أثناء مدة التعزية التي قد تزيد على سبعة أيام، هذا وغيره يفعل أيضاً بعد مرور أربعين يوماً على الوفاة - الأربعينية- وهذا تبذير وإسراف وابتداع يتنافى وتعاليم الدين.

(121)

وتتأكد حرمته خاصة إذا كان للمتوفي أطفال صغار يحتاجون للرعاية و النفقة.

رابعاً: ومن بدع الحج

افتتان العامة بجبل عرفات- في هذا الزمان خاصة- حيث أخطؤوا في أشياءٍ كثيرة من أمره ومنها:

- أنهم جعلوا الجبل هو الأصل في الوقفة بعرفات، فهم بذكره مشغوفون وعليه دون باقي بقاعها يحرصون، وذلك خطأ منهم، وإنما أفضلها موقف رسول الله صلى الل عليه وسلم عند الصخرات عن يسار الجبل.

- وكذلك إيقاد النيران عليه ليلة عرفة، واهتمامهم لذلك باستصحاب الشمع له من بلادهم، واختلاط الرجال بالنساء في ذلك صعودا وهبوطاً بالشموع

---

[334] - الباعث الحثيث: ص91، 92.

[335] - أحكام الجنائز وبدعها: ص256، 257 المحدث الشيخ ناصر الدين الألباني بتصرف. وفقه الله لخدمة الإسلام والمسلمين.

المشتعلة الكثيرة، وقد تزاحم المرأة الجميلة بيدها الشمع الموقد كاشفة عن وجهها. وهي ضلالة شابهوا فيها أهل الشرك في ذلك الموقف الجليل. وإنما أحدثوا ذلك من قريب، حين انقرض أكابر العلماء الآمرين بالمعروف و الناهين عن المنكر، وحين تركوا سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم[336].

- وكذلك تنتج المشقة والازدحام والعسر عند صعود جبل الرحمة، حيث يتدافع الناس فتحصل المصائب، وتنكشف العورات لصعود الجبل، حيث اختلاط الرجال بالنساء وتلاصقهم معاً،

(122)

وبذلك يحصل التقرب إلى الشيطان بدلاً من التقرب إلى الرحمن، وهذه مخالفات شنيعة يندى لها جبين الإنسان، علاوة على مخالفتها لأمر الشارع الحكيم.

ومن العامة من إذا حج يقول: أقدّس حجتي. يذهب فيروز بيت المقدس، ويرى أن ذلك من تمام الحج وهو غير صحيح. وزيارة بيت المقدس مستحبة. ولكنها مستقلة ولا تعلق للحج بها[337].

ومن بدع الحج أيضاً: مرافقة النساء للرجال الأجانب عنهن أثناء تأدية الفريضة بدعوى أنهم قد تآخوا، حيث يقولون فيما بينهم- بين الذكر والأنثى: أنت أختي بعهد الله. وترد عليه بقولها:

وأنت أخي بعهد الله. وهدف ذلك أن يصبح الرجل الأجنبي محرماً للمرأة، وهذه دسيسة شيطانية ومن تلبيس إبليس، ولم يقرها عقل ولا شرع.

ومثيلتها ما يفعله بعض الجهلة الذين لبّس عليهم الشيطان، حيث يجري عقد نكاح صوري بين الرجل والمرأة، على أن لا يقرب أحدهم الآخر- وفي الغالب تكون المرأة زوجة لزوج آخر- وهذا تحايل على الشرع ومفسدة دينية، ومن جراء هذه المفاسد تنتشر الفاحشة وتعم المنكرات ولا حول ولا قوة إلا ب الله.

ومنها أيضاً: ما يفعله بعض الجهال، من إرسال السلام مع الحجاج إلى النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام، وتقديم الاعتذار عنهم لعدم تمكنهم من الزيارة لذلك العام..

(123)

وبعضهم طلب من الحجاج أن يرمي عنه الجمرات- الحجارة- ويضرب إبليس عدة ضربات موجعة- كأنه يراه حقيقة- وذلك لعدم تمكنه من إشفاء غليله منه والتشنيع به، وهذا يدل على الجهل الفاضح الذي يسيطر على أبناء هذا العصر.

خامساً: ومن بدع الاعتقادات

اعتقاد العوام أن جبريل عليه السلام لم ينزل ولن ينزل بعد موت النبي صلى

---

[336] - الباعث على انكار البدع والحوادث: ص94 وما بعدها.

[337] - نفس المصدر: ص95.

الله عليه وسلم بناء على بعض آثار في ذلك، دلت على أن جبريل عليه السلا
م لما اجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم اجتماعه الأخير ودعه وقال له: لا
أنزل الأرض بعدك. وهذا لا أصل له، ويرده خبر الطبراني: (ما أحبُ أنْ يرْقدَ
الجنْبُ حتى يتوضأ فإنيّ أخاف أنْ يُتَوَفّى وما يحْضُرُهُ جبريل عليه السلا
م)[338] فإنه يدل على أن جبريل عليه السلام ينزل الأرض ويحضر موت كل
مؤمن مات على طهارة. ذكره ابن الهيثمي[339].
وقد نشأ من هذا الاعتقاد الفاسد، ومن خبر باطل موضوع- لا وحي بعدي-
اعتقاد العامة أن لا وحي على الإطلاق بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم.
سئل ابن حجر: هل يوحى إلى عيسى عليه السلام؟. فقال: نعم.
يوحى عليه السلام وحي حقيقي كما في حديث مسلم وغيره، عن النواس
بن سمعان، وفي رواية صحيحة: (فبينما هو كذلك إذ أوْحى الله تعالى: يا
عيسي إنّي أخرجتُ عباداً لي لابد لأحدٍ بقتالهمْ فحوّلْ

عبادي إلى الطّور)[340]. وذلك الوحي على لسان جبريل عليه السلام، إذ هو
السفير بين الله تعالى وأنبيائه، لا يعرف ذلك لغيره. وخبر: لا وحي بعدي.
باطل[341].
ومنها أيضاً الاعتقاد بأن النبي صلى الله عليه وسلم لما أراد العروج ليلة الإ
سراء، صعد على صخرة بيت المقدس وركب البراق، فمالت الصخرة وار
تفعت لتلحقه، فأمسكتها الملائكة، ففي طرف منها أثر قدمه الشريف، وفي
الطرف الآخر أثر أصابع الملائكة عليم السلام، فهي الصخرة واقفة في الهواء
قد انقطعت من كل جهة، لا يمسكها إلا الذي يمسك السماء أن تقع على الأ
رض سبحانه وتعالى. وهذا من الأكاذيب المشهورة، لا أصل له في الدين.

سادساً: ومن بدع المساجد ومنكراتها
التشويش على القراء في المسجد. ففي فتاوى الإمام تقي الدين رحمه الله:
مسألة في مسجد يقرأ فيه القرآن والتلقين بكرة وعشية، ثم على باب
المسجد شهود يكثرون الكلام، ويقع التشويش على القراء، فهل يجوز ذلك
أم لا؟
الجواب: ليس لأحد أن يؤذي أهل المسجد، أهل الصلاة أو القراءة أو الذكر
أو الدعاء، ونحو ذلك مما بنيت المساجد له، فليس لأحد أن يفعل في
المسجد- ولا على بابه قريباً منه- ما يشوش علي هؤلاء، بل قد خرج النبي
صلى الله عليه وسلم على أصحابه- وهم يصلون ويجهرون بالقراءة- فقال:

---
338 - رواه الطبراني.
339 - انظر الإبداع في مضار الابتداع: ص338.
340 - روه مسلم وغيره.
341 - الإبداع في مضار الابتداع: ص339.

(أيُها الناس، كلّكم يُناجي ربّه فلا يجهَرْ بَعْضُكُمْ على بعضٍ في القراءة)[342].
فإذا كان قد نهى المصلي أن يجهر على المصلي، فكيف بغيره؟!
ومن فعل ما يشوش به على أهل المسجد، أو فعل ما يفضي إلى ذلك منع من ذلك. والله أعلم[343].
ومنها أيضاً: الإعراض عن سماع خطبة العيد، ما أجهل العامة بمقاصد الدين وما أعماهم عن سر التشريع! ترى كثيراً من العامة ينفضون بعد صلاة العيد، ويعرضون عن سماع الخطبة، مع أن الاستماع لها من تتمة الصلاة بل هو نتيجته، لأن الخطبة هي الواعظ الشفاهي، والصلاة واعظها القلبي، وليست حجتهم جهل بعض الخطباء الذين يتسنم ذروة المنابر، وهم في حضيض الجهالة عن فهم ما أقيموا فيه مما كان مرقى الأكابر العلماء والحكماد، ولا عذرهم أنهم لا يفقهون كثيراً من الخطب المتداولة، ولا أنها لا تهديهم إلى سنة الكون، بل انصرافهم مجرد إعراض تعجلا ً إلى الرجوع إلى اللهو، مع أن الخطب المعلومة- على ما هي عليه مما ذكرنا- لا تخلو مما يفيد العامة من الحض علي التقوى، والتمسك بالسبب الأقوى وتلاوة آيات كريمة وأحاديث
(126)
عظيمة، يكفيي لمن ينصت لها أن يخشع قلبه وينيب إلى ربه.
فعلى العامي أن يتقي الله في هذه المخالفات، وأن يطلب نجاته بطلب العلم والفقه في الدين فإنه مرقاة النجاة[344].
ومن المنكرات المنتشرة حول المسجد ما يقدم عليه بعض المصلِين، الذين يرتكبون المنكرات بقصد أو عن غير قصد، داخل المسجد وبأطرافه حيث البصاق أو المخاط من قبل المتوضئين، مما تستقذره الأنفس، وهذه الخطيئة من السيئات التي لا تكفر إلا بإزالتها.
روى الشيخان وغيرهما عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم:
(البصاق في المسجد خطيئة وكفّارتها دفْنها). وفي حديث أبي ذر عند مسلم قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: (ووجدتُ في مساوىء أعمال أمّتي النُخامة تكون في المسجد لا تدفن).
قال القرطبي: فلم يثبت لها حكم السيئة لمجرد إيقاعها في المسجد، بل به وبتركها غير مدفونة.
وروى سعيد بن منصور عن أبي عبيدة بن الجراح أنه تنخم في المسجد ليلة،

---

[342] - ومع ان السنة المطهرة حذرت من التشويش والمضايقة لأهل المسجد، إلا أنه- وللأسف- تقع منكرات كثيرة في المساجد التي ما ابتنيت إلا لإقامة الشعائر الدينية، حيث الحديث في أمور الدنيا ونشدان الضالة، وسؤال الصداقة، وتعدد صلاة الجماعة في المسجد الواحد في لحظة واحدة، وعدم المحافظة على نظافة الجسم قبل دخول المسجد.
[343] - إصلاح المساجد: ص124.
[344] - بتصرف عن اصلاح المساجد: ص125 وما بعدها.

فنسي أن يدفنها حتى رجع إلى منزله، فأخذ شعلة من نار ثم جاء فطلبها حـ
ـتى دفنها ثم قال: الحمد لله الذي لم يكتب علي خطيئة الليلة[345].

(127)

قال: فدل على ان الخطيئة تختص بمن تركها وعلة النهي ترشد اليه وهي تأذي المؤمن بها[346].

(خرافة دوران الميت بنعشه)

كثر ادعاء الناس حول دوران الميت بنعشه- وخاصة من القرى- زاعمين أن المتوفى بوسعه دفع الجنازة إلى جهة ما- كرهاً ورغماً عن حامليها- ثم جذبها إلى أخرى كذلك، ويحصل ذلك من تعلق الميت ببعض الأماكن، وكلما أكثر المشيعون من الأذكار ازداد الدفع والجذب، وهكذا إلى أن ينتهي بهم المطاف إلى القبر بعد جهد وعناء.

إن هذا الاعتقاد لا أصل له في الدين، ولم يرد في الكتاب ولا في السنة ما يشير إلي وقوع مثل ذلك لنبي أو ولي، لا في الأمم السابقة ولا في هذه الأ مة، وما أثر شيءٌ من ذلك في صدر الإسلام وعهد الصحابة والتابعين- وهم خير القرون وأفضلها- ولا عن إمام من أئمة المسلمين المعتبرين. ولو وقع- مما تتوافر الدواعي على نقله بلا ريب- لنقله إلينا الثقات، كما نقلوا إلينا صحيح الأخبار والآثار. ومن المعلوم أن الإمام أحمد بن حنبل رضي الله عنه كان إمام أهل الحديث، وأتقى

(128)

الأمة في عصره، وقد أفاض المؤرخون في وصف جنازته، إذ وصفوها وصفاً دقيقاً، ولم يقل أحد منهم أنه فعل مثل ذلك من أفعال اخترعها أناس مبتدعة.

فالمؤمن التقي العابد لم يفعل مثل تلك الحركات- المصطنعة التي يزعمها أتباع الشيطان- ولكنه- المؤمن- يكون مقبلا ً على ربه فرحاً بما بشر به من النزل في دار المقام، ومن الزلفى عند الملك العلام. كما ورد في الأحاديث الصحيحة أن ملائكة الرحمة تحف المؤمن وهو في سياق الموت، مبشرات بما أعد له في الدار الآخرة من النعيم المقيم.

ومن كان هذا شأنه يود لو يسرع به الناس إلى القبر ليخلص من دار الشقاء وينعم بدار الكرامة والنعيم، والقبر للمؤمن روضة من رياض الجنة، ولو استطاع هذا المتوفى من المؤمنين أن يطير بنفسه إلى قبره- لم يلوِ إلى جهة ذات الشمال وذات اليمين- مؤثراً له على الدنيا وما فيها من متاع ومال

---

[345] - ومما يجدر ذكره ان كثيرا من العادات الذميمة قد انتشرت بين بعض المسلمين الذين يرتادون المساجد حيث يعمد بعضهم الى تقليم أظفاره وازالة بعض أدرانه والقائها في المسجد كما أن بعضهم لا يحلو له النوم والجلوس الا في المسجد وخاصة في شهر رمرضان شهر العبادة والعمل والتفقه في الدين وطلب العلم فيا ليت أبناء أمتي يفيقون من كبوتهم ويعودون إلى رشدهم فيتخذوا المسجد مكانا للعبادة ومدرسة للتعليم ومجلسا للشورى والتباحث في امور المسلمين.

[346] - اصلاح المساجد: ص215.

وبنين وغيرها. أما دعوى المبتدعة والخرافين بأن الميت يستطيع التصرف بنعشه، ويحركه حيثما يشاء، فهذا مالا يسعفه دليل ولم يستند إلي برهان، أو يؤيده منطق سليم. بل هو وحي شيطاني وتدبير إبليسي ما أنزل به الله من سلطان.
إن الميت جثة هامدة، وروحه التي يترفرف عليها في شغل بأمرها عن هذه الحركات، والناس هم الذين يأتونها بتأثيرات نفسية وانفعالات عصبية، تدافع فيما بينهم وتزاحم، ويكفي أن يتجه واحد من حملة النعش إلى جهة، فيتجه إليها الباقون اضطرارا من غير شعور.
(129)
أرأيت لو وضع النعش فوق سيارة يقودها سائق غريب نازح من بلد آخر، أكان يفلت منه قيادها وتسلب منه إرادته ويتولى المسير بها ذلك الميت إلى غير طريقها المرسوم، إلى نهر أو ترعة أو بلد آخر أو إلى داره التي أخرج منها..)[347].
ما أحرانا نحن معشر المسلمين أن نتمسك بكتاب اللّه وسنة نبيه، فهما طريقا الصلاح والفلاح والسيادة وعزة الدارين. كما علينا أن نبثّ في نفوس الناشئة روح هذا الدين، وأن نبين لهم قيمه ومزاياه الفريدة التي ترفع من شأن الفرد والجماعة. كما علينا أن نترفع عن خرافات المبتدعة وترهاتهم التي لا تستند إلا على الباطل. لقد كان سلفنا الصالح حرباً على الشرك و الخرافة، ودعاة حق وخير وفضيلة، فهم أسوتنا وقدوتنا، وهم مشكاة النور، وعلمهم هو النبع الصافي الذي لم تكدره الدلاء، ونهجهم صراط الله المستقيم. أولئك هم خير البرية.
لذلك، فالخير كل الخير في الاتباع، والشر كل الشر في الابتداع.
فلنقتد بسلف هذه الأمة ولنطبق مناهجهم، ولنسر على دربهم، درب الخير وطريق النجاة. وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون.
(130)

(شبح القتيل، خرافة وخيال)

ومن المعتقدات الخرافية والأوهام الخيالية اعتقاد الناس أن من مات قتيلا ً يظهر له شبح في المكان الذي قتل فيه، يمثل حركاته وصوته كما كان أثناء حياته.. إن هذه الخرافة بدعة ضالة واعتقاد فاسد لا أصل له في الدين،، بل نهى الدين عن الاعتقاد بها. وقد شاعت هذه الخرافة في الجاهلية الأولى، حيث كان دعاتها يزعمون أن أرواح الموتى أو عظامهم- التي بليت- تصير طيراً يسمى الهامة، ويسمى الصدى قال لبيد:

فليس الناس بعدك في نفير		

[347] - فتاوى شرعية: ج-2- ص53 وما بعدها. للعلامة حسنين محمد مخلوف.

		ولا هم غير أصداء وهام

وأن روح القتيل- الذي لم يدرك ثأره- تصير هامة فتزقو عند قبره وتقول: اسقوني، اسقوني. وما تزال كذلك حتى يدرك ثأره فعند ذلك تطير ولا تعود.
وفي ذلك يقول ذو الأصبح:

يا عمرو إن تدع شتمي ومنقصتي		أضربك حتى تقول الهامة اسقوني

وقد زعموا ذلك لما جُبِلوا عليه من الحمية والأنفة، وما استقرت عليه عاداتهم من الحرص على الأخذ بالثأر، فتخيلوا أن روح القتيل لا تفتأ ترفرف على قبره تشكو الظمأ وتطلب السقيا، إلا أنها لا تبغي الري بالماء وإنما تبغيه بالدماء، فإذا ثأر أولياء الدم من القاتل تبدل ظمؤها رياً، وشفيت مما تجد، وطارت إلى غير رجعة هانئة هادئة[348].

(131)

وعندما بزع نور الإسلام بدد هذه العقيدة وغيرها من مزاعم الجاهلية وأوهامها، وبين رسول الإسلام عليه الصلاة والسلام أنه لا حقيقة لمزاعمهم وترهاتهم، فقال صلى الله عليه وسلم فيما رواه عنه أبو هريرة رضي الله عنه:
(لا عدْوَى ولا طيَرَة ولا هامةَ ولا صفر)[349] وزاد الإمام مسلم: ولا نوء ولا غُلول).
ومراده عليه الصلاة والسلام بالنفي النهي عن هذا الاعتقاد الباطل، ووجوب تطهير العقول من هذا الوهم الكاذب.
ومنه ما يزعمه جهلة العوام على غرار تلك الخرافة العتيدة والضلالة البغيضة، من ظهور روح القتيل في المكان الذي قتل فيه، وذهابها ومجيئها بحركات تماثل ما كان عليه في حياته. وكل هذا وأضرابه وهم وخيال واعتقاد أهل الضلال، نهى عن اعتقاده الإسلام بدلالة هذا الحديث الذي ذكرنا، وما بعد الحق إلا الضلال. وعلى المسلمين أن يتواصوا بالقضاء على هذه المزاعم الفاسدة والمعتقدات الباطلة، وينصح العامة حتى لا يقعوا في حبائل دعاة الضلال وأدعياء الخرافة.
والله ولي المصلحين.

(132)

(القرآن محفوظ من عند الله)

---

[348] - فتاوى شرعية وبحوث إسلامية: ج-1 - ص200 وما بعدها.
[349] - أخرجه الشيخان. قال الفراء: الهامة: طير من طير الليل. كأنه يعني البومة.
قال ابن الأعرابي: كانوا يتشاءمون بها إذا وقعت على بيت أحدهم. يقول: نعت إلي نفسي أو أحداً من أهل داري. فجاء الحديث الشريف بنفي ذلك وإبطاله.. وبذلك تخلص المجتمع من الشركية ومزاعم الجاهلية ولوثاتها المدمرة. يستحسن مراجعة فتح المجيد: ص316 وما بعدها.

الحمد لله على نعمة الإسلام، تلك النعمة العظمى التي امتن بها الله على أمة القرآن، تلك الأمة العظيمة التي حملت أمانة السماء وتعهدتها، فكانت بحق خير أمة أخرجت للناس.
لقد تعهد سبحانه وتعالى بحفظ دينه، ولم يترك أمر حفظه لأحد، فكان الذي أنزله عز وجل محفوظاً إلى أن يرفع القرآن المجيد من الصدور والسطور، فقد حفظ سبحانه الدين من أن يزاد فيه أن ينقص منه، وقد ورد ذلك في القرآن فقال تعالى: (إنّا نحنُ نزّلنا الذّكرَ وإنّا لهُ لحافظون)[350].
لقد حاول أعداء الإسلام والمسلمين- قديماً وحديثاً- الانتقاص من هذا الدين ومحوه عن الوجود[351]، فما استطاعوا لذلك سبيلا، مع أنهم استعملوا كل الوسائل للدس والتشويه والتزوير، وحاولوا بطرق شيطانية مختلفة صرف الناس عن الدين الحق، ولكنهم لم يوفقوا بل ردت حرابهم إلى صدورهم، وباؤوا بالفشل والخسران.
(133)
هذا ما دلنا عليه التاريخ الصادق، عن ابتلاء الدين الحنيف- في كل عصر- بنفوس نزاعة إلى الغواية، تتنكب عن الحقائق وتمشي في تحريف كلمة مكبّةً على وجهها.. وهذا ما يتاجر به أصحاب الضلال والنزعات والأهواء، ك كثير من زعماء الفرق الضالة الزائغة عن الحق المنحرفة عن الرشد، وكذلك ما يزعمه دعاة الباطل من المتنبئة الكفرة والمبتدعة الفجرة، والتاريخ يطفح بمثل هذه الضلالات واللوثات التي لا يسمح المجال ههنا لاستعراضها.
وعلى الرغم مما سدده أعداؤنا لهذا الدين من مطاعن، مما امتلأت به جعبهم من سهام مسمومة، على الرغم من الموضوعات الكثيرة التي وضعها الكذابون في بعض الأحاديث، وعلى الرغم من الإسرائيليات العديدة التي بثها المرجفون والمغفلون والزنادقة في كتب التفسير وكتب الدين.
وعلى الرغم من التأويلات الباطلة التي قالها المتأولون من الباطنية وغيرهم، من أهل التناسخ والحلول والتصوف والفلاسفة الذين زاغوا عن السبيل، وعلى الرغم من كل ذلك، فقد بقيت الشريعة الإسلامية محفوظة في أصولها وفي فروعها، واضحة المعالم بينة المقاصد متينة القواعد باسقة المشاهد، وما ذلك إلا لأن مصدرها الأساسي هو كتاب الله عز وجل، قد التزم سبحانه وتعالى بحفظه حين قال: (إنّا نَحْنُ نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون)[352].
(134)

---

350 - سورة الحجر: 9.
351 - ففي العصور السابقة قام أعداء الإسلام- وعلى رأسهم بعض أتباع اليهودية والنصرانية والفلا سفة والزنادقة ودعاة الباطنية وأشباههم- بالتشكيك بالإسلام وحضارته. وحديثاً قام المستشرقون و المنصرون وتلاميذهم من المستغربين والدساسين، هؤلاء بمجموعهم حاولوا الدس والتشويه و التحريف والتشكيك في القرآن والسنة المطهرة، وقد باءت جميع حملاتهم المسعورة بالخذلان والفشل الذريع.
352 - سورة الحجر: 9.

وعلى الرغم من محاولات الأعداء، والمجهودات التي بذلت لهدم الإسلام و التآمر عليه، إذ غير خفي ما قامت به الجمعيات الباطنية السرية من وسائل ومؤامرات لتفكيك عرا المسلمين، وإفساد العقيدة الإسلامية وتحطيم دولة ا لإسلام، وغرس الخرافات والأوهام في المجتمع الإسلامي.

ومع ذلك فقد بقي الإسلام غضاً طرياً كما هو، رغم وقوع الإضلال لبعض أتباعه، وهذا لا يمس المتدين قليلا ً ولا كثيراً. ومن لطف الله بدينه وشريعته أن قيص لهما في كل عصر من يقومون بحمايتهما والذب عن حماهما، وحفظ مراسمهما، وقد ضمن النبي صلى الله عليه وسلم ذلك حين بشر به، وهو الصادق المصدوق فقال: (يَحْمِلُ هذا الدّين منْ كلّ خَلَفٍ عُدُوله يَنْفُونَ عنْهُ تحْيف الغالينَ وانْتحالَ المُبطلين وتأويل الجاهلين).

وبشرنا عليه السلام حين قال: (إنّ الله يبْعَثُ لهذهِ الأمة على رأس كلّ مائة سنةٍ منْ يجدّد لها دينها)[353]. إذن فالانحراف عن الدين، وقيام الطوائف المختلفة وغيرها من النحل والأحزاب المنحرفة لا يضر الإسلام نفسه في شيءٍ، وإنما يضر المنحرفين والمخالفين. فالذكر محفوظ، وأهله لابد أن يوجدوا، ولابد أن يقوموا بمهمة التجديد ونفي الانحراف والانتحال واستبعاد التأويلات الجاهلة.

وقد وقع فعلا ً هذا كله في العصور السابقة، فقيّض الله للأمة من يصلح أمرها ويوقظ وعيها، ويهديها إلى البعث الصحيح والإحياء

(135)

النافع، ناهيك بأحمد بن حنبل وما لاقاه في سبيل الدفاع عن العقيدة و الشريعة، وناهيك أيضاً بالأشعري وابن تيمية وابن القيم والشاطبي وابن عبدالوهاب من رجالات الإسلام الذين قامت على أكتافهم العصور المسلمة السابقة.

لذا فليطمئن المؤمنون بنصر الله وتأييده، فقد تكفل بذلك ووعده الحق. و الله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

(فتنة خلق القرآن)

كانت فتنة خلق القرآن السبب المباشر لاندلاع الحرب بين فئتين، بعدت بينهما الشقة وكمنت البغضاء.

الأولى: تمثل جمهور العلماء ومعهم الأمة، وهم يرغبون في المحافظة على الثقافة التقليدية للمسلمين، وما كان عليه الصحابة والسلف الصالح، ويرفضون المشي مع الخيالات المستوردة والمجادلات النظرية التي لا قيمة لها ولا جدوى منها.

والأخرى: المعتزلة ومعهم السلطة الحاكمة، وهم يرغبون في شغل الأذهان

---

353 - رواه أبو داود وغيره. راجع السلسلة الصحيحة للألباني.

بمسائل الفلسفة اليونانية بعد خلطها بتعاليم الدين، وخلق مزيج غريب منها، ترى فيه النقل مشوهاً والعقل جانحاً إلى أوهام باطلة.
ونحن على انقضاء ألف عام على هذه المحنة نسأل: أكان المعتزلة

(136)

مخلصين للعقل ومنطقه يوم استعانوا بسيف الحكومة على إيذاء خصومهم في الرأي؟!
إن مجادلات بيزنطة انتقلت للأسف إلى محافل هذه الحضارة الطريفة النظيفة، فلوت عنانها وهددت كيانها، لكن الترف العقلي الآثم أتاح لذوي السلطة ومن مألاهم من المعتزلة أن يحدثوا هذا التيار الدخيل، وأن يحاولوا سوق الأمة جمعاء معه.
بيد أن العلماء القادة قاوموا بعنف وجدٍ هذا الابتداع، وقرروا أن يحيوا التراث الإسلامي ويصونوه، وتولى إمامة الناس إلى هذا الهدف الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى[354].
ومن الخطأ الظن بأن النزاع الذي احتدم كان من أجل أن يقول الإمام أحمد: إن القرآن مخلوق... ألخ.
1- إن النزاع دار حول التزام خطة السلف أو المروق منها.
2- وحول شغل الناس ببدع علم الكلام، أو شغلهم بالجهاد والإنتاج، كما كانوا مع رسول مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفائه رضي الله عنهم.
3- وحول وظيفة الحاكم، أهي تيسير اللغو للناس وسوقهم إليه؟. أم فقه الإ سلام وحمل لوائه؟.
هذه حقيقة المعركة التي التف فيها جموع المسلمين حول ابن حنبل

(137)

ضد الحاكم الشارد وحواشيه من العلماء المرتزقة. والذين تتبعوا الجدل الذي دار يعرفون هذه الحقيقة.
فإن ابن حنبل كان بادي الحرص على تجنب لسانه النطق بكلمة تنبىء بأي إقرار لموضوع البحث، إنه لم يقل بقدم القرآن، ولم يوافق على القول بحدوثه، لأنه يريد أن يقول: هذا مشروع لا أعترف بمشرُوعيّة الكلام فيه سلباً أو إيجاباً.
الرجل يريد التزام المنطق الإسلامي، الذي ألفه السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار، ويكره- تحت آلات التعذيب وكي السياط- أن يحيد عن هذا الصراط قيد أنملة.
ولكي نعرف الأثر العلمي والاجتماعي لوقفه ابن حنبل هذه، نذكر كلمة لإمام السنة- وهو علي بن المديني الذي يقول: إن الله عز وجل أيد هذا الدين بأبي بكر الصديق يوم الردة، وبعمر بن عبدالعزيز حين رد المظالم إلى أهلها- لما استبد ملوك بني أمية بالأمة- وبأحمد بن حنبل محنته.

[354] - دفاع عن العقيدة والشريعة. محمد الغزالي.

لقد خرج ابن حنبل من السجن بعد سنتين، ولكن جلادته واستماتته قتلتا المعتزلة، وأبقيت كتلة الأمة بمنجاة عن اعتناق قضايا كهنوتية متطفلة على العقل الإسلامي وفقهه[355].

(138)

(صوة كتاب ابن حنبل لمسدد بن مسرهد)

ولزيادة الفائدة فقد رأيت أن أضع بين يدي القارىء الكريم، صورة الكتاب الذي كتبه الإمام أحمد بن حنبل إلى مسدد بن مسرهد، في القول بخلق القرآن والقدر والرفض والاعتزال، إلى غير ذلك من الأشياء التي حصلت بسببها الفتن:

(بسم الله الرحمن الرحيم)

الحمد لله الذي جعل في كل زمان بقايا من أهل العلم، يدعون من ضل إلى الهدى، وينهون عن الردى، ويحيون بكتاب الله الموتي، وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم أهل الجهالة والردي، فكم من قتيل لإبليس قد أحيوه، وكم من ضال تائه قد هدوه، فما أحسن آثارهم على الناس، ينفون عن دين الله تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الضالين، الذين عقدوا ألوية البدع وأطلقوا عنان الفتنة، مخالفين في الكتاب، يقولون على الله وفي الله- تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً- وفي كتابه بغير علم، فنعوذ بـالله من كل فتنة مضلة، وصلي الله على محمد النبي وآله وسلم تسليماً.

أما بعد: وفقنا الله وإياكم لكل ما فيه رضاه وطاعته، وجنبنا وإياكم ما فيه سخطه، واستعملنا وإياكم عمل الخاشعين له العارفين به

(139)

الخائفين منه، فإنه المسؤول ذلك. وأوصيكم ونفسي بتقوى الله العظيم ولزوم السنة والجماعة، فقد علمتم ما حل بمن خالفها وما جاء فيمن اتبعها، فانه بلغنا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنّ الله ليُدْخلُ العَبْدَ الجنّة بالسُنّة يتمسّكُ بها). وأمركم أن لا تؤثروا على القرآن شيئاً فإنه كلام الله، وما تكلم الله به فليس بمخلوق، وما أخبر به عن القرون الماضية فليس بمخلوق، وما في اللوح المحفوظ وما في المصحف، وتلاوة الناس، وكيفما قرىء وكيفما وصف فهو كلام الله غير مخلوق، فمن قال: مخلوق، فهو كافر بـالله العظيم، ومن لم يكره فهو كافر.

ثم من بعد كتاب الله سنة نبيه صلى الله عليه وسلم والحديث عنه وعن المهديين من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين من بعدهم، و التصديق بما جاءت به الرسل، واتباع السنة نجاة، وهي التي نقلها أهل العلم كابراً عن كابر.

---

355 - نفس المصدر السابق.

واحذروا رأي جهم، فإنه صاحب رأي وكلام وخصومات، وأما الجهمية، فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: إن الجهمية افترقت ثلاث فرق، فقالت طائفة منهم: القرآن كلام الله وهو مخلوق وقالت طائفة: القرآن كلام الله. وسكتت، هي الواقفة الملعونة.
وقالت طائفة منهم: ألفاظنا بالقرآن مخلوقة. فهؤلاء كلهم جهمية كفار يستتابون، فإن تابوا وإلا قتلوا. وأجمع من أدركنا من أهل العلم على أن من هذه مقالته- إن لم يتب- لم يناكح، ولا يجوز قضاؤه، ولا تؤكل ذبيحته.
والإيمان قول وعمل يزيد وينقص، زيادته إذا أحسنت، ونقصانه
(140)
إذا أسأت. ويخرج الرجل من الإيمان إلى الإسلام، فإن تاب رجع إلى الإيمان، ولا يخرجه من الإسلام إلا الشرك بالله العظيم، أو يرد فريضة من فرائض الله جاحداً لها، فإن تركها كسلاً أو تهاوناً بها كان في مشيئة الله، إن شاء عذبه، وإن شاء عفا عنه.
وأما المعتزلة: فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم، أنهم يكفرون بالذنب ومن كان منهم كذلك، فقد زعم أن آدم كان كافراً، وأن إخوة يوسف- حين كذبوا أباهم يعقوب عليه السلام- كانوا كفاراً، وأجمعت المعتزلة على أن من سرق حبة فهو كافر. وفي لفظ: في النار، تبين منه امرأته، ويستأنف الحج إن كان حج، فهؤلاء الذين يقولون بهذه المقالة كفار، وحكمهم ألا يكلموا، ولا يناكحوا ، ولا تؤكل ذبائحهم ولا تقبل شهادتهم حتى يتوبوا.
وأما الرافضة، فقد أجمع من أدركنا من أهل العلم أنهم قالوا: إن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر. فمن زعم أن علي بن أبي طالب أفضل من أبي بكر فقد رد الكتاب والسنة. يقول الله تعالى:
(مُحمّدٌ رسول الله والذين معه)، فقدم الله أبا بكر بعد النبي، ولم يقدم علياً، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: (لوْ كُنْتُ مُتّخذاً خليلاً لاتخذت أبا بكرٍ خليلاً، ولكنّ الله قد اتّخذ صاحبكم خليلاً- يعني نفسه- ولا نبيّ بعدي).
ومن زعم أن إسلام علي كان أقدم من إسلام أبي بكر فقد أخطأ، لأن أبا بكر أسلم وهو يومئذ ابن خمس وثلاثين سنة، وعلى يومئذ
(141)
ابن سبع سنين، لم تجر عليه الأحكام ولا الحدود ولا الفرائض.
ونؤمن بالقضاء والقدر، خيره وشره وحلوه ومره من الله، وأن الله خلق الجنة قبل خلق الخلق وخلق لها أهلاً، ونعيمها دائم، فمن زعم أنه يبيد من الجنة شيءٌ فهو كافر. وخلق النار قبل خلق الخلق وخلق لها أهلا، وعذابها دائم، وأن الله يخرج أقواماً من النار بشفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم وأن أهل الجنة يرون ربهم بأبصارهم لا محالة. وأن الله كلم موسى تكليماً.
واتخذ إبراهيم خليلاً. والميزان حق والصراط حق، والأنبياء حق، وعيسى بن مريم عبدالله ورسوله وكلمته، والإيمان بالحوض والشفاعة، والإيمان بـ العرش والكرسي، والإيمان بملك الموت، وأنه يقبض الأرواح، ثم ترد إلى الأ

أجساد في القبور ويسألون عن الإيمان والتوحيد والرسل، والايمان بمنكر ونكير وعذاب القبر، والإيمان بالنفخ في الصور. والصور قرن ينفخ فيه إسرافيل.
وأن القبر الذي هو بالمدينة قبر النبي صلى الله عليه وسلم معه أبو بكر وعمر. وقلوب العباد بين إصبعين من أصابع الرحمن عز وجل، والدجـ ـال خارج في هذه الأمة لا محالة، وينزل عيسى بن مريم إلى الأرض فيقتله بباب لد، وما أنكرته العلماء من أهل السنة من الشبهة فهو منكر.
واحذروا البدع كلها، ولا عين تطرف بعد النبي صلى الله عليه وسلم أفضل من أبي بكر، ولا عين تطرف بعد أبي بكر أفضل من عمر، ولا بعد عمر عين تطرف أفضل من عثمان، ولا بعد عثمان بن عفان عين تطرف أفضل من علي بن أبي طالب. قال أحمد كنا نقول: أبو بكر وعمر
(142)
وعثمان ونسكت عن علي، حتى صح لنا حديث عمر بالتفضيل.
قال أحمد: هم والله الخلفاء الراشدون المهديون. وأن نشهد للعشرة أنهم في الجنة، أبو بكر وعمر وعثمان وعلي وطلحة والزبير وسعد وسعيد
وعبدالرحمن بن عوف وأبو عبيدة بن الجراح، فمن شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها.
ورفع اليدين في الصلاة زيادة في الحسنات، والجهر بآمين عند قول الإمام: (ولا الضالين)، والصلاة على من مات من أهل هذه القبلة، وحسابهم على الله عز وجل، والخروج مع كل إمام خرج في غزوة وحجة. والصلاة خلف كل بر وفاجر، صلاة الجمعة والعيدين، والدعاء لأئمة المسلمين بالصلاح، ولا نخرج عليهم بالسيف، ولا نقاتل في الفتنة، ولا نتألى على أحد من المسلمين أن يقول: فلان في الجنة فلان في النار.
إلا العشرة الذين شهد لهم النبي صلـى الله عليه وسلم، والكف عن مساوىء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم.
تحدثوا بفضائلهم وأمسكوا عما شجر بينهم. ولا تشاور أهل البدع في دينك، ولا ترافق أحداً منهم في سفرك، وصفوا الله بما وصف به نفسه، وانفوا عن الله ما نفاه عن نفسه، واحذروا الجدال مع أصحاب الأهواء، ولا نكاح إلى بولي وخاطب وشاهدي عدل، والمتعة حرام إلى يوم القيام، والتكبير على الجنائز أربع، فإن كبر الإمام خمساً فكبر معه، كفعل علي بن أبي طالب. قال عبدالله بن مسعود: كبر ما كبر إمامك. قال أحمد: خالفني الشافعي، فقال: إن زاد
(143)
على أربع تكبيرات تعاد الصلاة، واحتج بحديث النبي صلى الله عليه وسلم على جنازة فكبر أربعاً. وفي رواية صلى على النجاشي فكبر أربعاً.
وزاد ابن مفلح في المقصد الأرشد: من طلق ثلاثاً في لفظ واحد فقد جهل وحرمت عليه زوجته. ولم أجد هذه الزيادة في رواية الحافظ ابن الجوزي.

والمسح على الخفين للمسافر ثلاثة أيام ولياليهن، وللمقيم يوم وليلة.
وصلاة الليل والنهار مثنى مثنى، ولا صلاة قبل العيد، وإذا دخلت المسجد فلا تجلس حتى تصلي ركعتين تحية المسجد، والوتر ركعة والإقامة فرادى.
أحيوا عمل أهل السنة، على ما كان منهم. أماتنا اللّه وإياكم على الإسلام و السنة، ورزقنا وإياكم العلم، ووفقنا وإياكم لما يحب ويرضى[356]. أ.ه.

(التكسب بالقرآن)

منّ اللّه على أمة الإسلام بكتابه السماوي المقدس، وبخاتم رسله محمد صلى اللّه عليه وسلم الذي أنقذ البشرية من جهالة الجاهلية ومن الظلمات إلى النور، كما دعا القرآن الكريم إلى محاربة وترك ما درج عليه الآباء وتعبدوه، حيث أعلن الحرب على الوثنية ودعاتها، ودعا إلى توحيد اللّه سبحانه وتعالى، وتخليص الإنسانية من التردي والضياع.

(144)

كما أبان لأهل العقيدة والتوحيد أهدافه السامية التي يجب التزامها، وأن يعضوا عليها بالنواجذ، والتي تكاد تلتقي عند هدف واحد، هو هداية الناس، والدعوة إلي عبادة رب الناس عن علم ومعرفة وتبصر، للوصول إلى سعادتي الدنيا والآخرة، والفوز في الدارين.
ومن الآيات الدالة على ذلك قوله تعالى: (كِتَابٌ أنْزَلْناهُ إليْكَ لتُخْرجَ النّاس من الظّلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد)[357] وقوله: (هذا بصائر للنّاس وهُديً ورحْمَةٌ لقومٍ يُوقِنونَ)[358] وقوله: (إنّ هذا القرآن يهْدي للّتي هي أقوم)[359].
لأجل هذا أنزل القرآن على رسول الإسلام صلى اللّه عليه وسلم لخير البشرية وسعادتها في الدنيا والآخرة.
وفي أيامنا هذه- وأمام المساجد الكبرى- يتكدس حفظة القرآن على الأبواب، يتكسبون ببعض آيات كتاب اللّه، ويعرضون على زوار الأضرحة بعض سور القرآن وبأبخس الأثمان، وأيام الجمع والمواسم والأعياد تزدحم المقابر بهؤلاء القراء ليستجيبوا- في نظير قروش- لرغبات المترحمين على موتاهم بتلاوة بعض السور، هذه سلعتهم التي ينفقونها بأرخص الأثمان!![360].

---

[356] - انظر المدخل إلي مذهب الإمام أحمد بن حنبل: ص9- 12 لابن بدران.
[357] - سورة ابراهيم: 1.
[358] - سورة الجاثية: 20.
[359] - سورة الاسراء: 9.

[360] - أما مدارس الشعوذة والحجابة والدجل، الذين يتخذون القرآن مهنة للتكسب والارتزاق، فقد راج سوقهم وعم بلاؤهم، فهم يستخدمون بعض السور والآيات في أعمالم الشركية وشعوذاتهم الشيطانية، وعندما يخاطب الدجال أحد المخدوعين بقوله: إذا أردت أن تربح القضية الفلانية فأقرأ سورة الإخلاص ألف مرة، وسورة الحاقة 12 مرة.. .وإذا كان الأمر يتعلق بأعداء لهذا المخدوع يقول له الدجال: إذا أردت أن تخرب بيت فلان، فعليك بقراءة سورة يس مائة مرة فسوف تبور تجارته، أو يلحق به الأذى والهلاك. وعلى المسلمين الحذر واليقظة من هؤلاء.

(145)
أما ما لا يجوز إغفاله والتهاون فيه، فهو تلاوة آي الذكر الحكيم وترتيله، حيث أصبح مهجوراً، بل نسيا منسياً. ذلك أن تلاوة القرآن تحتاج إلى نظرة تصحيح. قال السيوطي: يكره اتخاذ القرآن معيشة يتكسب به[361].
وحول استئجار بعض المقرئين لتلاوة القرآن وإهدائه للميت، فهذا لم يفعله أحد من السلف، ولا أمر به أحد من أئمة الدين ولا رخص فيه، والاستئجار على التلاوة نفسها غير جائز بلا خلاف، وإنما اختلفوا في جواز الاستئجار على التعلم ونحوه، مما فيه منفعة تصل إلى الغير.
والثواب لا يصل إلى الميت إلا إذا كان العمل لله[362].
إننا لا نريد أن يكون هذا الكتاب العزيز شارة للمتعطلين وذوي العاهات، وموردا للمرتزقة يقرؤونه على أبواب المساجد وقارعة الطريق، وعلى الموتى في قبورهم، يشترون به ثمنا قليلا. فقراءة القرآن وسؤاله الناس بعدها أمر مذموم، فإن القرآن أمانة لله لدينا، وأعظم شيء بيننا، لأنه كلام الله فلا يكون عرضة لحطام الدنيا الفاني، فقد ورد في حديث رواه الترمذي وحسنه ، أن عمران بن حصين رضي الله عنه
(146)
مر على قارىء يقرأ، ثم سأله فاسترجع[363] ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (منْ قرأ القرآن فليسْأل الله به فإنه سيجيء أقْوامٌ يقرؤونَ القرْآن يسألون به الناس).
إن من بطر الحق وغمط النعمة أن يتحول القرآن من دنيا المسلمين إلى صحيفة طويلة تحوي القرآن كله بخط دقيق، توضع داخل إطار يزينون به غرفهم، أو إلي مصاحف ثمينة تستقر داخل علب مغلفة بالحرير، يتبادلها الناس هدايا في مناسباتهم، ويضعونها في واجهات المتاجر أو السيارات لتجلب البركة وتدفع السوء كحرز وغيره، كما يفعل ذلك بعض البلهاء وغيرهم من أصحاب الطرق الصوفية.
أقول: إن بركة القرآن في العمل به وإفساح المجال أمامه ليؤدي رسالته في الحياة: (وهذا كِتابٌ أنْزلْناهُ مُباركٌ فاتبعوهُ واتقوا لعلكُمْ تُرْحَمُون)[364].
إن القرآن أصبح تراثاً سماوياً يملكه المسلمون، وهو للإنسانية مصدر غنى واسع ينفحها بكل خير وبر، فلا تذكر فضيلة إلا ويذكر معها القرآن، فهو أبوها وباعثها، وما تواصى الناس بمعدل أو مرحمة إلا وجدوا أن ذلك منبعه القرآن.
فمتى يدرك الناس ذلك يا ترى؟! لا نريد من المسلمين أن يستوعبوا

---

[361] - انظر الاتقان للإمام السيوطي.
[362] - انظر شرح الطحاوية: 517.
[363] - معنى ذلك قال: إنا لله وإنا إليه راجعون. أي كأنه رأى السؤال بالقرآن مصيبة فاسترجع لها. فأين نحن وما كان عليه السلف.
[364] - سورة الأنعام: 155.

(147)
آيات قرآنهم اتقاناً وتجويداً ثم يعزلوه عن حياتهم، فلا يزكي لهم نفساً ولا يرفع لهم رأساً. نريد أن يتحول القرآن في صدور القراء إلى علم نافع وثقافة رشيدة، وبهذا يترجمون ما فهموه إلى عمل نافع، حيث تأخذ الحياة في سيرها الآمن، ومنطلقها الرشيد، وقرارها المطمئن[365]. فما أنزل القرآن إلا ليفهم الناس روحه، ويفقهوا شرائعه ومقاصده، ويلتزموا حدوده وآدابه، وبهذا تتحقق الغايات، فهو لهذه الحياة فرقانها وروحها ونورها حيث تعم السعادة وتهنأ النفوس.

والله تعالى يقول:

(أفلا يتَدبّرون القُرْآن أمْ على قلوبٍ أقفالها)[366]. وكذلك قوله تعالى: (كتابٌ أنْزَلناه إليك مُباكٌ ليدّبّروا آياتهِ وليتَذَكّر أولو الألبابِ)[367].

وفي القرى والمدن يستغل كتاب الله أسوأ استغلال، في كتابة التعاويذ والأ حجبة، كما يعلق على الصدو قصد التبريك، ولكتّاب الأحجبة فلسفة خاصة في تسخير القرآن، يعجز عن إدراكها فلاسفة اليونان الأقدمون!!

إن الدجالين المشعوذين والتاجرين بالقرآن لازالوا يدلسون على المسلمين، يعالجون بآيات الله شتى الأمراض، والجهلة من المسلمين

(148)
مضطرون إلى الانسياق وراء عاطفتهم تاركين سنة الله في الطب. ولو حاولت مناقشة هؤلاء المعوقين لسنة الله والواضعين كتاب الله موضع الحرج، أجابوك بقول الله تعالى (وتُنَزّلُ من القرآن ما هُو شفاء ورحْمَةٌ للمؤمنين)[368]. ولهم عذرهم فإن غباوتهم قد حالت بينهم وبين أن يفقهوا أن الشفاء المشار إليه هو الشفاء من الجهل والمروق والعناد، وما إلى ذلك من ا لأمراض المرتكزة في الصدور، كما وضحته الآية الكريمة الأخرى: (يا أيّها الناس قدْ جاءتكمْ موعظةٌ منْ ربّكمْ وشفاءٌ لما في الصدورِ وهدى ورحْمةٌ للمؤمنين)[369].

إن العشاق والوالهين في الحب، والراغبين في التفرقة- حتي بين الزوجين - والساعين في كل أنواع الشر، ليجدون عند كتاب الأحجبة ما يحقق رغباتهم، بل إن طلاب الشفاء من الأمراض المستعصية- وهم في الغالب من السذج الجهلة- ليس لهم ملجأ ٌ في الريف أو البادية أو المدن إلا كتاب الأحجبة، الذين يأخذون من القرآن ما شاؤوا لمن شاؤوا.

إن القرآن الكريم أنزله الله تعالى على نبيه صلى الله عليه وسلم ليتلوه

---

365 - راجع كتاب الإسلام المصفى.
366 - سورة محمد: 24.
367 - سورة ص: 29.

368 - سورة الإسراء: 82.
369 - سورة يونس: 57.

المؤمنون، فتنشرح بهذه التلاوة صدورهم وتستنير أفئدتهم وقلوبهم، وينالوا به مثوبة الله يوم القيامة- وما تقرب أحد إلى الله تعالى بمثل كلامه- ثم ليكون بعد ذلك دستور حياتهم، ونظام مجتمعهم، ليرسم لهم طرائق الحياة السعيدة في الحياة الدنيا، وطرائق الفوز والنجاح في العقبى.

(149)

لا أن يهجر ويترك للتسول والحجب والشعوذة[370]. والله تعالى يقول:

(ومنْ أعْرضَ عنْ ذكري فإنّ له معيشةً ضنْكاً)[371].

فليس المقصود من القرآن مجرد التلاوة، أو التماس البركة للتعويذات، و القراءة على الأموات والتسول في الطرقات، وفي الطرب والتغني، كما يفعل بعض المشعوذين والدجالين[372].

إن القرآن مبارك حقاً، ولكن بركته الكبرى في تدبره وتفهم معانيه ومقاصده، ثم تحقيقها في الأعمال الدنيوية والدينية على السواء، ومن لم يفعل ذلك أو اكتفى بمجرد التلاوة بغير تدبر ولا عمل، فإنه يخشى أن يحق عليه الوعيد الذي يرويه البخاري عن حذيفة رضي الله عنه:

(يا معْشر القرّاء استْقيموا فقد سبَقتْمْ سبْقاً بعيداً فإنْ أخَذتْمْ يميناً وشمالاً فقد ضللتْمْ ضلالاً بعيداً)[373].

نسأل الله تعالى أن يجعل القرآن ربيع قلوبنا، وأن يجعلنا من

(150)

العاملين بأحكامه والمهتدين بهديه. (ربّنا لا تزغْ قلوبنا بعْد إذْ هديْتنا وهبْ لنا منْ لدُنْكَ رحْمةً إنك أنت الوهّاب)[374].

(هجر القرآن والإعراض عنه)

إن القرآن الكريم هو كلام الله سبحانه، وهو الحبل المتين، وسبيل المسلمين إلي مرضاة الله رب العالمين، تلقاه المسلمون الأولون من نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم بحب وشغف، كما يتلقى الظمآن الماء العذب الفرات، فأولوه عنايتهم البالغة حتى أصبح شغلهم ومحط عنايتهم ورعايتهم.

لقد كان القرآن الكريم الرسالة السماوية الخاتمة، الناسخة لما سبقها من كتب

---

370 - راجع كتاب الإسلام المصفى.

371 - سورة طه: 124.

372 - ومما يؤسف له أن القرآن أصبح مهجوراً عند جمهرة كبيرة من أبناء الإسلام، ولم يعد له قيمة عندهم، سوى أنه يتلى في المناسبات، وعلى قبور الأموات والمآتم والأربعينيات، كما يستجدي به الملحنون والعجزة على قارعة الطريق، وله قيمة كبيرة عند المبتدعة والحجابين للتدليس على أبناء المسلمين، بكتابة التمائم والحجب الشركية الممزوجة ببعض الآيات، مع حروف مقطعة كالطلاسم لا تعرف، بدعوى أنه يزيل المرض ويحقق الغرض، وهو في الحقيقة ضلال في ضلال، ما أنزل الله به من سلطان. فعلى المسلمين محاربة هؤلاء ومطاردتهم، وتطهير المجتمع من فسادهم. فما أقل حياء من يشترن بآيات الله ثمناً قليلاً، وما أكثر استهتارهم بكتابة؟.. «أولئك هُمْ شرُ البريّة».

373 - رواه البخاري.

374 - سورة آل عمران: 8.

سماوية أنزلت على أنبياء الله ورسله الكرام لفترات محدودة استنفدت أغراضها بتقدير العليم الحكيم. وبمشيئة الله وبالغ حكمته الربانية اختار للبشرية القرآن المجيد، الدستور الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.
لقد عانت الإنسانية من الظلم والخسف والهوان، وتجرعت كؤوس المنون على أيدي الطغاة والكفرة المستبدين، الذين أعرضوا عن سبيل الله وابتغوا سبيل الطاغوت، ودام ذلك سنين طويلة، ولما شاء للحق أن يظهر وللباطل أن يدحر، أنزل القرآن على رسوله محمد صلى الله عليه سلم وأمره أن يبلغه لعباده فقال: (يا أيُها الرّسول بلِغْ ما أنزل إليك منْ ربّك

وإنْ لم تفْعلْ فما بلّغْتَ رسالتهُ)[375]. وقال تعالى أيضاً: (ما على الرّسول إلا البلاغ)[376]. فبلغ صلى الله عليه وسلم رسالة ربه، فبشر وأنذر وحث وحذر، و بين وأوضح وعلّم وبّي أمة على نهج كتاب ربه أة مؤمنة قوية عادلة، لم تطلع الشمس على مثلها في العالم، إيماناً وطاعة وهدى وفضلا ً وقوة في الدين وعدلا ً، استظلت باقرآن واعتصمت به في كل سبيل، وعاش في كنفه منها كل قبيل، وحرصت كل الحرص على استذكار آياته وتدبر معانيها، وتلاوتها مع فهم مقاصدها ومراميها، فكانت أعدل أمة بل أثمن درة في تاج تاريخ الأمم.
ذلك شأن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن تبعهم بإحسان من أمة القرآن، في عهد ازدهار الإسلام ونضارته وصولت وقوته، وانفعال النفوس به والحفاظ على جدته، ثم خلت قرون وتبدلت شؤون وتتابعت أحداث، وخلف من بعدهم خلف قد استهواهم الشيطان، فلم يسلكوا سبيل أسافهم في القيام بحق القرآن حفظاً وتلاوة وتدبراً وفهماً، فنالهم بشؤم ذلك كثير من الذل والهوان[377].
أهملوا حفظ القرآن في مكاتب تحفيظه، بل أهملوا بعد ذلك إنشاء هذه المكاتب نفسها، فحرم الأبناء من حفظ القرآن في حداثة السن وبداية التربية، ثم أهملوا حفظ القرآن وتدريسه في مراحل التعليم بعد ذلك في المدارس والمعاهد، فتخرج الأبناء منها أخلياء من القرآن حفظاً ودراسة

قال ابن القيم رحمه الله: هجر القرآن أنواع، أحدها هجر سماعه والإيمان به، والإصغاء إليه، والثاني هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به. والثالث هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه ، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية لا تحصل العلم.

---

[375] - سورة المائدة : 67.
[376] - سورة المائدة: 99.
[377] - الإسلام المصفى.

والرابع هجر تدبره وتفهمه، ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.
والخامس هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به.
وكل هذا داخل في قوله تعالى: (وقال الرّسول يا ربِّ إنّ قوْمي اتّخذوا هذا القرآن مهْجُوراً)[378]وإن كان بعض الهجر أهون من بعض[379]. أ.ه.
وحينما قررت بعض البلدان حفظ قليل من القران وتدريسه بمدارسها، جعلوه مادة إضافية بين مواد التعليم، لا يترتب على الرسوب فيها أثر، وكأن شيئاً لم يكن، وبذلك تلقص ظل القرآن في المدارس- في هذه الأزمنة الأخيرة- في معظم البلدان حفظاً وتعليماً. كل ذلك تنفيذاً لمخطط إجرامي أثيم اصطنعه وأحكم تدبيره أعداء القرآن والإسلام، من الأجانب والمستعمرين الذين بأيديهم مقاليد التعليم في البلاد التي منيت بهم، وتبعهم في ذلك بعض الضعفاء والإمّعات والمنافقين

(153)

والمأجورين من أبناء البلاد[380].
ويمكننا أن نقول- من غير مبالغة أو مغالاة: إن الشباب المسلم محروم الآن- في أكثر بلاد الإسلام- من حفظ القرآن ودراسته في المرحلة الثانوية- من مراحل التعليم- وفي الجامعات بأسرها، وهم في السن التي يحتاجون فيها أشد الاحتياج إلى ضبط النفوس وقمع الشهوات، والتربية الدينية والتهذيب والتوجيه إلى الخير والصلاح بوازع ديني محكم قويم، وذلك بحفظ كثير من آيات الذكر الحكيم، ودراسة تفسيرها وفهم معناها القويم[381].

(154)

وبالإضافة إلى هذا فقد ينتهي الطالب من دراسة المرحلة الثانوية، وليس لديه ما يقوله عن مصادر التشريع الإسلامي، ومنزلة السنة الشريفة- المصدر الثاني بعد القرآن الكريم- ولا شك أن في ذلك خطراً كبيراً على المجتمع الإسلامي، وسبباً قوياً لانحلاله وتمزقه، يحمل تبعاته الجسام من لم يحسن

---

[378] - سورة الفرقان: 30.

[379] - الفوائد: ص109- 110 لابن قيم الجوزية رحمة الله:

[380] - بعد إبعاد المسلمين عن دينهم وقرآنم، من قبل أعدائهم الذين استغلوا بعض المغفلين من أبناء المسلمين لتنفيذ مآربهم الشريرة، وذلك بقطع الصلات بين المسلم ودينه، وتعطل الشرع، حتى لم يبق للقرآن وجود في المحاكم أو الشؤون العامة للمسلمين، بل بقي تلحينه فنا من الفنون، يذاع ضمن الأغاني والموالد والحفلات، ويرتزق به الحجـ ّابون الدجاجلة والملحنون، وبعض الناس يتبرك به فيعلقه- المصحف- في صدره، أو يعلقه في مقدمة سيارته أو في ظهرها، أو يضعه كزينة في ركن من أركان البيت كحرز للتبرك والحفظ من الشيطان، ومع ذلك فقد يكون من الذين لا يصلون ولا يصومون ولا يفتحون المصحف - في الغالب- وهذا عمل ظاهره الطاعة وحقيقته تميمة وحرز، وتعليق التمائم الشركية محر ّم شرعاً.
وبعد أن اطمأن الكفار والمستعمرون إلى عدم تأثير القرآن في قلوب أتباعه، أصبح يذاع من محطات الكفر، كإذاعة بريطانيا- لندن- وأميركا وإسرائيل، لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

[381] - وقد ثبت عجز طلابنا وجهلهم بالقرآن أثناء المسابقات التليفزيونية، وفي برنامج، فكر واربح: وذلك بين طلاب الجامعة الأردنية، وقد عجز طلاب الفريقين المتسابقين عن تلاوة سورة الكوثر غيباً. وقد شاهد ذلك كل من يتابع بث التليفزيون الأردني- كما سمعت- فلا حول ولا قوة إلا بالله.

الرعاية من المسؤولين عن التعليم في البلاد، بل استهان بالأمر حتى استفحل الشر وساءت العقبى، وأصبح الإسلام غريباً كما بدأ.
روى ابن عبدالبر، عن الضحاك بن مزاحم: (يأتي على النّاس زمانٌ يُعْلق فيه المُصْحَفُ حتى يُشعَشِ عليه العنكبوت لا يُنْتَفَعُ بما فيهِ وتكون أعمال النّاس بالرّوايات والأحاديث)[382].
إن سبيل الرشد في هذه العماية أن نعود إلى القرآن، فنجعله دستورنا ونطبق أحكامه في دنيانا ونلتزم بها، فإذا وصلنا إلى درجة التشبع منه نظرنا في السنة المطهرة، فانتفعنا بحكمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرته العطرة وأخلاقه وعبادته. ولا يجوز أن يتكلم في السنة رجل قليل الخبرة بـ القرآن أو بالمرويات، أو ضعيف البصر والمعرفة بمناسباتها ومواقفها المختلفة.
إن طريق الخلاص من هذا الخطر الماحق والشر الداهم- الذي أصبح يحيط بنا في كل جانب- هو باتباع تعاليم الإسلام وتأمين تطبيقه
(155)
وتنفيذه، ولا يتأتى ذلك الا باتباع السبل التالية- التي نراها كعلاج شاف لهذا الحال، الذي نعيشه في غياب القرآن:
1- الإكثار: في البلاد الإسلامية- من إنشاء مكاتب التحفيظ للقرآن الكريم، يذهب إليها الأطفال في بدء نشأتهم ليحفظوا بعض أجزاءٍ من القرآن الكريم عن ظهر قلب، مع قليل من المعلومات الأولية. على أن يكون التعليم فيها إجبارياً.
2- وجوب حفظ أجزاء من القرآن، لا تقل عن ثلثه في المرحلة الابتدائية للتعليم، موزعاً في سنواتها العديدة، مع تفسير المحفوظ تفسيراً بسيطاً للمفردات والمقصود من الآيات[383].
3- متابعة ذلك في المرحلة الإعدادية والثانوية، مع قليل من التوسع في التفسير يناسب نمو المدارك في هذا السن.
4- تكميل هذه المراحل في التعليم الجامعي، حيث يكون الطالب قد كمل استعداده، فيتم له حفظ أغلب القرآن وفهم أكثر معانيه، وحسن التوجيه إلى أحكامه ومراميه.
(156)

---

[382] - انظر فقه السيرة: ص46 للاستاذ الشيخ محمد الغزالي.
[383] - ويجب التنبيه على صحة النطق أثناء قراءة القرآن، والتعود على النطق الصحيح. ولقد وصف الله هذا القرآن بقوله سبحانه: «لساناً عربياً غير ذي عوج». وتجد من القراء- أثناء الصلاة مثلا ً- من يبدل الجيم قافاً والقاف همزة أو غيناً ونحو ذلك- وهذا يكثر عند العوام وأشباههم- لذلك يجب الا حتراز من هذا الصنيع المذموم، خوفاً من تحريف كلمات القرآن عن مواضعها. فمثلا يختلف معنى الذين عن معنى الزين، ومعنى القادر عن معنى الآدر، ومعنى الرازق عن معنى الرازىء، والسوق عن السوء.. الخ.
لذا يجب على المسلم الحرص والعناية بكتاب الله وصيانته، وبيانه لمن يجهلونه ولا يعرفون آدابه وأحكامه.

5- وفي كل هذه المراحل، يكون هذا التعليم مادة إجبارية أساسية في التعليم، يترتب على الرسوب فيها عدم الانتقال إلى صف أعلى. وتوضع مناهج حفظ القرآن لكل مرحلة بل لكل سنة، على غرار مناهج العلوم الأخرى في المدارس، في جميع المراحل.

6- يختار لتدريس مادة تفسير القرآن وتحفيظه للطلاب من يتوافر فيهم العلم والصلاح والتقى والغيرة الإسلامية، وأهلية الدعوة إلى الإسلام من المدرسين.

7- تخصيص مكافآت شهرية أو سنوية لمن يلي أمر التحفيظ في مكاتب التحفيظ في سائر القرى كما تخصص مكافآت مماثلة للحفاظ على المتفوقين من الطلاب ترغيباً لهم وتشجيعاً.

8- إنشاء معاهد في البلاد الإسلامية لتجويد القرآن- بعد حفظه- وتلقي الروايات السبع المعروفة وذلك لتخريج حفاظ ثقات يعرفون- بإتقان- علم الروايات والقراءات، وبعد ذلك تبقى سلسلة الروايات متصلة، وذلك من الفرائض في حق القرآن.

9- على المسلمين الذين يقيمون ببلاد غير إسلامية أن ينشئوا مكاتب لتحفيظ القرآن وتدريسه، ويمولوها بقدر الإمكان. وعليهم أن يتصلوا بالدول الإسلامية لمدهم بما في الإمكان من المساعدة.

وبهذا يتمكن الأبناء من معرفة كتاب اللّه وفهمه وحفظه، كما نستطيع بهذا السلاح الخالد أن نجابه الغزو الصليبي، وأعداء الإسلام

(157)

المتربصين به والمحاربين أبداً لعقيدة الموحدين. وكفى باللّه وكيلا[384]

يقول تعالى: (إنا نحنُ نز ّلنا الذّكر وإنا له لحافظون).

(مؤامرة جديدة على القرآن)

لقد تتابعت الدعوات الهدامة والدس الرخيص على تراثنا الإسلامي وحضارتنا الزاهرة، وكانت المؤامرة الجديدة هذه المرة على القرآن الكريم، دستور الإسلام الخالد الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

وكما هو معلوم فقد تكفل اللّه سبحانه بحماية القرآن وصيانته، وحفظه من عبث العابثين حيث قال تعالى: (إنا نحنُ نزّلنا الذّكر وإنا له لحافظون)[385].

أصدرت مجلة الهلال- المصرية- عدداً خاصاً عن القران، نظرة عصرية جديدة - رقم العدد 12 وتاريخه كانون أول عام 1970م، وكان العدد شاملا ً لكثير من القضايا التي ركز عليها أصحاب فكرة إصدار هذا العدد، والتي تعبر عن فحواها العبارة التي كتبت على غلاف العدد: القرآن.. نظرة عصرية

---

[384] - مجلة هدي الإسلام- عمان- من قرارات المجلس التأسيسي لرابطة العالم الإسلامي باختصار.

[385] - سورة الحجر: 9.

جديدة[386].
(158)
ولا أريد أن أناقش كل ما ورد في هذا العدد من مواضيع، وليس بوسعي ذلك، فهي كثيرة، من دعوة إلى تفسير تاريخي اجتماعي عصري للقرآن!! ولماذا لا تظهر قصص القرآن في السينما والمسرح؟! والقومية والأممية في القرآ ن، وتلحين القرآن بين أهل الفن ورجال الدين.
إنها مواضيع كثيرة ومختلفة، ولذلك أود التعليق فقط على افتتاحية العدد، وهي بقلم رئيس التحرير، التي اختار لها عنوان: حرّروا القرآن من هذه القيود. وهو عنوان عجيب ومثير في آن واحد.
مثير حين يقرؤه الإنسان لأول وهلة، فيخيّل إليه أنها دعوة صادقة لإطلاق القرآن من عقله، الذي عقله به حكام المسلمين وحكوماتهم، ليعود مرة أخرى عزيزاً منيعاً يصنع مستقبل هذه الأمة حين يحكم في كل شأن من شؤونها.
وعمّن تصدر هذه الدعوة؟! عن مجلة الهلال، وأسرة تحرير كأسرة الهلال...؟!
وهذا هو المثير في الأمر، حين يقع في نفس القارىء بأن الدعوة صادقة قبل أن يعرف ما تحت هذا العنوان، إنه الدس الرخيص، والكيد الخبيث و الخداع والتواطؤ. وعجيب، حين تمضي مع الافتتاحية فتجد أن تحرير القرآن المقصود، لا يعدو عن تحريره من كل قيمة وإجلال، بل من كل أثر بقي له في النفوس. فما هي هذه القيود التي يريد الكاتب- الغيور- تحرير القرآن منها؟!
(159)
يبدأ الكاتب مقالته بهذا التساؤل: كيف يمكن أن ننظر للقرآن نظرة عصرية؟. ويقول في السياق بأنه يجب أن نتحدث بصراحة، ونضع النقاط علي الحروف- وذلك على حد زعمه- من أجل إنقاذ القرآن وتحريره من قيوده، ولو أدى ذلك إلى ثورة دينية كثورة لوثر على الكنيسة. ويحدد الكاتب أول هذه القيود وهو: الإصرار على عدم كتابة المصحف بالخط العصري المعروف من قبل علماء الدين الإسلامي، وهذا يشكل عقبة رئيسية أمام كل الأجيال الجديدة التي تريد أن تقرأ القرآن، إذ أن القرآن بخطه القديم يصعب على الفهم.
وحين تصل في قراءتك للافتتاحية إلي هذا الحد تصاب بخيبة أمل شديدة، حين ترى أن الثورة الدينية ليست على من وضعوا القرآن على الرفّ وعزلوه عن الحياة، بل على الذين يريدون له شيئاً من بقاء، وليت الكاتب- لو كان مخلصاً في هذا البند الذي أثاره- ليته دعا إلى قيام المعاهد الخاصة لتدريس القرآن، وإلى زيادة حصص الدين، وتعليم القرآن بحيث تصبح في كل مكان- وكقدوة خيرة ودعوة سباقه لخير الإسلام وحمايته لعقيدة المسلمين- ليت

---

[386] - مجلة هدي الإسلام- عمان.

صاحب هذه الدعوة- الهدامة- انبرى عاملا ً لإيقاظ المسلمين وإيضاح الخطر الذي يهددهم، لا أن يكون بوقاً ناعقاً ومعولا ً للهدم، وأداة طيعة للتنصير، ومنفذاً لمخططاتهم المدسوسة، وجندياً في ذيل جيل الملحدين.
لو كانت دعواه صادقة- من حيث صعوبة الخط القديم وعدم معرفته- فهذه ليست مشكلة ضخمة تستدعي الثورة والانقلاب،
(160)
وليست بمستوى صكوك الغفران، التي أصدرتها الكنيسة مما أدى إلى قيام ثورة لوثر. ولم يكن هذا التضليل غريباً أو جديداً على المسلمين، بل هو صورة طبق الأصل لمزاعم الدساسين، ونسيج الملحدين الموتورين المعادين للقرآن.
وثاني هذه القيود: هو عدم وجود تفسير عصري سهل للقرآن، حتى يتسنى لكل شاب من شبابنا أن يفهم القرآن دون الرجوع إلى مراجع معقدة!!. وهذا تجاهل إما عن عمد وإما عن عناد لجهود العلماء منذ ظهور القرآن حتى الآن في التفيسر والتحليل، كل بأسلوب عصره، حتى يقربوا القرآن والمعاني القرآنية إلى إذهان الجميع دون عناء.
وما أكثر هؤلاء العلماء لو نعدهم، ولكنها دعوة ملفقة بالزيف والتضليل و الغش والبهتان، ولا تعدو عن نسف لكل المحاولات الصادقة التي بذلها أصحابها في الدراسات والتفاسير، من أجل تقريب الآيات القرآنية الكريمة إلى أذهان هذه الأجيال من أبناء المسلمين. إذ أنها تفاسير لم ترق للملحدين ولا للصليبيين الحاقدين، حيث يريدون تفسيراً هزيلا ً بعيداً عن نواحي التشريع أو سياسة الأمة، فحينذاك لا يكون تفسيراً عصرياً!!
ويدخل الكاتب في عقبات أعمق وأبعد تكبل القرآن وتقيده!!
ذلك (أن المؤسسات الدينية عندنا ترفض إلى أبعد الحدود الاعتراف بوسائل التأثير العصرية مثل السينما والمسرح والموسيقى والرسم والإذاعة و التليفزيون) على أن هذه المؤسسات تمنع بقوة تصوير قصص القرآن
(161)
في السينما أو تمثيلها على المسرح، أو تلحينها في (سيفونيات) موسيقية، أو حتى لا تسمح هذه المؤسسات برسم معاني القرآن على شكل لوحات فنية جذابة لتقربها إلى القرآن (فقد امتلأت الكنائس الغربية باللوحات الفنية الرائعة، بل إن هناك مدرسة دينية فذة في الفنون التشكيلية)!!.
ولا ينسى الكاتب أن يذكر لنا أن السينما والمسرح- هناك- اعتمد على كثير من قصص الإنجيل، حتى إن فيلماً خاصاً ظهر في الغرب عن الإنجيل، ولهذا في نظره (إن مثل هذا الموقف- يعني موقف المؤسسات الدينية عندنا- يجب أن يتغير، ومثل هذه القيود يجب أن تزول..).
وهنا نصل مع الكاتب إلى الذروة- أقصد الذروة في استهجان القارىء- وخاصة المثقف إسلامياً- فهو يريد أن يلفق الدعوة إلى تمزيق قيمة القرآن في النفس، بدعوى تقريبها إلي العقول والأذهان. فيا لعلمائنا من رجعيين لا

يقدرون قيمة هذه الدعوات!! فيباعدون بين الدين والفن، فيكونون بهذا أكبر عقبة أمام هذه الدعوة العصرية الجديدة لفهم القرآن وتحريره من قيوده!! فلا قطعة موسيقية رائعة تنتشي بها الأسماع، ولا لوحة فنية جميلة أخاذة تبهر الناظرين، ولا فيلماً سينمائيا تصفق له النظارة!
وإنها الطامة الكبرى، أن تصدر هذه المجلة صباح مساء، وتوزع على أعين المسلمين وحكامهم دون محاسبة. وكأن شيئا لم يكن، وإنه
(162)
لحال يندى له الجبين، ولتنظر أجيالنا القادمة من ينتصر، أهؤلاء الدساسون المتآمرون. أم من أنزل القرآن الذي يقول: (إنّا نَحْنُ نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون)[387].

(تأويل القرآن وتصغير الخط)

للقرآن الكريم أحكام وآداب عامة يجب على المسلمين مراعاتها تدبرها، لأن القرآن هو الدستور الخالد والنور الإلهي والعدل السماوي بين الناس، لذا كان من الواجب على أتباع الإسلام فهم أحكام دينهم، وآداب قرآنهم، والالتزام بهما علماً وعملاً وتطبيقاً وحفظاً واحتراماً.
ومما يجدر ذكره أن فئات جاهلة بأحكام القرآن تقدم- عن قصد أو غير قصد - على تأويل الآيات الكريمة، وإخراجها عن مضمونها ومرماها. لأهداف شخصية ومصالح تجارية، فنجد مثلا بعض الآيات الكريمة مكتوبة في المتاجر والمطاعم والمشارب والفنادق والملاهي وما شابه ذلك. إذ يكتب صاحب المطعم- في داخل مطعمه أو على بابه مثلاً قوله تعالى: (وَكُلُوا واشْرَبُوا هنيئاً)[388]. ومثل قوله تعالى: (ولحْمِ طيْرٍ مّما يشْتَهُونَ)[389].
وهاتان الآيتان تتحدثان عن أكل وشرب أهل الجنة، التي لا يدخلها إلا المؤمنون[390]. ومن المعروف أن المطعم يدخله المؤمن والكافر والبر
(163)
والفاجر، فكيف يأكل الكفرة والعصاة طعام المؤمنين؟! وهذا تأويل لآيات الله يخرجها عما أنزلت بخصوصه.
ولو كتب صاحب المطعم مثل قوله تعالى: (وَكُلُوا واشرَبُوا ولا تُسْرِفُوا)[391] لكان أفضل، ولكن هذا لا يروق لصاحب المطعم الجشع الذي يريد جمع المال بأي وسيلة.
وكذلك ما يفعله أصحاب المشارب- محلات المشارب كمحال عصير الفواكه- فإنا نجدهم يكتبون مثل الآية: (ويُسْقوْن فيها كأساً كان مزاجها زنْجبيلا

---

[387] - سورة الحجر: 9.
[388] - سورة المرسلات: 43.
[389] - سورة الواقعة: 21.
[390] - راجع تفسير الجلالين: ص453.
[391] - سورة الأعراف: 31.

)[392]. وقوله: (وماءٍ مسْكُوبٍ)[393]. ومن المعلوم أن الكأس الممزوج شرابه بـ الزنجبيل مخصوص به أهل الجنة فقط.
وكما نعلم فمحلات العصير- في دنيانا- يدخلها الصالح والطالح، فكيف بـ الكفرة والمجرمين يشربون من تلك المشروبات التي جعلت للمؤمنين من أصحاب الجنة؟! وهذا أيضا خروج بآيات الله عن مضمونها.
أما أصحاب الأندية والفنادق والملاهي فنجدهم يكتبون مثلا ً: (أدْخُلُوها بسلامٍ آمنين)[394] وهذه الآية أيضاً قصد بها أهل الجنة[395].
وما قيل عن المطاعم والمشارب يقال هنا وأشد منه، لأن من الملاهي

(164)

والفنادق ما ترتكب فيها الفاحشة والمنكر[396].
لذلك كان حريًا بالمسلمين التنبيه والحذر من أمثال هذه الضلالات و المنكرات، التي تنطوي على إفساد القرآن وإخراجه عن مضمونه والغاية التي من أجلها أنزل، وهي حفظ الدنيا والدين ومصالح المسلمين.
وكذلك فقد انتشرت في هذا العصر كتابة القرآن بخط صغير، ظناً أن ذلك أيسر لحمل المصحف وأقل كلفة، كما يعمد بعض الناس إلى كتابة القرآن في ورقة كبيرة جامعة لسورة بخط صغير جداً- مع أن قراءته شاقة ومجهدة- فهذه طرق غير مناسبة وجلال القرآن ومنزلته السامية.
أما تصغير الخط، وكتابة القرآن في مصاحف صغيرة وبخط صغير، والتي يسميها بعضهم مصاحف الجيب، فهذا أمر مكروه أيضا.. لأن المطلوب في كتابة القرآن الكريم أن تكون بخط واضح، بحيث يستطيع القارىء له القراءة بدون تكلف أو مشقة أو إجهاد نظر، وذلك لتيسير القراءة والحفظ، أما لو كتب بخط صغير جداً تصعب قراءته، فهذا مكروه وغير مناسب في حق كتاب اللّه سبحانه.
قال القرطبي- رحمه اللّه- في مقدمة تفسيره: ومن حرمته- أي القرآن- أن لا يصغر المصحف[397].

(165)

وروى الأعمش عن إبراهيم عن علي رضي اللّه عنه قال: لا يصغر المصحف.
قلت: وروي عن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه أنه رأى مصحفاً صغيراً في يد رجل فقال: من كتبه؟. قال: أنا. فضربه بالدرة وقال: عظموا القرآن. أ. ه

---

392 - سورة الإنسان: 17.
393 - سورة الواقعة: 31. انظر تفسير الجلالين: ص453.
394 - سورة الحجر: 46.
395 - بتصرف عن كتاب كيف نتأدب مع المصحف: ص107، 108.
396 - ويجب التنبيه على أنه لا يجوز كتابة الآيات القرآنية على جسم الحائط- حتى المساجد- فلا يجوز كتابتها على جدرانها، بل كل ذلك مكروه، والأفضل أن تكون الآيات مكتوبة داخل إطار أو برواز محفوظ داخله، إن كان لابد من الكتابة على المسجد .
397 - مقدمة تفسير القرطبي: ج-1- ص25 ط- دار الشعب القاهرة.

[398].

وروى ابن أبي داود السجستاني عن ابن المسيب قال: لا يقول أحدكم: مسيجد. أو مصيحف ما كان لله تعالى فهو عظيم. أ. هـ[399]

وقال الإمام الزركشي: وتكره كتابته في القطع الصغير[400].

وبعد: فهذه بعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالقرآن الكريم، خاصة ما يتعلق منها بتأويله وكتابته، فالمطلوب أن تكتب بخط واضح وبارز جميل، لأنه كلام الله العزيز، ويجب إجلاله[401] واحترامه، وصيانته بما هو أهل له، وعلينا الالتزام به والعمل بمضمونه ونشره بين الناس، لأنه الرسالة الخاتمة والدستور الخالد، الذي يهدي للتي هي أقوم.

(166)

(ترجمة القرآن وأضرارها)

اختار الله سبحانه وتعالى صفوة من خلقه لحمل رسالاته وتبليغها للناس، واختار من بينهم أولي العزم من الرسل الكرام، وكان من بينهم خاتم الأنبياء والمرسلين محمد بن عبدالله عليه وعلى أنبياء الله ورسله أفضل الصلاة وأتم التسليم.

لقد أنزل الله القرآن الكريم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم فحمله وبلغه للناس على الوجه الأكمل، وكان نزول القرآن باللغة العربية على الرسول العربي الأمي، الذي بلغه باللسان العربي المبين إلى الثقلين، الإنس و الجان.

قال سبحانه: (يأيُّها الرّسولُ بلِّغْ ما أنْزِلَ إليكَ منْ ربِّكَ وإنْ لمْ تفْعَلْ فما بلَغْتَ رسالته)[402]. في هذه الآية الكيمة أمر من الله تعالى إلى النبي صلى الله عليه وسلم بأن يبلغ تنزيل الله إلى الناس، ولكن هل إلى قوم مخصوصين؟. وبأي لغة؟ لا. فإن القرآن يبين المقصودين بوصول الدعوة إليهم، ويحدد لغة التبليغ. فقال تعالى: (وإنّهُ لتَنْزيلُ ربِّ العالمين. نزَلَ به الرُّوح الأمين على

---

[398] - الاتقان في علوم القرآن : ج-2- ص172، 173 للإمام السيوطي رحمة الله تعالى.

[399] - المصدر السابق.

[400] - راجع البرهان: ج-2- ص479.

[401] - ومما يجب التنبيه عليه أنه يجب تعظيم المصحف واحترامه وصيانته من كل دنس وقذر، إذ أجمع المسلمون على ذلك، وحكم الفقهاء بكفر من ألقى بالقرآن- المصحف- في القاذورات ونصوا على حرمة وضعه في الأماكن المهينة، وحرمة كتابته بمادة نجسة أو الاتكاء عليه واتخاذه كوسادة للنوم، وعلى حرمة الدخول به في بيت الخلاء، كما أفتى بذلك الإمام أبو عمرو بن الصلاح. ولا شبهة في أن جسم الميت يتحلل منه بعد الدفن قيح وصديد وسوائل نجسة، ويصبح كالجيفة، فإذا وضع المصحف معه- كما يفعل الجهال- تلحقه لا محالة هذه النجاسات وذلك محرم شرعاً. ولا يجوز أن يكتب على الكفن آيات قرآنية مثل: يس والكهف ونحوهما، خوفاً من صديد الميت. أفتى به الإمام ابن الصلاح رحمه الله. انظر فتاوى شرعية: ج-1- ص44.

[402] - سورة المائدة: 67.

قلبكَ لتكُونَ من المُنْذرين بلسانٍ عربيٍّ مُبين)[403].
وهكذا صدر الأمر الإلهي لرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم ليقوم بدعوة التبليغ، وإنذار الأمم المختلفة في لغاتها ولهجاتها، بلسان التنزيل العربي.
(167)
فإما النطق بنص التنزيل تلاوة، وإما لا. ولذلك تحرم قراءته بألفاظ عربية مرادفة لألفاظ القرآن[404].

(حكم ترجمة القرآن)

وبخصوص ترجمة القرآن الكريم إلى اللغات الأجنبية، فقد أجمع علماء المسلمين على تحريم قراءة وكتابته بغير اللغة العربية، التي نزل بها من عند اللّه عز وجل. وفيما يلي أقوال علماء الإسلام في حكم ترجمة القرآن:
1- قال صاحب البرهان: لا تجوز قراءته بالعجمية، سواءٌ أحسن العربية أو لا، في الصلاة وخارجها، لقوله تعالى: (إنّا أنْزَلْناهُ قُرآناً عربياً)[405]. ثم قال:
واستقر ّ الإجماع علي أنه تجب قراءته على هيئته التي يتعلق بها الإعجاز، لنقص الترجمة عنه، ولنقص غيره من الألسن عن البيان الذي اختص به دون سائر الألسنة. وإذا لم تجز قراءته بالتفسير العربي- لمكان التحدي بنظمه- فأحزى أن لا تجوز الترجمة بلسان غيره. أ. هـ[406].
ثم ذكر الزركشي أقوال العلماء في ذلك فقال:
2- فقال القفال: عندي أنه لا يقدر أحد أن يأتي بالقرآن بالفارسية[407]
(168)
قيل له: فإذن لا يقدر أحد أن يفسر القرآن. قال: ليس كذلك، لأن هناك يجوز أن يأتي ببعض مراد الله ويعجز عن بعضه، أما إذا أراد أن يقرأه بالفارسية ف لا يمكن أن يأتي بجميع مراد الله. أي أن الترجمة إبدال لفظة بلفظة تقوم مقامها، وذلك غير ممكن بخلاف التفسير.
3- قال أبو الحسين بن فارس في يكتابه فقه العربية: لا يقدر أحد من التراجمة على أن ينقل القرآن إلى شيءٍ من الألسن. ثم قال: لأن العجم لم تتسع في الكلام اتساع العرب، ألا ترى أنك لو أردت أن تنقل قوله تعالى:
(وإمّا تخَافنّ منْ قوْمٍ خيانةً فآنبِذْ إليهم على سواءٍ)[408].
لم تستطع أن تأتي بهذه الألفاظ، مؤدية عن المعنى الذي أودعته، حتى تبسط مجموعها، وتصل مقطوعها وتظهر مستورها فتقول: إن كان بينك وبين قوم هدنة وعهد، فخفت منهم خيانة ونقضاً، فأعلمهم أنك قد نقضت

---

[403] - سورة الشعراء: 192- 195.
[404] - بتصرف من كتاب كيف نتأدب مع المصحف: ص97.
[405] - سورة يوسف: 2.
[406] - انظر البرهان: ج-1- ص464 وما بعدها للإمام الزركشي رحمه الله تعالى.
[407] - أي بأي لغة أخرى غير عربية. انظر البرهان: ج-1- ص465.
[408] - سورة الأنفال: 58.

ما شرطته لهم، وائذنهم بالحرب، لتكون أنت وهم في العلم بالنقض على سواءٍ. أ.ه.ـ

4- وفي مذهب المالكية: جاء في حاشية الدسوقي[409] على شرح الدردير ج 1: لا يجوز قراءة القرآن بغير العربية، ولا يجوز التكبير في الصلاة بغيرها، و لا بمرادفها من العربية.

5- وفي مذهب الحنابلة: قال صاحب المغني: ولا تجزئه القراءة

(169)

بغير العربية، ولا إبدال لفظ بلفظ عربي، سواء أحسن القراءة بالعربية أم لم يحسن[410].

6- وقال ابن حزم الظاهري: من قرأ أم القرآن- أي الفاتحة- أو شيئاً منها، أو شيئاً من القرآن- في صلاته- مترجما ًبغير العربية، أو بألفاظ عربية- غير الألفاظ التي أنزل الله تعالى- عامدا ًلذلك، أو قدم كلمة أو أخرها عامدا ًلذلك، بطلت صلاته وهو فاسق، لأن الله تعالى قال: (قُرْآنا عربيًّا). وغير القرآن ليس عربياً فليس قرآناً.

وإحالة عربية القرآن تحريف لكلام اللّه. وقد ذم اللّه تعالى ما فعلوا ذلك فقال[411]: (يُحَرِّفونَ الكلمَ عن مواضعهِ)[412] أ. ه.ـ

إن القرآن الكريم معجز بلفظه ومعناه، فلا يوجز أن يسمى قرآناً ما كان بلغة غير العربية لقوله تعالى: (إنّا أنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عربياً).

وقوله تعالى: (قرُآناً عربياً غيْر ذي عوجٍ)[413].

فإذا أريد تقريب معانيه لقوم لا يعرفون العربية، فلتكن تلك المؤلفات من باب التفاسير أو الترجمات اللفظية للمعاني، وليست بمصاحف على الإطلاق[414].

جاء في رسالة حكم ترجمة القرآن: ومن أسوأ هذه الأعمال وأكثرها شراً وأعظمها ضررا ًوأشدها اجتراءً علي كتاب اللّه، ترجمته ترجمة

(170)

حرفية، فإنها ضرب من التحريف والتغيير والتبديل، فيما تولى اللّه ورسوله حفظه، وأمرنا بالمحافظة عليه[415].

(أضرا ترجمة القرآن)

ومن أوجه الحكمة في المحافظة على لغة القرآن العربي[416]، ولئلا يلحق بـ

---

409 - راجع مناهل العرفان: ج-2 ص58 بتصرف

410 - المغني: ج-1 للإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى.

411 - انظر المحلي: ج-1 للإمام ابن حزم الظاهري رحمه الله رحمة واسعة.

412 - سورة المائدة: 13.

413 - سورة الزمر: 28.

414 - راجع كتاب التجويد وعلوم القرآن: ص114.

415 - انظر رسالة حكم ترجمة القرآن. ط- مصر سنة 1925، نقلا ً عن ذيل الملل والنحل: ص72.

416 - انظر مناهل العرفان: ج-2 بتصرف.

القرآن التغيير والتحريف، وحفاظاً على سلامته، فإني أذكر هنا بعض الأضرار التي قد تنجم عن ترجمة القرآن، وفيما يلي بيان ذلك:

أولا:

إن الترجمة الحرفية تستلزم المحال، وما يستلزم المحال محال.
والمحال هنا هو أنه لا بد من الوفاء بجميع المعاني الأولية والثانوية للقرآن، وبجميع مقاصده الرئيسية، التي هي الهداية والآية والتعبد.. وهذا مستحيل، لأن المعاني الثانوية للقرآن مدلولة لخصائصه العليا التي هي مناط بلاغته وإعجازه، وما كان لبشر أن يحيط بها، فضلا ً عن أن يحاكيها في كلام له.

ثانيا:

إن هذه الترجمة تشجيع غير العرب على انصرافهم عن الأصل العربي،
(171)
مكتفين بما يشاع عندهم من الترجمات، فإذا ما امتد الزمن وتعاقبت الأ جيال عليها فسوف يقال: إنها القرآن. ولا يقال: ترجمة له.
وربما طفح الكيل فقيل: قرآن إنجليزي أو فرنساوي أو هندي مثلا ً.
وبذلك يضيع، وضياعه نكبة تغري النفوس على التحريف في دين الله، ما دامت قد ضعفت هيمنته على اللسان العربي.

ثالثا:

إذا فتحت أبواب الترجمة فسيؤدي ذلك إلى التزاحم الخطير عليها، بمعنى أن كل أمة تترجم القرآن إلى لغتها، وتقوم هي الأخرى بنفس الدور من لغتها إلي لغات غير لغتها، وهكذا دواليك. وحينذاك لا يستطيع أحد أن يميز الأصل من الفرع، والصواب من الخطأ، فتضيع الحقيقة. وأخذت كل أمة تقول- ادعاءً: قرآننا أصح من قرآن غيرنا[417]. وهذا أخطر الخطر، وينطوي على الكفر الصريح.

رابعا:

إن هذه الترجمة تذهب بالعامل المهم في مقومات المجتمع الإسلامي، الذي يعتبر الدين هو رباطه المتين، في علاقات الأوطان الإسلامية
(172)
داخلياً وخارجياً، وعماد الدين الإسلامي هو القرآن العربي. ثم إن أمة الإسلا

---

[417] - ونحن لا نزال نذكر ما حصل من مآسي النصرانية، لاختلافاتها في أنجايلها المتعددة: حيث ادعت كل طائفة من طوائفها بصحة إجيلها، مما أدى بهم إلى التفرق والاختلاف، نتيجة للتحريف و التبديل في أناجيلها، وغير معالمها حتى اختلفت نصوصها، ولم يبق من أصول الإنجيل الأصلية إلا النزر اليسير، لما أدخل عليه من التشويه والتزوير، وما اعتراه من مسخ على أيدي أتباعه من الرؤساء والأحبار والرهبان وغيرهم. وفي هذا تذكرة لأولي الألباب، والعاقل من اتعظ بغيره.

ام بمثابة العقد المنظوم بحبل الله الذي يقول: (واعْتَصِمُواْ بحَبْلِ الله جميعاً ولا تفرّقوا)[418]. فإذا انقطع الحبل تفرقت حبات العقد وتناثرت[419].

هذه هي الحكم التي وقى الله بها المسلمين مما كان يحيق بهم من التصرف في لغة القرآن. ولا يخفى ففي بطون التاريخ وجوه من أساطين المسلمين وأعيانهم الذين برزوا في سائر فروع العلم والمعرفة، مع أنهم ينتمون إلى سلالات غير عربية ولكنهم تشرفوا بالإسلام، ومن هؤلاد: الصحابي سلمان الفارسي- المحارب الحاذق. وأمير المؤمنين في الحديث الإمام البخاري، وكذلك النسائي والترمذي، وابن رشد في الفقه والفلسفة، والقرطبي في التفسير، والزمخشري في البلاغة، هؤلاء كلهم من أصل فاسي، وقد كان الزمخشي متعصباً للعربية فقد قال:

الحمد لله الذي جعلني من علماء العربية، وجبلني على الغضب للعربية، وأبى لي أن أنفرد عن صميم أنصارهم وأمتاز، وأنضوي إلى لفيف الشعوبية وأنحاز ، وعصمني من مذهبهم الذي لم يُجْد عليهم إلا الرشق بألسنة اللاعنين، و المشق بأسنة الطاعنين.

(173)

ويقول أبو الريحان البيروني- وهو أيضاً من أصل غير عربي: الهجو بالعربية أحب إليّ من المداح بالفارسية[420].

ولعلنا بهذا البيان نكون قد أوضحنا الحق، واستقر في الأذهان حكم ترجمة القرآن بنصه ترجمة حرفية، من لغته العربية إلى اللغات الأجنبية[421].

وكذلك نأمل بأن يكون قد وضح للقارىء ما يترتب على ترجمة القرآن من أضرار تلحق بالمسلمين وقرآنهم، الدستور الخالد الذي يهدي للتي هي أقوم.

(174)

(الإسرائيليات في التفسير والحديث)

تمهيد:

لقد كان القرآن الكريم هو المعجزة التي أيد الله بها نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم، والدستور الذي ووضعه الله لعباده، فقضى به على الضلالة، وبدد به ظلمات الجهالة.

(قدْ جاءَكمْ من الله نورٌ وكتاب مُبينٌ يهْدي به الله من اتبعَ رضْوانه سُبُلَ السّ

---

[418] - سورة آل عمران: 103.

[419] - كيف تتأدب مع المصحف: ص100، 101، وقد استفدنا من هذا السفر فوائد عظيمة جزى الله مؤلفه عنا خيراً.

[420]- ذكر قولي كل من الزمخشري والبيروني الشيخ محمد سليمان في كتابه: من أخلاق العلماء. عن كتاب كيف تتأدب مع المصحف: ص101، 102.

[421] - أما ترجمة تفسير القرآن- التي هي ليست بنقل لنص الآيات- ولكن المترجم يقول بنقل ما يدل على معاني كلمات القرآن إلى كلمات غير عربية، فهذه جائزة شريطة أن يعنونها المترجمة بأنها ترجمة تفسير. والله تعالى أعلم. للمزيد راجع كتاب: كيف تتأدب مع المصحف.

لام ويخرْجهُمْ من الظّلُمات إلى النّور بإذنهِ ويَهْديهم إلى صراطٍ مستقيمٍ)[422].
ومنزلة السنة الشريفة من القرآن الكريم منزلة المبيّن من المبيَن، وهي في حقيقة أمرها وحي من الله يجب اتباعه، مصداق ذلك قوله تعالى: (وما ينْطقُ عن الهواى إنْ هو إلا وحي يُوحى)[423]. وقوله تعالى: (وما آتاكُمُ الرّسول فخُذُوهُ وما نهاكُمْ عنْهُ فانْتهُوا)[424]. وقوله تعالى:
(فلْيَحْذرِ الّذينَ يُخالفون عنْ أمْرِهِ أنْ تُصيبهُمْ فتْنَةٌ أو يُصيبهمْ عذابٌ أليمٌ)[425]. الضمير عائد للرسول صلى الله عليه وسلم أو عائد لله تعالى لأنه الآمر حقيقة[426]- لذا كان القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة هما أساس الدين ودعامته، وعليهما تقوم دعوة الإسلام، ومنهما ينبثق الهدى والرشاد، وتستمد البشرية سعادتها في الدنيا والآخرة.

(175)

ومن أجل هذا عُني المسلمون بكتاب ربهم، كتابة وحفظاً وفهماً، كما عنوا بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم و تمسكوا بقول رسولهم عليه الصلاة والسلام حيث يقول: (ترَكْتُ فيكمْ شيئين لنْ تضلّوا بعدهما كتاب الله سنّتي لنْ يتَفَرّقا حتى يردا عليّ الحوْض)[427].
وقد فهم المسلمون السنة وحفظوها ودونوها، وقعّدوا لها القواعد التي تبين صحيحها من سقيمها، وجعلوا للرواية أصولا تقوم عليها، للرواة شروطا لا بد من توفرها فيهم، حتى يجنبوا السنة زيف المزيفين عبث المغرضين. غير أن القرآن- على صفائه ونقائه- والسنة- علي سلامتها وصحتها- لم يسلما من عبث العابثين، فإذا بالقرآن وقد تسربت إليه أفهام سقيمة، وشرح الكثير من نصوصه بما لا يتفق والغرض الذي نزل من أجله. وإذا بالسنة وقد تطرق إليها الدخيل، التبس الصحيح منها بالعليل، وكان الدافع لهذا كله أغراض سيئة وأحقاد ملأت قلوب الحاقدين والحانقين على الإسلام والمسلمين[428].
ولقد قيض الله للمسلمين- من بينهم- صفوة من العلماء الأعلام، نفوا هذا الزيف وكشفوا عن هذا العبث. ورغم شدة التحذير فقد تسرب إلى التفسير و الحديث بشكل واضح ذلك اللون من القصص الإسرائيلي الذي لا يصح الكثير منه، والذي دخل معظمه إليهما عن طريق أعداء الإسلام، الذين قصدوا تشويه جماله والحط من كماله، والذي تناقله عنهم- بسلامة نية وعدم رويـ ـّة- بعض المشتغلين بالتفسير

(176)

والحديث، وسودوا به الكثير من كتبهم. فاغتر بها الناس وحسبوها- ما

---

422 - سورة المائدة: 15، 16.
423 - سورة النجم: 3، 4.
424 - سورة الحشر: 7.
425 - سورة النور: 63.
426 - أفاده العلامة أبو السعود في تفسيره.
427 - الاسرائيليات في التفسير والحديث.
428 - الاسرائيليات في التفسير والحديث.

دامت تنسب إلى هذا النفر من علماء المسلمين- سليمة من الزيف بعيدة عن العبث، فصدقوها وآمنوا بها على ما فيها من أباطيل وأكاذيب[429].

(معنى الإسرائيليات)

معنى الإسرائيليات: لفظ الإسرائيليات جمع مفرده إسرائيلية، وهي قصة أو حادثة تروى من مصدر إسرائيلي. والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم. والنسبة فيها إلى إسرائيل، وهو يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، أبو الأسباط الاثنى عشر[430].
والمقصود من الإسرائيليات أو معناها الاصطلاحي- كما قال بعض الباحثين المحدثين: هو اصطلاح أطلقه المدققون من علماء الإسلام على القصص والأخبار اليهودية والنصرانية التي تسربت إلى المجتمع الإسلامي، بعد دخول جمع من اليهود والنصارى إلى الإسلام، أو تظاهرهم بالدخول فيه[431].
(177)

(أعظم ما رزىء به الإسلام)

قال الشيخ محمد عبده رحمه الله:
لم يرزأ الإسلام بأعظم مما ابتدعه المنتسبون إليه، وما أحدثه الغلاة من المفتريات عليه، فذلك مما جلب الفساد على عقول المسلمين، وأساء ظنون غيرهم فيما بني عليه الدين. وقد فشت للكذب فاشية على الدين المحمدي في قرونه الأولى، حتى عرف ذلك إلى عهد الصحابة- رضي الله عنهم- بل عهد الكذب على النبي صلى الله عليه وسلم في حياته، إلا أن عموم البلوى بالأكاذيب حق على الناس بلاؤه في دوولة الأمويين، فكثر الناقلون وقل الصادقون، وامتنع كثير من أجلة الصحابة عن الحديث إلا لمن يثقون بحفظه، خوفاً من التحريف فيما يؤخذ عنهم. أ .هـ.
روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحة قال: ما رأيت أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث[432].
وهكذا فقد اتسع شر الافتراء، وتفاقم خطب الاختلاف، وامتد بامتدادات الزمان. ولقد تصدى علماء الإسلام- سلفاً وخلفاً- لكشف دسائس الأعداء

---

429 - الإسرائيليات في التفسير والحديث.
430 - الاسرائيليات في التفسير والحديث: ص12.
431 - الآلوسي مفسراً: عن الاسرائيليات وأثرها في كتب التفسير: ص73.

432 - الاسرائيليات في التفسير والحديث، للدكتور محمد حسين الذهبي رحمه الله. ومن أراد الاستزادة فعليه بهذا الكتاب الذي أجاد فيه وأفاد المرحوم الشيخ الذهبي، جزاء الله عنا عن المسلمين خيراً. وقد روى مسلم هذه العباة في مقدمة صحيحة عن يحيى القطان بهذا اللفظ، وبلفظ: الصالحين بدل أهل الخير. راجع هذه المقدمة في صحيح مسلم. ذكر ذلك الشيخ محمد عبده كما جاء في: أضواء على السنة المحمدية.

وسوء طويتهم، هذه الدسائس التي لقيت رواجاً وقبولا ً لدى بعض العامة- والخاصة أحياناً- وسيقف القارىء في الفقرات

(178)

التالية على هذه الدسائس ومروجيها وأسبابها ودواعيها، للوقوف على خطرها وتعرية أعداء الله، ليكون المسلمون على معرفة بما يراد بهم وما يحاك ضدهم، وما تعرضت له عقيدتهم ودستورهم التشريعي من تشويه وطعن وافتراء، ليكون القارىء الكريم على بيّنة مما يقرأ، فلا تختلط عليه الأخبار الصادقة بالروايات الكاذبة، ولا يقع فيما يبلبل فكره أو يهز عقيدته.

(أسباب انتشار الإسرائيليات في دور التدوين)

لقد استمر الشغف بالإسرائيليات. والولع بنقل هذه الأخبار- التي أصبح الكثير منها نوعاً من الخرافة- إلى أن جاء دور التدوين للتفسير، فوجد من المفسرين من حشوا كتبهم بهذا القصص الإسرائيلي، الذي كاد يصد الناس عن النظر فيها والركون إليها.

ومما ساعد على كثرة تسرب الإسرائيليات- إلى كتب التفسير وغيرها- ترجمة التوراة وشروحها، فقد ذكر صاحب الفهرست[433] أن أحمد بن عبدالله بن سلام ترجم التوراة ترجمة دقيقة، وبذلك قدم هذا الرجل وغيره للمفسرين مادة خصبة جديدة من الإسرائيليات يضيفونها إلى تفسير القرآن الكريم، ومن ثم توسع المفسرون والمؤرخون في الاستعانة بهذه الترجمات في تصوير أخبار ما قبل البعثة، وكانوا أحياناً يزيدون

(179)

في هذه الأخبار، وذلك كلما استبد بالمفسر الميل إلى الإغراب والتقصي لجزئيات الحوادث، وقد جرّأهم على ذلك ضعف ملكة النقد عند معاصريهم[434].

يقول الشيخ محمود شلتوت في فتاويه:

يجب على المفسرين أن يضعوا حداً لصون التفسير عن هذه الإسرائيليات التي أظلمت الجو على طلاب الهداية القرآنية، وشغلتهم عن اللب والجوهر بما ألصقته بالقرآن، وقصروا جهودهم على النبش فيما ألصق. وهذه كريح السموم هبت على كتب التفسير من نواح كثيرة، في كل أمر غيبي أخبر به القرآن، ولم يتصل به بيان قاطع عن الرسول عليه السلام مثل: اللوح المحفوظ، يأجوج ومأجوج، الصُور، وغيره[435].

(الإسرائيليات في الحديث)

---

[433] - الفهرست لابن النديم: ص32.

[434] - انظر المصدر السابق.

[435] - الفتاوى للشيخ محمود شلتوت تغمده الله برحمته ورضوانه.

لقد حوت بعض كتب الحديث- على اختلاف عصورها- أباطيل كثيرة من أباطيل الإسرائليات المندسة بين ثنايا هذه الكتب، وكذلك الحال في كتب المواعظ التي تقوم على أحاديث الرقائق، ومن ذلك مسند الفردوس للديلمي، نوادر الأصول للحكيم الترمذي، وكتاب العظمة لأبي الشيخ، وغالب ما في هذه الكتب مثبوت في كتب التفسير المولع أصحابها برواية الإسرائيليات.
قد كفانا سلفنا من المحدثين مهمة
(180)
نقد تلك الكتب وبيان الجيد من المفاسد، ودرجة كل كتاب من كتب الحديث ، وبذلك كشفوا للمسلمين ما دس وما زور من أحاديث كاذبة وأخبار واهية، حيث التزمت الأمة الصحيح من هذه الأحاديث ونأت عن غيره، وكل عملهم هذا رحمة للأمة وهداية إلى مصادر الحق والصدق من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم بأسانيد صحيحة، منها ما يكون تفسيراً لما ورد في القرآن الكريم، كالأحاديث الواردة في تفسير قوله تعالى في الآية 58 من سورة البقرة: (وإِذْ قلنَا ادْخُلوا هذه القرْيَةَ فكلُوا منْها حيْثُ شئتُمْ رغداً وادْخُلوا البَاب سُجداً وقولوا حطّةٌ نغفرْ لكمْ خطاياكمْ وسنزيدُ المُحسنين)[436].
وعن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم: (قيل لبني إسْرائيل ادْخلوا الباب سجّداً وقولوا حطّةٌ. فدخلوا يزحَفون على أسْتَاههم فبدّلوا وقالوا: حطهَةٌ حبّةٌ في شعرةٍ)[437].
ومنها ما خرج القصص والأمثال والمواعظ بقصد الترغيب والترهيب، ومن أمثلة ذلك ما جاء في رواية للإمام مسلم، في صحيحه - كتاب الزهد و الرقائق- باب قصة أصحاب الأخدود والساحر، والراهب والغلام[438]. ومن ذلك أيضاً قصة الأقرع والأبرص والأعمى، وحديث جريج العابد، والثلاثة الذين التجؤوا إلى الغار.. وهذه كلهاه وردت في صحيح البخاري- روايات صحيحة.
(181)
وهذه الأخبار الإسرائيلية التي حدث بها الرسول صلى الله عليه وسلم لغرض العظة والعبرة صحيحة مقبولة، ولقد وجدنا في الحديث أخباراً إسرائيلية كثيرة منسوبة إلى الرسول صلي الله عليه وسلم ومدسوسة في الحديث افتراءً وبهتاناً، كما هو الحال في التفسير الذي خالطته المدسوسات الإسرائيلية الموضوعة.
ولقد قام بعملية الدس في الحديث الشريف في الغالب طائفتان، هما الزنادقة والقصاص، وقد وجدت هاتان الطائفتان في مرويات أهل الكتب وا لأساطير القديمة مادة خصبة، فاستمدوا من المصدرين ما شوهوا به وجه الإ سلام.

---

[436] - سورة البقرة: 8.
[437] - رواه البخاري في صحيحه.
[438] - صحيح مسلم: ج4، ص299.

(من دسائس القصاصين)

ما أكثر الدسائس التي حيكت خيوطها لحرب الإسلام، وتدمير عقائده وأحكام دينه، فقد تعرض الإسلام لأعداء عتاةٍ لا نستطيع الوقوف لهم على حصر، ومن جملة هؤلاء الأعداء والمعاول كان القصاصون الذين تسلقوا أسوار الإسلام وأفسدوا معاقله.

وإلى القارىء بعض هذه الدسائس:

1- في الجنة شجرة يخرج من أعلاها الحُلل، ومن أسلفها خيل بلق من ذهب ، مسرجة ملجمة بالدر والياقوت، ولا تروّث ولا تبول، ذوات أجنحة، فيجلس عليها أولياء الله فتطير بهم حيث شاؤوا[439].

(182)

2- بالغ بعض القصاصين فيما يقصونه على الناس حتى خرجوا بذلك عن حد الشرع والعقل، والأمر الذي أفزع عقلاء المسلمين، فهذا قاص يحدث بقصة داود وأوريا، فبلغ ذلك سيدنا علياً كرم الله وجهه فيقول: من حدث بحديث داود على ما يرويه القصاص جلدته مائة جلدة، وذلك حد الفرية على الأنبياء[440].

وقد بين ابن قتيبة الوجوه التي يدخل فيها الفساد بقوله: والحديث يدخله الفساد من وجوه ثلاثة:

الوجه الأول:

الزنادقة احتيالهم للإسلام- تحويلهم له عن قصده- تهجينه بدس الأحاديث المستشنعة والمستحيلة، كالأحاديث التي قدمنا ذكرها من عرق الخيل، وعبادة الملائكة وغيرها الكثير، ولا تخفى على أهل الحديث.

والوجه الثاني:

القصاص على قديم الأيام، فإنهم يميلون وجوه العوام إليهم، ويستدرون ما عندهم بالمناكير والغريب والأكاذيب من الأحاديث، ومن شأن العوام القعود عند القاص ما كان حديثه عجباً خارجاً عن فطر العقول، أو كان رقيقاً يحزن القلوب ويستذرف العيون.

فإذا ذكر الجنة قال فيها: الحوراء من مسك أو زعفران، وعجيزتها

(183)

ميل في ميل، ويبوّىءُ الله تعالى وليه قصره من لؤلؤة بيضاء، فيها سبعون ألف مقصورة، في كل مقصورة سبعون ألف قبة، في كل قبة سبعون ألف فراش، على كل فراش سبعون ألف كذا وكذا... فلا يزال في سبعين ألف كذا، وسبعين ألف كذا، كأنه يرى أنه لا يجوز أن يكون العدد فوق السبعين ألف ولا دونه. ويقول: لأصغر من في الجنة منزلة عند الله من يعطيه الله تعالى مثل

---

439 - تنزيه الشريعة المرفوعة: ج-2، ص378.

440 - راجع تفسير النسفي: ج-4 ص29-30.

الدنيا كذا كذا ضعفاً.
وكلما كان هذا أكثر كان العجب أكثر، والقعود عنده أطول، والأيدي إليه بـ العطاء أسرع. والله تبارك وتعالى يخبرنا في كتابه عما في جنته بما فيه مقنع عن أخبار القصاص وسائر الخلق. ومنها أيضاً ذكر داود عليه السلام فيقول: سجد لله تعالى أربعين ليلة، وبكى حتى نبت العشب بدموع عينيه ثم زفرا!!

الوجه الثالث:
إذا كان هؤلاء الزنادقة والقصاصون قد روجوا لما رووه من الإسرائيليات ونسبوها للرسول صلى الله عليه وسلم وكان ذلك من خبث نية منهم، فإن بعض علماء المسلمين قد وقع في مثل هذا، حيث رفعوا ما هو موقوف على الصحابة أو التابعين إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وكان ذلك عن غفلة.
يقول الشيخ رشيد رضا: كان الرواة ينقلون عن الصحابي أو التابعي ما مصدره هذه الإسرائيليات من غير بيان، فيغتر به بعض الناس فيظنون أنه لا بد أن يكون له أصل مرفوع للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه
(184)
لا يعرف بالرأي، فيعدونه من الموقوف الذي له حكم المرفوع[441]. أ. هـ.

(الإسرائيليات في كتب التاريخ)
لم يسلم تاريخنا الإسلامي من الدس والتشويه، فقد لحق به ما لحق بغيره من العلوم الإسلامية، كالتفسير والحديث وغيرهما. فقد غزته الإسرائيليات وامتدت إليه أيدي السوء الملوثة، فطمست حقائقه وأفسدت ينابيعه.
ونجد أن كتب التاريخ والسير قد اشتملت على روايات إسرائيلية مكذوبة وحوادث موضوعة، فيظنها من يغتر بها أنها من الروايات الإسلامية وهي ليست منها في شيءٍ.
والأخباريون المؤرخون من شأنهم التساهل في إيراد الأحاديث، ولا يدققون تقييق المحدثين، وبخاصة فيما يتعلق ببدء الخلق، وأسرار الوجود، وأحوال الأمم السابقة، والملاحم والفتن المنتظرة.
يقول ان جرير الطبري في مقدمة تاريخه: فما كان في كتابي هذا ما يستنكره قارئه أو سامعه، من أجل إنه لم يعرف له وجهاً في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت ذلك من قبلنا، وإنما أوتي من قبل بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدي إلنيا. أ. هـ[442].
(185)
وقال الإمام أحمد: ثلاثة كتب ليس لها أصل، التفسير والملاحم والمغازي. أ.

---
441 - تفسير المنار: ج-8 . ص356.
442 - تاريخ الطبري:: ج-1. ص7، 8.

هـ. نقد المحدثون من تصدوا للتاريخ والأخبار، وبينوا منزلتهم في الحديث.
من رجال كتب السير في الشرق محمد بن إسحق، ومع كونه عمدة في المغازي فقد وثقه قوم ووهاه آخرون.
ومن أمثلة ما ذكره المؤرخون مما لا صحة له:
1- ما رواه الحافظ ابن كثير عن كعب الأحبار، أن معاوية سأله عن الصخرة- يعني صخرة بيت المقدس- فقال: الصخرة على نخلة، والنخلة على نهر من أنهار الجنة، تحت النخلة مريم بنت عمران وآسيا بنت مزاحم، ينظمان سموط أهل الجنة حتى تقوم الساعة.
وروي بطريق آخر عن النبي صلى اللّه عليه وسلم وعلق عليه ابن كثير بقوله:
وهذا منكر من هذا الوجه بل هو موضوع. قال الحافظ ابن عساكر: وكونه من كلام بعض الأحبار أشبه.
قلت: وكلام كعب الأحبار هذا إنما تلقاه من الإسرائيليات، التي منها ما هو مكذوب مفتعل، وضعه بعض زنادقتهم أو جهالهم وهذا منه[443].
2- وفي كتب التاريخ روايات دسّت فيها على يد أعداد الإسلام، الذين قصدوا من ورائها تشويه سمعة الإسلام، وسمعة القائمين بالدعوة إلى الإسلا م. ومن أمثلة ذلك حديث الغرانيق، وقد رواه غير واحد[444].

من كتاب السيرة، وأشار إليه غير واحد من المفسرين، ووقف عنده كثيرون من المستشرقين طويلا ً، وهو حديث ظاهر التهافت ينقضه قليل من التمحيص.
ومن أمثلة ذلك أيضا قصة زينب بنت جحش وغيرها من القصص المدسوسة، التي لم يسعفها أي دليل، ولا يقبل بها أي منصف، ولا من كان لديه مسكة من عقل أو بصيص من قيم وأخلاق.

(المستشرقون والإسرائيليات)

تعرض الإسلام لمطاعن المستشرقين في معظم علومهم، وخاصة التفسير و الحديث والتايخ، وقد اتخذ هؤلاد الدساسون الإسرائيليات مطية لتشويه معالم الإسلام وحضارته، واتخذوا عدة سبل لتحقيق هدفهم الأسمى، هو سلخ المسلمين عن دينهم وحضارتهم. وتتسم بحوثهم بالظواهر التالية:
1- سوءُ الظن بكل ما يتصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده.
2- سوء الظن برجال المسلمين علمائهم وعظمائهم.
3- تصوير المجتمع الإسلامي في عصوره المختلفة- وخاصة في عهده الأول - بمجتمع متفك، تسيطر عليه الأنانية والتعصب.

---
443 - البداية والنهاية: ج-2. ص63.
444 - انظر الإسرائيليات في التفسير والحديث.

4- تصوير حضارة الإسلام بأسوأ صورة، واحتقار تلك الآثار[445].
(187)
5- إخضاع النصوص للفكرة التي يفرضونها حسب شهواتهم، والتحكم بما ترتضيه أهواؤهم، والتحريف للنصوص كما تمليه أطماعهم، وميزانهم الوحيد في نقولهم وأبحاثهم هو تحقيق أطماعهم ومبادئهم، وما تستقيم معه مخططاتهم وأهدافهم الملتوية.
من هنا فقد بحث هؤلاء كل ما له علاقة بالإسلام والمسلمين- بتشجيع من حكوماتهم- تخصص كلك واحد في فن من الفنون الإسلامية، متفرعا لهذا الفن، مما ساعدهم على صبغ بحوثهم بصبغة علمية، مما كان له أثر كبير في رسم السياسة الاستعمارية لتلك الدول التي أرادت أن تجعل من ديار الإسلا م مزرعة، بل مستعمرة لها لتحقيق أطماعها وأهدافها الخبيثة.

(آثار الإسرائيليات على الثقافة الإسلامية)
لقد كان لرواية الإسرائيليات تأثير بالغ على الثقافة الإسلامية وعلومها، وخاصة العقيدة الإسلامية، ويظهر ذلك بوضوح في النتائج التالية:
1- استهوت بحوث هؤلاء المستشرقين- المبنية على الروايات الباطلة- عدداً من كتاب المسلمين، حيث قلدوهم وساروا على نهجهم، من حيث استخفافهم بالدين الإسلامي، ورموا المسلمين بالتأخر والجهل.

(188)
2- فتحت لأعداء الله- من المنصِّرين والمستشرقين- منفذاً ينفذون منه إلى طعن شريعتنا الغراء بسهام مسمومة. وكانت الإسرائيليات المزورة دعائم يسندون عليها مناهجهم التضليلية للنيل من الإسلام.
3- لم ينتبه كثير من أهل العلم والبحث إلى هذه الإسرائيليات، حيث اغتروا بها وأوردوها في مؤلفاتهم ومناقشاتهم، حتى غدت في أذهان المسلميين أحاديث صحيحة، ومما ساعد على ذلك عدم الرجوع إلى أهل التخصص في دراسة السنة النبوية، وما يتعلق بها من علوم ترجع إلى السند والمتن، مما عرف عندهم بعلم الرواية والدراية.
4- كانت هذه الإسرائيليات عقبات وأشواكاً في طريق تقدم الفكر الإسلامي، لأن علماء المسلمين قضوا وقتاً طويلا ً في تنقية الطريق وتخليتها منها، ومن جهة ثانية فقد ألحقت الإسرائيليات في التفاسير الصحيحة زعزعة واضطراباً، وصار شغل العلماء بالإجابة عنها وبيانها، فتشاغلوا بها عما هو أهم منها.

[445] - من المعلوم أن المستشرقين ينتهجون في أبحاثهم منهج التصيد، الذي يعتمد على الدس و التشويه، والتشكيك في العلوم الإسلامية وطعنها.

(مقترحات)
نظراً للشبهات الكثيرة والمطاعن العديدة والأخطار الجسيمة التي تعرضت لها العلوم الإسلامية- ومنها كتب التفسير على وجه الخصوص- من خلال الإ سرائيليات، والأباطيل الوهمية التي روجها أعداء الإسلام،
(189)
تحدياً للقرآن الكريم، وتشويهاً لسنة الهادي البشير صلى اللّٰه عليه وسلم لذلك كان لا بد من وضع خطة حكيمة، لصيانة كتب التفسير النقلية وحفظها من العابثين، فإني أقترح على علماء المسلمين الأفاضل تشكيل لجنة متخصصة في فنون التفسير والرواية والنقد والحديث للقيام بما يلي:
1- نقد هذه المجموعة المركومة من التفسير النقلي وتنقيتها، واستبعاد ما لا يستحق منها البقاء، ليقف المسلم الناظر في كتاب اللّٰه على ما هو خير وأبقى، ولتخليص ثروتنا هذه من كل دخيل.
2- تخريج الأحاديث الواردة في كتب التفسير كما فعل الحافظ الزيلعي في كتابه- الكاف الشاف في تخريج أحاديث الكشاف- وبذلك نميز الخبيث من الطيب، ولا يوخذ الكل بمعيار واحد.
3- إلقاء المحاضرات وتوزيع النشرات، والكتابة في المجلات والصحف ووسائل الإعلام الأخرى، كالتليفزيون والراديو وغيرها، لتنبيه أذهان الناس- المسلمين- إلى خطر هذه الإسرائيليات وأثرها. وتشديد الرقابة الصارمة على الأئمة والخطباء والمتصوفة الجهلاء والقصاص البلهاء وأترابهم، الذين تخصص الكثير منم في قراءة الموالد- المصنوعة المشوهة- وغسل الأموات- باسم الدين- حيث لا يجيد سوى رواية قصص الإسرائيليات التي تستهوي العامة، ويجب فرض رقابة على كتب المدارس الوعظ، وتنقية كتب التفسير والوعظ والإرشاد والتصوف- كإحياء علوم الدين- وبذلك يتمكن المسلم أن يعرف دينه معرفة يقينية خالية من الشبهات.
(190)
4- إعادة طبع كتب السنة المعتمدة- وبخاصة تلك التي نبهت على الموضوعات والإسرائيليات- مثل المقاصد الحنسة للسخاي، واللآلىء المصنوعة للسيوطي والفوائد المجموعة للشوكاني وسلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني، حتى تتم الفائدة المرجوة بتخليص السنة النبوية مما هو دخيل عليها.
5- تأليف كتب ورسائل خاصة تجمع فيها الإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير والحديث والتاريخ كل على حدة، والتنبيه على زيفها، وذلك بجمع ا لإسرائيليات الموجودة في كل كتاب على حدة.
وبهذا نستطيع جمع كافة الإسرائيليات الموجودة في كتب التفسير و الحديث والتاريخ ليتحاشى الناس سمومها وأخطارها التي كانت من أشد الأ مراض والآفات التي تعرض لها الإسلام، وإسفيناً دفيناً زرع في قلب العقيدة

وأحكام الإسلام[446].
إن القرآن الكريم هو عماد الإسلام ودستوره، لذا يجب على علماء المسلمين أن ينبهوا على ما ألصق به من مفتريات وأباطيل، وما يثار حوله من شكوك وأوهام، وما يوجه إليه من طعون تستهدف النيل منه والقضاء عليه، فإنه معجزة الله الخالدة، والكتاب الراسخ لرسالات السماء الذي (لا يأتيه الباطلُ منْ بيْن يديْهِ ولا من خلفهِ تنْزيلٌ منْ حكيمٍ حميدٍ)[447].
(191)

(الوضع في الحديث)
الحديث الموضوع: هو الحديث المختلق المصنوع المنسوب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم زوراً وبهتاناً، سواءٌ كان ذلك عمدا أو خطأً. ورتبته أن يكون مطروحاً لا يستحق الرفع أصلا ً، لأنه ملصق بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو شر أنواع الحديث[448].
ووضع الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان- كما قال أحد الأئمة- أشد خطراً على الدين وأنكى ضررا بالمسلمين من تعصب أهل المشرقين والمغربين، وإن تفرق المسلمين إلى شيع وفرق ومذاهب ونحل لهو أثر من آثار الوضع في الدين.
وقال المرتضي اليماني في كتابه- إيثار الحق-: إن معظم ابتداع المبتدعين من أهل الإسلام إنما يرجع إلى هذين الأمرين الواضح بطلانهما. وهما: الزيادة في الدين والنقص منه. ومن أنواع الزيادة في الدين الكذب عليه.
قال ابن الجوزي: لما لم يُمكِّن الله أحداً أن يزيد في القرآن، أخذ أقوام يزيدون في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ويضعون عليه ما لم يقل، فأنشأ الله علماء يذبون عن النقل، ويوضحون الصحيح ويفضحون القبيح.
وقال سفيان الثوري: الملائكة حراس السماء، وأصحاب الحديث حراس الأرض[449].

(192)
وقال يزيد بن زريع: لكل دين فرسان، وفرسان هذا الدين أصحاب الأسانيد.
وذكر الحافظ الذهبي في طبقات الحفاظ: أن الرشيد أخذ زنديقاً ليقتله فقال: أين أنت من ألف حديث وضعتها. فقال الرشيد: أين أنت- يا عدو الله- من أبي إسحق الفزاري وابن المبارك ينخلانها فيخرجانها حرفا حرفا[450].

---
446 - الإسرائيليات في التفسير والحديث بتصرف.
447 - سورة فصلت: 42.
448 - انظر تنزيه الشريعة المرفوعة: ص5 وما بعدها. لأبي الحسن علي الكناني.
449 - راجع المصدر السابق.
450 - تنزيه الشريعة المرفوعة.

(أسباب الوضع والكذب)
للوضع في الحديث أسباب كثيرة، وإليك بعضها:
أولا ً: ما وضعه الزنادقة- اللابسون لباس الإسلام غشاً ونفاقاً- وقصدهم بذلك إفساد الدين وإيقاع الخلاف والافتراق في المسلمين.
قال حماد بن زيد:
وضعت الزنادقة أربعة آلاف حديث. وهذا بحسب ما وصل إليه علمه و اختباره في كشف كذبها، وإلا فقد نقل المحدثون أن زنديقاً واحداً وضع هذا المقدار. قالوا: لما أخذ ابن أبي العوجاء ليضرب عنقه قال: وضعت فيكم أربعة آلاف حديث أحرم فيها الحلال وأحل الحرام.
ثانياً: الوضع لنصرة المذاهب في أصول الدين وفروعه، وذلك بعد تفرق المسلمين شيعاً ومذاهب، ودار بين المسلمين الجدال والمناظرة.
(193)
وإليك حديثا واحداً من هذه الأحاديث المظلمة: يكون في أمتي رجل يقال له محمد بن إدريس أضر على أمتي من إبليس. ويكون في أمتي رجل يقال له أبو حنيفة هو سراج أمتي.
ثانياً: الغفلة عن الحفظ اشتغالا بالزهد والانقطاع للعبادة، وهؤلاء العباد و الصوفية يحسنون الظن بالناس، ويعدون الجرح من الغيبة المحرمة، لذلك راجت عليهم الأحاديث وحدثوا عن غير معرفة ولا بصيرة، فيجب ألا يعتمد على الأحاديث التي حشيت بها كتب الوعظ والرقائق والتصوف، من غير بيان تخريجها ودرجتها.
رابعاً: ومن أسباب الوضع ما يقع ممن لا دين له، عند المناظرة في المجامع، ومن استدلال على ما يقوله كما يقولون له تنسييقا لجداله وتقويما لمقاله، واستطالة علي خصمه ومحبة للغلب وطلبا للرياسة، وفراراً من الفضيحة إذا ظهر عليه من يناظره. هذا ما أفاده ابن الجوزي رحمه الله.
خامساً: إرضاء الناس واستمالتهم لحلفائهم ليكونوا أنصاراً لهم، وكذلك شدة الترهيب وزيادة الترغيب لأجل هداية الناس[451].
ما ذكره الإمام مسلم - رحمه الله- عن الرواة والقصاصين:
روى الإمام مسلم في مقدمة صحيحه عن عاصم قال: لا تجالسوا القصاص.
وكذلك قال يحيى بن سعيد القطان: لم نر الصالحين في
(194)
شيء أكذب منهم في الحديث. وفي رواية أخرى: لم نر أهل الخير في شيء أكذب منهم في الحديث. قال مسلم: يعني أنه يجري الكذب على لسانهم، ولا يتعمدون الكذب.

---

[451] - انظر قواعد التحديث للقاسمي رحمه الله.. والكتاب جامع مانع يستحسن مطاعلته.

قال الإمام النووي: لكنهم لا يعانون صناعة أهل الحديث، فيقع الخطأ في روايتهم ولا يعرفونه، ويرون الكذب ولا يعلمون أنه كذب.
جاء في الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (سيكون في آخر أمّتي أناسٌ يُحدِّثونكمْ بما لمْ تسمعوا أنتمْ ولا آباؤكمْ فإيّاكم وإيّاهمْ لا يُضلُونكم ولا يفتنونكمْ)[452].

(عاقبة من يكذب على النبي صلى الله عليه وسلم)

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول:
(منْ يَقُلْ عليّ ما لمْ أقلْ فليتبوّأ مقعده من النّار)[453].
وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
(لا تكذبوا عليّ فإنه من كذب عليّ فليَلج النّار)[454].
إن الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم هو مشرع كبير، لم يدع خيراً إلا وقد دل أمته عليه، ولا شراً إلا وقد نبهها منه، فقد نهى صلى الله عليه وسلم المسلمين أن يتحدثوا كذباً عنه، وهذا واضح في منطوق

الحديثين السابقين. والكذب عدم مطابقة الواقع، والصدق مطابقته، وهكذا مذهب أهل الحق.
ويجب على الوعاظ خاصة- وباقي المسلمين عامة- أن يتحروا نسبة القول إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبحثوا عن الكتب الصحيحة الموثوقة، ولا يجازفوا ولا يطلعوا على الكتب الواهية الضعيفة، والقصص الخرافي والأساطير الإسرائيلية.
فمن الكبائر الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتحريم حلال أو تحليل حرام.
قال النووي: الحديث يشتمل على فوائد، منها تقرير لقاعدة أهل السنة، أن الكذب يتناول أخبار العامة ، والساهي عن الشيء بخلاف ما هو عليه. ومنها تعظيم الكذب على النبي- عليه الصلاة والسلام- وأنه فاحشة عظيمة، ولكن لا يكفر بهذا الكذب إلا أن يستحله.
وحكى إمام الحرمين عن والده، أنه يكفر ويراق دمه. ثم من كذب عليه صلى الله عليه وسلم عمداً في حديث واحد فسق، وردت رواياته، وبطل الا حتجاج بجميعها[455] أ. هـ.
وقال الخطابي: ظاهره أمر، ومعناه: خبر يريد أن الله يبوئه مقعده من

---

[452] - رواه مسلم في صحيحه.
[453] - جواهر البخاري وشرح القسطلاني.
[454] - متفق عليه. فليلج النار: أي فليدخل فيها. هذا جزاؤه وقد يعفو الله عنه بعد توبته.
[455] - جواهر البخاري: ص86.

النار[456].
(196)

(فتوى الإمام ابن حجر الهيثمي)

في خطيب لايبين مخرجي الأحاديث
في فتاواه الحديثية- صفحة 32 طبع سنة 1307هـ- القاهرة- جاء ما نصه:
سئل رضي الله عنه في خطيب يرقى المنبر في كل جمعة، ويروي أحاديث كثيرة ولم يبين مخرّجيها ولا رواتها، فما الذي يجب عليه؟
فأجاب بقوله: ما ذكره من الأحاديث في خطبه، من غير أن يبين رواتها أو من ذكرها، فجائز بشرط أن يكون من أهل المعرفة في الحديث، أو ينقلها من مؤلفه كذلك . وأما الاعتماد في رواية الأحاديث على مجرد رؤيتها في كتاب ، ليس مؤلفه من أهل الحديث، أو في خطب ليس مؤلفها كذلك، فلا يحل ذلك، ومن فعله عليه التعزيز الشديد. وهذا حال أكثر الخطباء، فإنهم بمجد رؤيتهم خطبة فيها أحاديث حفظوها وخطبوا بها، من غير أن يعرفوا أن لتلك الأحاديث أصلا ً أم لا. فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك، ويجب على حكام بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكب.
ثم قال: فعلى هذا الخطيب أن يبين مستنده في روايته، فإن كان مستنداً صحيحاً فلا اعتراض عليه، وإلا ساغ الاعتراض عليه. بل وجاز لولي الأمر- أيد الله به الدين وقمع بعدله المعاندين- أن يعزله من وظيفة الخطابة، زجراً له عن أن يتجرأ على هذه المرتبة السنية بغير حق[457].
(197)

علم الكلام

إن علم الكلام تصح دراسته والتوسع فيه، ولا يمانع فيه ديننا الحنيف، وذلك عندما يكون تصويراً مجرداً للعقائد الإسلامية، وشرحاً سليماً لبراهينها، ورداً للشبهات التي قد تثار عليها من أعداء الأمة، وذوي الدعوات و النزعات الإ لحادية الهدامة.
ومن حيث شيوع علم الكلام، من أبحاث فلسفية، وتكلفات عقلية، وتوليدات خلقها الفراغ وتخمينات أساسها الحدس، فذلك ما يجب نبذه وتظهير الثقافة الإسلامية منه.
وقد شن أئمة السلف حملة شعواء على هذا العلم، لاسترساله في عرض قضايا وفرضها، مما دعا للهجوم عليه وعلى المروجين وفلسفاتهم وتقعراتهم الكلامية[458].
وإلى القارىء الكريم بعض المواقف الإسلامية لعظماء المسلمين وفقائهم

---
[456] - المصدر الابق نفسه.
[457] - انظر قواعد التحديث: ص161.
[458] - دفاع عن العقيدة والشريعة: ص158، 159.

حول مواقفهم من علم الكلام، حيث إن التقعّر في ما وراء المادة ضلال وانحراف.
فهذا الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يضرب وينفي المصري الذي أرسله ابن العاص إليه، الذي وجده يتكلم في شيء يشبه علم الكلام، وذلك بسؤاله عن معنى الاستواء وأمثاله من المتشابه، كما أمر الناس بمقاطعته.
(198)
والإمام مالك رضي الله عنه لما سئل ذلك عدّ السؤال بدعة، وجوابه مشهور معروف وقال: لا تجوز شهادة أهل البدع والأهواء. قال أحد أصحابه: أراد أهل الكلام[459].
والإمام أبو حنيفة نهى ابنه عن مناظرة رجل كان يريد أن يناظره في القدر، وأمر ألا يعود. ومنع أصحابه من الصلاة خلف رجل كان يتكلم في خلق القرآن. وآخر كان يرد عليه فقيل له: الأول ينكر قدم القرآن، فما بال الآخرة؟ قال: ينازع في الدين- بطريق المشاركة- والنزاع في الدين بدعة. وروي عنه النهي عن الصلاة خلف أصحاب الكلام.
والإمام أحمد بن حنبل قال: علماء الكلام زنادقة. وقال: لا يصلح صاحب الكلام أبداً[460].
والإمام الشافعي قال: حكمي في أهل الكلام، أن يضربوا بالجريد والنعال، ويطاف بهم فيي العشائر والقبائل ويقال:
هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام أهل البدعة. ونقل عنه أنه قال:
لان يلقى العبد الله بكل ذنب خلا الشرك، خير له أن يلقاه بعلم الكلام.
وقال : إذا سمعتم الرجل يقول: الاسم هو المسمي أو غير المسمى فاشهدوا أن من أهل الكلام[461].
والغزالي- رجع إلي مذهب السلف- ذكر ذلك في كتابه- إلجام العوام- وأعرض عن تلك الطرق جملة حتى مات وصحيح البخاري على صدره[462].
والشهرستاني يقول في الفلاسفة والمتكلمين:

لعمري لقد طفتُ المعاهد كلها		وسيّرت طرفي بين تلك المعالم
فلم أر إلا واضعاً كف حائر		على ذقنٍ أو قارعاً سن نادم

جاء في شرح الطحاوية: وسبب الإضلال الإعراض عن تدبر كلام الله وكلام

[459] - انظر شرح الفقه الأكبر: ص6. للإمام أبي حنيفة.
[460] - راجع أعلام الموقعين. وتلبيس إبليس: ص91.
[461] - المصدر السابق.
[462] - انظر كتاب دفاع عن العقيدة والشريعة. ومن المعلوم أن أبا حامد الغزالي- رحمه الله- واحد من أساطين رجال التصوف والفلسفة في عصره، وقد ترك عدة كتب لا زالت مراجع معتبرة، يستفيد منها طلاب علم الكلام والفلسفة وغيرها.

رسوله، والاشتغال بكلام اليونان والآراء المختلفة، وإنما سمي هؤلاء أهل الكلام، لأنهم لم يفيدوا علماً لم يكن معروفاً، وإنما أتوا بزيادة كلام قد لا يفيد، وهو ما يضربونه من القياس لإيضاح ما علم بالحس.
وإن كان هذا القياس وأمثاله ينتفع به في موضع آخر ومع من ينكر الحس، وكل ما قال برأيه وذوقه وسياسته- مع وجود النص أو عارض

(200)

النص بالمعقول- فقد ضاهى إبليس، حيث لم يسلم لأمر ربه بل قال: (أنا خيْرٌ منْهُ خَلَقْتني منْ نارٍ وخَلَقْتَهُ منْ طين)[463].
وقال تعالى: (منْ يُطعِ الرّسول فقدْ أطاعَ اللّه ومنْ تولّى فما أرْسَلْناكَ عليهمْ حفيظاً)[464].
وقال تعالى: (فلا وربِّكَ لا يُؤْمنُونَ حتى يُحَكِّمُوك فيما شَجَرَ بيْنهمْ ثمّ لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قَضَيْتَ ويُسلِمُوا تسْليماً)[465].
أقسم سبحانه بنفسه أنهم لا يؤمنون حتى يحكموه بينهم، ويرضوا بحكمه، ويسلموا تسليماً.
قال السيوطي: إنه يحرم الاشتغال بالفلسفة كالمنطق، لإجماع السلف وأكثر المفسرين المعتبرين من الخلف. وممن صرح بذلك - التحريم- ابن الصلاح و النووي وخلق لا يحصون، وقد رجع الغزالي إلى تحريمه[466].
إن الكبوة التي ثوى الفكر الإسلامي فيها أمداً طويلا ً، هي بحوث ما وراء المادة، لقد كان ذلك على حساب البحوث المادية والحيوية، التي عليها المعول في قيام الإنسانية واتساع نشاطها[467].

(201)

(داء الجدل)

داد اعترى الإنسان منذ طفولته الاجتماعية، واستحكم وتفشى في الأمم في دور انحطاطا، فأثمر فرقاً ونحلا ً وانشقاقاً مخيفاً.
غزا هذا الداء اليهود منذ عصر موسى عليه السلام، فجعل بأسهم بينهم ثمانية قرون انتهت بالعصر المكابي، وشطر الامبراطورية الرومية البيزنطية وجعلها مضرب الأمثال.
ثم جاء الإسلام محذراً من أخطاره، مكتفياً بالجوهر الفطري، حاضاض على القدر المشترك ناهياً عن السؤال عما لم يقع، والبحث عما لا يعني، موجهاً للعمل المثمر، محاسباً على لحظات تذهب دن جدوى، فعاش المسلمون أسعد

---

[463] - سورة الأعراف: 12.
[464] - سورة النساء: 80.
[465] - سورة النساء: 65.
[466] - انظر شرح الفقه الأكبر ص6. وكتاب العقيدة وأثرها في بناء الجيل. د. عبدالله عزام.
[467] - المصدر السابق.

لحظة من تاريخهم، بعيدين عن أوباء الجدل.
وما أن تسلل لهم هذا الغول البيزنطي- مغتنماً ظلمة عهود معلومة- حتى انغمسنا في مستنقع الجدل، فشرعنا ننازع الله عدله ورحمته، ونود لو أملينا عليه إسعاد فلان للجنة، ودفع فلان إلى النار، ناسين أن الله علمنا إغلاق باب الجدل، كما نرى ذلك في قصة أهل الكهف[468].
ونهى عن الجدل صراحة مع غير المسلمين، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أرانا الجدل ضلالا ً بعد هدى، وظلمة بعد نور، فقال عليه الصلاة

(202)

والسلام: (ما ضلّ قوْمٌ بعْدَ هُدىً كانوا عليه إلا أوتوا. الجدلَ)[469].
ثم تلا: (ما ضربوه لك إلا جدلا ً)[470] وقال: (لقد جِئْتُكُمْ بها بيْضاء نقِيّةً)[471]. وقال صلى الله عليه وسلم: (إنّ أبْغضَ الرّجال إلى الله الألدُّ الخصمُ)[472].
لقد قامت يد الجدل السوداء مقام اللص، الذي أشعل البيت واختلس متواريا ً بالدخان، مغتنماً فرصة انشغال الناس بالتطفئة، فأصبحنا نرى التاريخ يعرض علينا الإمبراطورية الإسلامية في العصر العباسي الثاني ساحة جدل، بل قراع لو أنفق بعضه في سبيل المحافظة على جوهر الإسلام لتغير وجه التاريخ.
فقد حدثنا المسعودي[473]: أن اليمان بن الرباب ألف كتاباً في إثبات إمامة أبي بكر، وأخاه علياً ألف كتاباً في إثبات إمامة علي بن أبي طالب فكانا يخصصان ثلاثة أيام في العام للجدل، ويستعدان طوال العام للتفوق في جلسة العام الذي يليه، ولا ريب أن كليما كان يفتش عن الغث والسمين وتأييدا لرأيه ودعماً لحجته، ولا حافز غالباً لهذا الجدل المضني إلا التوجيه السياسي، الذي يلتقط من ساحة الجدل أدلة على شرعية وجوده، كأن الدين لدى المتجادلين- أو لدى الذين دفعوهم للجدل- سكين للتفرقة وآلة للتفوق، وميدان للمأجورين

(203)

والشعوبيين والممزقين، وسوق تباع فيه الضمائر والأقلام الخبيثة المأجورة.
لقد جر علينا ذلك التناحر في ميدان الجدل وبالا ً شغلنا عن معالي الأمور، وأدخل في ثروتنا الفكرية ما عرقل سيرنا وحال دون اجتماع كلمتنا.
لقد خلت تلك القرون من الفكر، إلا ومضات لا تكاد تضيء حتى تختفي، فأصبحنا نرى بعض الملوك والقادة يرأسون ساحة الجدل حول أمور لا صلة

---

468 - مجلة هدي الإسلام- عمان . 1379هـ.
469 - رواه الترمذي وقال: حديث حسن. انظر تخريج الترغيب: ج-1 ص 79- 81.
470 - سورة الزخرف: 58. راجع شرح الطحاوية: ص221.
471 - فقرة من حديث شريف.
472 - متفق عليه.
473 - راجع تاريخ المسعودي.

لها بأركان الإسلام، ويتعامون عن التتار والفرنجة الذين اتخذوا ديار المجادلين ساحة لصولاتهم وذريعة لأسهمهم، بل رأينا ملوكاً يعدون الجوائز لمن كانت صولته على إخوانه أشد إثماً وأكثر هدماً، كالجلسة التي عقدت أيام نادر شاه ملك إيران سنة 1156هـ. وتأججت بها نار الجدل، بين السيد عبدالله السويدي وملا باش، اللذين تطوعا للجدل باسم السنة والشيعة.
وقد استغل الدساسون وطلائع الاستعمار هذه الثغرة، ونفذوا منها ولا يزالون ينفذون، فكثيراً ما نرى مجهولا ً يكتب أسئلة تتعلق بمرض الجدل، ويرسلها لبعض المعروفين بضعف العقل الاجتماعي، وهؤلاء يصلون بالأجوبة ويهدمون مما لم يستطع الدهر هدمه من وحدة هذه الأمة، وينتشرون ويذيعون ما شاؤوا أو ما شاءت الأيدي المستترة وراء إقدامهم[474].
(204)
وهكذا كان الجدل باباً من أبواب الارتزاق، ووسيلة من وسائل التقرب للعامة، وسلماً يصعده حاملو راية الفتنة، الذين يلقونها في هشيم الأفكار العتيقة، فتؤجج نيراناً تلتهم الغافلين والأبرياء والودعاء.
بل لقد بلغ مرض الجدل في الصولة والتحدي، حتى إذا ما عدموا شخصاً حياً يردون عليه، شرعوا يردون علي قوم ماتوا منذ مئات السنين، كما رد الشيخ عثمان بن سند- المتوفي في القرن الماضي- على دعبل الخزاعي منذ ثلاثة عشر قرناً[475].
وهكذا فقد يحدث شخص قوماً بما لا دليل عليه، ولا يكاد يعترضه آخر حتى تتأجج نار الجدل، ناسين أن العار نصيب من نفث من حيث لا يدري.
قال شارح الطحاوية: ولا شك أن من لم يسلم للرسول نقص توحيده، فإنه يقول برأيه وهواه. وتفكير ذا رأي وهوى بغير هدى من الله، فينقص من توحيده بقدر خروجه عما جاء به الرسول، فإنه قد اتخذ في ذلك إلهاً غير الله. قال تعالى: (أَرَأَيْتَ من اتخذ إلهَهُ هواهُ)[476]. أي عبد ما تهواه نفسه. أ. ه .-[477]
يقول الإمام الغزالي رحمه الله: فإن قلت: فعلم الجدل والكلام مذموم كعلم النجوم، أو هو مباح أو مندوب إليه، فاعلم أن للناس
(205)
في هذا غلواً وإسرافاً في إطراف، فمن قائل: إنه بدعة وحرام، وإن العبد إن يلقي الله بكل ذنب سوى الشرك خير له من أن يلقاه بالكلام.
ومن قائل: إنه فرض، إما على الكفاية وإما على الأعيان. وإنه أفضل الأعمال ، وأعلى القربات، فإنه تحقيق لعلم التوحيد ونضال عن دين الله. قال: وإلى التحريم ذهب الشافعي ومالك وأحمد بن حنبل وسفيان وجميع أئمة

---

[474] - مجلة دي الإسلام- عمان. الأردن.
[475] - مجلة هدي الإسلام- عمان. الأردن.
[476] - الفرقان: 43.
[477] - شرح الطحاوية ص: 222.

الحديث من السلف. وقد قال صلى الله عليه وسلم: (هلكَ المُتَنَطِّعُونَ). رواه مسلم، أي المتعمقون في البحث والاستقصاء.
ويخلص الغزالي إلى القول: وأما مضرته فإثارة الشبهات وتحريك العقائد، وإزالتها عن الجزم والتصميم، وذلك يحصل بالابتداء، ورجوعها بالدليل مشكوك فيه ويختلف فيه الأشخاص، وله ضرر في تأكيد اعتقاد البدعة وتثبيتها في صدورهم، بحيث تنبعث دواعيهم ويشتد حرصهم على الإصرار عليه ولكن هذا الضرر بواسطة التعصب الذي يثور منه الجدل.
قال: وأما منفعته، فقد يظن أن فائدته كشف الحقائق ومعرفتها على ما هي عليه وهيئتها، فليس في الكلام وفاءٌ بهذا المطلب الشريف، ولعل التخبيط و التضليل أكثر من الكشف والتعريف. ثم ينتهي إلي القول: ولعمري لا ينفك الكلام عن كشف وتعريف وإيضاح لبعض الأمور، ولكن على الندور[478] أ.ه.
ألا لقد انقضى عصر الجدل الذي شغلنا عن معالي الأمور، ودفع
(206)
الغزاة الافرنج والتتار قديماً- والمستعمرين وصنائعهم من المستشرقين و المنصّرين وأدواتهم حديثاً- لاكتساح بلادنا.
الا لقد أمرنا الله بالمحافظة على تركة السماء التي أنارت ظلام الانسانية، ونهانا عن الجدل، فما بالنا نعض عما أمرنا به ونخوض بما نهى عنه؟! ومن أراد السلامة فليلتجىء إلى حصن الأمان والسلام والسعادة، في ظل القرآن المبين سنة سيد المرسلين. وصدق الله العظيم: (وَمَا آتاكُمُ الرّسول فخُذوه وما نهاكمْ عنْهُ فانْتَهُوا واتقوا الله إنّ الله شديد العقابِ)[479].

(الوسوسة والهوس الديني)

إننا في عصر شغل الناس فيه بحياتهم الدنيا، وغلبت عليهم النزعة المادة البغيضة، وللشيطان في الناس سوق نافقة وبضاعة رائجة.
لسنا نريد أن نبتكر لأبناء هذا العصر ديناً سهلا ً خالصاً سائغاً للشاربين، وإنما دين الله نفسه يسر لا عسر فيه. وهو الذي قال: (وَمَا جعَلَ عليْكُمْ في الدّين منْ حرجٍ)[480]. وهذا نفي عام لكل حرج في الدين، فأي حرج حقيقي صادفناه، فنعلم أنه من صنع الناس لا من شرع الله.
إن هناك بعض المتدينين الطيبين مصابون بمرض نفسي اسمه الوسوسة، فنراهم يشددون على أنفسهم تشديداً لم يشرعه الله في كتاب ولا سنة، ولمم يرض به أحد من سلف هذه الأمة الصالحين، الذين حملوا على
(207)
الوسوسة وأصحابها وقالوا: إنها خبل في العقل ونقص في الدين.

---

[478] - راجع إحياء علوم الدين.

[479] - سورة الحشر: 7.
[480] - سورة الحج: 78.

وأي خبل في العقل وأي نقص في الدين أجلى مما ذكره عنهم الإمام ابن قدامة الحنبلي- المتوفي سنة 620هـ- في رسالته: ذم الموسوسين والتحذير من الوسوسة قال[481]: إن طائفة من الموسوسين قد تحققت منهم طاعة الشيطان، حتى اتصفوا بوسوسته، ونسبوا إلى قبول قوله وطاعته، ورغبوا عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم وطريقه، حتى إن أحدهم ليرى أنه إذا توضأ وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم أو صلى كصلاته أن وضوءه باطل، وصلاته غير صحيحة!!

ويرى أنه إذا فعل مثل ما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم في مؤاكلة الصبيان، وأكل طعام عامة المسلمين، أنه قد صار نجساً يجب عليه تسبيع يده منه، كما لو ولغ فيها كلب أو بال عليها هر!!

ثم إنه بلغ في استيلاء إبليس عليهم أنهم أجابوه إلى شبيه بالجنون، وتقارب من مذهب السوفسطائية الذين ينكرون حقائق الموجودات والأمور المحسوسات، فإن علم الإنسان بحال نفسه من الأمور اليقينيات الضروريات.

وهؤلاء يغسل أحدهم عضوه غسلا ً يشاهده ببصره، ويكبر ويقرأ شيئاً بلسانه تسمعه أذناه، ويعلمه بقلبه بل يعلمه غيره منه ويتيقن إذا رأى ذلك أو سمعه منه، وهذا يصدق الشيطان في إنكاره

(208)

يقين نفسه وجحده، لما رأى ببصره وسمعه بأذنه ثم يشك: هل فعل ذلك أم لا؟!

وكذلك يشككه في نيته وقصده التي يعلمها من نفسه يقيناً- بل يعلمها غيره منه بقرائن أحواله- ومع ذلك يقبل قول إبليس في أنه ما نوى صلاة ولا أرادها، مكابرة منه لعيانه وجحداً ليقين نفسه، هل تراه متردداً متحيراً، كأنه يعالج شيئاً يجذبه، أو يجد شيئاً في باطنه يستخرجه، كل ذلك مبالغة في طاعة إبليس وقبولا ً من وسوسته.

ومن انتهت طاعته لإبليس إلى الحد فقد بلغ النهاية في طاعته، ثم إنه يقبل قوله في تعذيب نفسه، ويطيعه في الإضرار بجسده بالغوص في الماء البارد، وتارة بكثرة استعماله وإطالة الفرك ومبالغة، وربما فتح عينيه في الماء وغسل داخلها حتى يضر ببصره، وربما أفضى إلى كشف عورته للناس، وربما صار إلى حال يسخر منه الصبيان ويستهزىء به من يراه. أ. هـ.

قال ابن قدامة رحمه الله: فمن أراد التخلص من هذه البلبلة، فليستشعر صحة ما ذكرناه من الحق في اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله وفعله، وليعزم على سلوك طريقته عزيمة من لا يشك في أنه عليه الصلاة والسلام على الهدي المستقيم، وأن ما خالفه من تسويل إبليس ووسوسته، ويتقن أنه عدو لا يدعو إلى الخير ولا يرشد إلى طائل: (إنما

[481] - العبادة في الإسلام: ص310.

يدْعو حزْبَهُ ليَكونواْ منْ أصحابِ السّعير)[482].
(209)
ثم ليعلم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ما كان فيهم موسوس، ولو كانت الوسوسة فضيلة لما ادخرها الله تعالى عن رسوله وصحابته- خير الخلق وأفضلهم- ولو أدرك رسول الله صلى الله عليه وسلم الموسوسين لمقتهم، ولو أدركهم عمر لضربهم وعزرهم، ولو أدركهم أحد من الصحابة لنبذهم وكرههم.
لقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الثياب التي كان ينسجها المشركون ويصلي فيها. ولما قدم عمر رضي الله عنه الجابية بالشام، استعار ثوباً من نصراني فلبسه حتى خاطوا له قميصه وغسلوه، وتوضأ من جرة النصرانية.
هذان طريقان واضحان، طريق أولئك المرضى الموسوسين، وطريق الرسول وأصحابه الطاهرين، فأيهما أقوم قيلا ً وأهدى سبيلا ً؟ وأيهما أحوط لديننا، وأجدى على دنيانا إذا اتبعناه؟
لا شك أن طريق رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الطريق المستقيم الموصل إلى رضوان الله، وما عداه فهي سبل متشعبة ملتوية، على كل سبيل شيطان مضل يأمره بالسوء والفحشاء. وصدق الله إذ يقول:
(وأنّ هذا صراطي مُسْتَقيماً فاتّبِعُوه ولا تتّبِعُوا السُبُل فتَفَرّقَ بكُمْ عنْ سبيلهِ ذلكُمْ وصّاكُمْ بهِ لعلكُمْ تتّقون)[483].
وما أصدق ما قاله الخليفة الراشد عمر بن عبدالعزيز: سن لنا
(210)
رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الأمر من بعده- الخلفاء الراشدون- سنناً، الأخذ بها تصديق لكتاب الله، واستكمال لطاعة الله، وقوة على دين الله.
ليس لأحد تبديلها ولا تغييرها ولا النظر فيما خالفها. فمن اقتدى بها فهو مهتد ومن انتصر بها فهو منصور، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولا ه الله ما تولى، وأصلاه جهنم وساءت مصيرا[484]، فهذا هو مصير من انحرف عن هدي رسول الله- وهو اليسر والتخفيف.
ولكن لهذا الانحراف في الدنيا ثمنه قبل الآخرة، وأمامنا هذه القصة التالية عبرة ً ومثلا ً:
روى أبو داود وابن ماجه عن جابر بن عبد الله قال: خرجنا في سفر فأصاب رجلا ً منا حجر فشجه في رأسه، ثم احتلم فسأل أصحابه: هل تجدون لي رخصة في التيمم؟ فقالوا: ما نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء. فاغتسل

---

[482] - سورة فاطر: 6.

[483] - سورة الأنعام: 153.

[484] - العبادة في الإسلام: ص312- 315. بتصرف.

فمات، فلما قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبر بذلك فقال: (قتَلوه قتَلهُمُ اللهُ! ألا سألوا إذا لم يعْلمُوا فإنما شفاءُ العيِّ السُّؤال، إنّما يكفيه أنْ يتيَمّمَ ويعْصِرَ أوْ يَعْصِب على جرحِهِ خرْقَةً ثمّ يمْسح عليهِ ويغْسل سائر جسدهِ).
فليت شعري إذا كان الرسول قد حكم على هؤلاء بأنهم: (قتَلوهُ قتَلهُمْ الله). مع جهلهم بالرخصة، فكيف يكون حكمه على الذين يعرفون الرخصة، ويعرفون محبة الله لإتيانها ثم يشددون على عبادة الله؟! ترى كم يقتل هولا ء بتزمتهم وتشديدهم من الأنفس وهم لا يشعرون؟
(211)
ومما لا شك فيه فإن الهوس الديني من المعوقات المزمنة، التي تعترض نهضة الإسلام في بلاد المسلمين، وهو من أشق الأمراض الهستيرية التي ابتليت بها أمة الإسلام، واستقرت في عقول كثير من الحمقى يسيئون إلى ا لإسلام أكبر إساءة وهو يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.
والغلو في الدين من ابرز عناصر الهوس الديني، ورغم أن هذا الدين يسر، يتفق وطاقة البشر، ولا يجد فيه المسلم ما يشق عليه ولا ما يضنيه ويتعبه أو يعوق مصالحه، إلا أن هؤلاء المغرورين يأبون إلا أن يتشددوا على أنفسم وعلى المسلمين، حتى يضعوا الإسلام في صورة مشوهة دخيلة عليه[485].
ولسنا ندري كيف يتحقق قول الحق تبارك وتعالى في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم: (وما أرْسلناك إلا رحمة للعالمين)[486]. إذا كنا في عبادتنا ومعاملا تنا نجعل من الإسلام مضيقاً ومشددا ومعسراً؟! وكيف نحقق - مع هذا الهوس- أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل علينا في الدين من حرج؟!
إن الإسلام ينفر من الغلو في العبادات، لأنه يعطي للأذهان عن الإسلام صورة من التشدد، الذي لا يقره بحال من الأحوال، ففي صحيح البخاري أن عائشة ذكرت للرسول صلى الله عليه وسلم امرأة من بني أسد لا تنام من الليل- أي تظل تتعبد فيه- فقال: (مَهْ. عليْكُمْ من الأعمالِ ما تُطِيقون فإنّ الله لا يملُّ حتى تملوا)[487].
(212)
وفي صحيح البخاري أن الرسول صلى الله عليه وسلم دخل المسجد، فإذا حبل ممدود بين الساريتين فقال: (ما هذا الحبلُ؟) قالوا: حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت به. فقال النبي: (لا. حُلوه. ليُصلِّ أحَدُكمْ نشاطه فإذا فتر فليَقعُدْ).
وفي سنن أبي داود أن النبي- صلوات الله عليه- أوصى أصحابه فقال: (لا تشدّدوا على أنفسكم فيُتَشَدّد عليكمْ، فإنّ قوْماً شددّوا على أنفسم فشدِّدَ عليهمْ، فتلك بقاياهُمْ في الصّوامع والدِّيار رهْبانية ابْتَدَعُوها ما كتَبْنَاها

[485] - الإسلام المصفى.
[486] - سورة الأنبياء: 107.
[487] - رواه الإمام البخاري.

عليهمْ).
وسأل النبي عقبة بن عامر أن أخت عقبة نذرت أن تحج ماشية، وأنها لا تطيق ذلك فقال النبي صلى الله عليه وسلم: (إن الله لغنيٌ عنْ مشيِ أختكَ)[488].
وكما ينفر الإسلام من الغلو في العبادات، فإنه لا يرضى بأن يكون تشريعه عقبة في سبيل تيسير معاملاتنا ومصالحنا وما تستلزمه تطورات الحاة، ما دام في ذلك تحقيق الخير وسعادة البشرية.
وكذلك فإن فلسفة التشريع الإسلامي تؤكد لنا أن هذا التشريع لم يوضع إلا وفق طاقة البشر، وأن الله لا يكلف نفساً إلا وسعها.
ولعل من هذه الفلسفة قول رسول الله صلى الل عليه وسلم فيما رواه عبد الله بن عمر قال: كنا إذا بايعنا رسول الله- صلوات الله عليه- على السمع و الطاعة يقول لنا: (فيما اسْطَعْتَ)! أو قال: (اسْتَطَعْتُمْ)[489].
(213)
إن فلسفة التشريع تحتم أن يستقر أولا ً ما فرض الله في الأذهان، دون أن يزاحمه التطوع لأن الفرض هو الأصل ولا يحاسب اللّه غيره، ومن تطوع فهو خير له. وإن الأعرابي الذي جاء من أهل نجد يسأل النبي صلى عما فرضه اللّه عليه، لم يجبه الرسول بأكثر مما فرض، وأشار إشارة موجزة إلى التطوع وذلك ليقوم الأعرابي، وقد استقر في ذهنه الفرض فقط، ولم تشوش عليه زحمة النوافل. قال له الرسول صلى الله عليه وسلم: (إنّ ما فرضَ اللّه عليكَ، خمس صلوات في اليوم والليلة) فقال: هل عليّ غيرهن؟. قال: (لا، إلا أن تطوّع، وصيام رمضان).
فقال: هل عليّ غيره؟. قال: (لا، إلا أن تطوّعَ). ثم أدبر الأعرابي وهو يقول: والله لا أزيد على هذا ولا أنقص منه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أفلح إن صدق)، أو (دخل الجنّة إنْ صدق)[490]..
من هذا يتبين أن الدين الإسلامي الحنيف كله يسر، وما على أمة الإسلام إلا أن تتدبره وأن تقتدي برسولها محمد صلى الله عليه وسلم وبنهج الصحابة ا لأبرار ومن سار على دربهم من السلف الصالح، وبهذا نصل إلى الغاية ونحقق ما ارتضاه لنا ديننا الحنيف، ونكون بحق من الذين قال الله فيهم: (كُنْتُمْ خيرَ أمةٍ أخْرجَتْ للنّاس)[491].
وما أروع ما قاله معلم البشرية وسيد الخلق محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم- أرسله الله رحمة للعالمين- في حديثه الشريف الذي يجب أن

---

[488] - رواه الإمام البخاري.

[489] - رواه البخاري ومسلم.
[490] - رواه البخاري ومسلم وغيرهما.
[491] - سورة آل عمران: 110.

ننقشه في صدورنا، ليبقى دستوراً وإلهاماً ينير طريق الحياة، والمتمثل في قوله
(214)
عليه السلام: (إنّ الدّين يُسْرٌ وليْسَ بعُسْرٍ ولنْ يُشادّ الدّين أحدٌ إلا غلبهُ). رواه البخاري.

(فقدان الوازع الديني)

إن الفطرة الإنسانية أقوى من جميع القوى التي تحاوول أن تطمسها وتغير معالمها، وإن الغلبة لها مهما طال الزمن. والله تعالى يقول:
(ألمْ ترَ كيْفَ ضَرَبَ اللّه مثلا ً كلِمةً طيبةً كشجرةٍ طيبةٍ أصلها ثابتٌ وفرعها في السماء تؤتي أكلها كلهَ حينٍ بإذْن ربّها ويضربُ اللّه الأمثال للنّاس لعلّهم يتذكرون[492]).
إذا كانت للدين هذه الجذور العميقة في النفس الإنسانية، فإنه لا يتصور أن يأتي يوم يعيش الناس فيه من غير دين، بل ستبقى النفس تنزع إليه، لأنها تنزع إلى ما هو من طبيعتها، وتشعر بفراغ كبير إذا تخلت عنه.
وليست المشكلة هي الدين- من حيث هو- فالتدين غريزة- كما يقرر ذلك الإ سلام- حيث يقول الحق سبحانه وتعالى: (فأقِمْ وجهكَ للدّين حنيفاً فطرة اللّه فطر النّاس عليْها لا تبْديل لخلق اللّه ذلك الدّين القيّم ولكنّ أكثر النّاس لا يعلمون)[493]. وفي الحديث الصحيح:
(كلُ موْلودٍ يُولدُ على الفطرة.. فأبواه...).
(215)
لا شك أن الذلة لا تأتي إلا بعوامل و أسباب، فإن وجدت العوامل فقد تهيأ الأ مر لها، وأهم هذه العوامل التي طوحت بالمسلمين ودفعتهم إلى هذا الحضيض المظلم هو عامل التهاون بالدين.
أجل، إن التهاون بالدين شر دونه كل شر، وفساد يتضاءل حياله كل فساد، فما شرع الله الدين إلا ليعرف الناس ربهم فيتقوه حق تقاته، ويكفوا عدوان بعضهم من بعض، ويحص كل امرىء على إسعاد نفسه وإسعاد من حوله وإسعاد شعبه وأمته.
وبذلك يبيت كل منا آمناً في سربه، لا يخشى عدوان المعتدين ولا إجرام المجرمين، فتحقن الدماء ويسود الأمن ويستتب النظام، وفي ظل الأمن و النظام يسعى كل امرىء لإصلاح شأنه وتنمية ثروته ولا جرم أن رقي الأمم وتقدمها انتصارها رهين برقي أفرادها وتقدمهم، فما الأمة إلا فرد واحد مكرر، وإذا استهان الناس بالدين ضعف أثره في نفوسهم، وقلت مبالاتهم، وإذا استهان الناس بالدين ضعف أثره في نفوسهم، وقلت مبالاتهم به

[492] - سورة إبراهيم: 24- 25.
[493] - سورة الروم: 30.

وخوفهم نذره، فلا يحرصون على فعل الخيرات التي توجب لهم الثواب، ولا يتجنبون السيئات التي تعرضهم لشديد العقاب، بل يسيرون في الحياة كما تسير الأنعام، همها أن تشبع بطونها وترضي شهواتها، فمثل لنفسك حال أمة هذه سيرة أفرادها، وتصور المصير الذي ينتظرها، وعمق الهوة التي تنحدر فيها.

إذا ضعف الوازع الديني في النفس، وإذا استهان الإنسان بكل حق، وفرط في كل واجب، ولم يرقب في أحد إلا ولا ذمة، واقترف كل

(216)

ما تسوغ له نفسه من شر وإثم ومعاونة للأعداء، فبهذا تفقد كل المروءات و تضيع المحارم تكثر النكبات، ولذلك نجد أن الأعداء أول ما تسلطوا عليه، ونصبوا له المؤامرات هو الدين الحنيف، لأنهم يعلمون حقيقته وكيف يربي العزة في نفوس أبنائه وأتباعه، الذين تمسكوا به تمسكاً حقيقياً لا اعوجاج فيه ولا التواء[494].

الوازع الديني رقيب على كل إنسان في خلوته، حاس له في وحدته، ناصح له في كل أحواله، فمن استنصحه فقد هداه إلى سواء الصراط، ومن استصحبه كان من المحسنين الذين يعبدون الله كأنهم يرونه رأي العين، فتمتلىء قلوبهم من خشيته ويراقبونه في السر والعلن والخلوة، ويحرصون على أن لا يراهم حيث يكره، فيكفون شرورهم عن الناس، ويقلمون أظفار طغيانهم، ويكونون أخياراً صالحين تسعد بهم أوطانهم، وتعتز بهم أممهم، ويكونون فخر الجيل الذي به يعيشون.

فالتهاون بهم أممهم، ويكونون فخر الجيل الذي به يعيشون.

فالتهاون بالدين داعية وباعث شر بين العباد، ومقوض دعائم العمران وهادم صروح المدنية، وجالب الشر والدمار والتقهقر والخذلان والذلة والاستعمار.

فالجماعة الإنسانية التي لا تستمسك بدينها، ولا تقيم منه حارساً على ضمائرها، تتورط أفراداً وأفواجاً في كل ما يذهب بمجدها ويودي بقوتها، ويوردها موارد التهلكة والبوار. التهاون بالدين يدفع إلي محاولة التخلص من قيوده السامية، والتقصي من أحكامه العالية، واستباحة

(217)

حرماته التي تجعل الإنسان يعيش كالبهائم، لا نظام يربطه ولا قانون سماوي يمسكه وينظم سيره.

إن التهاون بالدين معناه التهاون بكل عقيدة صحيحة، وبكل عبادة مفروضة، وبكل خلق كريم، فهو الذي فرق الوحدة الإسلامية، وقطع أوصالها، وفرّق جمعها، وبدد شملها، وأنهر فتقها ورماها بالضعف والوهن، وأفسد العقيدة وم لأ النفوس بالخرافات والبدع والضلالات، كما رمى بالأمة في أحضان الأمم الكافرة والمستعمرة والملحدة، كل ما انحدرنا إليه من تفرق وضعف وتخاذل

---

[494] - ثورة على الاستعمار. هاشم الأعظمي.

وجهل وفقر ومرض وذهاب بأس ونضوب قوة، إنما هو من آثار ضعف الدين، والتهاون بأحكامه، ومحاربة العقيدة والتهافت على الأخذ بالقوانين الوضيعة.
فلو تتبعنا بالبحث والاستقصاء جميع النكبات التي أصابت المسلمين، في نفوسهم وأموالهم وديارهم وعقيدتهم وحرياتهم، لتبين لنا أن سببها التهاون بالدين، وهجران أوامره واتباع الهوى والشيطان. قال الله تعالى: (ولوْ أنّ أهْل القرى آمنوا واتقوا لفَتَحْنَا عليهم بركات من السّماء والأرض)[495]. و البركات تشمل جميع أصناف الخير والسعادة. فبسبب تركهم ما أمرهم الله به أذاقهم الله مرارة الخذلان، وألبسهم لباس الذل والهوان.
إن الدولة الإسلامية ما قام مجدها التليد إلا على أساس من الدين،
(218)
والعقيدة الراسخة والفضيلة والإخلاص في العمل، فدينها هو الذي مكن لها في الأرض، ومنحها البأس الغابر، والسلطان الدائر بسط يدها بالحق على شعاب الدنيا، تنشر العدل والسلام بين الناس، فهي قامت على العدل وبالعدل وبالحق وعلى الحق.
ذلك هو سلاحهم، عقيدة راسخة وإيمان قوي ّ لا يتزعزع، دنياهم وسيلتهم لأخراهم. إذن فلن نحصل على ما حصله آباؤنا حتى نعمل بأعمالهم، ونتخذ منهم قدوة حسنة، ونسير على نهجم في ظلمات هذه الحياة الذليلة: (لا يصلُحُ آخر هذه الأمّة إلا بما صلحَ بهِ أوّلها)[496] أي بالرجوع إلى الدين الحنيف وتعاليمه القيمة، والعقيدة الراسخة التي تنظم الحياة وتجعلنا دائما أبداً في مأمن عظيم وعز دائم وكرامة مستقيمة، لا تتزلزل ولا يتمكن منها العدو والإلحاد وأهله، مهما بذلت المحاولات وتكالبت الأيدي الخبيثة، ومهما خادعوا وبذلوا.
فلنلتجىء إلى الله ونقوّم النفوس، ونحارب الضلال وأصحاب الزيف و الخزعبلات والدعوات الباطلة وأهل الفساد.
(219)

(التعصب المذهبي والتقليد)

تعتبر بدعة التعصب المذهبي من الأمراض والفتن، التي رزئت بها أمة الإسلا م في العصور المتأخرة، إذ انقسم المسلمون إلى شيع وطوائف، وجماعات مختلفة في الدين الواحد، مما أدى إلى وقوع مصادمات بين أهل السنة- بعضهم ببعض من جهة- وبينهم وبين الشيعة والمعتزلة من جهة أخرى، علماً

---

[495] - سورة الأعراف:96.
[496] - هذه قاعدة من قواعد الإمام مالك رضي الله عنه، أحد الأئمة الأربعة المجتهدين، وصاحب الموطأ في الحديث، وكان من سلفنا الصالح العاملين بالكتاب والسنة، الذين نافحوا عن شريعة الإسلا م وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فحري بنا أن نقتدي به رحمه الله رحمة واسعة، وجزاه عن المسلمين خيراً.

بأن اختلاف الأئمة والعلماء إنما هو اختلاف في الآراء، بسبب نظر كل مجتهد منهم إلى المسائل من طريق يختلف عن المجتهد الآخر.
والتقليد: هو الرجوع إلى قول لا حجة لقائله عليه. وذلك ممنوع عنه في الشرع. بخلاف الاتباع الذي عرفه ابن خوزمنداد البصري المالكي ومعناه: ما يثبت عليه الحجة[497].
وتؤكد كتب السيرة والتاريخ ومواقف الأئمة- بعضم من بعض- المتصف بالاحترام المتبادل والثقة و المحبة وحسن الظن. والأمثلة كثيرة في هذا المجال، ومن أراد الاطلاع فليقرأ سيرة الإمام مالك ومناظراته مع الإمام أبي حنيفة، ورسائل الإمام مالك إلى الليث بن سعد، وموقف الشافعي من مالك، ورأي الشافعي في أبي حنيفة، والصداقة العميقة بين الشافعي ومحمد بن الحسن الحنفي.
ومع كل هذا فقد ظهر في العصور المتأخرة من يدعي الانتساب إلي
(220)
هذه المذاهب، والتمسك بأقوال إمام معين، والسير على أصوله وخطاه ومنهجه، والالتزام به وعدم الحيدة عنه أبداً، ولم يقف عند هذا الحد بل تعداه إلى الطعن بأتباع المذاهب الأخرى والاستخفاف بهم، إلى أن وصل التعصب إلى نتائج مؤسفة وعواقب وخيمة، يبرأ منها الإسلام وأئمة المذاهب أنفسهم.
فمن ذلك قول الإمام أبي حنيفة: لا ينبغي لمن لا يعرف دليلي أن يُفتي بكلامي. وقال مالك: كلنا يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا صاحب هذا القبر[498].
وقال الشافعي: كل مسألة يصح فيها الخبر عن رسول الله - عند أهل النقل- بخلاف ما قلت، فأنا راجع عنها في حياتي وبعد مماتي[499].
وقال ابن حنبل: لا تقلدني ولا تقلد مالكاً ولا الشافعي، وخذ من حيث أخذوا.
وقد حكى الشعراني في الميزان الكبرى اتفاق الأئمة على أنه: إذا صح الحديث فهو مذهبي.
قال العلامة ابن عبدالبر وشيخ الإسلام ابن تيمية: لا قول لأحد مع قول رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صح الخبر عنه. وقال ابن حزم: إن الفقهاء الذين قلِّدوا مبطلين للتقليد، وإنهم نهوا أصحابهم عن تقليدهم، وكان أشدهم في ذلك الشافعي، فإنه بلغ من التأكيد في اتباع صحاح الآثار والأخذ بما أوجبته الحجة حيث لم يبلغ غيره، وتبرأ أن يقلد
(221)
جملة، وأعلم بذلك. نفع الله به وأعظم أجره فلقد كان سبباً إلى خير كثير[500].

---

[497] - القول المفيد للشوكاني: ص16.
[498] - أعلام الموقعين لابن القيم والميزان للشعراني.
[499] - القول المفيد للشوكاني: ص26.
[500] - المحلى: ج-6. ص118.

وخلاصة القول: فإنه يتحتم علينا الرجوع إلى الكتاب والسنة، وأقوال الأئمة الموافقة لهما، وترك أقوالهم المخالفة لهما، مصداقاً لقوله تعالى: (إنّما كان قوْلَ المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحْكُمَ بيْنَهُمْ أن يقُولوا سمِعَنا وأطَعْنا وأولئكَ هُمُ المُفْلحون)[501].

(التهجم على الإفتاء)

لقد حدد الإسلام السلطة التي تملك التحليل والتحريم، فانتزعها من أيدي الخلق وجعلها من حق الله تعالى وحده، فلا أحبار ولا رهبان ولا ملوك ولا علماء يملكون أن يحرموا شيئاً تحريماً موبداً على عباد الله، ومن فعل ذلك منهم فقد تجاوز حده واعتدى على حق الربوبية في التشريع، ومن رضي بعملهم وهذا واتبعه فقد جعلهم شركاء لله:

(أمْ لهُمْ شرَكاؤاْ شرعُوا لهُمْ من الدِّين ما لمْ يأذنْ بهِ الله)[502]. وقد نعى القرآن الكريم على أهل الكتاب- اليهود والنصارى- أنهم وضعوا سلطة التحليل و التحريم في أيدي أحبارهم ورهبانهم، فقال تعالى:

(اتخذوا أحْبَارَهُمْ ورُهْبَانَهُمْ أرْبَاباً منْ دون الله والمَسيح ابْنَ مرْيَمَ وما أمروا إلا ليَعْبُدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سُبْحانهُ عمّا يُشْركون)[503].

(222)

وقد حرم الله- سبحانه- القول عليه بغير علم بالفتيا والقضاء، وجعله من أعظم المحرمات، بل هو في المرتبة العليا منها، فقال تعالى:

(قلْ إنّما حرّم ربِّي الفواحش ما ظَهَرَ مِنْها وما بَطَنَ والإثمَ والبغي بغَيْرِ الحقّ وأنْ تُشْركوا بالله ما لمْ يُنزّل به سُلْطاناً وأنْ تقولوا على الله ما لا تعْلَمُونَ)[504]. وقال تعالى: (فَمَنْ أظْلَمُ أظْلَمُ ممن افْتَرَى على الله كذباً ليُضلّ النّاس بغير علمٍ)[505].

(الترهيب من الإفتاء)

كان السلف من الصحابة والتابعين يكرهون التسرع في الفتوى، ويود كل واحد منهم أن يكفيه إياها غيره. وقد كانوا يتهيبون من الإفتاء مع رسوخ أقدامهم وسعة أذهانهم خشية الزلل، فقد قال ابن أبي ليلى: لقد أدركت في هذا المسجد- مسجد الرسول بالمدينة- مئة وعشرين من الأنصار، ما منهم أحد يحدث إلا ودّ أن أخاه قد كفاه الحديث. ولا يسأل عن فتيا إلا ودّ أن أخاه قد كفاه الفتيا.

وروى الإمام الشافعي في كتابه الأم، عن القاضي أبي يوسف صاحب أبي

---

501 - سورة النور: 51.
502 - سورة الشورى: 21.
503 - سورة التوبة: 31.
504 - سورة الأعراف. 33.
505 - سورة الأنعام: 144.

حنيفة قال: أدركت مشايخنا من أهل العلم يكرهون الفتيا، أن يقولوا: هذا حرام وهذا حلال، إلا ما كان في كتاب الله عز وجل بيّناً بلا تفسير. حدثنا ابن السائب عن الربيع ابن خيثم- وكان من أفضل

(223)

التابعين- أنه قال: إياكم أن يقول الرجل: إن الله أحل هذا أو رضيه.
فيقول الله له: لم أحلّ هذا ولم أرضه. أو يقول: إن الله حرم هذا.
فيقول الله: كذبت لم أحرمه ولم أنه عنه[506]. كما نقل ابن مفلح عن شيخ الإسلام ابن تيمية: إن السلف لم يطلقوا الحرام إلا على ما علم تحريمه قطعاً.
وقال الإمام مالك عن يحيى بن سعيد، إن بكير بن الأشج أخبره عن معاوية بن أبي عياش أنه كان جالساً عند عبدالله بن الزبير وعاصم بن عمر فجاءهما محمد بن إياس بن البكير فقال: إن رجلا ً من أهل البادية طلق امرأته ثلاثاً ، ماذا تريان؟. فقال عبدالله بن الزبير: إن هذا الأمر ما لنا فيه قول. فاذهب إلى عبدالله بن عباس وأبي هريرة فإني تركتهما عند عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ثم ائتنا فأخبرنا. فذهبت فسألتهما. فقال ابن عباس لأبي هريرة: أفته يا أبا هريرة، فقد جاءتك معضلة. فقال أبو هريرة: الواحدة تبينها والثلاث تحرمها حتى تنكح زوجاً غيره.
ومن هذا ما نقل عن أبي بكر الصديق أنه لما سألته الجدة عن ميراثها، فلم يدر ما يجيب حتى يسأل الناس. ولبث ابن عباس برهة من دهره، يفتي بجواز بيع الدرهم بالدرهمين يداً بيد ويقول: (إنّما الرِّبا في النّسيئة).
الحديث. فلما بلغه حديث: (الفِضّةُ بالفِضّةِ مثلا ً بمثْلٍ يداً بيدٍ). رجع، وجعل يطوف بالسوق أن لا يعملوا على سالف فتواه[507].

(224)

وقد وردت نصوص شرعية في الترهيب من القول على الله بغير علم.
قال تعالى: (ولا تقُولوا لما تصفُ ألسِنَتُكُمُ الكذبَ هذا حلالٌ وهذا حرامٌ لتَفْتَرُوا على اللهِ الكذبَ إنّ الذين يفتَرُونَ على الله الكذب لا يُفلحون)[508].
وقال تعالى: (ولا تقفُ ما ليْسَ لكَ بهِ علمٌ إنّ السّمع والبصَرَ والفُؤاد كلّ أولئك كان عنْه مسؤولا ً)[509].
روى أبو داود الطيالسي من حديث عائشة رضي الله عنها، أنها ذكر عندها القضاة فقالت: سمعت الرسول صلى الله عليه وسلم يقول: (يُؤتى بالقاضي العدْلِ يومَ القيامَة فيلْقى من شدّة الحسابِ ما يتمنّى أنّه لمْ يقْض بين اثنيْن في تمرةٍ قطّ).
وفي السنن من حديث ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

506 - الأم: ج-7. ص317. للإمام الشافعي.
507 - أعلام الموقعين: ج-1 ص35 وما بعدها.
508 - سورة النحل: 116..
509 - سورة الإسراء: 36.

(القُضاةُ ثلاثةٌ، اثنانِ في النّار وواحدٌ في الجنّة، رجلٌ عرف الحقّ فقضَى به فهو في الجنّة. ورَجُلٌ قضى بين النّاس بالجهلِ فهو في النار.
ورجلٌ عرف الحقّ فجار فهو في النّار).
وقال صلى الله عليه وسلم: (منْ أفْتِيَ بغير علمٍ كان إثمُهُ على منْ أفْتَاه)[510].
ويجب على من لا يعلم أن يقول: لا أدري، أو أن يسأل غيره، أو يطلب مهلة ليتبين وجه الحق. وقد رسم لنا الرسول صلى الله عليه وسلم- رغم علمه الوافر واتصاله بوحي السماء- هذا المنهج العلمي النزيه، أنه سئل عن
(225)
خير البقاع وشرها فقال: (لا أدْري) حتى نزل عليه جبريل. رواه أبو داود.

(تحضير الأرواح- شؤون الروح)
إن أعداء الإسلام ومفسدي العقائد- من دعاة الإلحاد والانحلال، وأصحاب الباطل في الماضي والحاضر- قد تآمروا وما زالوا يتربصون لهدم الإسلام وتخريبه في جميع معاقله، وعلى جبهات عريضة متباينة.
لقد شن أعداءُ أمة التوحيد حرباً ضروساً على حملة القرآن ومعتنقي الإسلام ، وذلك لتفريغ هذه الأمة من قيمها وعقائدها، حيث كانت موجات متلاحقة كالرياح العاصفة والأمواج المتلاطمة والصواعق المحرقة، للقضاء على دعوة الإسلام، ولنصرة دعوة الشرك والأوهام، التي لا بقاء لها إلا بزوال جند الحق وكتائبه التي لا تعرف الاستسلام.
إن دعاة الهدم والتخريب قد استفحل أمرهم في كل مكان، وأصبح الناس مشغولين بالجدل والمناقشة حول ما يثيرونه من أباطيل وترهات.
تلك الموضوعات التي يسترون مآربهم الهدامة من ورائها، تحت أسماء خلابة براقة، كالتطور والتحرر وشؤون الروح- التي هي موضع بحثنا- وقد نسي هؤلاء أو تناسوا أن الدين الإسلامي قد جمع الناس على قيم الخير والفضيلة والمثل العليا، وهذه قيم موحدة متفق عليها.
(226)
ولما كانت دعوة ديننا الحنيف فيها الحض على الفضائل، ومحاربة البدع و الرذائل، لذلك فإني أضع بين يدي القارىء الكريم مقتطفات تشير إلى بعض هذه الأخطار، وتكشف بعض الاتجاهات المنحرفة التي تنطوي على خطر مزدوج، له مردود ماحق ومدمر للأمة وعقيدتها في الدنيا والآخرة.
إن هؤلاء المنحرفين- الذين يزرعون قنابل الموت في قلوب أبناء الأمة لتجريدهم من قيمهم وعقيدتهم- لا زالوا ماضين في اتخاذ هذا الأسلوب نفسه جيلا ً بعد جيل، يزحفون حتى يسدوا على الناس كل سبيل للحق،

---
510 - رواه أبو داود والحاكم.

أو ليفتح الله باباً من أبواب رحمته، فيبعث عليهم من ينكل بهم ويذيقهم سوء العذاب، ويلقنهم درساً لم تلده لياليهم المظلمة، ويقطع دابر ما يثيرونه من فتن، وليكونوا عبرة لغيرهم والله شديد العقاب[511].

إن الدعوة الروحية الحديثة- التي تعتمد على استحضار أرواح الموتى- هي دعوة تعارض مفهوم الإسلام في أنها تخضع عالم الغيب للتجريب، فهي تلبس مسوح العلم وتصطنع اسمه، حين تزعم أنها تجري التجارب على الاتصال بأرواح من ماتوا، وتدّعي أن هذا هو سبيلها إلى ردّ الناس على تيار المادية الطاغية، والواقع أنها ليست حرباً على المادية كما يدعي أصحابها، ولكنها إغراق فيها وإمعان في التمسك بها، لأنها لا تقنع بإخضاع المحسوس للمنهج التجريبي، ولكنها تتطاول إلى ما وراءها

(227)

تريد أن تخضعه للتجربة، وإذا سلم الناس بذلك انتهى بهم الأمر إلى إنكار كل ما لا يمكن ثبوته عن هذا الطريق[512].

والشيء الذي لا شك فيه أن الروحية في وضعها الراهن شرك من شراك الصهيونية العالمية الهدامة، وآلة في أيديهم يسخرونها لهدم الإسلام و النصرانية على السواء، وهدم العصبية بكل أشكالها قومية كانت أم دينية، لكي يمهدوا لقيام دولتهم الصهيونية التي يتوهمونها، وسط أنقاض الخراب العالمي، والانحلال الشامل يسهل مهمتهم في السيطرة على العالم كله على ما يتخيلونه.

ومن أقوى الأدلة على صلة الروحية بالصهيونية العالمية الهدامة، المطابقة الكاملة بين مزاعم الروحيين وبين عقائد اليهود في تصوير الثواب والعقاب خاصة، فكلاهما يعتقد أنهما سيكونان في آخر الزمان على الأرض، ويهاجم الروحيون جميعاً رجال الدين عامة مهاجمة قاسية، تذكرنا بما جاء بالمادة الرابعة عشرة من مقررات حكماء صهيون:

ويعارض فلاسفتنا كل أديان غير اليهود، ولكن لن يحكم أحد أبداً على ديننا من وجهة نظره الحقة، لأنه لا يلمّ بها إلماماً تاماً، سوى رجالنا الذين لن يخاطروا في أية حالة بالكشف عن أسراره. أ. هـ.

ويذكرنا كذلك بما جاء في المادة السابعة عشرة من البروتوكولات: لقد عنينا خاصة بالعيب في رجال الدين غير اليهود، والحطّ من قدرهم في نظر الشعب، وأفلحنا كذلك في الإضرار برسالتهم التي تنحصر في

(228)

تعويق أهدافنا، والوقوف في سبيلها حتى لقد أخذ نفوذهم ينهار مع الأ يام[513]. أ. هـ.

---

[511] - راجع كتابنا مصرع الشرك والخرافة: ص606- 607.

[512] - حصوننا مهددة من داخلها.

[513] - بروتوكولات حكماء صهيون.

وكذلك سرت هذه الدعوى إلى المشتغلين بالروحية من المسلمين، الذين يمجدون الفروعونية والفراعنة، في الوقت الذي ينددون فيه بعلماء الدين.
والمنظمات الروحية تشترك مع كل المنظمات التي تعمل في خدمة الصهيونية العالمية، في أنها تهدم الخلق حيث تهدم الدين، فالدراسات الروحية قد أصبحت أداة هدم كالدراسات النفسية المنحرفة سواء بسواء.
الفرويديون- فرويد عالم صهيوني- يبررون الجريمة حين يصورون المجرم مريضاً، ويرجعون دوافعهم إلى عقد نفسية مستقرة فيما يسمونه العقل الباطن، فليس هناك إذن ما يدعو إلى القصاص، بل ليس هناك ما يدعو إلى أن يخجل مجرم من نفسه، ولا إلى أن ينبذ المجتمع مجرماً ويطارده بالا حتقار، ما دامت المسألة مرضاً لا حيلة له فيه.
والروحيون يذهبون هذا المذهب من طريق آخر، فهم يبررون الجريمة بإرجاعها إلى ما يسمونه المسّ الروحي.
هكذا يستمر الروحيون في دعواتهم الباطلة، لتبرير أغراضهم وتنفيذ مخططاتهم الإجرامية[514]. ومن جهة أخرى فإنا نذكر هؤلاء وأمثالهم بقول الحق تبارك وتعالى: (ويسألونكَ عن الرُوح قُلِ الرُوحُ مِنْ أمْرِ ربّي)[515].
(229)
جاء في كتاب الفتاوى للشيخ محمود شلتوت- في حديثه عن تحضير الأ رواح: وكما لم يرد نص في شيءٍ من ذلك كله، لم يرد شيءٌ فيما يختص بتحضيرها وتسخيرها لدعوة الإنسان، كما لم يدل عليه حِسٌ موثوق به أو تجربة صادقة، وكل ما نسمعه في ذلك لا يخرج عن مظاهر خداع وإلهاءٍ بِ الخيالات لا يلبث أن ينكشف أمره[516].
ويستمر الروحيون- دعاة الباطل- في تبرير جريمة المجرم زاعمين أن المجرم في الحالتين مُكرَهٌ على الجريمة، يرتكبها تحت عامل داخلي- عند الف رويديين- أو تحت عامل خارجي- عند الروحيين- وكل منها يهدم التقنين الخلقي من أساسه، لأنه يمحو المسؤولية الفردية التي هي مناط الثواب و العقاب في الدنيا والآخرة. ومن الواضح أنه يمحو في الوقت نفسه الشرائع السماوية كلها، بل القوانين الوضعيية أيضاً، فهو عود إلى الجبرية الضالة المفسدة للدين والدنيا جميعاً. وبمثل ما يفسد الروحيون على الناس دنياهم يفسدون عليهم دينهم بما يزعمون لهم من أن الجنة والنار فكرة عقلية أو حـ الة نفسية، وأن الناس- على اختلاف أديانهم وعلى اختلاف نحلهم وطبائعهم - يعيشون فيما وراء الموت حياة هي نفسها حياتهم على الأرض وأن فرصة التكفير عن الذنوب لا تنقطع بموتهم، وهم بذلك يهدمون أكبر رادع للناس عن الظلم والفساد، وهم في الوقت نفسه يزجون بأنفسهم فيما اختص الله

---

[514] - راجع حصوننا مهددة من داخلها.
[515] - سورة الإسراء: 85.
[516] - الفتاوي: ص20. للإمام الأكبر محمود شلتوت.

ذاته سبحانه وتعالى بعلمه[517].

(230)

لا ينبغي أن يغيب عن بال الناس أن إطلاق الاتصال بالموتى- وجعله في متناول كل إنسان، والاستعانة بهم في علاج مرضانا، وفي شؤون دنيانا المختلفة- إفساد للحياة التي يقوم بعض عمرانها على التنافس واستباق الخيرات، وعلى المحاولة المتصلة الدائبة المتكررة في سبيل التفوق، وفي التغلب على الصعاب، والانتصار على مصادر التعب والقلق ومن بينها المرض، وهو كذلك إبطال للحكمة في خلق الموت والحياة،وما قدّر الله سبحانه وتعالى، وقضى في إقامة الحجاب بينهما لحكمة يعلمها، تنتظم بها حياتنا في الدنيا والاخرة.

لقد أغنى الله المسلمين عن التماس الهدي والخير في هذه المجازفات، و الجري وراء الضلالات والمنكرات، فأنزل عليهم كتاباً لا يضلون إن تدبّروه واتبعوه، فمن أعرض عنه والتمس الهداية والرشاد في سواه ضلّ وكان الشيطان له قريناً وساء قريناً: (ومَنْ أعْرضَ عنْ ذكري فإنّ له معيشةً ضنكاً)[518]. وما أرى أولئك إلا أن يختاروا بين الكفر والإيمان، وبين الضلال و الإسلام. إن الصهيونية العالمية الهدامة، وأعداء الإسلام الذين يجذبون الخيوط من خلف الستار، ويحركون الدمى التي نراها تتحرك على المسرح، داعية إلى المجتمع الجديد لا تريد أن تبقي من المجتمع القديم شيئاً، لغته وأدبه ونظمه وأنماط حياته وخلقه ودينه وكل موروثاته الإنسانية[519].

(231)

وبعض هذه الدمى يظن في نفسه- ويظن به الغافلون من الناس- أنه هو الذي يتحرك، وأنه هو الذي يقول، وهو الذي يفكر ويعمل، لأن الأيدي الهدّامة الخبيثة لا تحركه بطريق مباشر، فهو متأثر بما يقرؤه لأسماء كبيرة في أعين الناس من مروّجي الدعايات الهدامة، وهؤلاء يهدمون المجتمع القديم في كل ما ذكرت وما لم أذكره من مقوّماته، ليجعلوا مكانها العالمية التي يلوّحون بها للناس، ويزعمون أنها مفتاح الأمن والسعادة والسلام. ولن يكون بعد عالمية، ولن يكون إلا الخراب، ولكن الخراب حائق بالمفسدين، وذلك وعد الله حيث يقول:

(وإذْ تأذّنَ ربُكَ ليَبْعَثَنّ عليْهمْ إلى يوم القيامة منْ يسُومُهُمْ سُوء العذابِ إنّ ربّك لسريعُ العقابِ وإنه لغفورٌ رّحيمٌ)[520].

(بعض شعوذات الروحيين)

ولبيان بعض ما يقوم به دعاة تحضير الأرواح من زيف وتضليل، فإني أضع

---

517 - انظر كتاب قضايا العصر.

518 - سورة طه: 124.

519 - انظر كتاب قضايا العصر.

520 - سورة الأعراف: 167.

بين يدي القارىء المقال التالي كما جاء في كتاب (حصوننا مهددة من داخلها) للدكتور محمد محمد حسين، والذي يقول فيه:
نشرت مجلة صباح الخير- وهي فيما أعلم ويعلم القراءة أبعد شيءٍ عن شؤون الروح كلها- مقالا ً في عددها الصادر في 4 سبتمبر عام 1958 تحت عنوان: مدرس بكلية العلوم يشتغل في تحضر الأرواح، روت فيه عن الدكتور علي راضي، المدرّس بكلية العلوم بجامعة عين شمس،
(232)
كلاماً كله خلط وتخريف وتزييف للحقائق الدينية، وتلبيس لها في أذهان الناس، يؤدي إلى زعزعتها واضطراب مفاهيمها.
فمن ذلك مثلا ً قوله: إن عطارد مهبط الأرواح الخاطئة، تذهب في أول الأ مر لتكفر عن ذنوبها، فجهنم موجودة في هذا الكوكب.
ومن هذا الخلط والافتراء المضل المفسد مثلا ً، ما رواه الدكتور راضي حين قال: إن أكبر وسيط عالمي قد حضر إلى القاهرة منذ عدة أشهر- إنه أمريكي يزيد عمره على 21 سنة. وتسميه بعض الصحف الأمريكية نبي القرن العشرين، لكثرة ما أتى من معجزات- كتبت ورقة لأمي أسألها عن حـ الها، وأحضر الوسيط الرد كتابة باللغة العربية، رغم أنه لا يعرف منها حرفاً.
ويمضي في سرد هذه الشعوذات حتى يلقي فريته الكبرى حين يقول:
وأغرب ما حدث في هذه الجلسة، هو ما أعلنته الروح الكبرى- سوزان-
وفجأة أعلنت سوزان أن جبريل منا. ولم يعرف أحد من هو جبريل
فضحكت وقالت: ألا تعرفون جبريل الذي كان ينزل بالقرآن على محمد؟! إنه يبارك هذا الاجتماع.
وأكثر من هذا جرأة، وأوغل منه في التدليس، ما روته الصحيفة عقب هذا الخبر من أن الدكتور علي راضي قد أبدى أسفه، لأنه لم يكن يملك وقتذاك آلة لالتقاط الصور بالأشعة تحت الحمراء، لكي يلتقط بها صورة سيدنا جبريل عليه السلام!!.
(233)
ويعلّق الدكتور محمد محمد حسين على هذا المقال قائلا ً: والواقع أن صانعي الروحية الحديثة ومروّجيها، لهم منطق خلاب جذاب في تدعيم دعاواهم ولفت الأنظار إليها، وجمع الأنصار والأصدقاء حولها، فهم يدعِّمون دعاواهم بنصوص مما جاء في الكتب السماوية، من المتشابه الذي يجازفون بتأويله حسب أهوائهم، ومن الواضح الصريح الدلالة الذي يحرِّفونه عن مواضعه، بعد أن يبتروه من سياقه يقطعوه عن مناسبته ويخرجوا ألفاظه عن مدلولها- جاهلين أو مدلسين- وهم يدعمون هذه الدعاوى أيضاً بنصوص من المأثور في التايخ، عن السابقين الأولين من المجاهدين والحواريين و الصالحين، بعد أن يخضعوه لمفاهيمهم ويقيسوه إلى أشباه له، مما ينسبونه لوسطاتهم مما جرت نظائره - ولا تزال تجري- على أيدي المشتغلين بـ الشعوذة والطلاسم.

ولهم براعة فائقة في تدعيم ذلك كله بالعلم التجريبي الحديث، وربطه بقواعده وأصوله، والاستعانة على ذلك بأجهزة وآلات تضفي على أوكارهم ثوب الجدّ والوقار، الذي ينبغي للبحث العلمي المنزّه على الأغراض، والمحاط بالضمانات التي تدفع شبهة الغش والخداع.
لذلك لم يكن عجيباً أن تجتذب دعاواهم كثيراً من الأسماء الضخمة الرنانة في الشرق والغرب، ولقد خدع بهم الشيخ طنطاوي جوهري رحمه الله، فأوسع تفسيره نقلا ً عن مزاعهم ودعاواهم، مما أدخل الضعف والفساد على كتابه ذلك في كثير من المواضع.
(234)
وسأقدم فيما يلي عرضاً موجزاً عن الروحية الهدّامة، التي لا أصل لها حقاً إلا في خيال المشعوذين عقول مردة الشياطين، ذلك هو الحديث الذي يحدثنا عنه الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين، والذي كان ضحية لتلك الزمرة الضالة المنحرفة عن دعاة المزاعم الروحية، عمّا وقع له على أيدي هؤلاء المنحرفين، وكيف استطاع كشف خزعبلاتهم وأباطيلهم، بعد أن منّ الله عليه بالهداية وانتهاج سبيل الرشاد.

(الروحية دعوة هدامة)
بعد أن يتحدث الدكتور محمد حسين عن ملابسات هذه الزمرة المشعوذة وضلالاتها، وكيف وقف على نتائج أضاليلها يقول: وسيعلم القارىء من أنها ترمي إلى عدم هدم الأديان كلها، على غير ما تكشف عنه النظرة السطحية. وسيعلم القارىء كذلك أن إصبع الصهيونية العالمية الهدامة ليست بعيدة عنها. ثم يستطرد قائلا: ولم تستح نفسي إلى ما كان يجري حولي في هذه ا لاجتماعات من حركات وإشارات، ولم يطمئن عقلي إلى ما أرى وما أسمع، ولم يلبث هذا الشك أن أصبح يقيناً، بأن هذا الذ يجري من حولي ليس إلا ضرباً من الدجل والشعوذة، فاكتفيت وقتذاك بأن أنسحب في هدوءٍ. وخلا صة ما حدث وقتذاك مما صرفني عن هذه التجارب هو أني لم أطمئن إلى الضوء الأحمر الخافت الذي كان كلّ شيءٍ يجري به.
(235)
ولم أستطع تعليل الحركات المتشنجة، وأصوات النفخ المزعج والشخير المنكر، التي تخرج من فم الوسيط، عند قيامه بالعلاج الروحي المزعوم. ولم أستطع أن أسيغ ما قيل في تعليل ذلك، من أن العلاج يتم باشعاعات غير منظورة، تأتي من عالم الروح عن طريق الوسيط، فالاشعاعات لا تستلزم هذه الأصوات التي لا تصلح إلا لأن تكون وسيلة من وسائل الاسترهاب، وزاد في عجبي وفي شكوكي أن الوسييط- وكان وقتذاك هو المدعو ياسين - كان يتفوّه في غيبوبته المزعومة برطانات غامضة، زاعماً أن هذا الخليط المضطرب من الأصوات هو اللغة التي تتفاهم بها الأرواح فيما بينها. وكان من السهل على أيّ مدقق أن يكتشف أن هذه الأصوات المتنافرة، التي تخلو

من أيّ ضرب من ضروب النظام أو التنافس لا يمكن أن تكون لغة. وظل الشك يراودني زمناً حتي فوجئت في بعض الجلسات برجل غريب يقتحم علينا اجتماعاً، زاعماً أن قوة خفية قد ساقته إلى ذلك المكان، ثم لم يلبث أن وقع في غيبوبة، ورقد إلى جانب الوسيط الأول وأخذ يتبادل معه الرطانة، وعند ذلك وجدت الفرصة سانحة للكشف عن حقيقة الأمر. فدفعت بإبرة- كنت أحتفظ بها في ثنية معطفي- إلى ساق الوسيط الجديد- الذي تظاهر با لإغماء- وكررت ذلك مرّتين فتململ، وأتبع ذلك بكلمات وحركات أدركت منها أنه يتمتع بكامل وعيه، ولم يلبث هذا الرجل الغامض أن اختفي فجأة، واستوضحت الأستاذ أبا الخير- رئيس مجلس تحضير الأرواح- حقيقته فقال لي: إنه دجال لا خير فيه

(236)

وإنه لم يجىء إلا طعما في مغنم يصيبه من وراء عمله، ثم لقيت الرجل بعد ذلك مصادفة[521]، وبعد استدراجه كان حنقه على الأستاذ أبي الخير لا يقل عن حنق الأستاذ أبي الخير عليه، ثم قدم لي من الدلائل ما تأكدت معه أنه لم يكن غائباً عن الوعي كما كان يتظاهر وهذا يعني أن الوسيط الآخر- الذي يقوم بالعلاج الروحي المزعوم- لا بد أن يكون مخادعاً مثله، لأنه كان يريد ما لا ً مقابل ا لرطانة في أثناء تظاهرهما بالغيبوبة، كما أدركت أنه كان يريد م الا مقابل هذه التجارب الروحية، وعندما علم ذلك الأستاذ أبو الخير تخلص منه.

والمهم في الأمر أن هذا المحتال كان يراطن الوسيط الأول- الذي يبني

(237)

عليه أبو الخير- رئيس عصابة تحضير الأرواح- كل نتائج بحوثه الروحية.. فإذا ثبت أنه دجال فلابد أن يكون الآخر دجالا ً مثله، ولابد أن يكون ما نحن فيه باطلا ً عن أوله إلى آخره. وقد صارحت الأستاذ أبا الخير بكل ما حققته فلم أجد منه إقبالا ً على كلامي أو إصغاء إليه، ورأيت فيه إسرافاً

---

521 - يطوف على المدارس والمنتديات والملاهي بعض الدجاجلة والمحتالين، فيقومون بأعمال الضلا ل والشعوذة وغيرها من المنكرات، التي تشوه العقائد وتفسد العقول، زاعمين أنهم يقومون بتجارب علمية وتمارين عقلية وندوات ترفيهية نافعة، تعود على أبناء الأمة والمجتمع الطلابي خاصة بالنفع العام.

وفي منتصف السبيعينيات شاد الله أن ألتقي بواحد من هؤلاء المرتزقة المحترفين، في أحد فنادق مدينة الزرقاء في الأردن، وقد تحدثت معه طويلا ً حول أعماله المفسدة التي يمتهنها، وبعد أن وقفت على زيف دعواه وباطل نواياه، بينت له حكم الإسلام في أعماله الفاسدة، وأنها تتخذ الدجل و الخداع وسيلة للتمويه و التضليل، لابتزاز الأموال بالباطل وتحت إجراء التجارب العلمية والأعمال الرياضية النافعة، مع أنها تقام على حساب إفساد العقائد وتخريب العقول. وقد أعلمني أنه من مدينة المنصورة بمصر، وعلمت أيضا أنه يأخذ إذنا خاصاً من وزارة التربية والتعليم عندما يزور المدارس، ليقوم ببعض أعماله الضالة أمام الطلاب، مثل التنويم المغناطيسي، وتمارين الأكروبات، وغير ذلك من الخزعبلات الساقطة. وفي حينها تقدمت إلى وزارة التربية والتعليم بتقرير مفصل، أوضحت فيه مفاسد هذه الأعمال وضلال مفتعليها، وأنها تصطدم مع روح الإسلام وتنافي تعاليمه لردع هؤلاء المحتالين، وحماية الأمة من ضلالهم وفسادهم.

في حسن الظن بالوسيط، يتجاوز في تقديري ما ينبغي أن يتسم به البحث العلمي الدقيق.
وبعد أن يذكر أستاذنا اعتزاله لتلك الاجتماعات المضللة يتابع حديثه بقوله: وأتاح اللّه لي بمنه وفضله من أسباب الهداية ما ملأ نفسي يقيناً، وما أقامني على الجادة، وكفاني التعرض لهذه المجازفات الخطرة المهلكة، وأعدت النظر في هذه المزاعم الروحية، فإذا هي شعبة من الدعوات المريبة التي تأخذ الناس من كل جانب، والتي تلبس مختلف الأثواب وتخفي حقيقتها تحت مختلف الأسماء، محاولة بذلك أن تغطي كل الميادين وتتغلغل إلى كل الا تجاهات، وتقف للناس في كل سبيل، فهي تارة تنتحل اسم العلم، وفي تارات أخرى تنتحل الثالوث اليهودي المشهور- الحرية، والمساواة، والإخاء- أو السلا م أو الرحمة أو الحرية أو الإنسانية، أو محاربة الإلحاد والمادية، وهي أبعد شيءٍ حقيقة وهدفاً عن كل ما تستتر تحته من أسماء وأغراض.
ثم يستطرد الدكتور قائلا ً- بعد أن تبين له كثرة المخدوعين، الواقعين تحت سلطان هذه الدعوة من الأبرياء الذين تستدرجهم بسبب إيمانهم، ولتسليمهم إلى خليط مضطرب من الظنون والأوهام، يتزعزع
(238)
معه كل ما استقر في نفوسهم من عقائد دينية ومعايير خلقية: عند ذلك أيقنت أنّ في عنقي أمانة لا تبرأ ذمتي إلا بأدائها، وهي أن أشهد بما علمت، وأكشف عما عرفت من أمر هذه الدعوة الهدامة، فلعلّ في مقالي هذا الذي أكشف فيه عن أباطيل هؤلاء الهدامين إبراء لذمتي من تبعة كتمان الحق، وقياماً بواجب الشكر على بعض نعم اللّه سبحانه عليّ. ويختم حديثه قائلا ً: كل ما استطعته إزاء هؤلاء المخادعين هو أن أنبّه الناس لشرهم، وأكشف الغطاء عن ألاعيبهم، وعلى المخدوعين مراجعة أنفسهم، وإعادة النظر في كلّ شيءٍ، عليهم إعادة النظر فيما قرؤوا وشاهدوا، أو فيما يقرؤون وفيما يشاهدون: (وَسَيَعْلَمُ الذينَ ظلمُوا أيّ منْقلبق ينْقلبُونَ)[522]. أ. ه .-
يقول أحد الباحثين الروحيين- وهو القس سنتون الأستاذ بجامعة كوليدج سكول- في مقال له نشرته إحدى المجلات، عن رواية ألقتها إليه إحدى الأ رواح[523]: نحن مرسلون من عند اللّه كما أرسل المرسلون من قبلنا، غير أن تعالمينا أرقى من تعاليمهم، فإلهنا هو إلههم، إلا أن إلهنا أظهر من إلههم، وأقلُ صفات بشرية، وأكثر خصائص إلهية.
(239)

[522] - سورة الشعراء: 227.
[523] - الاتجاهات الوطنية: ص303. للدكتور محمد محمد حسين رحمه الله تعالى.
إن هذا الكتاب فريد في بابه، إذ يضم بين دفتيه الكثير من الحقائق التي يحتاج إليها المسلم.
لذا أنصح بمطالعته واقتنائه.

ويقول أيضاً: محبّ الإنسانية هو الذي يحبّها لذاتها، والفيلسوف هو الذي يحب العلم لذاته أيضاً، فأمثال هذين الرجلين هم أحباء الله، فالأول لا يقيد حبه للناس اعتباراً لجنس ولا لوطن ولا لاعتقاد ولا لاسم، بل يحيط الإ نسانية عامة بحبه الخالص، فيحب الناس باعتبارهم إخواناً، غير مبال بآرائهم الخاصة، وليس هو الذي لا يحب إلا الذين يوافقونه في الرأي. و الثاني- أي الفيلسوف- هو الذي خلص من وطأة النظريات فيما يجب أن يكون، ومن الخضوع للآراء الطائفية والتقاليد المذهبية، فأصبح حراً من أسر المقررات، ومستعداً لقبول الحقيقة مهما كانت بشرط أن تقدم عليها البراهين ، باحثاً عن مساتير الحكمة الإلهية، فيجد سعادته من وراء هذا البحث. ثم يكشف المقال عن هدفه حين يقول: لا تخضع لاية عقيدة مذهبية، ولا تقبل- بلا بصر ولا روية- تعاليم لا تستند على العقل، ولا تأخذ بلا تحفظ وحياً جاء لأحوال خاصة في عصر من العصور، وستعلم بعد أن الوحي لا ينقطع أبداً، آخذاً في الترقي، ولا وقت له ولا حد، وليس هو بامتياز لأمة دون أمة، ولا لشخص دون شخص، والله يكشف نفسه للإنسان شيئاً فشيئا. أ. هـ.

ومن هذا يتبين أن الحقيقة في زعم هؤلاء الروحيين- وفيما يروي هذا الباحث عن الروح المزعوم، الذي يلقي إليه هذا الكلام- ليست محتكرة لأي دين في العالم، فإنها لا يصح أن تنحصر في واحد منها، وأنها أوحيت في أزمان مختلفة لأمم خاصة احتوتها أحوال خاصة، وأن ليس

(240)

فيها ما يصح الركون إليه في كلّ أدوار البشر وفي جميع أجيالهم، فإنها في الوقت نفسه تصرح بأنها كلها وهي من الله، ولكنه وحي مشوب بالخرافات التي كانت عالقة في عقول المسلين بها، أولئك المرسلين الذين نعتبرهم وسطاء ليس إلا، فعلى أبناء أمة الإسلام- عربهم وعجمهم- محاربة هذه الدعوة الباطلة والمكيدة الخبيثة، والتي ما هي إلا سهم مسموم قاتل موجه إلى صدر أمتنا لقطع وريدها، وإفساد عقيدتها وتدمير قيمتها، لتصبح هشيماً تذروه الرياح، فلابد من كشف شبهات هؤلاء الأعداء وتعريتهم قبل فوات الأ وان. والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.. ولا أظننا بحاجة بعد هذا إلى مزيد من البيان فيما يتعلق بهذا البحث. والله لي التوفيق.

(الباب الثاني)

الفصل الأول

شبهات وردها

(243)

(شبهات وردها)

تمهيد:
إن إثارة الشبهات في وجه دعوة الحق وأهله- أمر قديم، مضت به سنة الله في خلقه، يتوارثها دعاة الباطل لتقويض معالم الحق، وهدم معاقل الإيمان وزعزعة العقائد وإفساد الحياة. وقد قاوم المبطلون دعوات الرسل وشككوا فيها، ولم ينج منها صاحب الرسالة الخاتمة، رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم فقد تعرض هو أيضاً لشبهات الأعداء، ولحقه ما لحق بمن سبقه من رسل الله، وقد بين الله تعالى ذلك في القرآن: (ما يُقال لك إلا ما قدْ قيلَ للرُسل منْ قبْلِكَ)[524].
إن هدف الشبه هو التشكيك والارتياب والطعن في دعوات الدعاة إلى الله، وإحاطتها بستار قاتم يحجب عنها الرؤية ويثير حولها الريبة، ما يمنع من رؤية الحق والاستجابة له.
وغالباً ما ترتبط الشبهة بالمصالح الخاصة والعلاقات الاجتماعية أو العادات الموروثة، فتؤثر الشبهة بسبب هذه الأمور، في ضعفاء النفوس والوصوليين- كمحبي الرئاسة- وتتعلق بها وتحسبها حجة وبرهاناً تدفع به الحق، وتخاصم الدعاة إلى الله سبحانه، وقد تعرضت دعوات الأنبياء والمصلحين إلى كثير من الشبهات لإفسادها والتشكيك
(244)
في صحتها، لذا كان لابد للدعاة أن يوطدوا أنفسهم لمثل هذه المطاعن والا ستمرار في الدعوة، لأن الحرب قائمة بين الحق والباطل ولن تتوقف.
(محمد صلى الله علي وسلم بشر ولم يخلق الكون من أجله)
يزعم بعض المبتدعة أن محمداً صلى الله عليه وسلم خلق من نور الله. وهذ قول بلا حجة، ولم يقيل به إلا من سفه نفسه، لأن ذلك يخالف أبسط المفاهيم الإنسانية. ويكثر هؤلاء المبتدعة من ذكر هذه الشبهة في كتبهم السوداء، وفي تعريفه يقولون: إنه نور انبثق وفاض من الله. ورداً على هذه المزاعم نقول:
إن زعمكم أنّ محمداً صلى الله عليه وسلم نور انبثق من الله يحتاج إلى دليل من الكتاب والسنة.
- فقد أمر الله رسوله أن يخبرنا أنه بشر مثلنا، لكي لا نعتقد أنه نور كما تدعون. فقال تعالى: (قلْ إنما أنا بشرٌ مثْلكمْ يُوحى إليّ أنما إلهُكمْ إلهٌ واحدٌ)[525].
- ويقول تعالى له: (وما جعَلنَا لبشرٍ منْ قبْلِكَ الخلْدَ. أفإن مِتّ فهُمُ الخَالدون)[526].
- ويقول الرسول عليه الصلاة والسلام: (كلُكمْ لآدمَ وآدمُ منْ ترابٍ).

---
[524] - سورة فصلت: 43.

[525] - سورةالكهف: 110.
[526] - سورة الأنبياء.

(245)
فهذه الآيات الأحاديث الواضحة تدل على أن محمداً صلى الله عليه وسلم من أولاد آدم، المخلوق من تراب، وأنه بشر من بشر وبطن بشر، كما يشهد هو في حديثه: (إنما أنا ابنُ امرأةٍ منْ قريشٍ كانتْ تأكلُ القديد). وأنه عليه الصلاة والسلام مرت به جميع أطوار الطفولة كما تمر بكل طفل، وأنه كان يأكل طعام البشر كما يشرب شرابهم. وقال عنه مشركو الجاهلية الأولى: (ما هذا إلا بشرٌ مثلكمْ يأكلُ مما تأكلون منْهُ ويشربُ مما تشْربون)[527].
وكذلك يقظته ونومه ولبسه وكل ما فيه من مظاهر البشرية مثلنا، ولكن المبتدعة والباطنية يقلبون الحقائق ويصرون في عناد على موقفهم[528] وإن كان مخالفاً للكتاب والسنة، وذلك لاتباعم للهوى والشيطان.
ويقولون: نعم، إنه صلى الله عليه وسلم خلق من نور الله.. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً. أما ما يزعمه الباطنية وأتباع مدرسة الاتحاد والحلول-كابن عربي وأتباعه- الذين يشككون في الدين ويموهون على العامة بمقولاتهم السقيمة، التي تصدر عنهم ابتغاء الفتنة وطمساً لمعالم الإسلام كقولهم: أن الله تبارك وتعالى خلق الكون من أجل محمد صلى الله عليه وسلم صاحب رسالة الإسلام.
وهذا القول يناقض تعاليم الإسلام وما جاء به رسول الإسلام، وهم يريدون بذلك إفساد الدين وإخراج أتباع رسول الإسلام عن حظيرة الإسلام.
(246)
ومن جملة تخرصاتهم في حق الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم: لولاك ما خلقت الأفلاك. ودحضاً لهذه الفرية، وإبطالا ً لهذه المزاعم أستعين الله فأقول:
لقد خلق الله الكون بما فيه من إنس وجن وحيوان وكافة الموجودات لأجل غاية واحدة، ألا وهي عبادة الله وحده، لا مثيل له لا شريك، سبحانه وتعالى: (لمْ يَلِدْ ولمْ يُولدْ ولمْ يَكُنْ لهُ كُفُواً أحدٌ)[529].
وقد صرح القرآن الكريم أيضاً بهذا في أوضح عبارة وأجْلى بيان إذ قال: (وما خَلَقْتُ الجنّ والإنْسَ إلا ليعْبُدونِ ما أريدُ منْهُمْ من رزْقٍ وما أريدُ أنْ يُطْعِمُونِ)[530].. ويقول سبحانه: (وإنْ منْ شيءٍ إلا يُسَبّحُ بحْمدهِ ولكنْ لا تفْقهُونَ تسْبيحُهمْ)[531].
نعم. خلق الله الجن والإنس، وكل دابة في الأرض، لتدين له وحده بالولاء و الطاعة والعبودية. ورغبة منه سبحانه في إظهار عظيم قدرته وجميل إبداعه، فإن من يقلب نظره في الكون ليشاهد من فيه وما فيه، يدرك حقاً

---

527 - سورة المؤمنون: 33.
528 - انظر كتابنا مصرع الشرك والخرافة: ص506، وكتاب صراع بين الحق والباطل.
529 - سورة الإخلاص: 3، 4.
530 - سورة الذاريات: 56، 57.
531 - سورة الإسراء: 44.

قدرة الله، التي لا تدانيها قدرة، وعظمته التي لا تحاكيها عظمة، وإبداعه الذي لا يماثله إبداع.
ومن هنا يبدو سر خلق الله لهذا الكون البديع النظام المحكم الثابت، ولا ندري والله كيف يزعمون أن الكون مخلوق من أجل محمد عليه الصلاة والسلام؟! لماذا خلق الكون من أجله؟ وما السر في هذا؟
نحن نطالب دعاة الضلال وأصحاب الإفك والبهتان، أن يأتونا بسبب

واحد يدعمون به باطلهم ويؤيدون به بهتانهم. نقول: إن محمداً- عليه السلام- هو بشر ممن خلق الله، وسبقه كثير من إخوانه الرسل والأنبياء صلى الله عليهم وسلم جميعاً صلوات مباركة، وقد أمرنا سبحانه أن لا نفرق بين أحد من رسله[532]. قال تعالى: (آمنَ الرّسولُ بما أنْزِلَ إليه منْ ربِّه والمُؤمنون كلٌ آمنَ بـالله وملائكته وكُتُبهِ ورسُلهِ لا نُفرّقُ بيْنَ أحدٍ منْ رُسُلِهِ)[533]. هذه نصوص القرآن تدحض مزاعم المفترين، وترد على دعاة الشرك والمبتدعين من أمثال المدرسة الباطنية، الذين يكذبون آيات الله، ويتهجمون على رسول الله، ويحاربون الإسلام وأهله، مع أن غالبيتهم قد قرأ القرآن وقف على نصوصه المحكمة، فهم يقرؤون آيات الله، يتهجمون على رسول الله، ويحاربون الإسلام وأهله، مع أن غالبيتهم قد قرأ القرآن ووقف على نصوصه المحكمة، فم يقرؤون آيات الله البينات التي تنطق بعكس ما يزعمون. فلو أن محمداً بعث اليوم من مرقده لتبرأ مما يزعمون. ألا قاتل الله كل من يعمل على تزييف الحقائق وإخفاء آيات الله البينات عن الناس.
ونصيحتي لدعاة الباطل الذين تنكبوا الصراط المستقيم، وتاجروا بتجارة تخالف تجارة أهل الاستقامة والمحجة البيضاء، عليهم الرجوع إلى الصراط السوي والاقتداء بسيد الخلق صلى الله عليه وسلم. وفي ذلك النجاح والفلاح لأولي الألباب. إنها النصيحة في الدين، والتذكير قبل أن يفلت الزمام.
أذكرهم بقول الحق تبارك تعالى: (أفَلَمْ يسيروا في الأرض فَتَكونَ لهُمْ قلُوبٌ يَعْقِلونَ بها أوْ آذانٌ يَسْمَعُونَ بها، فإنها لا تعْمى الأبْصَارُ ولكنْ تعْمَى القلُوبُ التي في الصّدور)[534].

(خرافة خطيئة الإنسان منذ ولادته)

تزعم الغالبية العظمى من أتباع النصرانية بأن السيد المسيح- عبدالله ورسوله- عليه الصلاة والسلام قد صلب من أجلهم، حتى يُكفِّرَ عنهم خطاياهم وتغفر لهم سيئاتهم، وأنهم لا يؤاخذون على تصرفاتهم، ولا يحاسبون على أعمالهم صغرت أم كبرت.

---

532 - انظر مصرع الشرك والخرافة، وصراع بين الحق والباطل.
533 - سورة البقرة: 285.
534 - سورة الحج: 46.

وفيما يلي بعض النقول التي يتذرعون بها كدليل على صدق دعواهم -الساقطة- التي لا يقبل بها منصف ولا تستند على دليل أو برهان.
ولنقرأ بعض الحوادث الشيطانية التي تكشف ضلالهم وتثبت فساد عقائدهم:
- ذهبتْ طالبة شابة من جامعة فرانكفورت تقول لمدير الجامعة - مستنجدة- إن والديها يهددانها بالطرد. ولما سألها عن السبب أجابت، لأنها ستضع مولوداً. وقالت إنها لا تعلم اسم أو شخصية والده، لأنه كان يرتدي قناعاً، حيث إنها ارتكبت الفاحشة في- أيام الكرنفال أو الناشنج- أيام أعيادهم.
وهذه الحادثة ليست إلا قصة صغيرة تقع أمثالها عشرات الألوف كل سنة في بلاد الإباحية، التي أحيت تقاليد الدعارة الجماعية تحت ستار التطور و التحرر، فكانت أعياد الكرنفال أو الناشنج، التي تستمر ثلاثة أيام، وفيها تباح كل الأعراض والحرمات، بل إنه من المخالف

(249)

لآداب التقاليد أن تسير فتاة مع صديقها هذه الليلة، أو تسهر زوجة بجانب زوجها.
وأيام الإباحية الثلاثة تبدأ رسميا في الدقيقة 11 من الساعة 11 من اليوم 11 من الشهر 11 من كل سنة، مع تفاوت بسيط في مواعيدها بين مدينة أخرى، وفي أثناء هذه المهرجانات- بهذه المناسبة- تتعرى النساء من كل شيءٍ تقريباً، وهن يختلطن بالرجال، حيث تجري الدعارة الجماعية، ومن دون أن يعرف كل رجل ما اسم هذه التي يرافقها، ومن دون أن تعرفه هي أيضاً، لأن الجميع يحرصون على ارتداء الأقنعة. وفلسفة الألمان في هذه الأ عياد هي أن من حق البشر أن يخطئوا، لأنهم إذا لم يخطئوا فسيرتفعون إلى مستوى الآلهة، وهذا غير معقول، وأن خطاياهم ستغفر لهم حتماً لأن المسيح قد دفع الثمن وصلب من أجلهم وهم يرددون هذه الفلسفة في صحفهم ومجالسهم في كل مكان[535].
هذه ثمرة ونتيجة من ثمار نتائج الفكرة النصرانية القائلة: إن الإنسان خاطىءٌ منذ ولادته، لأن أباه آدم قد ارتكب الخطيئة. وإن المسيح عليه السلام صلب- بزعمهم- حتى يكفر عن البشر خطاياهم، فهو قد تحمل خطايا البشر. فسبحان الله!
أقول: وهل خلق الله الإنسان عبثاً في هذه الحياة، وليس عليه أي مسؤولية، ولا يترتب عليه الجزاء على تقصيره؟ وهذه لا شك مسألة خطيرة تجر الإنسان إلى التعطيل واللامبالاة بالعواقب، التي يترتب

(250)

عليها امتلاء الأرض بالخطيئة والفاحشة، حيث ترتد البشرية إلى درجات الحيوانية الوحشية، وتفسد معالم الفطرة وتتشوه، وهذا ما يروج له دعاة النصرانية في أميركا وفرنسا وبريطانيا وألمانيا وغيرها من دول الغرب.

---

[535] - انظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم: ج-2. ص180، 181 للأستاذ سعيد حوى.

ويترتب على هذه الخرافة النصرانية أن الإنسان غير مسؤول عن أعماله، بل يلحق به تبعات غير، وفي هذا انقلاب على معايير الحياة وقلب لحقائق الكون الثابتة، وطمس لمعالم الفطرة.

وهكذا تضيع المسؤولية الفردية، وأن ميراثه- الإنسان- للخطيئة منذ خَلَقِهِ يبرر عدم تسببه في ارتكاب الفاحشة، وتحمل الذنوب التي لم يكن سبباً في الوقوع فيها على حد زعمه.

وهناك صورة أخرى تنعدم فيها المسؤولية- علاوة على النصارى والبراهمة و البوذيين والجينيين أصحاب عقيدة التناسخ- تلك الصورة موجودة عند اليهود. يقول الأستاذ سعيد حوى[536].

فاليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار، الذي غفر له كل شيءٍ، فمهما فعلوا من جرائم أو مآسٍ أو مفاسد أو مظالم، فإن خصوصيتهم هذه تجعلهم بمنجى من عذاب الله إلا بشكل بسيط جدا جداً. أ.ه.

هذه صورة من فرار الإنسان من المسؤولية، وقد عرفت منذ العهود الغابرة قبل مجيء المسيح عليه السلام، كما عرفت يوم بعث خاتم

(251)

النبيين محمد صلى الله عليه وسلم ولا زالت تردد على الألسنة، ويروج لها أسراء الوهم والخرافة، وهي في مجموعها صور مشوهة، لا يقبل بها من كان لديه مسكة من عقل أو ذرة من إيمان.. ولا يخفى على ذوي البصائر، فإن لهذه المفسدة أخطاراً وسلبيات تنعكس على حياة الفرد والجماعة، وفي دعوى عدم المسؤولية تعطيل لمصالح العباد، وانتكاس لسنن الكون، مما يـ ؤدي بالتالي إلى انحراف مدمر في سلوك البشر، وهيمنة الطاغوت، والخروج على أمر الله.

أما موقف الإسلام من مسؤولية الفرد فهو على النقيض مما ذكر تماماً، وفيما يلي بعض النصوص القرآنية والأحاديث النبوية التي تبين مهمة الفرد في ا لحياة، وإنه لم يخلق هملا ً وبلا ضوابط تردعه.

قال تعالى: (وكلّ إنسانٍ ألْزَمْناهُ طائرهُ في عُنُقِهِ ونُخْرِجُ لهُ يوْمَ القيامةِ كتاباً يلْقاهُ منْشوراً. اقرأ كتابكَ كفى بنفسكَ اليومَ عليْكَ حَسِيباً)[537].

وقوله تعالى: (تلْكَ أمّةٌ قدْ خَلَتْ لها ما كسَبَتْ ولكُمْ ما كسَبْتُمْ ولا تُسألُونَ عمّا كانوا يعْمَلونْ)[538] وقوله تعالى: (كُلّ امرىء بما كسب رَهينٌ)[539]. وقوله سبحانه: (وأنْ ليْسَ للإنسانِ إلا ما سعى)[540].

وقال عز وجل: (ليْسَ بأمَانِيّكُمْ ولا أمانيّ أهْلِ الكتاب من يعْمَلْ

(252)

---

[536] - انظر كتاب الرسول صلى الله عليه وسلم: ج-2. ص182.

[537] - سورة الإسراء: 13، 14.

[538] - سورة البقرة: 134.

[539] - سورة الطور: 21.

[540] - سورة النجم: 39.

سُوءًا يُجزَ بهِ)[541]. كما قال سبحانه وتعالى: (فَمَنْ يَعْمَلْ مثْقالَ ذرّةٍ خيْراً يرَهُ ومنْ يعْملْ مثقال ذرّةٍ شرًّا يره)[542].
وقال عليه الصلاة والسلامم: (كلّكم راعٍ وكلّكمْ مسؤولٌ عنْ عيّتهِ)[543].
وعن عروة أن امرأة سرقت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة الفتح، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد رضي الله عنه يستشفعونه، قال عروة: فلما كلمه أسامة فيها تلوّن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: (أتكلِمُني في حدٍّ من حدودِ الله؟!). فقال أسامة: استغفر لي يا رسول الله. فلما كان العشي قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيباً، فأثنى على الله بما هو أهله، ثم قال: (أمّا بعدُ، فإنما هلكَ النّاس أنّهم كانوا إذا سرق فيهمُ الشّريف ترَكوه وإذا سرَقَ فيهمُ الضّعيف أقاموا عليه الحدّ، والذي نفسُ محمّدٍ بيده، لوْ أنّ فاطمة بنت محمّدٍ سرقت لقطعْتُ يدها)[544]، ثم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المرأة فقطعت يدها، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت.
يتبين لنا من هذه النصوص الشريفة أن الإنسان لا يتحمل إلا مسؤولية أعماله وحده، فلا يسأل عن أعمال والده، أو ذنوب أقاربه، إلا إذا شارك فيها أو ساهم في تنفيذها. وإن المسؤولية- صغرت أو كبرت- فستكون أمام الحاكم العادل يوم القيامة. وأما شرع الله في الحياة الدنيا فقد بينه القرآن: (ولا تزرُ وازِرَةٌ وزْرَ أخْرى)[545]، فالمسلم يحاسب نفسه
(253)
على الصغيرة والكبيرة، وفي ذلك تأكيد لحماية المجتمع، وقطع لدابر الفتنة.
ومقياس تقدم الإنسان وتأخره هو عمله، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:
يا معشر قُريش اشْترَوا أنفُسَكمْ لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا بني عبد مُنَاف لا أغني عنكم من الله شيئاً. يا عبّاس بن عبدالمطّلب، لا أغني عنكَ من الله شيئاً. ويا صفيّةٌ عمّة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً. ويا فاطمة بنتَ محمّدٍ، سليني ما شئْتِ منْ مالي لا أغني عنك من الله شيئاً)[546].
هكذا يتحرر ضمير الإنسان من التواكل والاعتماد على غيره، وقد يصبح للخطيئة شأن لا يذكر، ومن هنا كان لها أثر بالغ على شخصية الإنسان واستقلاليته، فيصل المجتمع إلى المكانة اللائقة بعد أن استقام سلوك أفراده، وفق مشيئة الله وطبقا لقانون السماء المنظم لسلوك البشر، الذين كلفوا بحمل أمانة السماء الزاخرة بالمبادىء السامية، والداعية لخير الإنسانية تحريرها

---

[541] - سورة النساء: 123.
[542] - سورة الزلزلة: 7، 8.
[543] - قطعة من حديث صحيح رواه الشيخان.
[544] - حديث صحيح رواه البخاري.
[545] - سورة الأنعام: 164.
[546] - حديث صحيح رواه الشيخان.

من ربقة الشرك وهيمنة الخرافة.
(254)

(شبهة منكري البعث)
لقد تكفل الشيطان بإغواء الناس وإغرائهم بما يزينه لهم، فأغلق عليهم منافذ الخير وقعد لهم كل مقعد، حتى أوفى بوعده. وقد كان معظم صرعاه من الفئات الشاذة التي تنساق وراء شهواتها وما يمليه عليه هواها، فتسبح في بحر ظلماتها وتنسى قيمها وتتنكر لوجودها وإنسانيتها. فما أكثر النعم التي أنعم الله بها على خلقه، وما أقل الشاكرين الحامدين لإنعام المنعم، وصدق الله العظيم: (وقليلٌ منْ عبادي الشّكُورُ)[547].
فالله سبحانه خلق الموت والحياة، وخلق الأكوان كلها وخلق كل شيءٍ، وزود الإنسان بقوى ومؤهلات تمكنه من أداء رسالته في الحياة، كما أرسل سبحانه خيرة خلقه مبشرين ومنذرين، الذين حملوا رسالات السماء إلى أقوامهم، وبينوا لهم أوامر الله ونواهيه حسب شرع الله.
ورغم دعوات الرسل والأنبياء والمصلحين في كل زمان، والنذير والوعيد في كل عصر، فقد ضل كثير من خلق الله، ولم ينتفعوا بحواسهم وعقولهم، بل تنكروا لنعم الله وقدرته وعظمته وحكمته البالغة، ونسوا الله فأنساهم أنفسهم: (وما يذّكّرُ إلا أولوا الألبابِ)[548].
إن هذه الطوائف المنحرفة، التي تنكبت السنن المعروفة والأعراف المألوفة، وأنكرت المعاد والمآل، والجنة والنار، وأخيراً أنكرت وجحدت البعث ويوم الحساب.
(255)
إن هؤلاء الملاحدة شأنهم كسائر الكفرة في كل زمان ومكان، ومثلهم كالشيوعية القائلة: لا إله، والحياة مادة. (قاتلهُمُ الله أنّى يؤْفكون)[549].
لقد رد الله على هؤلاء الشواذ الذين أنكروا البعث، وأن ادعاءهم باستبعاده لا معنى له، وهو من قبيل التخرص، لأنهم يجهلون عظمة الله وقدرته وعلمه، وأنهم لا يبصرون ما في أنفسهم، فهم أنفسهم أدل الدلائل وأقوى الحجج على نفي ما ينكرونه من البعث، فالله أحياهم أولاً وأماتهم ثانيا: ولا تزال القدرة صالحة لإحيائهم مرة، وجمعهم مرة أخرى يوم القيامة، فأي استبعاد في هذا؟!
ومن جهة أخرى يجيب علماء العقائد عن هذه الشبهة بأن للإنسان أجزاء أصلية وأجزاء عرضية، والأجزاء الأصلية تبقى كما هي، والعرضية هي التي تتحول[550].

[547] - سورة سبأ: 13.
[548] - سورة البقر: 269.
[549] - سورة المنافقون: 4.
[550] - انظر كتاب العقائد الإسلامية: ص272. بتصرف.

إن الإيمان بالله والامتثال لهدي نبيه هما رأس الأمر كله، والإيمان بالله يمثل أكرم صلة بين الإنسان وخالقه، والإيمان كذلك بأمور الغيب، ومنها البعث والحساب وغيرها من الغيبات التي تمثل صلب العقيدة. ومن جهة أخرى على الإنسان ألا ينساق وراء الهوى والضلال، بل عليه أن يزن كل شيءٍ بميزان الحق والصواب، ولا ينخدع بتقاليد الآخرين وسرابهم، وما بعد الهدى إلا الضلال. وصدق الله العظيم: (وهو الذي يبدأُ الخلقَ ثمّ يُعيدهُ، وهو أهونُ عليهِ وله المثلُ الأعلى في السّموات
(256)
والأرض وهو العزيزُ الحكيمُ)[551].

وعن جابر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (يُبْعَثُ كلُ عبدٍ على ما مات عليه)[552].

ومن المؤسف أن كثر في هذا العصر مروجو ضلالة إنكار البعث وإعادة الحياة للإنسان مرة ثانية، مع أن الدلائل البينة والبراهين الواضحة التي تدحض هذا الهراء مركوزة في الأنفس والآفاق، إلا أن عقول المنحرفين لم تعد تستوعب فكرة البعث وإعادة الحياة لهذه الأجسام التي أصبحت عظاماً نخرة، وأن من العسير جمع تلك الرفات المتفرقة التي تحولت إلى تراب، وأن هذا التراب سيتحول إلى حالات أخرى.

وعلى هذه الوتيرة وبهذه المزاعم، يذهب منكرو البعث- وغيره من الغيبيات- فينشرون ضلالهم وشبهاتهم الشيطانية قائلين: كيف يبعث الناس من قبورهم بعد تحلل أجسامهم وتفرق أجزائها وتحولها إلى تراب كغيرهم من الكائنات؟!!

وقد عالج القرآن ذلك، ورد على مزاعم هؤلاء بما يناسب زعمهم، فقال للذين يستبعدون البعث ويستعظمون أمره: (وضَربَ لنا مثلا ً ونسي خلقَهُ قالَ منْ يُحْيي العظام وهي رميمٌ قلْ يحييها الذي أنْشأها أوّل مرّةٍ
(257)
وهو بكلّ خلْقٍ عليمٌ. الذي جعلَ لكُمْ من الشّجر الأخضَرِ ناراً فإذا أنتُمْ منْهُ تُوقدون. أوَ ليْسَ الذي خلق السّموات والأرض بقادرٍ على أنْ يخلُقَ مثلهم بلى وهو الخّلاق العليم)[553].

لقد عرف الناس منذ القديم ضلالة إنكار البعث، وتلقفتها الأجيال جيلا ً بعد جيل، ورددتها ولا زالت تتكرر، وقد تعرض لها الإسلام وعالجها القرآن فقال سبحانه: (وقالوا ما هي إلا حياتنا الدّنيا نموت ونحْيا وما يُهلكنا إلا الدّهْرُ وما لهُمْ بذلك منْ عِلمٍ إنْ هُمْ إلا يظنّون وإذا تتْلى عليهم آياتنا بيّناتٍ ما كان حـ ُجتَهُمْ إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إنْ كُنْتُمْ صادقين قُل الله يُحْييكم

---

[551] - سورة الروم: 27.
[552] - رواه مسلم: والمعني: أن من مات على خير بعث علي حال سارة، ومن مات على شر بعث على حـ ال شقية.
[553] - سورة يس: 78- 81.

ثمّ يميتكم ثمّ يجْمَعُكمْ إلى يومِ القيامة لا ريب فيه ولكنّ أكثر الناس لا يعلمون)[554].

والحكمة السامية من وراء البعث هي الجزاء والثواب، فيرى الإنسان نتائج أعماله في الدنيا، فيثاب المحسن ويعاقب المسيء. وهذه العقيدة أصل من أصول الصلاح والإصلاح في العالم، فلو استقرت هذه العقيدة عند الناس جميعا وآمنوا بها لاستقامت أمورهم وكثر فيها الخير والإحسان، وقلّ بينهم الشر والفساد، ولكن البشر في كل عصر تغلب عليهم الحياة الدنيا وتخلبهم بزخارفها ومتاعها، وكثير منهم يعتريهم الشك في البعث ودار الجزاء، فلا يصدقون أنهم سيبعثون بعد الموت ويعرضون للحساب[555]! فالشيطان

(258)

وجنده يعملون باستمرار لإغواء البشر وتضليلهم، وإغلاق كل السبل والمنافذ التي تحول دون رؤية الحق وولوج طريقه المستقيم، والأمثلة كثيرة على إمكان البعث والحياة بعد الموت، وسأكتفي بهذه الآيات الكريمات من قول الحق سبحانه.

(ونزّلنا من السّماء ماءً مباركاً فأنْبَتْنا به جنّاتٍ وحبّ الحصيد. والنّخل باسقات لها طلعٌ نضيدٌ. رزْقاً للعباد وأحْيَيْنا به بلدةً ميتاً كذلك الخُروج)[556].

يقول ابن كثير رحمه الله: وهي الأرض التي كانت هامدة، فلما نزل عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من أزاهير وغير ذلك مما يحار الطرف في حسنها، وذلك بعدما كانت لا نبات بها فأصبحت تهتز خضراء.... فهذا مثال للبعث بعد الموت والهلاك، كذلك يحيي الله الموتى. هذا المشاهد من عظيم قدرته بالحس أعظم مما أنكره الجاحدون للبعث كقوله عز وجل: (لخلقُ السّموات والأرض أكبرُ من خلقِ النّاس)[557]. وقوله تعالى: (أولمْ يروا أنّ الله الذي خلَقَ السموات والأرْض ولم يعيَ بخَلقهنّ بقادرٍ على أنْ يُحيى الموتى بلى إنّه على كلّ شيءٍ قديرٌ)[558].

(259)

(القضاء والقدر)

القضاء: هو علم الله الأزلي بجميع الأشياء على ما ستكون عليه مستقبلا ً.

القدر: إيجاد تلك الأشياء بالفعل مطابقة لعلم الله الأزلي فيها.

وقد عكس بعضهم فجعل تعريف القضاء للقدر، وتعريف القدر للقضاء، والأمر محتمل[559].

---

[554] - سورة الجاية: 24- 26.

[555] - راجع كتاب العقائد الإسلامية. وروح الدين الإسلامي: ص120.

[556] - سورة ق: 9- 11.

[557] - سورة غافر: 57.

[558] - سورة الأحقاف: 33.

[559] - انظر كبرى اليقينيات الكونية: ص168.

وقد وردت لفظة القدر في مواضع متعددة من القرآن الكريم.
قال تعالى: (وأنْزَلنا من السّماء ماءً بقدرٍ فأسكنّاهُ في الأرض)[560].
أي بمقدار معين.
وقال سبحانه: (اللّه يعْلَمُ ما تحْمِلُ كلُّ أنثى وما تغيض الأرْحام وما تزداد وكلُّ شيءٍ عنده بمقدارٍ)[561].
والمعنى: أي أن لكل شيءٍ من مخلوقات اللّه سبحانه سنناً ونواميس ومقادير منتظمة كسننه في حمل الإناث وعقمها، وزيادة الذرية ونقصها والإ نسان جزء من الوجود وينطبق عليه النظام الذي اقتضته حكمة اللّه وتقديره. وجاء في القرآن عن الزمن قوله تعالى: (واللّه يُقدِّرُ الليل و النّهار)[562] وجاء في التصوير قوله تعالى: (وخلق كلّ شيءٍ فقدّره تقديرا)[563].
(260)
تبين لنا هذه الشواهد القرآنية أن عقيدة القدر في القرآن الكريم، التي تعلم المؤمنين أن لهذا الكون نظاماً محكماً، وسنناً مضطردة ارتبطت فيها الأسباب بالمسببات، وأن ليس في خلق اللّه خلل ولا مصادفات، ومن فائدة هذا الا عتقاد أن أهله يكونون أجدر الناس بالبحث في نظام الكائنات، وتعرف سنن اللّه في المخلوقات، وطلب الأشياء من أسبابها، والجري إليها في سننها[564]
وقال رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (الإيمان أنْ تؤْمن ب اللّه وملائكتهِ وكُتبهِ ورسلهِ واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيرهِ وشرّه). رواه مسلم وغيره.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية- غفر اللّه له- بعد كلام طويل: والقدر هو قدرة اللّه. كما قال الإمام أحمد: وهو المقدّر لكل ما هو كائن. لكن حقيقة الأمر و النهي، والوعد والوعيد، يعني من الأفعال ما ينفع صاحبه فيحصل له به نعيم ، ومنها ما يضر صاحبه فيحصل له به عذاب.
فنحن لا ننكر اشتراك الجميع من جهة المشيئة والربوبية وابتداء الأمور، لكن نثبت فرقاً آخر من جهة الحكمة والأوامر الإلهية ونهاية الأمور فإن العاقبة للتقوي لا لغير المتقين. وقد قال تعالى: (أمْ نجْعَلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أمْ نجْعل المتقين كالفُجّار)[565] وقال تعالى: (أفنجعلُ المسْلمين كالمُجْرمين)[566].
وإذا كان كذلك، فحقيقة الفرق أن من الأمور ما هو نافع له فيحصل له به اللذة، ومنها ما هو مضاد له ضار له يحصل له به الألم، فرجع الفرق إلى الفرق بين اللذة والألم، وأسباب هذا وهذا. وهذا الفرق المعلوم بـ

---

[560] - سورة المؤمنون: 18.
[561] - سورة الرعد: 8.
[562] - سورة المزمل: 20.
[563] - سورة الفرقان: 2.
[564] - روح الدين الإسلامي: ص151، ومجلة لمحمد رشيد رضا.
[565] - سورة ص: 28.
[566] - سورة القلم: 35.

الحس والعقل والشرع، مجمع عليه بين الأولين والآخرين، بل معلوم عند البهائم، بل هذا موجود في جميع المخلوقات. أ. هـ[567].
(261)

(سوء فهم القضاء والقدر)

إن فهم معنى القضاء والقدر أمر لازم، وهو معلوم من الدين بالضرورة فلا يجوز أن يهمله المسلم، وقد فهمه المسلمون الأولون وطبقوه كما قرره الإسلا م. وهو ركن أساسي من أركان الإيمان، ومن العقائد الأساسية التي يتحصن بها المسلم، ومن وظائف الإسلام الرئيسة التي يجب الالتزام بها من قبل أبناء المسلمين، والتسليم بمجرياتها وفق المقادير الربانية، وعلى حسب مقتضى تعاليم الشارع الحكيم.

وقد اقترن بالتحريف- الذي أدخل على مفهوم التوكل على الله- سوء فهم لمعنى الرضا بالقضاء والقدر، مما كان له الأثر البالغ في إفساد العقيدة وتشويه حقائق الإسلام، لذا نجد هؤلاء الذين فسدت معتقداتهم يجعلون النتائج السببية التي تأتيهم بأسباب منهم، كالمصائب الإلهية التي يبتلي الله بها عباده، فيسيئون فهم القضاء والقدر، فيضعون الأمور في مواضعها، ويسلكون في هذا مسلكا شبيهاً بمسلك المنافقين، الذين كانوا إذا أوذوا مع المسلمين في قتال، جعلوا فتنة الناس كعذاب
(262)
الله، وأخذوا يطرحون الشكوك في الإسلام، ويعتبرون أن ما أصاب المسلمين من أذى، هو شبيه بعذاب الله لهم. وفيهم يقول الله سبحانه وتعالى: (ومن النّاس منْ يقولُ آمنّا بالله فإذا أوذي في الله جعل فِتْنَةَ النّاس كعَذابِ الله ولئِنْ جاء نصْرٌ من ربّك ليقوْلنّ إنّا كنّا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين. وليعْلمنّ الله الذين آمنوا وليعلمنّ المنافقين)[568].

وظاهر أن الاستكانة إلى العدو، على معى الرضا بقضاء الله وقدره، استكانة نهى الإسلام عنها، ولا يرضى بها، ولا يجوز أن تكون وفي قدرة المسلمين أن يدافعوا ويكافحوا ويجاهدوا في سبيل الله، وما يصاب المسلمون بالخذلان أو يتسلط أعداؤهم عليهم إلا بذنوبهم، وبتقصيرهم عن القيام بما أوجب الله عليهم من اتخاذ الأسباب، لصد أعدائهم وإعلاك كلمة الله[569].

كان المعوقون والمختزِلون يذهبون إلى المرأة، فيثيرون مخاوفها على رزقها ورزق عيالها إذا ذهب زوجها إلى الجهاد، فتجيبهم في ثقة واطمئنان:

---

[567] - مجموعة السائل الكبرى: ص103. للإمام ابن تيمية رحمه الله رحمة واسعة.

[568] - سورة النعكبوت: 10، 11.

[569] - أجنحة المكر الثلاثة: ص206، 207. بتصرف.

زوجي عرفته أكالاً ولم أعرفه رزاقاً. فإن ذهب الأكـ ال بقي الرزاق[570].
وذكر عن الشيخ عبدالقادر الجيلاني[571] رحم الله أنه قال: إن كثيراً
(263)
من الرجال إذا وصلوا إلى القضاء والقدر أمسكوا إلا أنا- أي الشيخ عبدالقادر- فإني انفتحت لي فيه روزنة[572]، فنازعت أقدار الحقّ بالحقّ للحقّ، والرجل من يكون منازعاً للقدر، لا من يكون موافقاً للقدر[573].
والذي ذكره الشيخ- رحمه الله- هو الذي أمر الله به ورسوله، ولكن كثيراً من الرجال غلطوا فيه، فإنهم قد يشهدون ما يقدّر على أحدهم من المعاصي و الذنوب، أو ما يقدر على الناس من ذلك- بل من الكفر- ويشهدون أن هذا جار بمشيئة الله وقضائه وقدره، داخل في حكم ربوبيته ومقتضى مشيئته، فيظنون الاستسلام بذلك وموافقته والرضا به ونحو ذلك، ديناً وطريقاً وعبادة، فيضاهئون المشركين الذين قالوا:
(لوْ شا ء الله ما أشْركنا ولا آباؤُنا ولا حرّمنا منْ شيءٍ)[574]. وقالوا: (لوْ شاء الرّحمن ما عبدْناهُمْ)[575].
(264)

(الإنسان مخير في أعماله)

الباطنية والمبتدعة مولعون دائما بتأويل الوقائع وقلب الحقائق مما يخرجها عن مقصدها وغاياتها، وليس ذك من مزايا دعاة الحق، وإنما ذلك انحراف عن الجادة وبعد عن مرامي الحق والصواب.
كثيراً ما يتردد على ألسنة المبتدعة- وبعض المتصوفة الجهال- كلمات يفهم منها ما يخالف روح الإسلام وأحكامه السامية، كما تتناقض وقواعد المنطق السليم وبدهيات العلم.
ومن هذه الأقوال السقيمة أن الإنسان لا يملك في الحقيقة شيئاً، وأنه ليس إ لا ريشة في الهواء، وأنه مسيّر لا مخيّر، بل مسيّر في كافة شؤونه وأعماله، ليس له من حول ولا قوة، وأن هذا الذي نراه من ظواهر الناس وأحوالهم، ليس كل ذلك إلا ظلالاً لقضاء الله فيهم[576].
وإذا ما اعترض عليهم المعترض أو عقب عليهم معقب تجدهم يسارعون

---

[570] - الإيمان والحياة: ص258 للقرضاوي.
[571] - هو الشيخ عبدالقادر بن موسى الجيلاني، العالم الزاهد الصالح، المتوفى في بغداد سنة 561هـ. تنسب إليه الطريقة القادرية، وهو بريءٌ من البدع والضلالات التي تنسب لهذه الطريقة.
[572] - الروزنة: الكوة، وهي خرق في الحائط كالنافذة، وما زال اللفظ مستعملاً في العراق ومعروفا في فلسطين.
[573] - راجع رسالة العبودية: ص5.
[574] - سورة الأنعام: 148.
[575] - سورة الزخرف: 20.
[576] - كبرى اليقينيات الكونية: ص176.

بذكر قول الله سبحانه: (وما رَمَيْتَ إذْ رَمَيْتَ ولكنّ الله رَمَى)[577]:
كشاهد وحجة على صدق دعواهم.
وبدء ذي بدءٍ أقول: هذه الآية خصوصية للرسول صلى الله عليه وسلم وليست عامة.
قال الإمام ابن كثير رحمه الله: قال تعالى في شأن القبضة من التراب التي حصب بها وجوه الكافرين يوم بدر حين خرج من العريش،
- بعد دعائه وتضرعه واستكانته- فرماهم بها وقال: (شَاهَتِ الوُجُوهُ).
(265)
ثم أمر أصحابه أن يصدقوا الحملة إثرها ففعلوا، فأوصل الله تلك الحصباء إلى أعين المشركين، فلم يبق أحد منهم إلا ناله منها ما شغله عن حاله. ولهذا قال تعالى: (وما رمَيْتَ إذْ رَمَيـ ـتَ ولكنّ الله رمى) أي هو الذي بلغ ذلك إليهم وكبتهم بها لا أنت[578].
وقال السدي: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي يوم بدر: (اعْطني حَصْباء من الأرض). فناوله حصباء عليها تراب، فرمى بها في وجوه القوم، فلم يبق مشرك إلا دخل في عينيه من ذلك التراب شيءٌ ثم ردفهم المؤمنون يقتلونهم ويأسرونهم وأنزل الله: (فَلَمْ تقتُلُوهُمْ ولكنّ الله قتَلَهُمْ وما رميْتَ إذْ ميتَ ولكن الله رمى)[579].
وأما دعوى بعض ضعاف العقول، الذين أسرهم الوهم، من الطوائف المبتدعة والمتصوفة، الزاعمين بأنهم مسيرون، لا حول لهم ولا قوة، فهم بهذا الكلام يفترون على الله وعلى الحقيقة وعلى الناس.
ولا شك أنهم بهذا التخرص الواهي واهمون ومتأولون منحرفون، يريدون لأ نفسهم الخروج على الشرع الحنيف وهذا تعطيل للحياة وإفساد للعقول التي منحها الله لعباده، ليتفكروا في صنع الله ويهتدوا بهديه، ويأتمروا بأمره، ليعمروا الأرض ويصلحوا شؤون الحياة لينالوا سعادة الدارين.
(يأيها الإنسانُ إنك كادحٌ إلى ربّكَ كدْحاً فمُلاقيه)[580].
(266)
ولنتدب قول الحق سبحانه: (الّذي خَلَقَ الموْتَ والحياة ليبْلوكُمْ أيُكمْ أحْسَنُ عملا ً وهو العزيز الغفور)[581].
وفي هذه الآية الكريمة إشارة واضحة لمعرفة أعمال الإنسان ومدى طاعته لله.
يقول الشيخ سيد سابق- أطال الله بقاءه[582]: وقد اختلفت الأنظار وتضاربت

---

[577] - سورة الأنفال: 17.
[578] - تفسير ابن كثير: ج-2، ص295.
[579] - تفسير ابن كثير: ج-2.
[580] - سورة الانشقاق: 6. والمعنى: أي ملاق عملك المذكور من خير أو شر يوم القيامة. بتصرف عن تفسير الجلالين: ص506.
[581] - سورة الملك: 2.
[582] - العقائد الإسلامية.

الأفكار تضارباً كادت تضيع معه معالم الحق، فمن قائل:
إن الإنسان مسيّر[583] غير مخيّر، ومجبر على ممارسة نشاطه الاختياري، وإنه كالريشة في مهب الريح تتقاذفها ذات اليمين وذات الشمال.
ومن قائل: بأن الإنسان مخيّر[584] غير مسيّر، وأنه يمارس أعماله الاختيارية بمحض إرادته ومشيئته.
ومن قائل: بأن الإنسان ليس له من أعماله إلا الكسب، أي أن الله يخلق الشيء عند مباشرته، أي أن الله يخلق الشبع عند الأكل، ويخلق المعرفة عند الدراسة.. وهكذا، وليس للعبد إلا الكسب[585]، وبه يصح التكليف والثواب و العقاب والمدح والذم.
ثم يستطرد الأستاذ سيد سابق قائلا ً: قرر الإسلام أن الإنسان خلق مزوداً بقوى وملكات واستعدادات، وهذه القوى يمكن أن توجه إلى
(267)
الخير، كما يمكن أن توجه إلى الشر، فهي ليست خيراً محضاً ولا شراً محضاً، وإن كانت إرادة الخير في بعض الناس أقوى، وإرادة الشر في بعضهم الآخر أقوى، وبينهما تفاوت لا يعلمه إلا اللّه. وفي الحديث:
(كلّ موْلُودٍ يُولدُ على الفطْرَةِ)[586]. ويؤيد هذا قول اللّه سبحانه:
(ونفسٍ وما سوّاها فألهَمَهَا فُجُورَها وتقواها)[587].
أي أن اللّه خلق النفس مسواة ومعتدلة، قابلة للتقوى والفجور، ومستعدة للخير والشر. واللّه سبحانه وتعالى زود الإنسان بالعقل الذي يميز به بين الحق والباطل في العقائد، وبين الخير والشر في الأفعال، وبين الصدق و الكذب في الأقوال، وأعطاه القدرة التي يستطيع بها أن يحق الحق ويبطل الباطل، وأن يأتي الخير ويدع الشر، وأن يقول الصدق ويجانب الكذب، ورسم له منهج الحق والخير والصدق بما أنزل من كتب وبما أرسل من رسل.
وما دام العقل المميز موجوداً، والقدرة على الفعل صالحة، والمنهج المرسوم واضحاً، فقد ثبت للإنسان حرية الإرادة واختيار الفعل[588].
وعلى الإنسان أن يوجه قواه إلى ما يختاره لنفسه من حق أو باطل، ومن خير أو شر، ومن صدق أو كذب. وفي القرآن الكريم يقول اللّه سبحانه: (إنّا هديْنَاهُ السّبيل إمّا شاكراً وإمّا كفُوراً)[589]. أي
(268)
هديناه وأرشدناه إلى طريق الحق والباطل والخير والشر والصدق والكذب، فهو إما أن يسلك السبيل الهدى ويكون شاكراً، أو الطريق المعوج فيكون

[583] - هذا مذهب الحبرية.
[584] - هذا مذهب المعتزلة.
[585] - رأي الأشاعرة.
[586] - فقرة من حديث شريف. متفق عليه.
[587] - سورة الشمس: 7، 8.
[588] - العقائد الإسلامية: ص100 وما بعدها.
[589] - سورة الإنسان: 3.

كفوراً.
ولنتأمل هذه الآية الكريمة: (منْ عَمِلَ صالحاً فَلِنْفْسِهِ ومنْ أساء فعَلَيْهَا ومن ربُّكَ بظّلامٍ للعبيد)[590]. يتبين من هذه الآية الكريمة أن العمل الصالح والعمل السيء قد أسند إلى الإنسان، ولو لم يكن الإنسان حراً ما أسند إليه الفعل.
وفي موضع آخر من القرآن الكريم يقول الله سبحانه: (وما أصابَكُمْ منْ مُصيبةٍ فَبِما كسَبَتْ أيْديكُمْ ويَعْفُوا عنْ كثيرٍ)[591]. أي أن الشرور التي تعرض ل لإنسان إنما هي أثر من آثار عمله ونتاج اختياره وتصرفه.
ونخلص من هذا إلى أنه لو لم يكن الإنسان مختاراً لما كان ثمة فرق بين المحسن والمسيء، إذ أن كليهما مجبر على ما يفعله، ولبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ لا فائدة لهما حيث إن الإنسان مسلوب الإرادة، ولما كان ثمة معنى لتكليف الله للعباد، لأن تكليفه إياهم مع سلب اختيارهم هو منتهى الظلم، الذي يتنزه الله عنه. ويكون الأمر كما قال الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاً وقال له		إياك إياك أن تبتل بالماء

إذ لو كان الإنسان مسيراً لضاعت فائدة القوانين، ولبطل الجزاءُ
(269)
من الثواب والعقاب، ولأصبحت الحياة بهيمية معطلة وفسد الحرث و النسل[592].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما قول القائل: ما لنا في جميع أفعالنا قدرة. فقد كذب، فإن الله فرق بين المستطع القادر وغير المستطيع وقال: (فاتقوا الله ما اسْتَطَعْتُمْ)[593]. وقال تعالى:
(اللّه الذي خَلَقَكُمْ منْ ضَعْفٍ ثمّ جَعَلَ منْ بَعْدِ ضعْفٍ قوّةً ثمّ جعل منْ بعدِ قوّةٍ ضعفاً وشيْبَةً)[594]. والله قد أثبت للعبد مشيئة وفعلا ً كما قال تعالى: (لمنْ شاء منْكُمْ أن يسْتَقيمَ. وما تشَاؤونَ إلا أنْ يشاء اللّه ربُّ العالمين)[595]. وقال تعالى: (جزاءً بما كانوا يعْملون)[596]. لكن الله سبحانه وتعالى خالقه وخالق كل ما فيه من قدرة ومشيئة وعمل، فإنه لا رب غيره ولا إله سواه، وهو خالق كل شيءٍ وربه ومليكه[597]. أ. هـ.
إن الذين يحاولون أن يثبتوا أن الإنسان مقهور مجبور لا إرادة له ولا اختيار إنما يريدون أن يسقطوا عن أنفسهم التكليف، وأن يطلقوا لشهواتهم العنان

---

590 - سورة فصلت: 46.
591 - سورة الشوري: 30.
592 - راجع العقائد الإسلامية: ص103، 104.
593 - سورة التغابن: 16.
594 - سورة الروم: 54.
595 - وسورة التكوير: 28، 29.
596 - سورة الواقعة: 24.
597 - انظر مجموعة الرسائل الكبرى: ص93، 94.

دون تقييد ولا مبالاة، متعللين بالمقادير ومعتذرين بالمعاذير.
والمسلم الحق لا يجادل بالباطل: بل يتخذ لنفسه سبيلا ً إلى ربه ويحاسبها على عمله وكسبه، ولا يخدع نفسه بالأكاذيب، فإن

(270)

الحقيقة لا تخفى: (بل الإنْسَانُ على نَفْسِهِ بصيرةٌ ولو ألقى معاذيره)[598].
يقول العلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر آل سعدي رحمه الله:
إن العبد إذا صلى وصام وفعل الخير أو عمل شيئاً من المعاصي، كان هو الفاعل لذلك العمل الصالح وذلك العمل السيء. وفعله المذكور بلا ريب قد وقع باختياره، وهو يحس ضرورة أنه غير مجبور على الفعل أو الترك، وأنه لو شاء لم يفعل، وكان هذا هو الواقع، فهو الذي نص الله عليه في كتابه ونص عليه رسوله، حيث أضاف الأعمال - صالحها وسيئها- إلى العباد، وأخبر أنهم الفاعلون لها، وأنهم ممدحون عليها إن كانت صالحة، ومثابون وملومون عليها إن كانت سيئة ومعاقبون عليها.
فقد تبين واتضح بلا ريب أنها واقعة منهم باختيارهم وأنهم إذا شاؤوا فعلوا، وإذا شاؤوا تركوا، وأن هذا الأمر ثابت عقلا ً وحساً وشرعاً ومشاهدة.. الخ[599].

(271)

(دفع فرية مروية عن شيخ الإسلام ابن تيمية)
تعرض علماء الإسلام قديماً وحديثاً لمطاعن كثيرة وشبهات عديدة على أيدي أعدائهم، وذلك للانتقاص من هذ الدين الحنيف وتقويض دعائمه،
وسأتعرض في هذه العجالة لدفع فرية ألصقها بعض الرواة والمؤرخين بعالم زمانه وفارس ميدانه شيخ الإسلام أحمد عبدالحليم بن تيمية المولود سنة 661هـ. بحران- سورية.
هو أحد الأئمة الأعلام الذين شاء الله أن يجدد بهم الإسلام، وأن يعز بهم دين وشريعته، وأن يحفظ به وبأمثاله أمة العرب والإسلام.
إن الأمة الإسلامية تفخر بابن تيمية، المؤمن المجاهد الصادق القوي المدافع عن الدين والوطن، الذي لم يكن على ما عليه الجمهور من علماء الإسلام هذه الأيام من تخاذل وتكاسل، بل كان مؤمنا حقاً بالله عاملا ً بشريعته، معتزاً بحوله وقوته، عالماً بأن الجهاد في سبيل الله والوطن من أعظم وأفضل القربات إلى الله تعالى.
لقد اشترك في صد هجوم التتار على بلاد الشام، حيث كان يتقدم الصفوف مجاهداً حتي يتم فتح الله ونصره، بهزيمة الطغاة المغول وصدهم عن دمشق الفيحاء، معقل الإسلام وعرين المسلمين. وقصارى القول: إن الله

---

598 - سورة القيامة: 14، 15.

599 - انظر شرح العقيدة الواسطية تأليف الدكتور محمد خليل هراس: ص149- 150.

أحيا به الشام بل والإسلام، بعد أن كاد ينثلم بتثبت أولي الأمر، لما أقبل حزب التتار والبغي في خيلائهم فظنت بالله الظنون، وزلزل المؤمنون واشرأب النفاق، وأبدى صفحته. .أ. هـ. كما يقول الحافظ
(272)
الذهبي في ترجمته له في معجم شيوخه[600].
وقد كتب عنه معاصروه الثقات، ومنهم ابن الوردي في تاريخه، والحافظ الذهبي في كتبه العديدة، وابن رجب وابن الآلوسي وغيرهم، حيث أثنوا عليه ثناء جميلا ً. وقال الذهبي في عد مصنفاته المجودة: وما أبعد أن تصانيفه إلى الآن تبلغ خمسمائة مجلدة[601].
ولا نريد الإطالة فحسبنا ما ذكرناه عن مؤرخي عصره، ومن أراد التفصيل فليرجع لتلك المراجع المذكورة ففيها اليقين. كان مرادنا دفع تلك الفرية التي درج كثير من المؤرخين والعلماء على ترديدها، وإلصاقها بشيخ الإسلام الإمام أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية رحمه الله- زوا ً وبهتاناً- حيث يعوزها الدليل ولا يجد لها ما يسعفها من حجة أو برهان.
لذلك فإني أقدم للقراء ما أورده الشيخ الجليل محمد بهجت البيطار رحمه الله في كتابه القيم: حياة شيخ الإسلام ابن تيمية. وهذه بعض الفقرات كما جاء في الكتاب ص36:
- اتهم شيخ الإسلام بتشبيه الله تعالى بخلقه أو التجسيم، على كثرة ردوده على المشبهة والمجسمة، كما كان يرد على القدرية والجهمية والمعتزلة، وغيرهم من المؤولة المعطلة[602]، وهؤلاء يزيدون على ما
(273)
وصف الله تعالى به نفسه في مثل قوله: (ليْس كمِثْلِهِ شيءٌ وهو السّميعُ البصير)[603]. فقد أثبت في هذه الآية لنفسه ذاتا وصفات، منها التنزيه عن المماثلة، وهو سبحانه كما وصف نفسه بقوله: (رفيعُ الدّرجات ذو العرش)[604]... وكل شيءٍ محتاج إليه، وهو مستغن عما عداه، وهو مالك العرش ومدبره، فهو مسؤول عن عالم الأجسام وأعظمها العرش، كما هو مسؤول على عالم الروحانيات وهي مسخرة له.
- لقد صدق كثير من العلماء والأدباء في مختلف العصور هذه الفرية الواردة في رحلة ابن بطوطة الشهير وجعلوها قضية مسلمة، يرونها ويتوارثونها إلى عصرنا هذا، حتى إن دائرة المعارف الإسلامية[605] التي تنقل الآن إلى العربية

---

600 - طبقات ابن رجب: ج-2. ص. 39، نقلا ً عن: حياة ابن تيمية- محمد يوسف موسى.
601 - ابن تيمية د. محمد يوسف موسى: ص76. سلسلة أعلام العرب.
602 - للمزد من المعرفة في هذه المسألة، أحيل القاريء إلى كتاب: شرح حديث النزول، للشيخ الإمام ابن تيمية، وفيه العلاج لكل واهم معلول.
603 - سورة الشورى: 11.
604 - سورة غافر: 15.
605 - لقد أشرف على تأليفها جمهور من أقطاب المستشرقين، ومن الذين طعنوا في الإسلام وحضارته وشوهوا معالمه. فليحذر المسلمون حبائل هؤلاء المندسين وأشباههم.

في مصر. وقد ترجمت لابن تيمية ترجمة بقلم الأستاذ محمد بن شنب ص 109- 116- ج-1 فيها أغلاط كثيرة، ونقلت عبارة ابن بطوطة هذه عن إمام الشام، وشيخ الإسلام ابن تيمية:

وكنت إذ ذاك بدمشق، فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ الناس على منبر الجامع يذكرهم، فكان من جملة كلامه أن قال: إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولي هذا- ونزل درجة من درج المنبر.

فرأيت أن أنشر كلمة في هذا الموضوع تكون الحد الفاصل بين الحق و الباطل.

(274)

- إن ابن بطوطة رحمه الله لم يسمع من ابن تيمية، ولم يجتمع به إذ كان وصوله إلى دمشق يوم الخميس التاسع عشر من شهر رمضان المبارك عام ستة وعشرين وسبعمائة هجرية، وكان سجن شيخ الإسلام في قلعة دمشق أوائل شهر شعبان من ذلك العام، ولبث فيه إلى أن توفاه الله تعالى، ليلة الا ثنين لعشرين من ذي القعدة عام ثمانية وعشرين وسبعمائة هجرية، فكيف رآه ابن بطوطة يعظ على منبر الجامع، وسمعه يقول: ينزل..؟؟!!. الخ[606].

- لم يكن ابن تيمية يعظ الناس على المنبر كما زعم ابن بطوطة ج-1، ص57: فحضرته يوم الجمعة وهو يعظ على منبر الجامع... بل لم يكن يخطب أو يعظ على منبر الجمعة كما يوهم قوله: ونزل درجة من درجة المنبر. وإنما كان يجلس على كرسي يعظ الناس، ويكون المجلس غاصاً بأهله.

(275)

قال الحافظ الذهبي: وقد اشتهر أمره وبعد صيته في العالم، وأخذ في تفسير الكتاب العزيز أيام الجمع على كرسي من حفظه، فكان يورد المجلس ولا يتعلثم، وكان يورد الدرس، بتؤدة وصوت جهوري فصيح.

وقال: وفسر كتاب الله تعالى في عدة سنين من صدره أيام الجمع. كما قال علم الدين البرزالي في معجم شيوخه: وكان يجلس في صبيحة كل جمعة يفسر القرآن الكريم، فانتفع بمجلسه وبركة دعائه وطهارة أنفاسه وصدق نيته وصفاء باطنه وظاهره وموافقة قوله لعمله. وإنما كان يخطب الناس على منبر الجامع الأموي في عهد دخول الرحالة ابن بطوطة دمشق قاضي

---

[606] - إن رحلة ابن بطوطة مملوءة بالروايات والحكايات الغريبة، ومنها ما لا يصح عقلاً ولا نقلاً، وهو يلقي ما ينقله على عواهنه ولا يتعقبه بشيءٍ، فمن ذلك قوله- ج-1: ص54-: وفي وسط المسجد - أي الأموي بدمشق- قبر زكريا عليه السلام. والمعروف أنه قبر يحيى عليه السلام. وقوله أيضاً: وقرأت في فضائل دمشق عن سفيان الثوري أن الصلاة في مسجد دمشق بثلاثين ألف صلاة. وهذا لا يقال من قبل الرأي. وسفيان رحمه الله أجلٌ من أن يفضله على مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى المسجد الأقصي ثالث الحرمين الشريفين، وهما لم يبلغ الثواب فيهما هذا الدرجة، كما هو معلوم المحدثين غيرهم.. من نقوله التي أقرها ولم ينكرها- ج-1. ص129، 133، 136-: النذور للقبور المعظمة، والوقوف على أبواب الملوك، ومن ذلك النذر لأبي إسحاق، إذا هاجت الرياح في البحار، واشتدت الأخطار وهو ما لم يبلغ أهل الجاهلية الذين قال الله تعالى فيهم: (فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخْلصين له الدِّينَ).

القضاة جلال الدين محمد بن عبدالرحمن القزويني، وقد كان خطيب المسجد وإمام الشافعية فيه، وكان سكناه بدار الخطابة[607].

ويستأنف الشيخ العلامة بهجت البيطار قائلا ً: ومما تقدم يعلم أن ابن تيمية هو جالس علي كرسي في الجامع الأموي، لا واقف على منبر فينزل درجة عنه. وقد أشار إلى ذلك الحافظ المؤرخ ابن عبدالهادي بقوله: ثم إن الشيخ جالس يوم الجمعة- أي بدمشق- على عادته.

وقال وهو يصف حاله وأعماله بمصر، ويتكلم في الجوامع على المنابر من بعد صلاة الجمعة إلي العصر. فهو لم يقل على منابر الجمعة ولا على منابر الخطابة، والظاهر أن المراد بالمنبر كل ما ارتفع عن الأرض، كما يفهم من مفهومه اللغوي، فهو يعم هذه الكراسي التي يجلس عليها المدرسون في المساجد الكبرى بمصر والشام والعراق، ليسمعوا منها

الجماهير. فكيف غفل ابن بطوطة عن ذلك؟!.

على أن ابن بطوطة لم يكتب رحلته بقلمه، وإنما أملاها على ابن جُزَيْ الكلبي ، وقال هذا في المقدمة: ونقلت معاني كلام الشيخ أبي عبدالله بألفاظ موفية للمقاصد التي قصدها، موضحة للمعاني التي اعتمدها. فيجوز أن يكون ذلك من تحريف النساخ، أو وسوسة بعض الخصوم.

والله تعالى أعلم[608].

(شبهة انتشار الإسلام بالسيف)

ما أكثر الهدّامين وما أقلّ المصلحين المنصفين في هذا العصر، الذي انتكست فيه الإنسانية وابتعدت فيه عن قيمها، ومعالم فطرتها التي فطر اللّه الناس عليها.

إن سهام الباطل لازالت مصوبّة تجاه الإسلام من قبل أعدائه اللئام، الذين لا نستطيع أن نقف لهم على حصر أو تعداد، أولئك الخبثاء الذين استخدموا كافة السبل والوسائل للنيل من دين الإسلام وحضارته، والحطّ من قدره وسمعته. إن دعاة الباطل الذين يتجنون على الإسلام كثيرون- قديماً وحديثاً- ومن بينهم المستشرقون وتلاميذهم، من أبواق الضلال وأصحاب النوايا الفاسدة والأهداف اللئيمة، الذين يزعمون

فيما يكتبون- زورا وبهتاناً- بأن الإسلام قد انتشر بالسيف. إنهم بهذه المزاعم يحاولون إلباس دعواهم ثياب صدق وحيدة، حين يربطون بين الفتوحات ا

---

607 - ج-1. ص56 - رحلة ابن بطوطة.

608 - يقول في آخرها: انتهى ما لخصته من تقييد الشيخ أبي عبدالله محمد بن بططوة، وهذا دليل واضح على أن الرحلة لم تصلنا بألفاظ مؤلفها، بتصرف عن حياة شيخ الإسلام ابن تيمية وكتاب شرح حديث النزول.

لإسلامية وبين نشر الإسلام، فمن هؤلاء من يركب المركب الوعر، فيخلط يشوّه بدعوى خاطئة واستنتاج ظالم، ويغالط نفسه ويظلم الإسلام وأهله بتجنيّاته وتخرّصاته التي ينسبها إليهم وهم منها براءٌ.

فأسلوب الدعوة إلى الإسلام بعيد كلّ البعد عن الدمار، بريء كل البراءة من شهر السيف وامتشاق الحسام، وإنما السبيل إلى ذلك مسطور في حنايا الكتاب العزيز في أكثر من آية من آيات اللّه، فسبيل نشر الدعوة ينحصر في أن قوة الدعوة نفسها أمضى وأقوى من قوة السيف.. واللّه تعالى يقول: لا إكْراهَ في الدّين)[609]. (ادْعُ إلى سبيل ربّكَ بالحكمَةِ والموْعِظَةِ الحَسَنَةِ وجَادلهُمْ بالتي هي أحْسَنُ)[610]. ويقول سبحانه: (وقلْ للذين أوتوا الكتاب وا لأمّيينَ أأسلمْتُمْ فإن أسْلموا فقد اهتدوا وإنْ تولوا فإنّما عليك البلاغ واللّه بصيرٌ بالعبادِ)[611].

هذا هو دستور الدعوة الإسلامية، سبيل كله سلام وحرية اختيار، لا إجبار و لا إكراه، ولذلك فمن الحقائق التاريخية المسلم بها أن النصارى من العرب ظلّوا متمتعين بكامل حقوقهم، وأن عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه لم يفرّق بين تغلب النصرانية وبين المسلمين[612].

(278)

ومعروف أيضاً أن النصارى في الشام طلبوا نجدة الجيوش الإسلامية لكي تخلصهم من ظلم الروم ولكي تنشر العدل بينهم، فقد كانت رسالة السماء تفرض إشاعة العدالة بين الناس أياً كان دينهم، وإذا كان الإسلام قد فرض الجزية عليهم، فلم يكن معنى ذلك عقاباً لهم، وإنما كان ثمناً لحمايتهم، وفي نفس الوقت سممح لهم بإقامة شعائرهم الدينية، والتمتع بكامل حقوقهم على وجه من العدل والإنصاف. وكان الحال كذلك أيضاً بالنسبة للقبط في مصر، وقد لاقوا من الاضطهاد قبل الفتح الإسلامي ما جعلم ينتظرون وصول العرب الفاتحين بفارغ الصبر[613].

يقول السير توماس آرنولد في وصف حالهم: كان بعضهم يعذب ثم يلقى بهم في اليمّ، وتبع كثير منهم بطريقهم إلى المنفى لينجوا من مضطهديهم، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقة وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية، وقد جلب الفتح الإسلامي إلى هؤلاء القبط حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان.

وقد تركهم عمرو بن العاص أحراراً على أن يدفعوا الجزية، وكفل لهم الحرية في إقامة شعائرهم، وخلّصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذي كانوا يئنون من عبئه الثقيل في ظل الحكم الروماني، ولم يضع عمرو يده على

---

609 - سورة البقرة: 256.

610 - سورة النحل: 125.

611 - سورة آل عمران: 20.

612 - راجع كتاب إسلام بلا مذاهب: ص127.

613 - راجع المصدر السابق.

شيء من ممتلكات الكنائس، ولم يكتب عملا ً من أعمال
(279)
السلب والنهب، ويظهر أن حالة القبط في الأيام الأولى من حكم العرب كانت معتدلة، وليس هناك شاهد من الشواهد يدلّ على ارتدادهم عن دينهم القديم ، ودخولهم في الإسلام على نطاق واسع كان راجعاً إلى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم غير المسلمين[614].
وهكذا وجد القبط في ظلّ الإسلام الحرية الكاملة، بعد أن قتل الامبراطور جستنان من قبط الاسكندرية والأرثوذكس وحدهم مائتي ألف مواطن[615].
وما يقال عن دخول نصارى مصر إلى الإسلام- دون ضغط أو إكراه- يقال عن غيرهم من سكان البلاد التي فتحها المسلمون، وها هي رسالة كتبها البطريق النسطوري- يشوع ياف الثالث- وبعث بها إلى المطران سمعان رئيس أساقفة فارس، يقول فيها- بعد أن صوّر حزنه بتحول كثير من النصارى الفرس إلى ا لإسلام: وإن العرب الذين منحهم الله سلطان الدنيا، يشاهدون ما أنتم عليه وهم بينكم كما تعلمون حقّ العلم، ومع ذلك فهم لا يحاربون العقيدة النصرانية، بل على العكس يعطفون على ديننا ويكرمون قسنا وقديسي الرب ، ويجودون بالفضل على الكنائس والأديار، فلماذا إذن هجر شعبك من أهل مرو عقيدتهم من أجل هؤلاء العرب؟. ولماذا حدث ذلك أيضاً؟. في وقت لم يرغمهم
(280)
فيه العرب- كما يصرّح أهل مرو أنفسهم- على ترك دينهم، بل هم تعهدوا لهم أن يبقوا عليه آمناً مصوناً إذا هم اقتصروا على أداء جزء من تجارتهم إليهم[616].
على أن الأمر لم يقف عند هذا الحد، بل إن صلاح الدين الأيوبي رحمه الله- الذي خاض الحروب الصليبية- لم يأخذ رعاياه من النصارى بجريرة القادمين الباغين من أوروبا، وإنما عاملهم برفق أكثر، وأسبغ عليهم تسامحه، وخفف عنهم الضرائب وأزال بعضها، ووضعهم في الوظائف العامة كوزراء وكتاب وصيارفة.
وظلّ حالهم كذلك من السعادة والرعاية والاستمتاع بحرياتهم كاملة في عهد خلفاء صلاح الدين[617].
لم يدخل أحد في الإسلام إذن خوفاً من السيف- كما يزعم دعاة الباطل و الضلال[618]- وإنما العقيدة نفسها كانت كالنور الوهّاج يجذب

---

[614] - راجع كتاب الدعوة إلى الإسلام ص: 123، 124 للسير توماس آرنولد.
[615] - انظر كتاب إسلام بلا مذاهب: ص128.
[616] - انظر توماس آرنولد: ص101، 102 نقلا ً عن كتاب إسلام بلا مذاهب ص: 129.
[617] - راجع إسلام بلا مذاهب ص: 129.
[618] - ومما يذكر أن القوة هي آخر ما لجأ إليه الإسلام مع أعدائه، ولم يلجأ إليها في سبيل نشره بين الناس، وإنما لدفع أذى هؤلاء الأعداء، ولحماية أتباعه من أن يفْتنوا بالقوة عن دينهم، إذا ما تعرض الحكام لاضطهادهم وفتنتهم، وذلك ليتمتع المسلمون بالحرية الدينية التي أقرها الإسلام، حقاً من

(281)
إليه الأنظار، فدخلت أفواج الناس إلى الإسلام عن رضى وارتياح وإيمان فحوادث إجبار غير المسلمين على اعتناق الإسلام قليلة نادرة، وإن وجدت فهي فردية غالباً، ولعلها في الديانات الأخرى أكثر منها في الإسلام.
فشارلمان ملك فرنسا كان يفرض التعميدات النصرانية بحد السيف!!
وكان أولاف- ملك النرويج يذبح من يرفض الدخول في الدين النصراني من سكان فيكن- جنوبي النرويج- أو يقطع أيديهم وأرجلهم.
كما وجدت جماعة متعصبة لنشر النصرانية بالقوة أسموا أنفسهم إخوان السيف[619].
فالذين ذهبوا إلى أن الإسلام قد انتشر بالسيف قوم مخطئون كل الخطأ، لأن الدين الذي يعتمد على السيف لكي ينتشر دين ضعيف وليس الإسلام كذلك.
وليس أدل على ذلك من أن المهاجمين لديار الإسلام، المنتصرين على المسلمين، أمثال السلاجقة الوثنيين الذين فتحوا كثيراً من ديار الإسلام، وكذلك المغول التتار المتوحشين الوثنيين الغالبين الذين خرّبوا ديار الإسلام ، وقتلوا خليفة المسلمين في بغداد... هؤلاء جميعاً ما لبث الدين الإسلامي- بقوته وسلامته وسماحته- أن استهواهم، فاعتنقوه وصاروا سلاطين مسلمين.
نقول: من يصدّق أن هؤلاء المتوحشين الوثنيين يدخلون الإسلام
(182)
طائعين، وهم الكافرون الكاسحون المنتصرون؟! لعلّ هذه الأمثلة التاريخية التي تؤيدها الوثائق، والتي جعلت الغالبين يدخلون إلى الإسلام عن رضى كامل، لأكبر دليل على أن الإسلام لم ينتشر بالسيف، وإنما انتشر بقوة العقيدة وكمالها، وتشبع النفوس بها واقتناع أولي الألباب بأنها الحقّ من ربّ العالمين.
وكذلك فقد انتشر الإسلام في الأندلس بغير ضجة ولا سيف، وإنما بالسماحة والرفق والاقتناع، وعلى العكس من هذا فقد خرج الإسلام من الأندلس يسبح في بحار دافقة من دماء أبنائه، بسيوف متعصبة ظالمة، وكتب التايخ أكبر شاهد و خير دليل لما نقول[620].
وقد اعتنق الأفريقيون الإسلام أيضاً عن طريق الدعاة والتجار، لقد لقي

حقوق الإنسان، من قبل أن يقرّه فلاسفة العصر الحديث بأربعة عشر قرناً. قال تعالى: (لا إكراه في الدّين). وقال تعالى: (وقلِ الحقُ منْ ربّكمْ فمَنْ شاءَ فليُؤْمن ومن شاء فليَكفرْ).
وبالمقابل نسأل كافة الشيوعيين في العالم: أين الحرية عندكم؟؟ ونسأل أميركا- رأس الكفر الغربي: أين الحرية عندك؟، وأين حقوق الزنوج فيها؟! ولم تؤيدين وتولين الجبابرة والمستبدين والطغاة حكاماً على الشعوب؟!

[619] - راجع إسلام بلا مذاهب: ص130.

[620] - أفردت بحثاً خاصاً عن سقوط الأندلس، فليراجعه من شاء في هذا الكتاب.

الدعاة المسلمون لدى الزنوج كثيراً من الإدراك والتقبل، حين كانوا يحدثونهم عن الحقائق المتعلقة بالله والإنسان. هذا فضلا ً عن أن الدين الإسلامي دين الفطرة والبساطة، ولذلك كان الأفريقين يقبلون على اعتناقه باعتباره لا يفرّق بين الأبيض والأسود- عكس ما عليه حال زنوج أميركا الآن المدّعية بحماية حقوق الإنسان- ولكن الإرساليات الأوروبية لم تنجح في شد زنوج أفريقيا إلى رباط النصرانية، لأن الزنجي الأفريقي الأسود المتنصِّر كان يحس في قرارة نفسه أن أبناء دينه من الأوروبيين ينتمون إلى جنس ولون وحضارة لا ينتمي هو إليها، وكان يحس بذلك الفرق الذي يؤرق نفسه ويؤلم إنسانيته.

(183)

أما عن خرافة انتشار الإسلام بالسيف، وعدّ الغزوات وإحصاء السرايا، فيهدم هذا الزعم وجود الإسلام في روسيا والصين واليابان والحبشة، وجنوبي أفريقيا وأميركا وانجلترا. وما ذكر الخصوم إطلاقاً أن المسلمين اتجهوا كجماعات إلى هذه البلاد غزاة أو فاتحين .

وإلا ترى أي قوة تلك التي غزت العالم من شماليه إلى جنوبيه ومن شرقيه إلى غربيه؟. وما قول الخصوم فيمن اعتنقوا الإسلام أمس؟! واليوم؟! من مختلف القارات وبعيد الأمصار.

لا أظن أن هناك من يقول: إن ذلك تم بالسيف والضغط أو الإرهاب.

ولماذا لم نسمع عن مسلم كفر أو خرج من إسلامه؟! رغم تعدد سوائل الترغيب وسبل الترهيب[621].

أقول: لا تثريب عليكم يا من تشيعون الفتن وتروّجون الكذب، فقد كانت سرعة انتشار الإسلام معجزة العصور، وقد كان الانتشار سريعاً لسبب بسيط، هو السماحة والعقيدة والتبشير التي يتميز بها الإسلام، ويتحلى بها دعاته وأبناؤه، ولنا في إسلام أندونيسيا جنوباً، والفلبين وفنلندا ولتوانيا في أقصى الشمال أكبر شاهد على ذلك.

والإسلام كذلك هو محرر العبيد وليس داعية عبودية أو استرقاق بين أبيض وأسود والكلّ عنده سواءٌ.

(284)

(أقلام غربية منصفة)

يقول المستشرق بيكر: إن العرب لم يفرضوا دينهم على أهالي البلاد المفتوحة، بل فرضوا سيطرتهم السياسة لا غير، فسيطرة العرب السياسية هي التي انتشرت بقوة السلاح، أما الديانة الإسلامية فقد وجدت سبيلها إلى قلوب عدد كبير من أهالي البلاد المفتوحة، بدليل ما أجمعت عليه الوثائق من تسامح العرب المطلق مع النصرانية واليهود على السواء، وهو تسامح لم

---

[621] - انظر أسئلة حرجة: ص56 بتصرف.

يخطر على بال إنسان، ولم يحظ به النصارى واليهود في ظل حكامهم السابقين[622].

ويقول بير المستشرق السابق: إن أوروبا في العصور الوسطي نظرت إلى انتشار الإسلام من وجهة النظر الكنسية الدينية، وكأن الكنيسة قد أفزعها وآلمها ضياع البلاد في الشام ومصر وأعالي العراق، وكانت ترتبط بأصول النصرانية، فراحت تفسر انتشار الإسلام في هذه البلاد بأنه لم يتم إلا بحد السيف[623].

يقول السير. و. آرنولد: وبقاء اليهود والنصارى في العالم الإسلامي على دينهم حتى اللحظة هذه برهان قاطع لا يقبل الجدل ولا المماحكة، يثبت أن الإسلام لم يُكره غيره على اعتناقه بقوة السيف[624].

(285)

ويقول السير. و. آرنولد أيضاً: ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين النصارى والمسلمين العرب، بأن القوة لم تكن عاملا ً حاسماً في تحويل الناس إلى الإسلام، فمحمد نفسه قد عقد حلفاً مع بعض القبائل النصرانية، وأخذ على عاتقه حمايتهم، ومنحهم الحرية في إقامة شعائرهم الدينية، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم[625].

هذه شهادة بعض العلماء الغربيين حول انتشار الإسلام، وهي تبين الإنصاف والتسامح الإسلامي الفريد.

(شبهة حول الاحتجاج بالسنة)

لأعداء الإسلام شبهات كثيرة، يوردونها للطعن فيه وتشويه حقائقه وإفساد أركانه. وسأتناول فيما يلي شبهة واحدة من شبهاتهم، وهي تدور حول الا حتجاج بالسنة، لنعرف مقدار قوتها في حلقة البحث والمناقشة.

والشبهة هي: يقولون إن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن كتابة السنة، فقد ورد عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لا تكتُبُوا عنّي. ومَنْ كتَبَ عنّي غير القرْآن فليَمْحُهُ وحدِّثوا عنيّ ولا حَرَجَ. ومنْ كذَبَ عليّ فليَتَبَوّأ مقْعدَهُ من النّار).

(286)

وكذلك يقولون: قد ورد من طريق أبي مليكة مرسلا ً، أن أبا بكر رضي الله عنه جمع الناس بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وقال: إنكم تحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحاديث تختلفون فيها، والناس بعدكم

---

[622] - موسوعة كمبردج لتاريخ العصور الوسطي: مجلد 2. ص330. عن كتاب محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن.

[623] - راجع كتاب محمد في التوراة والإنجيل والقرآن.

[624] - الدعوة للإسلام. وشبهات حول الإسلام لمحمد قطب.

[625] - انظر روح الدين الإسلامي: ص279. والدعوة إلى الإسلام: ص48.

أشد اختلافاً، فلا تحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً، فمن سألكم فقولوا: بيننا وبينكم كتاب الله، فاستحلوا حلاله وحرموا حرامه، وإذا كان الرسول صلى الله عليه وسلم قد نهى عن تدوين السنة، وإذا كان أبو بكر منع الناس أن يحدثوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فإن مدلول هذا عدم الاحتجاج بالسنة، والاكتفاء بما في القرآن الكريم.

(ردنا على هذه الشبهة)

أولا: في الحديث الأول نقطتان:

أ- أمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالتحديث عنه دون حرج.

ب- نهيه صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة ومحو ما دوّن منها.

ومفهوم هذا أن النبي صلى الله عليه وسلم أمر بحفظ السنة بطريق واحد، وهو طريق الحفظ والتحديث والرواية عنه دون طريق الكتابة والتقييد في القرطاس. أما بالنسبة لحفظ القرآن الكريم، فقد أمر عليه السلام أن يحفظ بِ الطريقتين معاً:

(287)

1- طريق التدوين والتقييد والكتابة.

2- طريق الحفظ والرواية والتلاوة.

وعليه فلا سند للمشتبهين في عدم الاحتجاج بالسنة من الحديث الأول، فإن عدم تدوين السنة لا ينافي حرص الرسول صلى الله عليه وسلم عليها، وعنايته بالحفاظ عليها، غاية ما في ا لأمر أن حفظ الآثار العليا كالقرآن له طريقان وله درجتان. والطريقان هما التدوين والكتابة، والتحديث و الرواية. وله درجتان هما:

- درجة أولى عليا يحققها الحفظ بالطريقتين السابقتين معاً- التدوين و الكتابة، والتحديث والرواية- وذلك خاص بالقرآن الكريم[626].

- ودرجة ثانية عليا يحققها طريق واحد فقط- تمييزاً للقيم وإبرازاً للذوات- وهو طريق الرواية والتحديث، وهو خاص بالسنة الإسلامية. وهذا ما قصد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم من حفظة السنة.

وعلة ذلك الصنيع هو حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن تبقى ذاتية القرآن بعيدة عن إيهام اختلاط الأحاديث بالآيات، إذاً اتحدت درجة السنة مع القرآن في طريقي الحفاظ تدويناً وتحديثاً. يدل على هذا الصحابي الجليل أبو هريرة فيقول: إن رسول الله صلى الله عليه وسلم رآهم يكتبون الأحاديث فقال: (ما هذا الذي تَكتُبُونَ؟). قلنا: أحاديث سمعناها منك. فقال:

(288)

(أكتاباً غيْرَ كتابِ الله تُرِيدُونهُ؟! ما أ ضلّ الأمم منْ قبْلِكُمْ إلا ما كتَبُوا من الكُتُبِ مع كتابِ الله).. فقال أبو هريرة رضي الله عنه:

---

[626] - انظر السنة الإسلامية بين إثبات الفاهمين ورفض الجاهلين: ص35، 36. للدكتور رؤوف شلبي.

فقلت: أتحدث عنك يا رسول الله؟. قال: (نعَمْ. حدِّثوا عنيّ ولا حَرَجَ، فمَنْ كذّبَ عليّ مُتَعَمِّداً فليَتَبوّأ مقعَده من النّار).
كما روي عن ابن مسعود قال: (جرّدوا القرآن ولا تكتفبُوا فيه شيئاً إلا كلام الله)[627]. وفي الحديث وضوح لعلة نهي الرسول صلى الله عليه وسلم عن تدوين السنة رسمياً بأمر النبوة والدولة، وهي نفس العلة التي جعلت عمر بن الخطاب رضي الله عنه- وهو أمير دولة الإسلام- يستخير الله شهراً في تدوين السنة، ثم يصبح قد عزم الله له، ولكن الرجل- مع ما يعرف عنه من قوة العزم ووضوح الذكاء، ومعرفته وسائل الدعوة وصيانتها- يتراجع يقول: إني كنت أردت أن أكتب السنة، وإني ذكرت قوماً كانوا قبلكم كتبوا كتباً، فأكبوا عليها وتركوا كتاب الله.
وإني والله لا أشوب كتاب الله بشيءٍ)[628].

ثانيا:
على أن عدم الأمر بكتابة السنة لا ينفي حجيتها، كمصدر أساسي للتشريع الإ سلامي، إذ مصدريتها غير متعلقة بالكتابة والتدوين، بل متعلقة- على زعمكم أنتم - على الحفظ والعناية، وهو قدر يكفيه الإذن بالتحديث والرواية و الحفظ في الصدور، وقد أمر النبي صلي الله عليه وسلم بذلك دون حرج.
لكن بقي عليكم أن تتفهموا مسألة:
(289)
1- طريق الحفظ.
(2) درجة الحفظ.
(3) غاية الرسول صلى الله عليه وسلم من إيثار القرآن بالطريقتين والسنة بطريق واحدة[629].

ثالثا:
وأما الحديث الذي يرويه أبو مليكة، فإنه يفيد حرص أبي بكر على سلامة متن الحديث من بعض الراوين- من غير دقة أو فهم- لاسيما وقد دخل في دين الله من القوم ما لا دراية لهم بالذوق العربي في الأسلوب.
وهذا لا يصطدم مع كون السنة مصدراً أساسياً للتشريع، لاسيما إذا لاحظنا أن أبا بكر نفسه أنفذ للجدة نصيبها من الميراث مستنداً إلى السنة، فعمل أبي بكر نفسه أنفذ للجدة نصيبها من الميراث مستنداً إلى السنة، فعمل أبي بكر بـ السنة يوضح مقصده من حديث أبي مليكة وهو الحرص على سلامة الحديث، وهو أمر لا يتنافى مع موضوع حجية السنة ومصدريتها للتشريع.

---
627 - المصدر السابق: ص37.
628 - المصدر السابق.
629 - انظر السنة الإسلامية: ص38.

رابعا:
على أن الاستدلال بهذين الحديثين، مقابل أحاديث تفيد الأمر بكتابة السنة:
1- فقد ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة، أن خزاعة قتلوا رجلا ً من بني ليث عام الفتح، بقتيل منهم كانوا قد قتلوه،
(290)
فلما علم النبي صلى الله عليه وسلم ركب راحلته وخطب الناس فقال: (إنّ الله جبّ عنْ مكة القتل أو الفيْلَ وسلط عليْهُمْ رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤْمنين.
وإنّها لم تحلّ لأحدٍ قبْلي. ولنْ تحلّ لأحدٍ بعدي. ألا وإنّها أحلّتْ لي ساعة منْ نهارٍ، وإنّها ساعتي هذه حرامٌ، لا يُخْتَلَى شوكها ولا يعْضَدُ شجرها لا تُلْتَقَطُ ساقِطتها إلا لمُنْشدٍ، فمنْ قُتل لهل قتيل فهو يخيّر النّظيرين: إما أن يقتل وإمّا أن يُقادِ أهل القتيل).
فجاء رجل من أهل اليمن فقال: اكتب لي هذا يا رسول الله. فقال: (اكْتُبُوا لأ بي شاهٍ).
2- ويؤثر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (قيّدوا العلمَ بالكتابةِ).
ويعلق الخطيب البغدادي على هذا فيقول: (وفي وصف الرسول صلى الله عليه وسلم الكتاب بأنه قيد للعلم، دليل على إباحة رسمه في الكتب لمن خشي على نفسه دخول الوهم في حفظه وحصول العجز عن إتقانه وضبطه. أ.هـ.
3- ويروي أبو هريرة رضي الله عنه- وهو يقارن بينه وبين عبدالله بن عمرو في العلم والحديث فيقول: ما كان أحد أعلم بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم مني إلا عبدالله بن عمرو، فقد كان يكتب ولا أكتب[630].
4- وقد اعترض بعض الصحابة على تدوين عبدالله بن عمرو للسنة فقالوا له: إنك تكتب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كل ما يقول: ورسول الله صلى الله عليه وسلم قد يغضب فيقول ما لا يتخذ شرعاً عاماً. فرجع عبد الله بن
(291)
عمرو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له: (أُكْتُبْ عنّي فوالذي نفسي بيده ما خَرَجَ منْ فَمِي إلا حقٌ).
يوضح لنا هذا العرض أن السنة الإسلامية مصدر أساسي للتشريع الإسلامي، وأن هذه المصدرية لا يقدح فيها:
1- عدم النص صراحة على حفظها مع القرآن، فيما فهمه المشتبهون في قوله تعالى: (إنّا نحْنُ نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون)[631].

---

[630] - المصدر السابق.
[631] - سورة الحجر: 9.

2- وأن الرسول صلى الله عليه وسلم نهى عن تدوينها، فإن ذلك لا علاقة له بالمصدرية والحجية في التشريع، بعد الأمر بالتحديث عنه.
3- وأن هناك أحاديث ناهية عن تدوين السنة، إلا أنها مقابلة بأحاديث أخرى آمرة بتدوينها، ومقابلة كذلك بعمل الصحابة بها بالإجماع[632].
نخلص من هذا إلى القول بأن الفقه العام لتدوين السنة وعدمه، هو عناية الأمة والدولة بالقرآن الكريم عناية فائقة ذاتية، لا يشترك معه فيها شيءُ آخر، إبرازاً لعظمته وإظهاراً لكرامته وقدره، وهو حفاظ عليه بالتدوين والحفظ.
أما السنة الشريفة ومنزلتها الثانية بعد القرآن، فيكفي الحفاظ عليها بالرواية فقط، حتى لا تشترك مع القرآن في الدرجتين والأسلوبين،
(292)
ولكي تتميز ذاتيتها عن القرآن هي الأخرى، وكل هذا بعيد في دلالته ومفهومه وآثارها عن نفي حجية السنة، أو إبعادها عن كونها مصدراً أساسياً للتشريع الإسلامي، وإلا فقد كانت هناك كتابات فردية للسنة لكن ليس باسم الدولة، فإن هدف الدولة الإسلامية في عصر النبوة هو الحفاظ على ذاتية القرآن، والحفاظ على ذاتية السنة، واتخذت لذلك السبل مقتضيات العصر و الظروف.
أقول: فليس لمعاند جاحد- بعد هذا الحشد من النصوص المستفيضة- إلا أن يثوب إلى روضة السنة المباركة، يشفي منها غلة الحاجة، ويروي فيها شرايين الحياة، وسوف لا تضل أمة نهلت من رياض رسولها الذي لا ينطق عن الهوى. ولقد صدق عليه الصلاة والسلام، وهو يرشد الأمة إلى ذلك فيقول: (ترَكْتُ فيكُمْ ما إنْ أخَذْتُمْ به لنْ تضلوا بعدي أبداً، كتاب الله وسنّتي)[633].

(فرية صراع العلم والدين ودحضها)

درج على ألسنة الناس في عصر النهضة بأن العلم والدين في صراع دائب و لا يمكن التوفيق بينهما. وللأسف لا زالت تتكرر هذه الخرافة حتى هذه الأيام.
إن هذا الزعم مغالطة وافتراء ٌ، وقد استحوذ على أفئدة وعقول
(293)
الكثيرين ممن يتسمون بالعلمانيين والعقلانيين، كما أن هذا الزعم المشوه الذي روج له أولئك الموتورون والحانقون، الذين ليس لديهم من المؤهلات العلمية سوى قراءة بعض العناوين وفهارس الكتب، من أمثال أصحاب التخصصات العلمية كالطب والهندسة والزراعة مثلا ً، هؤلاء الذين لا تتجاوز معرفتهم بالعلوم الدينية المرحلة الثانوية- على أحسن تقدير- إن هؤلاء لا رصيد لديهم من العلم والمعرفة الدينية، لأنهم قضوا معظم حياتهم

632 - بتصرف عن السنة الإسلامية: ص40 وما بعدها
633 - رواه مالك في الموطأ بألفاظ مختلفة.

التعليمية في دراسة ما لا يمت إلي التعليم والثقافة الإسلامية بصلة، وما حاجتهم وعوزهم الماس إلي إشباع أنفسهم من المعارف الإسلامية، إلا أنهم - وللأسف الشديد - قد تربعوا على مقاعد النقد وإصدار الأحكام، حيث يهرفون بما لا يعرفون، ويقولون على الله ما لا يعلمون، وبهذا ضاعت الحقيقة، واتسعت الهوة واختلط الحابل بالنابل، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

لقد كان هؤلاء وأمثالهم- من الذين ابتليت بهم أمة الإسلام- من جملة الحراب المشرعة على هذا الدين، الذي فيه الدعوة الحثيثة على التدبر والإ معان، والنظر في الكون والأخذ بما فيه خير البشرية، ورفع المستوى الإ نساني إلى المستوى اللائق، وفي كافة الاتجاهات.

إن الحديث عن الصراع بين العلم والكنيسة- الدين- يجب تحديد معانيه وألفاظه، إنه صراع بين العلم والكنيسة، وبين رجال الكنيسة والعلماء، ولا نقول بين الدين والعلم، أو بين رجال الدين والعلماء، وهذا الفصل لا يعرفه ا لإسلام وتنفر منه طبيعته.

(294)

فبالنسبة للإسلام يعتبر كل مسلم رجلا ً لدينه، وكل مسلمة امرأة لدينها، و لا رهبانية في الإسلام. أجل، لقد كان الصراع محتداً بين الكنيسة والعلماء في العصور المتوسطة في أوروبة، وهزم رجال الكنيسة، ثم انسحب هذا التعبير ليجد له موضعاً عند المسلمين، وفي الحقيقة لا مجال له، بل الواقع ينفيه، وما هو إلا وهم في عقل دعاته.

ولكن ذلك لا يعني بحال هذا الذي نسمع من هراء الأدعياء حول الخصومة بين العلم والدين، وذلك يعتبر خطراً كبيراً وضلالا ً بعيداً، إذ أن في الكتاب الكريم من الإشارات الإلهية والأوامر الربانية الذي لا ينقطع إلا برحلة الخلود، التي يبدؤها الإنسان بأول منطلق له نحو الآخرة عند عتبة القبر.

ويكفي أن يرد في القرآن الكريم دعوة إلى العلم وحث على طلبه، وإثارة لعقل الإنسان أن يغوص في أعماق البحار، وأن ينطلق في أجواء الفضاء، وأن يرود طبقات الأرض، وأن يحلل مجاهيل النفس الإنسانية في أبعادها المترامية المتشعبة.

يقول تعالى: (سَنُريهمْ آياتنا في الآفاق وفي أنْفُسِهمْ حتى يتبيّنَ لهُمْ أنّه الحقّ أو لمْ يكْف بربِّكَ أنّه على كلّ شيءٍ شيهدٌ، ألا إنّهمْ في مريةِ من لقاء ربّهمْ ألا إنّه بكلّ شيءٍ مُحيطٌ)[634].

(295)

ألا يعني هذا ببساطة ووضوح- لا يحتاج الإنسان معه إلى الخوض في تفاسير أو شروح- أن الله جل وعلا ينبه الإنسان إلى مظاهر إعجازه، ودلائل إبداع صنعه، في آفاق الفضاء، دوون الفلك، وانتظام الأجرام، وحركات النجوم، كما يثير فيه خاصية التفكير بعمق في ذاته، جسداً دقيق الصنع

---

[634] - سورة فصلت: 53، 54.

عجيب التكوين، ونفساً متعددة النزعات والأحاسيس المشاعر؟!.
إن الإسلام لم يتبنّ حشداً من النظريات، وطائفة من القوانين العلمية بحيث يصر عليها ويحارب مخالفها، بل ضم طائفة كبيرة من الأحاديث التي تحث على التدبر والتعقل والتفكير، وتشير إلى الأفئدة والعقول والألباب، التي ينفذ الإنسان عبرها إلى أسرار الكون ومجاهيل الحياة، ومن هنا كان التلازم الكبير الذي لا ينفصم، والعلاقة الوثقى التي لا تنفك عراها بين العلم والإيمان والمختبر والمحراب في ظل القرآن وأوفياء الإسلام... دين العلم و العمل والحياة[635].
إن محاولة البعض- من نصارى الغرب- أن يوفقوا بين النصرانية والعلم، محاولة تحمل النصرانية فوق ما جاءت من أجله، وتجعل المنهزمين في حال من النشوة يحسبونها ظفراً، حين يسخرون من عجز بعض رجال الدين عن التوفيق بين العلم والإيمان في صورة جادة معقولة.
إن الزعم بأن الدين بدأ يترنح تحت ضربات العلمانية، وأن الإسلام بدأ يفر أمام زحف جيش المختبر والفكر المتحرر، زعم مردود
(296)
وفرضية باطلة، حتى ولو قصدوا بالفكر المتحرر ما يقدمه المختبر من وسائل التعذيب وأساليب الإرهاب لأصحاب العقيدة والإيمان، وعنوا بالزحف العلمي الأسلحة الميكروبية والغازات السامة الفتاكة، وأجهزة التدمير وفناء البشرية!!
كتب (ويرنوفوف براون) أبو القنبلة الذرية يقول: يتصور بعض الناس أحياناً أن التقدم العلم ينقض الكثير من الأفكار الدينية، ويهدم معظم المعتقدات الروحية، أما أنا فأعتقد أن العلم ينطوي على مفاجآت غير سارة لهؤلاء المشككين. مثال ذلك: إن العلم يؤكد لنا أن لا شيء في الطبيعة - مهما ضؤل شأنه، كالجزئيات الصغيرة للمادة- لا يمكن أن يختفي دون أن يخلف وراءه أثراً ما، فإذا كان الخالق قد طبق هذا المبدأ الأساسي على أصغر وأضأل العناصر في خلقه، فكم يبدو منطقيا القول إنه يطبق هذا أيضاً على النفس البشرية التي هي أنبل ما خلق! وإني لأومن- وكل ما علمتني المعرفة وما تزال تعلمني يؤكد إيماني هذا ويرسخه- بخلود الروح بعد الموت، فلا شيء في هذا العالم يختفي دون أن يترك أثراً[636].
إن الزعم بهزيمة الدين يقوم على منطق مغلوط من فهم طبيعة الإسلام، الذي يؤكد دعاته ويعلنون أن الإسلام يعني نظاماً منبثقاً من عقيدة، لا عقيدة محصورة في الرؤوس، أو طقوساً مؤداة في الهياكل. ومن هنا فلا تناقض بين العلم التجريبي- الذي تجني البشرية كثيراً من
(297)

---

[635] - راجع انتصار العلمانية.
[636] - راجع مجلة طبيبك: العدد 173 سنة 1390هـ. وانتصار العلمانية.

فوائده- وبين الدين الذي تغرق البشرية في تيه وقلق وحيرة كلما نأت عنه وتخلصت منه.
إن من أبشع صور الظلم أن ينبري فريق من الأدعياء، يهاجمون تراث الإسلام العلمي والفكري، وهم أعمق ما يكونون جهلا ً به وتجنباً عليه. والغريب في الأمر أن ينبري فريق من هؤلاء المنهزمين- من ذوي الاختصاصات العلمية المختلطة- فيتنكروا للتراث الفكري الإسلامي والثقافة الإسلامية السوية، دون أن يكون لهم عليها أدنى اطلاع، وأن ينبري رجال الثقافة و الفكر المستورد- من هؤلاء الأدعياء- فيتنكروا للتراث العلمي التجريبي الإسلامي، دون أن يكون لهم به أدنى إلمام.
إن الأطباء والمهندسين والصيادلة، ودارسي الأدب والفلسفة والاقتصاد ممن لم يطلعوا على الفكر الإسلامي، لا يجوز لهم بحال أن يصدروا أحكاماً عشوائية على الشريعة الإسلامية، وأن يدلوا بآراءٍ فجة طالما لا تخرج ثقافات هؤلاء عن حدود الاختصاص الذي انصرفوا إليه وعاشوا له.
بالإضافة إلى ذلك، فقد ذاعت بين الأوروبيين- في القرن الماضي- فكرة خاطئة مؤداها أن الإسلام كان حرباً على حرية الفكر، وأنه كبت جميع الحركات العلمية، وحارب العلم والفلسفة. وكان العالم الفرنسي {أرنست رينان} أبرز دعاة هذه الفكرة، بما أعلنه في كتابه - الإسلام والعلم - والحقيقة العلمية تدحض هذه الآراء، ويظهر ذلك في
(298)
تعاليم القرآن، وعلى ضووء شهادة التاريخ، ليتبين بطلان هذه التهمة الخاطئة التي فيها عداءٌ للحق وافتئات على التاريخ.

(الصراع بين العلم والدين في أوربة)

والحق أن الذين حاربوا العلم، هم بعض القائمين على الأديان الأخرى، فقد أجمع المؤرخون على أن العلماء الكونيين لقوا من رجال الدين في أوروبة- طول عهد القرون الوسطى- ما يلقاه الخصوم من الخصوم، فقد أسست محاكم خاصة لمحاكمة رجال العلم والفكر على ما يرتكبونه، مما يعده رجال الدين مخالفاً لآراء الكنيسة، وكان إذا ثبت على أحدهم شيءٌ من ذلك استتيب، وأخذت عليه المواثيق بأن لا يعود إليه، فإن عاد قبضوا عليه و ألقوه حياً في النار، أو رموا به من عال إلى مكان سحيق، فأهلك على هذه الصورة في مدى القرون الوسطى كثير من العلماء، من ذوي المكانة العالية ومن العباقرة المجددين[637].
ولنعطي القارىء مثلا ً مما كان يهاجم به الدين في ضلال حرية الفكر، ننقل ما جاء في دائرة معارف- لاروس- القرن التاسع عشر تحت كلمة دين

[637] - روح الدين الإسلامي: ص259.

في كلامه عن رجال الدين: إن قلنا: إن الذوق الإنساني يقتضي اعتقاد الأ شياء التي يمكن تعقلها يقولون: لا. لا. ثم يحاولون إذلال

(299)

هذا العقل الإنساني، الذي يدعي لنفسه حق التمييز بين الخير والشر، وبين العدل والظلم، حتى إذا تم تعمية عين العقل، وتغشية باصرة البصيرة، إلى حد أن تعتبر المعجزات أموراً عادية، وأن تتوهم الأبيض أسود، وأن تعد الرذيلة فضيلة، يعود الدين فيهيب بالناس إلى الطاعة، فإن سألتهم: نطيع من؟ أنطيع عقولنا، أم واجباتنا الطبيعية؟ أم إحساساتنا القلبية؟ أم نطيع القوانين المفيدة للإنسانية، التي تنتج من تلك الأصول المتقدمة نفسها؟ أجابوك: لا، ولكن أطع وأنت أعمى[638].

(العلم في الإسلام)

مما لا شك فيه أن نشر العلم من أعظم شعب الإيمان، فبالعلم يرتفع الجهل، ويقل الفساد، وتتقدم البلاد عمراناً واقتصاداً وصناعة، ويسود الأمن والا طمئنان.

هكذا حض الإسلام على العلم ودعا إليه، وأمر أتباعه بالتحصن به والتماسه. وفي هذا يقول معلم البشرية وأستاذها الرسول الأعظمم محمد صلى اللّه عليه وسلم: (منْ سَلَكَ طريقاً يلتَمِسْ فيهِ علماً سهّل اللّه له به طريقاً إلى الجنّة)[639].

(300)

إن مطلب العلم فريضة شرعية، وغاية دينية لسعادة الإنسان في الدنيا ونيل النعيم في الآخرة، فهو النعمة الكبرى لمن أخذ به وعمل وتدبر. إذ بواسطته يستطيع العاقل النجاة والفوز واتقاء الشر، وبذلك يأمن لنفسه عاقبة الأمور. وكذلك نجد القرآن الكريم يصرح بأن العلماء لهم درجات عند ربهم وميزات يخصهم بها: (يَرْفَعِ اللّه الذين آمنوا منْكمْ والذين أوتوا العلمَ درجاتٍ)[640].

ومن ناحية أخرى نرى القرآن يسجل على الذين لا يعلمون حكماً لا يرضاه ذو إدراك لنفسه: (كذلك يَطبَعُ اللّه على قُلوبِ الذين لا يعْلَمُون)[641]. كما أنه تعالى يقول رادعاً المستبدين: (وفوْقَ كلّ ذي علمٍ عليمٌ)[642] وذلك حتى يخففوا من كبريائهم، ويعدوا أنفسهم لتلقي نقد الناقدين.. ألخ.

ويطالب القرآن المسلمين بأن يطلبوا العلم ليهديهم إلى القول الفصل في ما يرغبون معرفته من حقائق علوية وكونية: (وقلْ ربِّ زدْني علماً)[643].

[638] - المصدر السابق.
[639] - رواه مسلم. انظر مختصر منهاج القاصدين: ص6.
[640] - سورة المجادلة: 11.
[641] - سورة الروم: 59.
[642] - سورة يوسف: 76.
[643] - سورة طه: 114.

ولم يكتف الإسلام بهذا في الدعوة إلى العلم، بل قرر أصولا ً تمنع الجمود العقلي، وتحمي من التحجر الفكري والتقليد الأعمى، كما أحاط العقل بحوافظ تحميه من شر الجمود والرجعية.

(301)

ولا يجوز الإيمان بشيءٍ إلا ببرهان، فإذا سئل المؤمنون عن معتقداتهم يوم القيامة لم يتلعثموا في الجواب، كما هو شأن المقلدين الذين لا ينظرون فيما يلقى إليهم نظر نقد وتمحيص، والذين سيحاسبهم الله على ذلك: (ومن يدْعُ مع اللّه إلهاً آخرَ لا برْهانَ له به فإنما حسابهُ عندَ ربِّه إنّه لا يُفلحُ الكافرون)[644].

والعلم يمنع التقليد الأعمى، حيث يتفق تماما مع القرآن، الذي شدد النكير على أناس كانوا يتمسكون بالرأي لا لأنهم عقلوه، ولكن لأن آباءهم فعلوه. قال تعالى: (وإذا قيلَ لهمْ تعالوا إلى ما أنزلَ اللّه وإلى الرّسول قالوا حسْبُنا ما وجدنا عليه آباءنا أوَلوْ كان آباؤُهُمْ لا يعْلَمُونَ شيئاً ولا يهتدون)[645].

والقرآن ينفر الشعوب من تقليد القادة والرؤساء الروحانيين وغيرهم، فيصرح بأن القادة ومن اقتدى بهم يتساوون في العذاب في الآخرة إذا كانوا على باطل: (إذْ تبَرّأَ الذين اتّبِعوا من الذين اتبعوا ورأواْ العذاب وتقطّعتْ بهم الأسبابُ)[646].

ومؤدى الآية الكريمة: أن المتبوعين في الحياة الدنيا يتبرؤون من تابعيهم يوم القيامة وتنقطع العلاقات بينهم[647].

(302)

ولكي تتضح الصورة جلية، فإنني أحلِي هذا البحث برأي ابن خلدون في علم التاريخ، جانباً يبين فيه للمصرّين على إقامة خصومة بين العلم والدين، المروجين للخلاف بين المعرفة والإيمان، وكيف أن علماء المسلمين كانوا يعتبرون الاشتغال في القضايا والمسائل والأبحاث العلمية قربة إلى الله تعالى تنيلهم رضاه، لأنهم كانوا يربطون- بوعي- علمهم وبحثهم بتقواهم، وإبداعهم بتوفية من الله دون سواه.

يقول ابن خلدون في مقدمته: ونحن ألهمنا الله ذلك إلهاماً... فإن كنت قد استوفيت مسائلة، وميزت عن سائر الصنائع أنظاره وأنحاءه فتوفيق من الله وهداية، وإن فاتني في إحصائه واشتبهت بغيره، فللناظر المحقق إصلاحه، ولي الفضل لأنني نهجت له السبيل وأوضحت له الطريق. والله يهدي بنوره من يشاء[648].

---

[644] - المؤمنون: 117.

[645] - ورة المائدة: 104.

[646] - البقرة: 166.

[647] - انظر روح الدين الإسلامي: ص261 وما بعدها.

[648] - مقدمة ابن خلدون

ألا يكفي هذا لدحض دعوى الأدعياء وفرية الدخلاء؟! فمن هذا يتضح لنا كيف يحيا المؤمنون في رحاب الإيمان وميادين البحث، التي لا يصل إليها كل الهاربين من ذاتهم وتراثهم تقاليدهم وأمجادهم المشرفة في سجل الخالدين.

ومما يجدر ذكره ويجب ألا يغيب عن البال، أن ليس في الإسلام رجال أكليروس كما في النصرانية، يضعون من الآراء والنظريات ما لا سبيل إلى مناقشته والخوض فيه، حيث يعلنون لأتباعهم- دون حوار- لا حكم ولا سياسة ولا علم ولا عقل مع الدين.. وحكمتهم

(303)

المأثورة تقول: اغلق مصباح عقلك وفكِرْ وأنت أعمى. وإنما في الإسلام رجال علم وفقهاء دين، آراؤهم الخاصة عرضة للخطأ والصواب، قابلة للمناقشة والحوار، حتى يصل المسلمون إلى الحق الذي ينشدون، والعلم الذي يبتغون. والحكمة هي ضالة المؤمن أنى وجدها التقطها[649].

لقد قام العلم في أفياء الإسلام في أجواءٍ من الود والألفة والانسجام التام، الذي ما عرفت البشرية مثلها على اختلاف عصورها وتباين أنظمة الحكم فيها. وما الذي يزعمون عن خصومة بين العلم والدين سوى فكر مستورد، ورأي دخيل لم نعرفه إلا في العصر الحديث.

أي دين كدين الإسلام، ينزل أول ما ينزل بالعلم والمعرفة: (اقرأ باسْمِ ربّكَ الذي خَلَقَ. خلقَ الإنسانَ منْ علَقٍ)[650]. (يرفَعِ اللّه الذين آمَنُوا منكُمْ الذين أوتوا العلمِ درجاتٍ)[651]، (قلْ هلْ يستوي الذين يعْلمُون والذين لا يَعْلمون)[652].

إن الدين- حين يفهم على حقيقته- داعية للعلم، ونظام للحكمة، وصانع للحضارة.

(304)

(تعطيل الجهاد المقدس)

منذ بزوغ فجر الإسلام وانتشار نوره عبر المعمورة، والأعداء يكيدون له ولمنتسبيه ليلاً نهاراً سراً وعلانية، وقد تمثلت تلك الحملات الخبيثة بلفيف من طواغيت الكفر والإلحاد والنفاق، الذين بذلوا ما يزالون يبذلون- جهوداً حثيثة ومكائد خبيثة، ليصدوا الناس عن سبيل اللّه حسداً من عند أنفسهم، وتنكراً للحق والخير والمثل السامية، التي حملها هذا الدين وتحلى بها أهله ودعاته.

---

[649] - راجع روح الدين الإسلامي. وثمة أبحاث هامة في هذا السفر النافع. جزى الله مؤلفه عن الإسلام خيراً.

[650] - سوق العلق: 1، 2.

[651] - سورة المجادلة: 11.

[652] - سورة الزمر: 9.

لقد كان في مقدمة هؤلاء الأعداء مجرمو التحريف والتشويه في كتاب الله وقتلة أنبيائه، اليهود الأشرار أعوان الشيطان، إخوة الخنازير والقردة، فهم أشد أعداء الله على الإسلام والمسلمين خداعاً ومكرا وحرباً.
وقد وصفهم الله سبحانه، العليم بسوء طويات وما جبلت عليه نفوسهم بقوله: (لَتَجدَنّ أشدّ النّاس عداوةً للذين آمنوا اليهُود)[653] ولليهود مع الإسلام وأهله حلقات متصلة، ومواقف مليئة بالمؤامرات والدسائس عبر العصور المتعاقبة.
فقد تقوّلوا بالكذب وأرجفوا بألسنتهم ونصروا أعداء الإسلام على صعيد، علاوة على نقضهم للعهود والمواثيق التي تدل على خستهم وحقارتهم، كما أن أعمالهم الوحشية في فلسطين- أرض المقدسات- وحرق المسجد الأقصى- أولى القبلتين، وثالث الحرمين الشريفين-
(305)
والتنكيل بالأهالي المدنيين وتشريدهم وتعذيبهم، لأكبر دليل على لؤمهم وغدرهم وفسادهم ووحشيتهم.
وقد ساهم مع اليهودية في إبعاد المسلمين عن دينهم وتشويهه وإفساده، جند الصليبية الحاقدة، التي ما فتئت تدبر المؤامرات وتشن الحملات الكثيفة صوب معاقل الإسلام، بالغزو المسلح تارة وبالاستعمار والانتداب أحياناً، وبجحافل الاستشراق والتنصير وأدواتهم من الأقلام المدسوسة تارة أخرى، حيث استعملت كافة الوسائل لإخراج المسلمين من دينهم وإفساد معتقداتهم[654].
وقد استطاعوا تحقيق الكثير من برامج مخططاتهم الشريرة، ومنها ما يتعلق بمفهوم التوكل على الله والقضاء والقدر وتعطيل الجهاد المقدس وفيما يلي بسط موجز لفضل الجهاد والرباط في سبيل الله، ويلي ذلك بعض الفرق و النحل التي ساهمت في تعطيل الجهاد وأفرغته من مضمونه.
(308)
وقال أيضاً: (يَغْفِرُ الله للشّهيدِ كلّ شيءٍ إلا الدين). رواه مسلم.
والآيات الكريمة والأحاديث الشريفة في فضل الجهاد، والدعوة إليه و الترغيب فيه كثيرة جداً، ما سلف ذكره يكفي ويشفي، ويحفز الهمم ويحرك النفوس إلى المنازل الرفيعة الجليلة والعواقب الحميدة.

---

[653] - وسورة المائدة.
[654] - يتردد كثيراً- في الإذاعات ووسائل الإعلام وعلى الألسنة- ألفاظ خاطئة ومخالفة للصواب، مثل قولهم: النصر لنا- الله معنا- النصر للعرب والإسلام- النصر للشعوب..، وما أشبه ذلك من ألفاظ خاطئة، فالنصر ليس مضموناً للعرب ولا لغيرهم من سائر الملل، وإنما النصر معلق بأسبابه التي أوضحها الله في كتابه العزيز، وعلى لسان رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم مثل الشعار القرآني الذى أرشد الله عباده ليقولوه: (الله معَ المُتَقينَ) (الله مع الصابرين).. وما شابه ومن أسبابه تقوى الله، والإيمان به، و الصبر والإخلاص لله، والاستعانة به مع العناية بالأسباب الحسية وإعداد العدة.. إلخ لذا ينبغي التنبيه لهذا الأمر العظيم، والحذر من الألفاظ التقليدية المخالفة للشرع المطهر.

(بعض معطلي الجهاد)

حاول أعداء الإسلام التشكيك في الدين وأحكامه وحضارته منذ فجره الأ ول، وكان على رأسهم اليهودية والباطنية والزنادقة والصليبية الحاقدة، والا ستعمار وأدواته ومنها بعض فرق الصوفية والقاديانية والبهائية، التي سأتعرض لمواقفها فيما يلي بإيجاز:

أولا الصوفية:

ومن أعمال الصوفية المنحرفة- لصرف أنظار الناس عن الجهاد ومحاربة الأ عداء- ما جاء في تفسير بعض آيات الجهاد، من ذلك: ما روي عن داود بن ص الح أنه قال: قال لي أبو سلمة بن عبدالرحمن: يا ابن أخي، هل تدري في أي شيء نزلت هذه الآية: (اصْبِروا وصابِرُوا ورابطوا)؟! قلت: لا. يا ابن أخي، في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يكن غزو يربط فيه الخيل، ولكنه انتظار الصلاة بعد الصلاة.

(309)

فالرباط لجهاد النفس، والمقيم في الرباط مرابط مجاهد نفسه[655].

وقال بعض المتصوفة في قوله تعالى: (وجاهِدُوا في الله حقّ جهادهِ): وهومجاهدة النفس والهوى، وذلك هو الجهاد. وهو الجهاد الأكبر.

على ما روي في الخبر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال- حين رجع من بعض غزواته:

رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر[656]. وفي هذا كذب وافتراء على رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي جاء بشريعة الجهاد.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: وأما الحديث الذي يرويه بعضهم، أنه قال في غزوة تبوك: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر. فلا أصل له، ولم يروه أحد من أهل المعرفة بأقوال النبي صلى الله عليه وسلم وأفعاله. وجهاد أعداء الله من الكفرة والمشركين من أعظم الأعمال، بل هو من أفضل ما تطوع به الإنسان.

ثانيا: البهائية

ومن المعلوم أن فرقة البهائية من صنائع الاستعمار دسائس الصليبية الحاقدة والصهيونية الماكرة، وجدت من أجل الكيد للإسلام وتشويهه وتخريبه وإفساده وتعطيل مسيرته، وهي نحلة خارجة عن الإسلام وكافرة بتعاليمه.

---

655 - راجع عوارف المعارف على هامش الإحياء: ج-2. ص55.

656 - المرجع السابق: ص56. قال الحافظ ابن حجر عن حديث: (رجعْنا من الجهادِ الأصغر إلى الجهاد الأكبر). هو مشهور على الألسنة، وهو من كلام إبراهيم بن عبلة. وقال العراقي: بسند ضعيف عن جابر راجع كتابنا مصرع الشرك والخرافة: ص464.

(312)

ومن الغايات المحدثة- التي أحلوها محل الغاية الإسلامية- عبارات الوطنية والقومية والعروبة، عبارات البسالة والشجاعة والحمية، وما أشبه ذلك من غايات جاهلية ضعيفة الأثر[657]، لا تستطيع أن تقف على أقدامها أمام غايات ثابتة مركزة ذات قوة محركة فعالة.

أقول: أما آن للمسلمين أن يعودوا لتاريخهم المجيد فيتدبروه؟!

إن في التاريخ لعبرة، فهل إلى رجعة من سبيل؟. نعود فيها إلى غاياتنا الإسلامية، وعلي نهج سلفنا الصالح، الذين حملوا راية الجهاد في سبيل الله، وحرروا البشرية من ظلمة الجهل والعبودية.

اللهم وفِّق ولاة المسلمين لطريق الصواب، وألق في قلوبهم إدراك دسائس الغرب والصهاينة وعملائهم، فلم يبق لنا ملجأ إلا قدرتك، وأنت المغيث، فانصرنا على الأعداء فإنهم لا يعجزونك سبحانك إنك أنت العزيز الحكيم.

وصدق الله العظيم: (وقلِ اعْمَلُوا فسَيَرى الله عمَلَكُمْ ورَسُولهُ و المُؤمنون)[658].

(313)

(فتنة الاختلاط)

أنعم الله على المسلمين نعم وفيرة وفضائل كثيرة، جديرة بالعناية والاهتمام والتطبيق والالتزام، لأن الله تبارك وتعالى يحب من عبده الشكر على النعمة والمحافظة عليها. وبالشكر تدوم النعم.

ومما لا شك فيه أن الأخلاق الإسلامية من الفضائل التي يعتز بها المسلم، الذي ارتضى لنفسه العبودية لله والالتزام بشرعه الحنيف، وقد اهتم الإسلام بالجانب الأخلاقي، وأولاه اهتماماً كبيراً، فقد مدح الله سبحانه رسوله الكريم، وأثنى عليه بما هو أهل له فقال سبحانه:

(وإنك لعلى خُلُقٍ عظيم)[659] تلك الصفات الحميدة والسجايا النبيلة والشمائل الفريدة، التي كانت من أهم صفات رسولنا الأعظم صلي الله عليه وسلم.

وقد اتصف سلفنا الصالح بمكارم الأخلاق والفضيلة، ودعوا الناس للتمسك بها والتحلي بقيمها المثلى، حتى أصبحت من أهم الصفات التي امتازوا بها عن سائر الأمم.

إن أحداث التاريخ الإنساني، والتجارب المختلفة التي مرت بها الإنسانية، تدل علي ملازمة ارتقاء القوى المعنوية للشعوب في سلم الأخلاق الفاضلة و السلوك الاجتماعي السوى، وأن انهيار القوى المعنوية لتلك الأمم والشعوب ملازم لانهيار أخلاقها وفساد سلوكها.

---

[657] - راجع كتاب أجنحة المكر الثلاثة.

[658] - سورة التوبة: 105.

[659] - سورة القلم: 4.

(316)

يُغْرَقْنَ فلا يؤْذَيْنَ وكانَ اللّه غَفوراً رحيماً)[660].

2- لا يجيز الإسلام أن تبدي المرأة من زينتها، ولا من سائر جسمها إلا وجهها وكفيها من غير زينة ولا بهجة، فلا يجوز كشف الشعر والصدر والنحر و الساعدين، مثلما تفعله كثيرات من نسائنا وبناتنا المتأثرات بالحضارة الغربية. قال تعالى: (ولْيَضْرِبْنَ بخُمُرِهنّ على جُيُوبهنّ ولا يُبْدينَ زينَتَهُنّ إلا لبُعُولتهنّ أوْ آبائهنّ)[661].

3- لا يجيز الإسلام أن تخلو المرأة برجل أجنبي عنها، ولو كانت محتشمة في لباسها ومظهرها. وفي ذلك جاء الحديث الشريف: (ما خلا رجُلٌ بامرأةٍ إ لا كان الشيطان ثالثهما)[662]. وقال صلى اللّه عليه وسلم : (لا يخلُونّ أحدُكُمْ بامْرأةٍ إلا ذي محرْمٍ). متفق عليه.

4- لا يجيز الإسلام أن تختلط المرأة بالرجال، في الحفلات العامة و المنتديات ولو كانت محتشمة، وإنما الذي يجيزه الإسلام أن تجتمع المرأة مع الرجال في ثلاثة مواطن.

أ- مواطن العبادة: فيجوز أن تحضر صلاة الجمعة وصلاة الجماعة، على أن يكون مكانها منفصلا ً عن الرجال.

ب- في أماكن العلم: فيجوز أن تحضر المرأة مجالس العلم مع

(317)

الرجال، على أن تكون منفصلة عنهم أيضاً، وأن تكون مرتدية اللباس الشرعي ، الذي لا يبدي غير وجهها وكفيها.

ج- في ميدان الجهاد حين يعلن النفير العام: فتخرج للجهاد مع الرجال، على أن تكون منفصلة عنهم، لها مكانها الخاص وتجمعاتها الخاصة.

وفلسفة الإسلام في هذه الأحكام متمشية مع فلسفته الخاصة بالمرأة، فهو يرى أن إكرامها يكون بالاعتراف بحقوقها التي تقتضيها أهليتها، وبإبعادها عن مواطن الشبهات ومزالق الشهوات، حتى تكون سمعتها العطرة- كفتاة- يتزاحم الشباب على الاقتران بها، وكزوجة يتحدث الناس عن إخلاصها لزوجها واستقامتها، وكأم تعرف كيف تغرس في نفوس أبنائها وبناتها معاني الشرف والفضيلة، والكرامة والرجولة الكاملة والأنوثة الفاضلة[663].

هذه بعض الحقائق الشرعية والقواعد الدينية، التي يجب أن تراعى في

---

[660] - سورة الأحزاب: 59.
ونلاحظ في هذه الآية الكريمة بأنه ينبغي على المسلمات إطالة ثيابهن، وإدناء بعض أطرافها من بعضها الآخر، حتى تستر الصدور والظهور وسائر الجسم، لصونهن من الأذى والضرر.

[661] - سورة النور: 31.

[662] - رواه أحمد.

[663] - المرأة بين الفقه والقانون: ص185، 186.

المجتمع الإسلامي، وما يجب أن تكون عليه العلاقة بين الرجل والمرأة، من حيث الاختلاط أو الاجتماع العام.
أما عن موقف الغربيين من الاختلاط، فإنا نجد عقلاءهم قد أحسوا بالضياع والمصير السيء الذي آل إليه مجتمعهم، حيث انتهى إلى ما انتهى إليه مصير الرومان، نتيجة الإفراط في تبرج المرأة واختلاطها،
(320)
المرأة المسلمة التي تشكل نصف المجتمع، وبهذا تكثر فينا المرأة المتعلمة مربية الأجيال، وأمل غدنا المنشود الذي سنباهي به الأمم[664].
أما إذا نظرنا إلى نتائج التعليم المختلط في معاهد العلم، فإننا سنترحم على العهود السابقة التي لم يكن للمرأة فيها نصيب بل يذكر في مجال التعليم, حيث كانت المرأة متسلحة بأعظم الأسلحة، ومتحصنة بحصون الأخلاق و الفضائل.
لقد كان الاختلاط بين الجنسين على مقاعد الدراسة، من الأسباب الرئيسية التي هدمت حصناً عظيماً من حصون الآداب الإسلامية، في المجتمعات التي أخذت بتطبيق التعليم في بلادها.
ولا ننكر أخطار هذه المكيدة الاستعمارية الخبيثة التي غزت ديارنا، ووقع كثير من أبنائنا في أسرها، فحملوا رسالتها وعملوا على تطبيقها، نشروا مزاعمها وضلالها في مجتمعاتنا.
وقد رافق هذا الغزو العملي غزو فكري، يزين الاختلاط ويحسنه ويصطنع له المبررات الخادعة، ضمن أطر علم النفس وعلم الاجتماع، وعلم التربية الجنسية، وأكد الميل إلي الدافع الغريزي بين
الجنسين، لاسيما في فترة المراهقة التي تتفتح فيها الغريزة الطائشة الرعناء ، مع البعد عن دراسة العلوم الإسلامية، وضعف الوازع الديني في القلوب.
ومع اختلاط الجنسين في معاهد العلم فشلت مفاسد كثيرة، في الأخلاق وا لآداب وكثير من أنواع السلوك، وتطلعات الأجيال الحديثة إلي تقليد الحياة ا لأوروبية بمجونها، بعد أن انغمست في حمأة البيئات الجديدة، التي تسهل طريق الرذيلة، وتهون أمر ممارسة اللذة المحرمة، ولا تعتبر العفة من فضائل الأخلاق، كما لا تعتبر صيانة الأسرة القائمة على الطهارة من الأمور ذات القيمة في المجتمعات الإنسانية[665].

(مفاسد التعليم المختلط كما يصورها الغربيون)

---

[664] - ولعل من المفيد أن أذكر بأن الفتاة تحتاج في حياتها العملية- بعد تخرجها- إلى ما لا يحتاج إليه الفتى، فهي مهيأة بفطرتها وطبيعتها لتكون أماً وزوجة، ومن ثم فمن الواجب أن تدرس بعض الدروس المستقبلية، ومن المفيد أيضاً أن تطعم مناهج الدراسة للبنات بقسط أكبر من أصول التربية المنزلية، و أن تتوسع مجالات الفنون النسوية، وحبذا لو أضيفت إليها بعض الحصص بدلا ً من الموسيقى و الرياضة التي لا تفيدها مستقبلا ً.

[665] - راجع أجنحة المكر الثلاثة: ص356، 357.

لقد ابتلي الغربيون وسائر الدول الشرقية بفتنة الاختلاط، وهم أحق بدفع الثمن لتفريطهم وتهاونهم وانجرافهم وراء شهواتهم، فقد عانى هؤلاء أشد الويلات، وتجرعوا كؤوسا سامة نتيجة وقوعهم في حمأة الفسق والانحلال، الذي كان سببه المباشر الاختلاط التعليمي والاستسلام للرغبات والشهوات.
ولما كان الغربيون قد عانوا من ويلات الاختلاط، فإني سأنقل عدداً من النقول والآراء حول الاحتلاط لأثبتها هنا للعظة والاعتبار:
(322)
أصدرت إدارة إحدى المدارس في بروبلن بنيويرك بلاغاً عممته على جمميع المدرسات والطالبات، حذرتهن فيه من الذهاب إلى دورات المياه لقضاء الحاجة منفردات، وذلك بعد أن تعددت حوادث الاعتداء عليهن من قبل الط لاب الذكور في المدرسة.
وقد عدد صاحب كتاب- مليون منحرف- عددا من حالات، حملت فيها بعض المراهقات سفاحاً، في حالات فقدت فيها بعضهن حياتهن أثناء عملية الإ جهاض، فقامت صيحات تنادي بفصل الذكور عن الإناث.
فأما خرافة التهذيب والتصرف باللقاء والحديث، فليسألوا عنها نسبة الحبالي من تلميذات المدارس الثانوية الأمريكية- صاحبة الحضارة والحقارة و القذارة- وقد بلغت في إحدى المدارس 48 في المائة[666].
ويكتب القاضي- لندسي- فيقول: 495 بنتاً في السن الباكرة، من بنات المعاهد الثانوية، اعترفن لي بأنهن كن جربن الجنسية مع الصبيان، إلا أنه لم تحمل منهن إلا خمس وعشرون، أما الباقيات فسلم بعضهن من الحمل بمحض الاتفاق.
ولكن كانت لأكثرهن خبرة كافية بتدابير منع الحمل، وهذه الخبرة قد عمت فيهن إلى حد لا يكاد الناس يصيبون في تقديره.
وكتب عميد مدرسة من المدارس ذات مرة إلى أربعين أسرة، يفضي
(323)
إليها بأن صبيانها وجدوا على حال مروعة من الدناءة الخلقية، فلم يعد يمكنه الآن إبقاؤهم في المدرسة[667].
ويقول المصنِّف الأميركي الشهير- هاندرشن فان لون- حول الدراسة في جامعات أمريكا- وهذا الأدب الذي كثر رواجه في الجامعات الأمريكية هو أبشع مجموعة للخنا والفحش والدناءة، لم يعرض قط مثلها على العامة قبل هذا بكل هذه الحرية، ثم إن المعلومات التي تحصل من دراسة هذا الأدب يتناولها الشباب فيما بينهم بالبحث والنقاش بما شئت من الحرية والجرأة، ثم يعالجونها بالعمل التجربة، فيخرج الفتية والفتيات إلى حفلات البهجة وا لأنس، حيث يسترسلون في شرب الخمر والتدخين، ويمتعون أنفسهم بـ

---

[666] - بتصرف عن رسالة الاختلاط: ص33 للدكتور محمد حسين ورفيقه.
[667] - من كتب الرجولة والزواج: ص82. عن الحجاب ص113.

الرقص والغناء[668].
تقول إحدى المربيات الغربيات في تقرير لها: إنني أجد حرجا شديداً في توضيح الكثير من الأمور لطلاب وطالبات في صفوف مختلطة، فكثيراً ما الجأ إلى الفصل بينهما، حتى يتسنى لي التخلص من الإشكال[669].
ويذكر الأستاذ الكبير محمد قطب في كتابه القيم أنه أجرى إحصاء في إحدى المدن هناك- بأمريكا- فظهر أن 38 بالمائة من فتيات المدارس الثانوية حبالى، وتقل النسبة بين طالبات الجامعة، لأنهن أكثر تجربة وأخبر باستخدام موانع الحمل[670].
(324)
وجاء في رسالة الاختلاط: إن في أوروبا وأمريكا مدارس وكليات لا تؤمن با لاختلاط ولا ترضى به، وإن هناك عائلات ترفض إرسال أبنائها أو بناتها إلى مدارس مختلطة.
وكذلك فإن طالبتين تقدمتا إلى كلية الزراعة بجامعة تكساس فرفضتهما الجامعة، فأقامتا قضية على إدارة الجامعة، فكسبتاها، إلا أن مجلس الولاية استأنف الحكم، وقضت محكمة النقض العليا بتأييد مجلس الجامعة، وجاء في حيثيات الحكم: إن في ذلك حفاظاً على تقاليد الجامعة[671].
وبعد: فهذه نتائج التعليم المختلط التي جنى ثمارها أصحاب دعوات الاختلا ط وتحرير المرأة، وهي نماذج كاشفة تصلح للعظة والاعتبار، وما يتذكر إلا أولو الألباب. ولو رحت يا أخي أحدثك عما قيل في مفاسد الاختلاط، لضاق الوقت ولما اتسع الورق، ولكن حسبنا ما نقلنا. وفيه ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.
(325)

(مكيدة تحديد النسل)[672]

لم يترك أعداء الإسلام باب سوءٍ إلا وقد فتحوه ليلجه أبناء الإسلام، وقد أفلحوا في كثير من دسائسهم هذه، وكما هو معلوم فقد اتخذ أعداء هذه الأ مة أسلحة عديدة لمحاربة أتباعها، فمرة يستخدمون الجيوش والغزو المسلح، وتارة الغزو الفكري وأدواته المختلفة، وتارة يفتعلون الأكاذيب ويشوهون الحقائق، وينشرون الفساد والضلال والإباحية.

---

[668] - كيف استطيع أن أتزوج: ص173 عن الحجاب ص104.
[669] - رسالة في الاختلاط: ص32. للدكتور محمد محمد حسين. والدكتور مصطفى السباعي.
[670] - انظر شبهات حول الإسلام: ص166.
[671] - رسالة الاختلاط. للدكتور محمد محمد حسين ورفيقه. وهكذا يظهر أن بعض جامعات أمريكا وأوروبا لا تعمل بالتعليم المختلط في مؤسساتها، كما أن الأهالي لا يرسلون أبناءهم أو بناتهم للجامعات أو المدارس المختلطة، وفي هذا عبرة كبرى لأبناء الشرق المسلم.
[672] - ونقصد بتحديد النسل هنا: الإيقاف عن الإنجاب ألبتة ويكون هذا بمنع الحمل، وهذا بخلاف تنظيم النسل الذي يعني الحمل والإنجاب على فترات منتظمة، وفق حالات معينة.

ولا عجب فقد استخدم دعاة الباطل أخس الوسائل وأخبثها في حروبهم- المتعددة الجوانب- لتخريب الإسلام وتضليل أبنائه، وقد تبنى الغزاة نظريات اقتصادية ثم قذفوها في وجوه المسلمين، فتعلق بها المقلدون للغرب، ودعاة الأخذ بما لدى الغربيين من حضارة ونظريات جديدة، وروجوا لها بين صفوف الأمة بأساليب خادعة وبمحاولات ماكرة، لإيقاف نشاط تكاثر المسلمين عن طريق التناسل، وقد سموا هذه الضلالة الجديدة تحديد النسل.
وقد حاول الغربيون- أصحاب النظريات الاقتصادية، ومبتكرو ضلالة تحديد النسل- أن يوهموا أبناء الشرق- المسلمين خاصة- بصدق دعواهم وحسن نواياهم، فضربوا الأمثلة وقدموا الحجج والنظريات المختلفة لتأييد دعواهم ، ومع ذلك فلم تثبت لمعارضتها لطبائع الأشياء، وبالتالي فهي تصطدم مع تعاليم الإسلام وعقائد المسلمين.
(326)
وقد تسابقت أجهزة الدوائر المعادية للإسلام بدفع عملائها، لنشر هذه الفكرة الخبيثة في معاقل المسلمين وتشجيعهم على الأخذ بها، بتدبير محكم وخطط بالغة الكيد. وفي المقابل نجد بعض الدول المعادية- التي تطالب المسلمين بتحديد نسلهم- نجدها تلجأ إلى تشجيع الاستزادة من النسل بين أبنائها، ليكثروا ضمن سلسلة هندسية مضطردة. ولا يخفى على ذوي البصائر ما في هذه الدعوات من كيد ظاهر للأمة الإسلامية، وتعطيل لمسيرتها الرائدة بين الشعوب.
وقد ظهرت دعوة تحديد النسل- كما يقول الباحثون- في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي، ويربطون ميلادها على يد القسيس والعالم الاقتصادي البريطاني {مالتوس} وقد نشر مقالا ً عنوانه: تزايد السكان وتأثيره في تقدم المجتمع في المستقبل[673] في عام 1798م، أوضح فيه أن وسائل الإ نتاج وأسباب الرزق في الأرض محدودة، غير أنه لا يوجد حد يقف عنده تزايد السكان وتضخم النسل، فإذا ترك الأمر بدون تنسيق، فإن المفروض أن يأتي يوم تضيق الأرض فيه بسكانها، وتقل فيه وسائل العيش عن تلبية حاجاتهم.. وقد اقترح أن يكون نمو عدد السكان متلائما مع نمو وسائل الإ نتاج. ومن جهة أخرى فقد اقترح أن لا يتزوج الشباب إلا بعد تقدم سنهم، وأن يعمل الزوجان قصاري جهدهم بالإقلال من الإنجاب[674].
(327)
أما نحن المسلمين فلا نرى الأخذ بفكرة تحديد النسل على المستوى العام. مهما كانت المبررات لذلك من وجهة نظر المادية الاقتصادية، وذلك لعدة

---

[673] - كان هذا المقال من إحدي العوامل التي دفعت بداروين- صاحب نظرية التطور الفاسدة-إلى طرح نظريته في التطور وأصل الأنواع، التي تدل على سقوط أفكاره وتهافتها، وسذاجة أقواله وضلال أتباعه. انظر مقدمة كتابه: أصل الأنواع.
[674] - بتصرف عن كتاب تحديد النسل: ص38، 39.

أسباب أهمها[675]:
1- أن الأخذ بهذه الفكرة يضر بمصلحة الطاقة البشرية التي نملكها- يجب أن نملكها بتكاثر مستمر- في مقابل الأعداد البشرية التي تقذف بها الأمم الأ خرى. وأن الحد من تكاثر الطاقة البشرية بالسلالات الإسلامية ليؤثر علي كيان حجم المسلمين في العالم بالنسبة إلى غيرهم من الأمم[676].
2- أن رقعة الأرض التي يملكها المسلمون، ومحتوياتها الدفينة، وطاقاتها المتنوعة، قابلة للتفجر والاستثمار، تنادي بالمزيد من الطاقات البشرية لا ستثمارها وحمايتها والانتفاع بخيراتها، وإلا كانت مطمع الكثيرين من أمم وشعوب العالم المتكاثرة.
3- أن المسلم حين ينجب ويرعى من ينجبه بالتربية الإسلامية، يشعر بأنه يمد جيش المسلمين بجندي من جنود الله، وأنه بذلك يقوم بأحد واجبات الجهاد في سبيل الله، لأن إمداد جيش الجهاد بالمال أو بالرجال أو بالعتاد، كل ذلك من الجهاد.
(328)
ولذلك فقد حث الرسول صلى الله عليه وسلم على الزواج من المرأة الودود الولود، ليكاثر الأمم بالسلالات الإسلامية. فعن معقل بن يسار قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (تزوّجوا الوَدُودَ والوَلُود فإنِّي مُكاثرٌ بكمُ ا لأممَ)[677].
نخلص من هذا كله إلى أن حمل أمة الإسلام، أو تشجيعها على تطبيق فكرة تحديد النسل، جريمة بحق هذه الأمة، لا يقوم بها إلا جاهل بالحقيقة، غافل عن النتائج، أو ساقط في شبكة مكيدة من المكائد الكبرى، التي تدبر ضد المسلمين، للحد من تزايد طاقاتهم البشرية.
وكم سمعنا من عقد المؤتمرات العالممية لحمل الشعوب أو تشجيعها على تحديد النسل، ومن الخير لنا أن لا نشترك فيها.
4- علاوة على ما سبق فإن للمسلمين مذهبهم الخاص في مفاهيم الحياة، كما أن لهم عقيدتهم الخاصة في قضايا الرزق وقانون التوازن على سطح هذا الكوكب[678].

(الرزق وتقدير الأوقات)

من المعلوم أن الله تكفل برزق الإنسان، وضمن له استمرارية العيش ما دام

---

[675] - بتصرف عن كتاب أجنحة المكر الثلاثة ص: 260، 262.
[676] - - إن تحديد النسل خرافة وبدعة ضالة، غزت ديارنا المليئة بالخيرات والموارد التي يسطو عليها ا لأعداء من كل حدب وصوب ومذهب، وهذه البدعة خرافة استعمارية، لأن الرازق هو الله المتكفل بمخلوقاته، وهل قلة الأولاد مع كثرة الدخل تضمن السعادة؟! أفلا يمكن أن تكون بحبوحة العيش- المزعومة- مدعاة للفساد والرذيلة؟. وليعلم أن خرافة تحديد النسل وتطويره في الأنابيب، دعوة مفكر صهيوني يهودي ماكر يريد للمسلمين شراً وفساداً.
[677] - رواه أبو داود والنسائي.
[678] - بتصرف عن كتاب أجنحة المكر الثلاثة: ص260- 262.

حياً على وجه الأرض، حتى إن أصغر المخلوقات قد ضمن لها خالقها رزقها وفق أجلها المقدر لها. ولنستمع لهذه الآيات الكريمة التي تدعم وتؤيد هذه الأ قوال:

قال تعالى: (وما منْ دابّةٍ في الأرض إلا على اللّه رزْقها يعْلمُ مُسْتَقرّها
(329)
ومُستودعها كلٌّ في كتابٍ مبين)[679]. ويقول سبحانه: (وفي السّماء رزْقكُمْ وما تُوعدون. فوربِّ السّماء والأرض إنّه لحقٌّ مثل ما أنّكمْ تنْطِقون)[680].

ففي هذه النصوص تقرير لحقيقة من حقائق التكوين، المتممة لظروف هذه الحياة وشروطها ضمن مقادير آجالها، وضمن حدود الغاية منها[681]، وهي ابتلاء الإنسان في هذه الحياة الدنيا، وهذا الابتلاء معلن في قوله سبحانه وتعالى: (تبَاركَ الّذين بيدهِ المُلكُ وهو على كلّ شيءٍ قديرٌ الذي خلق الموت والحياة ليبْلُوكمْ أيُكمْ أحْسَنُ عملا ً هو العزيز الغفور)[682].

وقد نهى اللّه تبارك وتعالى الأولياء المنفقين عن قتل الأولاد من إملاق، وأعلن عن تكفله برزقهم ورزق أولادهم مرتين، ففي المرة الأولى أعلن اللّه تكفله برزقهم، وعطف عليه تكفله برزق أولادهم، فقال تعالى: (ولا تقتُلوا أوْلادكمْ منْ إمْلاقٍ نحْنُ نرْزقكُمْ وإيّاهُمْ)[683].

ومعنى ذلك: لا تقتلوا أولادكم لتتخلصوا من النفقة عليهم، بسبب ما أنتم فيه من واقع فقر، فاللّه كفيل- إذا توكلتم عليه، وقمتم بما يجب عليكم من كسب- أن يرزقكم ويرزقهم عن طريقكم.

وفي المرة الثانية أعلن اللّه تكفله برزق الأولاد، وعطف عليه تكفله برزق أوليائهم المنفقين عليهم، فقال تعالى: (ولا تقتُلوا أوْلادكم
(330)
خَشْيَةَ إملاقٍ نحنُ نَرْزُقهمْ وإيّاكمْ إنّ قتْلَهُمْ كان خطئاً كبيراً)[684].

أي لا تقتلوهم لتتخلصوا من النفقة عليهم، خشية أن تصابوا في المستقبل بـالفقر بسبب النفقة عليهم، فاللّه كفيل بأن يرزقهم ويرزقكم إذا نفذت النفقة التي في أيديكم، وقد يكون رزقكم بسببهم، أو عن طريقهم إذا كبروا.

ولما كان الباعث هنا خشية حدوث الفقر، كان الإعلان مشتملا ً على تقديم رزق الأولاد على رزق أوليائهم، الذين ينفقون عليهم، لأن الأمر هنا يتعلق بـالحذر من المستقبل المجهول، وفيه شك باللّه ووعده ومقادير رزقه، وفيه تخلٍّ من واجب التوكل عليه تبارك وتعالى، بخلاف الحالة الأولى فإن واقع الفقر وما فيه من آلام يحدث اضطراباً في النفس والفكر، قد يغشى على

---

679 - سورة هود: 6.
680 - سورة الذاريات: 22، 23.
681 - أجنحة المكر الثلاثة: ص. 262، 263.
682 - سورة الملك: 1، 2.
683 - سورة الأنعام: 151.
684 - سورة الإسراء: 31.

ثوابت الإيمان وركائزه وتصوراته، فيجعل صاحبه يتصرف تصرف غير المؤمنين، لذلك كان بحاجة إلى ما يزيل الغشاوة عن نفسه وفكره، فيبين له حقيقة من حقائق الإيمان وهي: أن الله يرزقه ويرزق أولاده، فلا داعي للتخلص من واجب النفقة عليهم، ومن واجب السعي لاكتسابها كما أمر الله سبحانه، فالقضية واجب اجتماعي مضمون النتائج بكفالة الخالق الرازق[685].
لقد جعل الله حياة الحيوان منوطة بقوته، وجعل الأرض مستودعاً لأقوات ا لأحياء، المقضي لهم بأن يحيوا فيها إلى أن تقوم الساعة،

(231)

ذلك ضمن حدود الآجال المقدرة لها في قضاء الله وقدره، وما على الناس إلا أن يهتدوا إلى مفاتيح أبواب هذه المستودعات، لتتدفق عليهم خيرات الأ رض، ما في برها وأعماقها وجبالها وبحارها من أقوات.
إذن فقضية الأقوات مقدرة بقضاء الله، حسب حاجة الأحياء المقضي لهم أن يحيوا على هذه الأرض، وبمقدار أعمالهم المقدرة لهم، وهي- في عقيدة المسلمين- قضية مضمونة بتقدير الخالق الرازق المغيث، وما على الحي إلا أن يسعى لاكتساب قوته وقوت من هو مكلف بالنفقة عليه، وما على البشر إ لا أن يستعملوا عقولهم لاستخراج أقواتهم من دفائن الأرض وخزائنها، وهذه الحقيقة معلنة وفي قوله تعالى:
(قلْ أئِنّكمْ لتَكفرُونَ بالذي خَلَقَ الأرْض في يوْمين تجْعَلُون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين. وجعَلَ فيها رواسي منْ فوقها وبارك فيها وقدّرَ فيها أقْواتها في أرْبَعَةِ أيّامٍ سواءً للسّائلينَ)[686].
فهذا النص القرآني يبين بياناً واضحاً أن الله قد بارك في الأرض، وقدر فيها أقوات أحيائها تقديراً سواءً للسائلين، أي تقديراً مستوياً بإحكام تام، وهذا التقدير المستوي لأجل السائلين، وهم طالبوا أقواتهم من خزائنها، ولا يطلب القوت إلا حي تتوقف حياته عليه.
وباختصار، فلا مبرر للمسلمين للخوف من تكاثرهم[687]، واللجوء إلى تحديد النسل من أجل قضية القوت، فالله على كل شيءٍ مقيت،

(332)

وهذا ما علم من عقائد المسلمين، بأن الله هو المهيمن والمدبر والمقيت لمن وهبهم الحياة، وهم بحاجة إلى القوت لاستمرار الحياة. وصدق الله العظيم: (وكانَ الله على كلّ شيءٍ مُقيتاً)[688].

(نقد نظرية مالتوس)

---

[685] - نفس المصدر السابق: ص263، 264.
[686] - سورة فصلت: 9، 10.
[687] - انظر أجنحة المكر الثلاثة، ففيه نفع وبيان لكثير من الحقائق الهامة. وجزى الله مؤلفه عنا خيراً.
[688] - سورة النساء: 85.

ومن وجهة النظر الأوروبية، فقد تعرضت نظرية مالتوس ودعاتها إلى نقد لا ذع من قبل علماء الغرب والشرق، علاوة على مخالفتها لقوانين الفطرة وتعاليم الإسلام، وفي هذا يقول الأستاذ- فيدروف- أمين الأكاديمية السوفياتية للعلوم، بصدد نقده لنظرية مالتوس: وإذا كانت موارد الطبيعة محدودة حقا، وكانت حاجات الإنسان غير محدودة، فما وجه الاعتراض إذاً على تلك النظرية؟.

وجه الاعتراض عندنا أن موضوع الاهتمام ينبغي أن يركز على حاجات المجتمع الإنساني الأساسية، وعلى وسائل سدها لا على الأمور الطبيعية لذاتها، كالفحم والزيت والحديد وغيرها، وكذلك ينبغي أن لا نغفل عن حيلة ا لإنسان وعن سعة تدبيره[689].

ويقول العالم الديموغرافي الفرنسي- ألفريد سوفي: إن الاكتظاظ الذي تبدو سماته في بعض البلدان، مرده إلى قلة استغلال الموارد

(333)

الطبيعية، وضعف اختصاص العمال، والاعتماد على الزراعة، فالاكتظاظ في نهاية التحليل ظاهر التأخر، يزول عند أخذ المجتمع بأسباب التقدم.

ثم يذكر في ختام كلامه مثلا ً الصين الشعبية، إذ كانت تعتبر من أكثر البلدان اكتظاظاً بالسكان، وقد أصبحت أخيراً محتاجة إلى الأيدي العاملة نظراً لتقدمها السريع[690].

وإليك ما يقوله- المستر هربرت مارسين- وزير داخلية بريطانيا في عام 1943م: إن بريطانيا إذا كانت تحب المحافظة على مستواها في الوقت الحاضر، والتقدم في سبيل الرقي والازدهار في المستقبل، فمن اللازم أن يتزايد فيها أفراد كل أسرة بنسبة 25 بالمائة على الأقل[691].

ويفضح- آرثر- كورماك- مقاصد الأوروبيين في إلحاحهم على المسلمين بضرورة تحديد النسل، فيقول بكل صراحة: إن أهل الشرق سوف لا يلبثون إ لا قليلا ً، حتى يطلعوا على حقيقة هذا الدجل، ثم لا يغتفرونه لأهل الغرب ، لأنه استعمار من نوع جديد، يهدف إلى دفع الأمم غير المتقدمة- ولاسيما السوداء- إلى مزيد من الذل والخسف، حتى تتمكن الأمم البيضاء من الا حتفاظ بسيادتها[692].

(334)

(مسوغات لتنظيم النسل)

اهتم الإسلام ببقاء النوع الإنساني واستمراره اهتماماً كبيراً، كما حبب في

---

[689] - من مقال نشرته مجلة- ساتردي ريفيو- وانظر كتاب المجتمع العربي ومقاييس السكان ص148 للدكتور عبدالكريم اليافي. وكتاب تحديد النسل: ص41.

[690] - المجتمع العربي ومقاييس السكان عن تحديد النسل: ص41، 42.

[691] - راجع كتاب تحديد النسل: ص42.

[692] - راجع استعراض علي لحركة تحديد النسل: ص174. عن تحديد النسل: ص53، 54.

كثرة التناسل وبارك المواليد، وأثنى على المرأة الولود الودود.
ومن جهة ثانية فقد رخص الإسلام في تنظيم النسل، إذا دعت لذلك ضرورة معقولة.
وفي عهد النبوة عرفت وسيلة منع النسل وتقليله، وكانت تتم بواسطة العزل ، وهو قذف النطفة خارج الرحم عند الإحساس بنزولها[693].
وقد كان الصحابة الأبرار يفعلون ذلك، والوحي ينزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم كما ورد في الصحيحين عن جابر: كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن ينزل. وفي صحيح مسلم قال: كنا نعزل على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم ينهنا.
وفيما يلي أهم مسوغات تنظيم النسل:
1- الخشية على حياة الأم أو صحتها من الحمل أو الوضع، إذا عرف بتجربة أو إخبار طبيب ثقة. قال تعالى: (ولا تلقوا بأيْدِيكمْ إلى التهْلكةِ)[694]. وقال: (ولا تقْتلُوا أنْفُسَكُمْ إنّ الله كانَ بكُمْ رحيماً)[695].
(335)
2- الخشية في وقوع حرج دنيوي، قد يفضيي به إلى حرج في دينه فيقبل الحرام، ويرتكب المحظور من أجل الأولاد. قال تعالى: (يُريدُ الله بكمُ اليُسْرَ ولا يريدُ بكمُ العُسْرَ)[696]. وقال: (ما يُريد الله ليجعلَ عليْكُمْ منْ حرجٍ)[697].
3- الخشية على الأولاد أن تسوء صحتهم أوتضطرب تربيتهم. في صحيح مسلم عن أسامة بن زيد أنّ رجلا ً جاء رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال: يا رسول الله، إني أعزل عن امرأتي. فقال له رسول الله صلى الله علييه وسلم: (لمَ تفعَلُ ذلك؟). فقال الرجل: أشفق على ولدها أو قال: على أولادها. فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم: (لوْ كان ضارًا لضرّ فارسَ و الرُّوم)[698].
4- ومن الضرورات المعتبرة شرعاً الخوف على الرضيع من حمل جديد ووليد جديد، وقد سمى الرسول الله صلى الله عليه وسلم الوطء- في حالة الرضاع- وطء الغيلة أو الغيل، لما يترتب عليه من حمل يفسد اللبن ويضعف الولد، وإنما سماه غيلا ً أو غيلة لأنه جناية خفية على الرضيع، فأشب القتل سرا[699].
5- وقرر الإمام أحمد وغيره أن تنظيم النسل يباح إذا أذنت به الزوجة، لأن لها حقاً في الولد وحقاً في الاستمتاع. وروى عن عمر أنه نهى
(336)

---

[693] - راجع الحلال والحرام: ص191.
[694] - سورة البقرة: 195.
[695] - سورة النساء: 29.
[696] - سورة البقرة: 185.
[697] - سورة المائدة: 6.
[698] - أخرجه مسلم. راجع حلال والحرام: ص193. وكتاب تحديد النسل.
[699] - الحلال والحرام: ص192، 193 بتصرف.

عن العزل إلا بإذن الزوجة. وهي لفتة بارعة من لفتات الإسلام إلى حق المرأة، في عصر لم يكن يعترف لها بحقوق[700].

وقد استحدث في عصرنا من الوسائل التي تمنع الحمل، ما يحقق المصلحة التي هدف إليها الرسول صلى الله عليه وسلم وهي حماية الرضيع من الضرر مع تجنب المفسدة الأخرى، وهي الامتناع عن النساء مدة الرضاع، وما في ذلك من مشقة[701].

(لا رخصة في استعمال وسائل لاستئصال النسل)

اتفق جماهير العلماء على أنه لا يجوز استعمال شيءٍ من الوسائل، التي من شأنها القضاء على النسل قضاء مبرماً، سواءٌ في ذلك الرجل أو المرأة وسواءٌ ذلك كان باتفاق منهما أو بدونه، وسواء كان الدافع دينيا أو غيره[702]، وذلك كأن يستعمل الرجل علاجاً من شأنه استئصال الشهوة أو الطاقة على الجماع ، وكإجراء عملية لرحم المرأة يفقدها صلاحية الحمل والإنجاب.

ودليل حرمة ذلك أنه يدخل تحت ما يعد تغييراً لجانب ذاتي في خلق الله عز وجل، وليس للإنسان أن يستقل بشيء من هذا التغيير.

(337)

ليس للإنسان أن يعمد إلى أي جزءٍ في هيئته التركيبية- عندما تكون سوية- أو إلى أي مظهر من خصائصه الفطرية فينسخه أو يغيره، فإن ذلك يعد من أسوأ مظاهر التمرد على عبوديته للفاطر الحكيم جل جلاله..

يقول الله عز وجل مبيناً ما أخذ إبليس- لعنه الله- على نفسه من بذل كل جهد لإغواء الصفوة- التي اختارها الله من مخلوقاته- هي الإنسان: (وقال لأ تخذنّ من عبادك نصيباً مفروضاً ولأضلنّهم ولأمنّيَنّهمْ ولآمُرَنّهمْ فليُبَتِّكُنّ آذان الأنعام ولآمرنّهمْ فليُغيّرنّ خلق الله ومنْ يتّخذِ الشّيطان وليًّا من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً)[703].

وتغيير خلق الله هو ما قد علمت من تبديل شيءٍ من أجزائه الذاتية، أو القضاء علي شيءٍ من جبلته وفطرته الأصيلة.

من أجل ذلك نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تنميص[704] الوجه وتزجيج الحاجبين وتفليج الأسنان والوشم، إذ كل ذلك داخل في مسمى التغيير الذاتي، بخلاف ما يدخل في معنى التهذيب والرعاية، كحلق الشعر و العناية به، وقص الأظافر وتكحيل العين ونحو ذلك.

وقد علمت أن تحديد النسل من أوضح أمثلة التغيير الذاتي لخلق الله، وقد

---

[700] - المصدر السابق: ص194.

[701] - نفس المصدر السابق.

[702] - راجع الأنوار للأردبيلي: ج-2- ص41. ومغني المحتاج: ج-3 - ص126 والاقناع على شرح أبي شجاع: ج-4 - ص40. تحديد النسل: ص33.

[703] - سورة النساء: 118، 119.

[704] - جاء في القامس المحيط: النمص: نتف الشعر. النامصة: الناتفة أو العاملة على النتف. المتنمصة: هي المزينة به. ولعنت النامصة، وهي مزينة النساء.

حذر البيان الإلهي منه كما رأيت.

(338)

وقد علمت أيضاً أن جواز تحديد النسل يتعارض مع الحكمة التي شرع الله الزواج من أجلها[705].

إن بث فكرة تحديد النسل- وتشجيعها بين صفوف المسلمين- عمل هدام ومعول تخريب من معاول الأعداء، يراد بها إيقاف التكاثر السكاني وإضعافه، وهذا عمل عدائي يحتوي على مكيدة مدبرة ضد الحجم الثقيل للمسلمين بين الأمم.

ويعجبني ما قال حكيم الشرق الشاعر محمد إقبال: وكل ما هو واقع اليوم- أو على وشك الوقوع في الغد القريب في بلادنا- إن هو إلا أثر من آثار دعاية أوروبا. هناك سيل عرم من الكتب والوسائل الأخرى، قد انجرف في بلادنا لدعوة الناس إلى اتباع خطة منع الحمل، وتشويقهم إلى قبول حركتها، على حين أن أهل الغرب- في بلادهم أنفسهم- يتابعون الجهود الفنية لرفع المواليد وزيادة عدد السكان[706].

(الباب الثاني)

الفصل الثاني (معارف ونقدها)

(341)

(الأمر بالمعروف والنهي عن النمكر)

تمهيد:

إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام، وهي القطب الأعظم في الدين، قام به الأنبياء والمرسلون وانتصبوا لأدائه، وفق أمر الله سبحانه، ثم جاء المصلحون من بعدهم فامتثلوا لهذه الفريضة الجليلة، خشية انتشار الفساد وفشو الضلال والانحراف.

إن لفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أهمية بالغة في ازدهار حياة الأمة وعلو شأنها ورفعتها، كما أن لها شأناً عظيماً في بناء الإيمان ونصرة دين الله، الذي ما جاء إلا لخير الناس في دنياهم ومعادهم.

لقد امتثل السلف الصالح لهذه الفريضة، وأدوا حقها امتثالاً لأمر الله الذي أمر أتباع دينه بالتزامها، لأثرها البالغ في الحفاظ على شريعة الإسلام من هجوم أصحاب الآراء المنحرفة، والبدعيين ودعاة السوء والمنكر.

ولا ريب فإن قيام الأمة بإصلاح مجتمعها ينجيها وينجي المجتمع من الهلاك الجماعي، والشر الذي يصيب المجتمع. ومن سنة الله سبحانه أن المجتمع

---

[705] - تحديد النسل: ص33و 34.

[706] - وهكذا فدعوة تحديد النسل تسهم بلا شك في إنجاح أخطر المكائد الاستعمارية, التي تستهدف صد وانحسار المد البشري للعالمين العربي والإسلامي وتخلفهما, مما يساعد على اضعافهما واستمرار استبعادهما. انظر مقال استعراض علمي لحركة تحديد النسل: ص52. للدكتور البوطي.

الذي تشيع فيه المنكرات وتنتهك فيه الحرمات، ويسكت أبناؤه عن الإنكار، فإن الله تعالى يعمهم بمحن غلاظ موجعة، ومصائب

(342)

مفجعة نعم الجميع، وهذه سنة مخيفة وقانون رهيب يدفع كل فرد- وخاصة أصحاب العلوم والنفوذ والرياسة- إلى المسارعة والمبادرة الفورية لإزالة المنكر ودرء المفاسد دفعاً للعقاب- عن أنفسهم وعن مجتمعهم- والله تعالى يقول: (واتّقوا فتْنَةً لا تُصيبنّ الذين ظلمُوا منْكمْ خاصّةً واعْلموا أنّ الله شديد العقاب)[707].

يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: يحذر الله تعالى عباده المؤمنين فتنة- أي اختباراً ومحنة- يعم بها المسيء وغيره، لا يخص بها أهل المعاصي ولا من باشر الذنب بل يعمها[708].

وفي الحديث الشريف: (إنّ النّاس إذا رأوا الظّالم ولمْ يأخذوا على يديه أوْشكَ أنْ يعُمّهُمُ الله بعقاب منْهُ).

فهذا يدل على أن وقوع الفساد في المجتمع، والسكوت عليه وعدم تغييره، سبب للعقاب الجماعي. وقد حث الإسلام على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في نصوص كثيرة من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، نقتصر هنا على بعضها، ومنها قوله تعالى: (ولتَكُنْ منْكمْ أمّةٌ يدْعون إلى الخير ويأمرون بالمعْروف وينهون عن المنكر وأولئك همُ المفْلِحون)[709].

قال ابن تيمية رحمه الله: إن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

(343)

لا يجب على كل أحد بعينه، بل هو على الكفاية، مستدلا ً بهذه الآية الكريمة[710]. وقد جعل الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من الحقائق الثابتة في الإسلام، والأدلة الواضحة على التحقق به فقال: (كُنْتُمْ خيرَ أمّةٍ أخْرِجَتْ للنّاس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)[711].

قال الغزالي: وهذا يدل على فضيلة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، إذ بين أنهم كانوا به خير أمة أخرجت للناس[712].

وروى الإمام البخاري بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (كُنْتُمْ خير أمّةٍ أخرجت للنّاس). قال: خير الناس للناس، تأتون بهم والسلاسل في أعناقم حتى يدخلوا في الإسلام.

وفيما قاله أبو هريرة رضي الله عنه ما يدل على أن الأمر بالمعروف والنهي

---

707 - سورة الأنفال: 25.

708 - انظر تفسير ابن كثير: ج-2. سورة الأنفال.

709 - سورة آل عمران: 104.

710 - مسألة الحسبة: ص53.

711 - سورة ال عمان: 110.

712 - إحياء علوم الدين: ج-3- ص370.

عن المنكر- بمعناهما الشامل- يدخل فيهما الجهاد في سبيل الله، والعمل على تبليغ رسالة الإسلام بشتى الوسائل الممكنة.
وقال تعالى: (والمُؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر)[713] وقد قابل الله سبحانه وتعالى ما وصف به المؤمنون في هذه الآية، بما وصف به المنافقين في قوله تعالى:

(344)

(المنافقون والمنافقات بعضهم من بعضٍ يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف)[714].
وبهذه المقابلة بيّن الله عز وجل أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أخص خصائص الإيمان، وأن التعاون المطلوب بين المؤمنين إنما يتمثل أبلغ ما يتمثل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
وقد نص اللّه سبحانه وتعالى على أن فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خصائص رسالة التوحيد- رسالة خاتم الأنبياء- والتي هي من أهم أهدافها البارزة، وأنها علامة مميزة لها تستوجب اليقين بأنها من عند اللّه. ق ال تعالى: (الذين يتّبعون الرّسول النّبيّ الأمّيّ الذي يجدونه مكتباً عنْدَهمَ في التّوارة والإنجيل يأمرهم بالمعروف وينهاهمْ عن المنكر)[715].
وتأكيد لأهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كان الأمر الإلهي للرسول عليه الصلاة والسلام- فضلا عن غيره- في قوله تعالى: (خُذِ العَفْوَ وأمُرْ ب المعُرف وأعْرض عن الجاهلين)[716]. وقد أرشد الرسول صلى الله عليه وسلم في عدة أحاديث إلى عموم هذا الأمر وشموله لكل مسلم فقال: (منْ رأى منْكمْ منْكراً فليُغَيّرهُ بيده فإنْ لم يستطع فبلسانه فإنْ لمْ يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان)[717].

(345)

وجعل عليه الصلاة والسلام من واجب المسلمين الجالسين على الطريق الأ مر بالمعروف والنهي عن المنكر، فعن أبي سعيد الخدري، عن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (إيّاكم والجُلوس بالطّرقات) فقالوا: يا رسول اللّه، ما لنا بد من مجالسنا، نتحدث فيها فقال: رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم: (فإذا أبيْتُمْ إلا المجلس فأعطوا الطّريق حقه). قالوا: وما حق الطريق يا رسول اللّه؟
قال: (غضُّ البَصرِ وكفُّ الأذى وردُّ السّلام والأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر)[718].

---

[713] - سورة التوبة : 71.
[714] - سورة التوبة : 67.
[715] - سورة الأعراف: 157.
[716] - سورة الأعراف 199.
[717] - رواه أحمد ومسلم وغيرهما.
[718] - رواه أحمد والشيخان وغيرهم.

وجعل الرسول صلى الله عليه وسلم الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر من خير الناس فقال: (خيْرُ النّاس أقْرَؤهُمْ وأتْقاهُمْ وآمرهم بالمعروف وأنهاهمْ عن المُنْكرِ وأوْصلهُمُ للرّحم)[719].

كما جعل عليه الصلاة والسلام: (من أفضل الجهاد كلمة عدلٍ عند سلطان جائرٍ)[720]. وجعل الأمر والنهي عن الأمور المميزة للمسلم، والذي بدونها يكاد ينسلخ من الإسلام ويخرج من عداد المسلمين، فقال: ليْسَ منّا منْ لم يوقِّر الكبير ويرْحم الصغي ويأمر بالمعروف وينه عن المنكر)[721].

(346)

أما عن الأحاديث النبوية التي تصور لنا وسائل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومراتبه وطرقه فنذكر منها ما يلي:

1- قوله صلى اللّه عليه وسلم: (منْ رأى منْكمْ منْكراً فليُغيِّره بيده...) الحديث.

قال القاضي عياض: هذا الحديث أصل في صفة التغيير، فحق المغيّر أن يغيره بكل وجه أمكن زواله به، قولا ً كان أو فعلا ً، فيكسر آلات الباطل، ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر من يفعله ، وينزع المغصوب ويردها إلى أصحابها بنفسه، أو بأمره إذا أمكنه، فإن غلب على ظنه أن تغييره بيده يسبب منكراً أشد منه- من قتله أو قتل غيره- كف يده واقتصر على القول بـ اللسان والوعظ والتخويف، فإن خاف أن يسبب قوله مثل ذلك، غيّر بقبله وكان في سعة[722].

وهل تتقيد كل مرتبة من مراتب الإنكار بطائفة معينة من طوائف المسلمين؟.

قال القرطبي: قال العلماء: الأمر بالمعروف باليد على الأمراء، وباللسان على العلماء، وبالقلب على الضعفاء. يعني عوام الناس[723].

ويؤكد الإمام النووي رحمه اللّه عدم التقيد في مثل ذلك حينما يقول: ولا يختص الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأصحاب الولايات، بل ذلك جائز لآ حاد المسلمين.

(347)

قال إمام الحرمين: والدليل على إجماع المسلمين، فإن غير الولاة- في الصدر الأول والعصر الذي يليه- كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع تقرير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل بالأمر والنهي عن غير ولاية[724].

---

[719] - رواه أحمد والطبراني بنحوه. ورجاله ثقات، وفي بعضهم كلام لا يضر، كما في مجمع الزوائد.

[720] - رواه أبو داود والنسائي والترمذي وقال: حسن غريب

[721] - رواه أحمد والترمذي.

[722] - انظر شرح مسلم: ج-2. 25.

[723] - تفسيرالقرطبي: ج-4. ص47.

[724] - شرح مسلم: ج-2- ص23. والبدعة- تحديدها وموقف الإسلام منها: ص511 وما بعدها.

2- وعن ابن مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (ما منْ نبيٍّ بَعَثَهُ الله في أمّةٍ قبلي إلا كان له حواريُون وأصحاب يأخذُون بسُنّتِهِ ويقتدون بأمره، ثمّ إنّه تخلف من بعدهم خُلوفٌ، يقولون ما لا يفعلون، ويفعلون ما لا يؤمرون، فمنْ جاهدهمْ بيدهِ فهو مؤْمنٌ، ومن جاهدهم بلسانه فهو مؤمنٌ، ومن جاهدهم بقلبه فهو مؤمن وليس وراء ذلك من الإيمان حبّة خردلٍ)[725].

وقال ابن تيمية: مراده صلى الله عليه وسلم وليس وراء ذلك شيءٌ من الإ يمان، لم يبق بعد هذا الإنكار ما يدخل في الإيمان حتى يفعله المؤمن، بل الإ نكار بالقلب آخر حدود الإيمان. وليس مراده أن من لم ينكر لم يكن معه حبة خردل، ولهذا قال: (ليَسْ وراء ذلك)[726].

3- عن عبدالله بن عمرو قال: رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم عليّ ثوبين معصفرين فقال: (أأمك أمَرَتْك َ بهذا؟). قلت: (أغسلهما. قال: (بل احرقهما)[727].

4- وكان غضب رسول الله صلى الله عليه وسلم شديداً حينما حاول بعض كبار قريش التحايل في رفع الحد عن سارقة، واستشفعوا بأسامة بن زيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام خطيباً فقال: (أمّا بعد، فإنّما أهلك الذين من قَبْلِكُمْ أنهمْ كانوا إذا سرق فيهم الشّريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضّعيف أقاموا عليه الحدّ. والذي نفسي بيده لو أنّ فاطمة بنت محمدٍ سرقتْ لقطعت يدها). ثم أمر بتلك المرأة فقطعت يدها[728].

وبعد استعراض هذه الأدلة الشرعية يتبين لنا أهمية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأن القيام به يسلم الحياة من الانتكاس والفساد.

وهكذا فالأمر والنهي واجب ديني لا يجوز إهماله أو التغافل عنه لما يترتب عليه من نتائج، إذ بإغفاله ترتكب المنكرات، وتعم الفواحش مما يفسد الحرث والنسل ويعطل مسيرة الحياة.

وقد ثبت بالتجربة والمشاهدة أن المرض إذا أهُمل ولم يعالج استشري في الجسم، وعسر علاجه بعد تمكنه من الجسم واستفحال خطره، وكذلك شأن المنكر إذا ترك فلم يغير، فإنه لا يلبث أن يألفه الناس ويفعله الكبير الصغير، وعندئذ يصبح من غير السهل إزالته أو تغييره، يومها يستوجب فاعلوه العقاب الذي لا يمكن أن يتخلف بحال، إذ أنه جار على سنن الله سبحانه و التي لا تتبدل ولا تتغير: (فلنْ تجد لسنّةِ الله تبديلا ً ولن تجد لسنة الله تحويلا ً)[729].

---

[725] - انظر شرح مسلم: ج-2- ص27.

[726] - انظر المنح المرعية: ج-1- ص181. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر للخلال.

[727] - انظر شرح مسلم: ج-4- ص55. قال النووي عن الأمر بإحراقهما: قيل: هو عقوبة وتغليظ لزجره وزجر غيره عن مثل هذا الفعل.

[728] - رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

[729] - سورة فاطر: 43.

(349)
ومما يجدر ذكره أن المسلمين كانوا قادة الشعوب والأمم، ولهم الهيمنة على معظم أرجاء المعمورة حينيما كانت فريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر قائمة، وعندما تعطلت ضعفت شوكة المسلمين، ودب فيهم الخور والا نحلال والتفكك، وأصبحوا أذلة ضعفاء لا حساب لهم في ميزان السياسة الدولية، كما هو شأننا في هذه الأيام- في نهاية القرن العشرين- الذي يعيش فيه المسلمون أقسى أنواع الشدة والضيم، حيث يطارد المسلم في كل مكان ، بعد ان استحلت المحارم، واحتلت فلسطين وانتهكت المقدسات، وحرق المسجد الأقصى المبارك على أيدي أعداء اللّه الصهاينة- قراصنة الشعوب- بمساعدة الصليبية الحاقدة وعلى رأسها بريطانيا- التي هي سبب كل علة في شرقنا الإسلامي- وهذا هو المصير الذي ينتظر كل من يتخلف عن أوامر اللّه ويهجر شرعه المبين. ومما تعلمناه من الحياة اليومية المشهودة أن المنزل إذا أهمل ولم ينظف، ولم تبعد منه النفايات والأوساخ فترة من الزمان ، يصبح غير صالح للسكن، إذ تتعفن ريحه، ويتسمم هواؤه، وتنتشر فيه الجراثيم والأوبئة لطول ما تراكمت فيه الأوساخ، وكثرة ما تجمعت فيه القاذورات.

وكذلك الجماعة المؤمنة إذا أهمل فيهم المنكر فلم يغير، والمعروف فلم يؤمر به، لا يلبثون أن يصبحوا خبثاء الأرواح شريري النفوس، لا يعرفون معروفاً ولا ينكرون منكراً، ويومئذ يصبحون غير صالحين لحياة، فيهلكهم اللّه بما شاء من أسباب ووسائط، تصديقاً لقوله تعالى:

(شديد العقابِ ذي الطوْل لا إله إلا هو)[730]. و(واللّه عزيز ذو انتقامٍ)[731].

(350)
إن النفس البشرية تعتاد القبيح فيحسن عندها، وتألف الشر فيصبح طبيعة لها، وهذا هو شأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن المعروف إذا ترك ولم يؤمر به ساعة، لا يلبث الناس أن يعتادوا تركه ويصبح عندهم من المنكر ، وكذلك المنكر إذا لم يبادر إلى تغييره وإزالته، ولم يمض يسير من الزمن حتى يكثر وينتشر، ثم يعتاد ويؤلف، ثم يصبح في نظر مرتكبيه غير منكر، بل يرونه هو المعروف بعينه، وهذا هوانطماس البصيرة والمسخ الفكري- و العياذ باللّه تعالى- من أجل هذا أمر اللّه ورسوله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأوجباه فريضة من فرائض المسلمين، إبقاءً لهم على طهرهم و صلاحهم، ومحافظة لهم على شرف مكانتهم كقادة للأمم ورواد للخير، وهداة بين شعوب الأرض[732].

ومما يجدر ذكره أن من آداب الداعي إلى اللّه أن يكون ورعاً تقياً، لا يأتي

---

[730] - سورة غافر: 3.
[731] - سورة آل عمران: 4.
[732] - منهاج المسلم: ص68 وما بعدها. لأبي بكر الجزائري.

الذي ينهى عنه، ولا يترك الذي يأمر به. وأن يكون حسن الخلق، حليماً ليناً جامعاً لمكارم الأخلاق، متصفاً بسائر الصفات الفاضلة حتى يكون قدوة للآ خرين، وقد بين القرآن منزلة الدعاة الذين يخالفون ما يدعون إليه فقال سبحانه: (يأيُّها الذين آمنُوا لمَ تقُولونَ ما لا تفعلونَ)[733].
وقال أيضاً: أتأمرون النّاس بالبرّ وتنْسوْنَ أنْفسكمْ وأنتم تتْلون الكتاب أفلا تعقلُون)[734].
(351)
وقوله عز وجل: (وأمر بالمعروف وأنْهَ عن المنكر واصْبرْ على ما أصابكَ إنّ ذلك من عزم الأمور)[735].
إن إحياء جماعات الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في ديار الإسلام أصبح لازماً لا مفر منه، ولابد من العمل به، وإحياء هذه الفريضة العظيمة، إذ لا جرم في الوجود يعدل جرم حجب نور الحق عن أن ينبسط على أمة الإسلا م بأسرها، فعند ذلك يتسنى للدعاة إلى الله أن ينشروا الإسلام خارج بلادهم ، ويصل نوره لسائر المعمورة، فيعم العدل والسلام وتهنأ البشرية في ظلاله الوارقة.

(التوكل على الله)

من المعروف أن التوكل على الله من الوظائف الرئيسية التي يلتزم بها ا لمسلم ويعتنقها، وهي عقدة راسخة تمد الإنسان بطاقات فعالة، وتكسبه قوة ونشاطاً لمواصلة رحلة الحاة على سطح هذا الكوكب على الوجه المطلوب، وفق سنن الفطرة وضمن قواعد الشرع الحكيم.
وهكذا نجد التوكل بمفهومه الصحيح[736]، قوة محركة وزاداً روحياً يتغلب به المؤمن على كل المتاعب ومنازع الشر والمثبطات، كالخوف
والقلق والحيرة، كما أنه يمد الإنسان المؤمن بالأمل والبسمة المشرقة أمام أحلك الساعات التي تمر به، وبه سكينة النفس وطمأنينتها التي حرم منها غ البية سكان المعمورة، الذين لم يتفيؤوا ظلال الإسلام، ولم يعرفوا للإيمان ح لاوة ولا طعماً.
إن في الإسلام عاملا ً نفسانياً للقضاء على الخوف، وهو ما أمر به من التوكل على الله وتفويض الأمر إليه وعبادته. قال سبحانه وتعالى: (وإليهِ يُرْجَعُ الأمر كلُه فاعْبده وتوكلْ عليه)[737].

---

[733] - سورة الصف: 2.
[734] - سورة البقرة: 44.
[735] - سورة لقمان: 17.

[736] - ويجب التفريق بين التوكل والتواكل، فالتواكل معناه عدم الأخذ بالأسباب، والتمني عى الله بأن يخرق له العوائد، ولكن التوكل هو على العكس، فمعناه أن يرتب الإنسان ويأخذ بالأسباب ثم يدع النتائج لله سبحانه. وصدق الرسول القائل: (اعْقِلْ وتوكلْ).
[737] - سورة هود: 123.

والتوكل أثر من آثار الإيمان، فالذي يؤمن بأن الله بيده تصاريف الحياة، وبيده النفع والضر، يترك الأمر إليه ويرضى بمشيئته، فلا يفزعه المستقبل وما يخشى له من مفاجآت، ويستعيض عن الخوف بسكينة واطمئنان إلى عدل الله ورحمته، ولهذا يقرر الإسلام بأن الإيمان يجب أن يصاحبه التوكل: (وعلى الله فَتَوَكَلوا إنْ كنتمْ مؤْمنين)[738]. (الله لا إله إلا هو وعلى الله فليتوكلِ المؤمنون)[739]..

والإسلام يحمل البشري للمتوكلين، ويعدهم الفضل من الله ونيل بركاته. انظر إلى هذه الآية الكريمة التي تمسح ما في نفوس المؤمنين من الخوف، وتمدهم بقوة روحية يستطيعون بها التغلب على خوفهم وقلقهم[740].

(353)

(فما أوتِيتمْ من شيءٍ فمتاعُ الدنيا وما عند الله خيْرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربّهمْ يتوكّلون)[741].

وورد في القرآن أيضاً آية أخرى تحمل الوعد الصادق بالمعونة والتأييد من الله: (ومنْ يتَوَكِلْ على الله فهو حسبه)[742].

أي كافيه مما أهمه وما أجزعه.

ومن المعلوم أن أعداء الله استغلوا كافة الوسائل لتضليل المسلمين وإفساد معتقداتهم، ليسهل عليهم استبعادم واتخاذهم أدوات مسخرة لخدمة مصالحهم، وقد كانت فكرة تحريف مضمون التوكل على الله واحدة من وسائلهم الخبيثة، التي عثروا عليها واستغلوها أشنع استغلال، حيث بثوا أفكارهم المسمومة، واستغلوا المنصِّرين والمستشرقين وكافة الأقلام المأجو رة للنهوض بهذه المهمة ، حتى كان لهم ما أرادوا، فقد تلاعبوا بمضمون التوكل على الله، حتى أضحى سلاحاً خطراً في أيديهم، بعد أن كان سلاحاً موجهاً إلى صدورهم.

وعملية التحريف هذه مسألة لا تحتاج إلى كثير عناء، بل الأمر لا يتعدى التعميم في المضمون، يتجاوز حدود مواقع التوكل المطلوب في الإسلام.

وهكذا وبكل بساطة دخل التحريف على مفاهيم بعض المسلمينن، وأصبح وظيفة من وظائف الطاقات المادية والقدرات الجسدية

(354)

والأعمال التخطيطية والتنفيذية، واستطاعت هذه الفئة استغلال هذا التحريف والتشويه لتثبيط المسلمين عن إعداد ما يجب عليهم إعداده من ق وى مادية، وصرفهم عن اتخاذ الأسباب الواجبة، وعن مباشرة كل عمل من شأنه أن يحقق النتائج وفق سنن الله في كونه.

---

[738] - سورة المائدة: 23.
[739] - سورة التغابن: 13.
[740] - راجع روح الدين الإسلامي: ص191.
[741] - سورة الشورى: 36.
[742] - سورة الطلاق: 3.

وتخدِّر التصورات الفاسدة لمعنى التوكل طاقات العمل والسعي والتفكير فيهم، وتجعلهم يعيشون في أحلام تحقيق غاياتهم بمعجزات خارقة خارجة عن سنن الحياة المستمرة.
ولا شك أن هذا المفهوم الفاسد لمعنى التوكل على الله، يعطل حركة السعي الواجب لاتخاذ كل الوسائل المادية والمعنوية المستطاعة، التي من شأنها أن تظفر الساعي بالنتيجة المطلوبة وفق سنن الله في كونه.
وكانت مكيدة العدو في استخدام هذا التحريف الفاسد مكيدة خطيرة جداً، أخطر من مكيدة الأفيون الذي نشره المستعمرون في الصين، وقد تضمنت هذه المكيدة سلاحاً ماضياً لصالح العدو[743].
إن الإسلام- والحمد لله- دين يدعو إلى الأخذ بالأسباب، والعمل والجهاد والا ستعداد وعلى كافة المستويات، ولم يكن يوماً داعياً إلى التواكل والارتماء في أحضان الانعزال والانطواء والتطفل، ورحم الله الصديق أبا بكر رضي الله عنه، الذي خرج صبيحة يوم توليه الخلافة ليكسب قوته بعمل يده في سوق المدينة المنورة، ولما طلب إليه ترك ذلك ليتفرغ لشؤون الخلافة قال: فمن أين أطعم عيالي؟.
(355)
وهذا رد كاف على دعاة التواكل. ألم يضرب الخليفة عمر الفاروق بدرته من كان متفرغا للعبادة في المسجد؟. وقال له أيضاً: إن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة.
وترك التكسب ليس من التوكل في شيءٍ، إنما هو من فعل البطالين الذين آثروا الراحة وتعللوا بالتوكل. قال عمر رضي الله عنه: المتوكل الذي يلقي حبه في الأرض ويتوكل على الله[744]. ولنتأمل هذا الحديث الشريف: (نِعْمَ المالُ الصّالح للرّجل الصّالح)[745].
وإن نظرة قليلة فيما مضى من تاريخ المسلمين- يوم كانوا متوكلين على الله تعالى- تلجم هؤلاء المتقولين على الإسلام، وتلزمهم الحجة بأن ما طرأ على المسلمين- فيما بعد- لم يصبهم إلا بعد أن تركوا التوكل على الله، فلم يعملوا بما أرشدهم إليه من وجوب الأخذ بالأسباب العادية، فإنه سبحانه وتعالى خلق تلك الأسباب والمسببات، وخلق ما بينهما من لحمة السببية، فالتماس تلك الأسباب لا ينافي التوكل في شيءٍ، بل إنه التوكل نفسه. وتفسير أولئك الناس للتوكل بالتفويض المطلق والتقاعد عن الكسب والتحصيل- بما أفضى بهم إلى الاضمحلال- إنما منشؤه الجهل بلغة القرآن الكريم.
ويرشدنا الرسول- وهو سيد المتوكلين[746]- سواءٌ بسيرته وأعماله،

---

[743] - راجع أجنحة المكر الثلاثة: ص205.

[744] - انظر مختصر منهاج القاصدين: ص350.
[745] - رواه الإمام أحمد.
[746] - الإسلام دين الفطرة والحرية: ص61، 62 عن الإسلام في قفص الاتهام: ص272.

(356)

أم بالقرآن الكريم، إلى أن لكل شيءٍ سبباً، لا يمكن الحصول عليه إلا باتخاذ ذلك السبب، أما سمعنا قوله تعالى: (يأيُّها الذين آمنوا خُذوا حذْرَكُمْ)[747].

وقوله تعالى: (وأعدُّوا لهمْ ما اسْتَطَعْتُمْ من قوّةٍ ومنْ رباطِ الخيلِ تُرْهِبُونَ به عدُوّ اللّه وعدوّكُمْ)[748].

ونحو: (وما أصابكمْ من مُصيبةٍ فبما كسَبَتْ أيْديكُمْ)[749] إلى غير ذلك من الآيات البينات.. والإسلام براءٌ من الاتكالية والتواكلية التي جردت المسلمين من كل معاني القوة الصالحة للحياة. فهذا القرآن الكريم يبين أن العزم أولاً ثم التوكل ثانياً: (فإذا عزَمْتَ فتوَكلْ على اللّه)[750].

فالعزم والتصميم والإرادة هي العدة العملية، ومن بعدها التوكل، الذي هو عمل من أعمال القلب، ولعلنا نذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يدع إلى القعود عن العمل اتكالاً على اللّه، بل طلب من الناس أن يعملوا أي عمل، و لا يقعدوا مع الفقر والحرمان، فهو القائل: (لأنْ يأخذَ أحَدُكُمْ حبْلَهُ فيَحْتَطِبَ حُزْمَةً من الحطبِ فيبيعها خير له من أنْ يسْأل النّاس أعْطوه أو منعوه)[751].

وما أكثر الشواهد علي نبذ التواكل والقعود على العمل واليأس والكسل. وقد قال المثل: لولا الأمل بطل العمل. فسبحان اللّه عما يصفون[752].

(257)

(التوسل والوسيلة في ميزان الشريعة)

التوسل لغة: من وسل يسل، من باب وعد، أي رغب وتقرب.

ومنه اشتقاق الوسيلة، وهي ما يتقرب به إلى الشيء. والجمع: الوسائل.

وتوسل إلى اللّه بوسيلة: تقرب إليه بعمل.

وقد ورد تفسير الوسيلة بالقربة عن كثير من علماء السلف في قوله تعالى: (يأيُّها الذن آمنوا اتقوا اللّه وابْتَغُوا إليهِ الوسيلة)[753].

حيث قيل: هي القربة.

وعن قتادة: تقربوا إليه بطاعته[754].

وروى الحاكم بسنده عن حذيفة أنه سمع قارئاً يقرأ هذه الآية فقال: القربة. ثم قال: لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم أن

---

747 - سورة النساء: 71.

748 - سورة الأنفال: 60.

749 - سورة الشورى: 30.

750 - سورة آل عمران: 159.

751 - متفق عليه.

752 - الإسلام في قفص الاتهام: ص274، 275.

753 - سورة المائدة: 35.

754 - انظر التوسل والوسيلة: ص14، 48 وتفسير الطبري: ج-10. ص290.

ابن أم عبد من أقربهم إلى الله وسيلة[755].
وعلى هذا يتفق المعنى اللغوي مع المعنى الشرعي لها. وقد ورد في الحديث الذي رواه جابر بن عبدالله رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (منْ قال حين يَسْمَعُ النِّداء: اللّهمّ ربّ هذه الدّعوة التّامّة والصّلاة القائمة آت مُحمّداً الوسيلة والفضيلة وابْعَثْهُ مقاما محموداً الذي وعدته. حلّت له شفاعتي يوم القيامة)[756].

(358)
قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الوسيلة هي القربة[757].
جاء في لسان العرب: الوسيلة، القربة. ووسل فلان إلى الله وسيلة: إذا عمل عملاً تقرب به إليه. وتوسل إليه وسيلة إذا تقرب إليه بعمل.
والتوسل شرعاً: هو التقرب إلى الله تعالى بطاعته وعبادته واتباع أنبيائه ورسله، وبكل عمل يحبه الله ويرضاه[758].
وقال سبحانه وتعالى: (قُلِ ادْعوا الذين زَعَمْتُمْ منْ دونهِ فلا يمْلِكونَ كشْفَ الضُّرّ عنْكُمْ ولا تحويلاً. أولئك الذين يدْعون يبْتَغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهُمْ أقرَبُ ويرْجون رحمته ويخافون عذابهُ إنّ عذاب ربّك كان محْذُوراً)[759].
يتضح مما تقدم أن التوسل- لغة وشرعاً- لا يخرج عن معنى التقرب، أو ما يؤول إليه من القربى إلى الله تعالى بما يرضاه من الأعمال الصالحة[760].
(359)

(أقسام التوسل)

ينقسم التوسل إلى قسمين:
1- توسل شرعي.
2- توسل بدعي.

(1) التوسل الشرعي

تعريفه: هو كل توسل ورد في كتاب الله، وحث عليه سبحانه، وأمرنا به الرسول صلى يالله عليه وسلم وفعله أصحابه من بعده.

أقسامه: ينقسم التوسل الشرعي إلى ثلاثة أقسام:

---

755 - المستدرك: ج-2. ص312 قال الذهبي: على شرطهما.
756 - رواه البخاري: ج-1. ص105 وأبو داود أود بنحوه. ص88.
757 - التوسل والوسيلة. والتوصل إلى حقيقة التوسل: ص12.
758 - التوصل الى حقيقة التوسل: ص12.
759 - سورة الإسراء: 56، 57.
760 - انظر التوصل إلى حقيقة التوسل: ص12. والقاعدة الجليلة لابن تيمية، ففيه مزيد بسط وتفصيل.

1- توسل العبد إلى الله تعالى بذاته العلية، وبأسمائه الحسنى، وبصفاته العظمى.
2- توسل العبد إلى الله سبحانه بأعماله الصالحة.
3- توسل العبد إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له.
الأصل في دعاء الله تعالى قوله: (وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ أجيبُ دعوة الدّاع إذا دعان)[761].
وقوله تعالى: (ادْعُوني أسْتَجِبْ لكُمْ)[762].
(360)
فتوسل العبد إلى الله تعالى بذاته العلية، وبأسمائه الحسنى وبصفاته العظمى، دل عليه القرآن الكريم والسنة النبوية الصحيحة.
أما النصوص القرآنية فهي:
أولاً: قال تعالى: (ولله الأسْماء الحُسْنى فادْعُوهُ بها)[763].
فهذه الآية القرآنية واضحة أشد الوضوح، ومصرحة أشد التصريح بأن دعاء الله تعالى يكون باسم من أسمائه الحسنى مثل: يا عظيم، يا قوي، يا كريم.
قال أبو يوسف عن أبي حنيفة: لا ينبغي لأحد أن يدعو الله إلا به. وقال رحمه الله: وكذا لا يصلى أحد على أحد إلا على النبي صلى الله عليه وسلم.
وكره قوله: بحق رسلك وأنبيائك وأوليائك. أو: بحق البيت. لأنه لا حق للخلق على الخالق سبحانه[764]. أي أنه لا وساطة بين الله وعباده، وإن كان الوسيط رسولاً أو ولياً أو نبياً.
ثانياً: قوله تعالى: (وإذا سألك عبادي عنّي فإنّي قريبٌ).
قال الآلوسي: (فإنّي قريبٌ) أي فقل لهم ذلك، بأن تخبر عن القرب بأي طريق كا ن، ولابد من التقدير إذ بدونه لا يترتب على الشرط ولم يصرح بالمقدر، كما في أمثاله للإشارة إلى أنه تعالى تكفل جوابهم، ولم يكلهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم تنبيهاً على كمال لطفه، والقرب حقيقة في القرب المكاني المنزه عنه تعالى[765].
(361)
وفي هذه الآية نكتة بلاغية معجزة، فإن الله تعالى يقول في كل آية فيها مساءلة للنبي: قلْ: فقلْ إلا في هذه الآية فقد قال الحق عز وجل: (وإذا سألك.. فإنّي) ولم يقل: قلْ. أوْ: فقلْ. كعادة القرآن في مثل هذا المقام، لأن هذا دليل على قرب المدعو سبحانه، وسرعة الإجابة، تأكيد على أنه لا وس اطة بين الحق وخلقه، فقد منع الله الوساطة بينه وبين خلق حتى في الجواب.

---

761 - سورة البقرة: 186.
762 - سورة غافر: 60.
763 - سورة الأعراف: 180.
764 - التوصل إلى حقيقة التوسل للرفاعي.
765 - روح المعاني: ج-2. ص63.

وأما التوسل إلى الله تعالى بصفة من صفاته، فذلك مأخوذ من كثير من الآ
يات القرآنية، وهذه واحدة منها.
يقول الله تعالى على لسان نبيه ابراهيم عليه السلام: (ربّنا إنّك تعْلمُ ما
نُخْفي وما نُعلن ولا يخْفى على الله من شيء في الأرض ولا في السماء
الحمد لله الذي وهبَ لي على الكبر إسماعيل وإسْحاق إنّ ربي لسميع
الدُّعاء)[766].
وجه الدلالة في هذه الآية أن أبا الأنبياء إبراهيم، يدعو الله تعالى ويتوسل
بعلم الله، الذي أحاط بكل ما في السر والجهر من حركات مخلوقاته، في الأ
رض وفي السماء، كما يتوسل إلى الله بصفات وهبه وحمده وسمعه، لأن الله
سميع الدعاء، وهذا هو منهج المسلم الحقيقي حين يتوجه إلى خالقه بـ
الدعاء، فيدعوه باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته، دون اللجوء إلى
وساطة أحد.
(362)
وأما السنة فقد ورد فيها ما يؤكد على أن التوسل إلى الله يكون بذاته العلية
، أو باسمه الأعظم أو بصفاته الحسنى:
ففي الحديث الذي رواه عبدالله بن بريدة عن أبيه أن رسول الله سمع رجلا
ً يقول:
اللهم إني أسألك بأني أشهد أنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد، الذي لم
يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: (لقدْ سألتَ الله عزّ وجلّ باسمهِ الأ
عظم)[767].
فهذا الحديث نصٌ صريح بأن دعاء الله وسؤاله يكون بذاته العلية الواحدة
وباسمه الأعظم، كما يشير لذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم: (لقدْ سألتَ
الله عزّ وجلّ باسمهِ الأعظم) فلا وساطة إذن بين العبد وربه.
ويؤيد هذا ما ورد في الحديث: (ادْعوا الله وأنتم مُوقِنُونَ بالإجابةِ).
فلم يقل الرسول صلى الله عليه وسلم: ادعوا الأنبياء حتى يطلبوا من الله
لكم! أو توسلوا بالأنبياء والصالحين!![768].
وأما سؤال الله تعالى بصفة من صفاته، فهذا نأخذه من الحديث الذي
أخرجه أحمد الترمذي عن عمران بن حصين. أنه مر على قاصّ يقرأ، ثم
يسأل فاسترجع ثم قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: (منَ
قرأ القرآن فليسْأل الله به فإنّهُ سيجيء أقوامٌ يقْروؤُنَ القرآن يسْألونه بهِ
النّاس.
(363)
القرآن الكريم كلام الله، وكلام الله صفة من صفاته، فسؤال الله بقرآنه هو
سؤال الله تعالى بكلامه نفسه، أي سؤال الله بصفة من صفاته.

---

[766] - سورة إبراهيم: 38، 39.
[767] - رواه أبو داود والترمذي.
[768] - تطهير الجنان والأركان: ص36. للشيخ أحمد بن حج رال بوطامي.

وأما توسل المؤمن إلى الله تعالى بأعماله الصالحة فذلك كثير في القرآن، فمن ذلك مثلا ً قوله تعالى: (ربّنا إنّنا سمعنا مُنادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربّكمْ فآمنّا ربّنا فاغفر لنا ذُنوبنا وكفّرْ عنّا سيّئاتنا وتوفّنا مع الأبرار)[769].
فهؤلاء جماعة المؤمنين، يتوجهون إلى ربهم متوسلين إياه أن يغفر لهم ذنوبهم ويتجاوز عن سيئاتهم، وأن يحشرهم في زمرة الأبرار، بسبب إيمانهم برسوله محمد صلى الله عليه وسلم وتطبيقهم إياه واتباعه في دعوته. فقد جعلوا إيمانهم بالله ورسوله وسيلة يتوسلون بها إلى الله، كي يغفر لهم ويرفع منزلتهم، وحسبك بالإيمان أنه أهم الأعمال الصالحة عندهم.
ومن الأدلة الدالة على أن التوسل يكون بالأعمال الصالحة، ما جاء في الحديث عن الثلاثة الذين انطبقت عليهم الصخرة، فتوسل أحدهم ببر و الديه، والثاني توسل بعفته من الزنا، والثالث بتنميته أجر الأجير بعد أن ذهب وترك أجرته، ثم رجع بعد مدة طويلة وطلب أجرته فردها عليه، فإذا هي مال كثير[770].
فهؤلاء الثلاثة الذين أغلقت الصخرة باب الغار- الذي هم فيه-
(364)
لم يجدوا ما يتوسلون به إلى الله، إلا ما قدموا من أعمال صالحة. وهذا يعني أن التوسل إلى يكون بالأعمال الصالحة.
وأما توسل العبد إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له، فقد دلت النصوص الشرعية عليه، وهذا واضح في قوله تعالى: (ولوْ أنّهمْ إذْ ظلمُوا أنْفُسَهُمْ جاؤوكَ فاسْتَغْفَرُوا الله واستغفر لهمُ الرسول لوجدوا الله توّاباً رحيماً)[771].
يرشد تعالى العصاة والمذنبين- إذا وقع منهم الخطأ والعصيان- أن يأتوا إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فيستغفروا الله عنده، ويسألونه أن يستغفر لهم، فإنهم إذا فعلوا ذلك تاب الله عليهم ورحمهم[772]. وهذا معناه أن استغفارهم ربهم، ثم استغفار الرسول لهم، يكونان سبباً في وتوبته تعالى عليهم ورحمته[773]. وهذا دليل على أن توسل العبد إلى الله تعالى بدعاء أخيه المؤمن له جائز ومشروع.

2-التوسل البدعي

والقسم الثاني من أنواع التوسل هو التوسل البدعي:
والتوسل البدعي هو: كل دعاءٍ إلى الله لا يتوسل فيه صاحبه بذات الله، أو باسم من أسمائه، أو بصفة من صفاته.
(365)
وهذا النوع من التوسل غير المشروع واضح في كلام المتأخرين، من

---

[769] - سورة آل عمران: 193.
[770] - تطهير الجنان والأركان. للشيخ أحمد بن حجر آل بو طامي: ص42.
[771] - سورة النساء: 64.
[772] - تفسير ابن كثير: ج-1. ص519.
[773] - التوصل الى حقيقة التوسل: ص135. للشيخ محمد نسيب الرفاعي. وفقه الله نفع به المسلمين.

النداءات والاستغاثات والتوسلات بالمشايخ والأولياء والضرائح مثل قولهم: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك. وهذا الدعاء واضح البطلان، إذ لا حق لأحد على اللّه تعالى، حتى يتوسل به عند اللّه. ومثال ذلك أيضاً ما يخاطب به الأموات من كلمات كفرية مثل قولهم: على اللّه وعليك. ويهتفون بأسمائم عند الشدائد ونحوها، وكل قوم لهم رجل ينادونه، فأهل العراق والهند يدعون عبدالقادر الجيلاني، وأهل التهائم لهم في كل بلد ميت، يهتفون باسمه ويقولون: يا زيلعي، يا ابن العجيل.

وأهل مكة وأهل الطائف: يا ابن العباس، وأهل مصر: يا رفاعي يا بدوي، و السادة البكرية، وأهل الجبال: يا أبا طير، وأهل اليمن: يا ابن علوان[774].

وفي كل قرية أموات يهتفون بهم وينادونهم، ويرجونهم بجلب الخير ودفع الضر، وهو بعينه فعل المشركين في الأصنام[775].

قال الرواس يستغيث بالرفاعي: كم له من مدد يحيي الرمم!!.

لو ندبناه على ميت عفا!!		قام بالسر كظبي ربرب!![776]

(366)

ومن غرائب التوسل:

يا سيدي صفي الدين يا سندي		يا عمدتي، بل ويا ذخري ومفتخري
أنت الملاذ لما أخشى ضرورته -------------------------------- -------------------------------- -------------------------------- -------------------------------- ----		وأنت لي ملجأ من حادث الدهر[777]

ولعل بهذه الأمثلة والنماذج المستفيضة التي أوردناها من الكتاب والسنة، ما يضيء السبيل ويوضح المنهج الذي يجب أن يلتزمه طالب الحق، الذي

[774] - ونظير هذا ما يفعله أهل الأردن وفلسطين، إذ يهتفون بأشياخهم وبالأولياء والأنبياء كقولهم: يا سيدي الخضر. ويا سعد الدين. يا خليل الله. وما شابه ذلك.

[775] - الجامع الفريد: ص502.

[776] - انظر التصوف بين الحق والخلق: ص135 وما بعدها- حواشي.

[777] - انظر معارج الألباب: ص172، 173 للعلامة حسين بن مهدي النعمي رحمه الله توفي 1187هـ. هذه بعض توسلات القبوريين الذين صرفوا حق الله لغيره.. هذه محادة لله سبحانه. فماذا أبقى هؤلاء المتوسلون- المشركون- لخالقهم من الأمر؟! ألا قاتل اللّه هؤلاء الذين يصرفون حق الله لغيره من المخلوقات، فيقعون في الشرك الأكبر الذي بعث اللّه سبحانه وتعالى رسله وأنبياءه لتطهير الأرض من أدران الشرك ورواسب الوثنية.

ارتضى لنفسه أن يكون عبداً لله.
وحسبنا في ما ما ذكرناه لمن وفق لفهمه كفاية. والله المرفق والهادي إلى سواء السبيل.

(الولي الورع في ميزان الشرع)

قال ابن حجر: المراد بولي الله، العالم بالله تعالى، المواظب على طاعته، المخلص في عبادته[778].
وهذا التفسير للولي هو المناسب لمعنى الولي المضاف إلى الله سبحانه، ويدل على ذلك قول الله تعالى: (ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليْهمْ ولا همْ يَحزنون)[779].
(367)
فأولياء الله هم خلص عباده، القائمون بطاعاته، المخلصون له.
ومعني الولاية لغة: اسم من الولي، والولي هو القرب والدنو[780].
والولاية مصدر. وولي الله: من والاه بالموافقة له في محبوباته ومرضياته، وتقرب إليه بما أمر به من طاعاته[781].
والولي: من الولاية- بفتح الواو- التي هي ضد العداوة، وقيل بالفتح: النصرة وبالكسر الإمارة.
قال الزجّاج: وجاز الكسر، لأن في تولي بعض القوم بعضاً جنساً من الصناعة والعمل، وكل ما كان كذلك مكسور مثل: الخياطة ونحوها.
فالمؤمنون أولياء الله, والله تعالى وليهم[782]. قال الله تعالى: ِالله ولي الذين آمَنُوا يخرِجُهُمْ من الظّلماتِ إلى النّور والذين كفَرُوا أوْلياؤهُمُ الطّاغوت يُخرِجُونَهُمْ من النّور إلى الظّلُمَاتِ)[783].
(367)

(أفضل الأولياء)

ورداً علي تخرصات أدعياء الباطل- من الصوفية والمبتدعة- فإني أقدم لمحة وجيزة عن صفات أفضل الأولياء، كما ورد ذلك في الكتاب والسنة.
(368)
إن أفضل الأولياء عند الله هم الأنبياء، وأفضل الأنبياء هم المرسلون، وأفضل الرسل هم أولو العزم، نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم جميعاً أفضل الصلاة وأتم التسليم..

---

[778] - فتح الباري: ج-13- ص293.
[779] - سورة يونس: 62.
[780] - القاموس المحيط: ج-4- ص404.
[781] - مجموعة الرسائل.
[782] - شرح الطحاوية: ص403.
[783] - سورة البقرة: 257.

أما أفضل أولي العزم من رسل الله فهو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الذي أنزل عليه: (قُلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّون الله فاتبِعُوني يُحْبِبْكُمُ الله)[784].
فجعل الله سبحانه صدق محبته متوقف على اتباع رسوله خاتم الأنبياء، وجعل اتباعه سبب حصول المحبة من الله سبحانه.
وقد ادعت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه وأولياء.
قال تعالى: (قُلْ فلمَ يُعَذِّبُكُمْ بذُنُوبِكم بلْ أنتُمْ بشرٌ ممنْ خَلَقَ يغْفِرُ لمنْ يشاءُ ويُعَذِّب من يشاء ولله مُلْكُ السّموات والأرض وما بيْنَهُما وإليه المصير)[785].
بل ادعوا أنه لا يدخل الجنة إلا من كان منهم[786].
(قالُوا لن يَدْخُلَ الجنّة إلا منْ كان هُودا أو نصارى تلك أمانيُّهم قُلْ هاتُوا بُرهَاتَكُمْ إنْ كُنْتُمْ صادقين، بَلى من أسْلَمَ وجْهَهُ لله وهو مُحْسِنٌ فَلَهُ أجْرُهُ عنَدَ ربِّه ولا خوفٌ عليهمْ ولا همْ يحْزَنون)[787]. وقال سبحانه (ومن يتّخذ الشّيْطان وليًّا من دون الله فقد خَسِرَ خُسْرَانا مُبينا)[788].
وقوله: (يا أبَتِ إنّي أخافُ أنْ يَمَسّكَ عذابٌ من الرّحمن فتكون للشّيطان وليّا)[789]. وفي الحديث: (إنّ آلَ أبي فُلان ليْسُوا لي

(369)

بأولياء، إنّما وليّى الله وصالح المؤمنين)[790] وهو كقوله تعالى: (وإنْ تظاهرا عليهِ فإنّ الله هو مولاهُ وجبْريلُ وصالح المؤمنين)[791].
وأولياء الله تعالى على نوعين: مقربون، وأصحاب يمين.
وقد ذكر النبي صلى الله عليه وسلم عمل القسمين في حديث الأولياء فقال: (يَقُول الله تعالى: (منْ عادى لي ولياً فقدْ بارزني بالمُحاربة، وما تقرّبَ إليّ عبدي بمثل أداء ما افترضْتُهُ عليه ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبّه، فإذا أحْبَبْتُهُ، كُنْتُ سَمْعَهُ الذي يسمعُ به، وبصرهُ الذي يُبْصرُ به ويدَهَ التي يبطش بها ورجلهُ التي يَمشي بها)[792].
وأما السابقون المقربون فتقربوا إليه بالنوافل بعد الفرائض، ففعلوا الواجبات والمستحبات، وتركوا المحرمات والمكروهات، فلما تقربوا إليه بجميع ما يقدرون عليه من محبوباته أحبهم الرب حباً تاماً، كما قال تعالى: (ولا يزَالُ عبْدي يتقرّب إليّ بالنّوافل حتى أحبّهُ)[793].
فهؤلاء المقربون صارت المباحات في حقهم طاعات، يتقربون بها إلى الله عز

---

[784] - سورة آل عمران: 31.
[785] - سورة المائدة: 18.
[786] - الفرقان: ص27 لابن تيمية.
[787] - سورة النساء: 119.
[788] - سورة النساء: 119.
[789] - سورة مريم: 45.
[790] - رواه الشيخان وغيرهما.
[791] - سورة التحريم: 4. وصالح المؤمنين: هو من كان صالحاً من المؤمنين، وهم المتقون أولياء الله. ومهما الخلفاء الراشدون، وكل ما بايع الرسول بيعة الرضوان تحت الشجرة.
[792] - رواه البخاري في صحيحة وليس فيه لفظ المبارزة وإنما هو من رواية الطبراني.
[793] - حديث قدسي رواه البخاري.

وجل، فكانت أعمالهم كلها عبادات لله، فشربوا صرفاً كما عملوا له صرفاً، و المقصتدون كان في أعمالهم ما فعلوه لنفوسهم، فلا يعاقبون
(370)
عليه ولا يثابون عليه، فلم يشربوا صرفاً، بل مزج لهم من شراب المقربين بحسب ما مزجوه في الدنيا..[794].

فأولياء الله هم الذين عرفوا دين الله، فتولوه بالنصر والتأييد فبلغوه للناس بأمانة وحق- كما أمر الله سبحانه- فلم يكتموا من أمره شيئاً- نفاقاً أو مجاراة أو خوفاً من لومة لائم- مهمما أصابهم في سبيل الله هو في الحقيقة اختبار لهم وتمحيص لإيمانهم. وهم الذين كفروا بدين الشيوخ وما عليه أكثر الناس، ولم يربطوا عقائدهم بما عليه الأهل والعشيرة، من البدع والعادات الموروثة والخرافات المنكرة، من تقليد وجهل.

وأولياء الله هم الذين أحبوا الله فأفردوه بالعبادة الخالصة وأحسنوا التوكل عليه واتخذوه ولياً لهم ونصيراً، كما يقول الحق سبحانه: (اللّه وليّ الذين آمنوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلمات إلى النور)[795].

والمؤمنون هم الذين يتخذون بعضهم أولياء بعض، وولايتهم لبعض هي أن يناصر بعضهم بعضاً في سبيل إحياء دين الله، وإظهار الحق وإعلاء كلمته، و الدفاع عن عقيدة التوحيد ومحاربة الشرك، ومقاومة البدع والضلالات المنتشرة في الناس باسم الدين، وهؤلاء أيضاً يعانون بعضهم في ما يعود بـ النفع العام، والخير في أمور الدنيا، وأن يكون حبهم لله وحده.

هذه هي ولاية المؤمن كما يحبه الله: (إنما وليُكُمُ اللّه ورسوله
(271)
والذين آمَنوا الذين يُقيمون الصّلاة ويُؤتُونَ الزّكاة وهُمْ راكعون)[796].

وقوله تعالى: (والمُؤمِنُون بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينْهَونَ عن المنكر)[797].

(ميزان الولاية)

وللولاية ميزان عادل، إذ هي من الألفاظ الشرعية، فمحلها ما وضعها الشرع فيه. وما وصل إليه شعورنا فهو غايتنا لا ما وراءه.

فقد أخرج الإمام البخاري في صحيحه من حديث أبي بكر مرفوعاً:

(منْ كانَ منْكُمْ مادحاً أخاه لا مَحَالة فليَقلْ: أحْسبُ فُلانا. واللّه حسيبهُ. ولا أزَكِّي على الله أحداً. أحْسَبُهُ كذا وكذا، إنْ كان يعْلَمُ ذلك منه). أ. هـ. فتأمله. فهذا كلام لابد من النظر في كلامه، والمسير بسيرته، ولا ينفعك من دونه ولي ولا واق.

---

[794] - انظر كتاب الفرقان: ص26، 27.

[795] - سورة البقرة: 257.

[796] - سورة المائدة: 55.

[797] - سورة التوبة: 71 انظر مصرع الشرك والخرافة ص534- 536.

وقد رد الرسول العظيم على من يزكون غيرهم بغير علم، منكراً عليهم ذلك حين قال: (والله إنّي لرسول الله، لا أدْري ما يُفْعَلُ بي غداً).
رواه البخاري. وهذه لفتة نبوية، وحكمة لا يجوز إهمالها، لذلك لا يجوز ا لقول بغير علم، بل يترك ذلك لأمر الله.
وأخرج الإمام أبو عيسى الترمذي في جامعه، من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: توفي رجل فقال رجل آخر- ورسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع: أبشر بالجنة. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (أوَ لا تدْري؟!. فَلَعَلَّهُ تكلّمَ فيما لا يُعْنيه أوْ بخِلَ بما لا ينقصُهُ)[798].
ومما يحسن ذكره في هذا المقام ما ذكره الشيخ أبو محمد بن عبدالسلام المصري في قواعد الأحكام ولفظه: وقد تكون الكرامات سبباً في الافتتان، وأن يظن بصاحبها أنه من أولياء الرحمن، ولذلك تخرق العادات لمن لا دين له، الدجال وكثير من الرهبان، وكذلك تخرق العادات للفجار والفساق. أ. هـ[799].
وقال فيه أيضا ما لفظه: والشرع ميزان، فمن رجح عن ميزان الشرع فأولئك أهل الخسران، فإذا رأيت إنساناً يطير في الهواء، أو يمشي على الماء، أو يخبر عن المغيبات، ثم يخالف الشرع بارتكاب المحرمات- بغير سبب شرعي محلل- وترك الواجبات- بغير سبب شرعي مجوّز- فاعلم أنه شيطان نصب نفسه فتنة للجهلة، وليس ذلك ببعيد من الأسباب التي نصبها الله للضلال. فإن الدجال يحيي ويميت، فتنة لأهل الضلال. ولذلك يأتي الخربة فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل. وكذلك يظهر للناس أن معه جنة وناراً، وناره جنه وجنته نار. وذلك من يأكل الحيات ويدخل النيران فإنه مرتكب للحرام بأكل الحيات، وفاتن للناس بدخول النيران ليقتدوا به في ضلالته، ويتابعوه على جهالته. أ. هـ. بلفظه[800].
(273)
وإنما ذكرته لتعرف أن ما يعتقده الجهلاء من ولاية من ظهر منه شيء من هذا القبيل- ليس من الواردين لمعين الشرع- فهو من جملة جزافهم وتخريفهم، لقيام الأدلة ووضوح شموسها والأهلة مما ذكرنا، ولا عبرة بمجرد ظهور خارق، وبروز ما يسميه- من لا علم عنده- كرامة توجب الحكم بالولاية لمن قامت به، وكذا استجابة دعوات إلى دعوات.
واعلم يا أخي- يرحمك الله- أن المعيار الذي تعرف به صحة ولاية الولي، هو أن يكون ملتزماً بكتاب الله سبحانه وبسنة رسوله، مؤثراً لهما على كل شيءٍ، مقدماً لهما في إصداره وإيراده وفي كل شؤونه، فإذا زاغ عنهما زاغت عنه الولاية: (فلا وربِّك لا يُؤْمنون حتى يحكِّموك فيما شجر بيْنَهُمْ ثمّ لا يجدوا

---

[798] - قال المنذري: رجاله ثقات. الترغيب والترهيب.
[799] - معارج الألباب: ص144، 145.
[800] - المصدر السابق نفسه.

في أنفسهم حرجاً مما قضيْتَ ويُسلِموا تسليماً)[801].
فإذا عرفت أنه لابد للولي من أن يكون مقتدياً في أقواله وأفعاله بالكتاب و السنة، وأن ذلك هو المعيار الذي يعرف به الحق من الباطل، لذا وجب رد كل ما يخالف هذا المعيار وعدم الالتزام به. كما لا يجوز لأحد أن يعتقد في ذلك الولي بولايته، فإن أمثال هذه الأمور تكون من أفعال الشياطين، كما نشاهده في الذين لهم تابع من الجن، فإنه قد يظهر على يده ما يظن أن كرامة، وهو في الحقيقة مخاريق شيطانية.
(374)

(أولياء الشيطان)
بين الله سبحانه في كتابه وسنة رسوله أن له أولياء من الناس، كما أن للشيطان أولياء، وقد فرق بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان المردة، الذين لم يقبلوا لأنفسهم أن يكونوا عبيداً لله، بل تجدهم قد تمردوا على أمره سبحانه وتعالى، فحادّوا الله ورسوله وكانوا قوماً بوراً.
وقد مر علينا أن أولياء الله هم الأتقياء الذين ينقادون لأمره، ويتبعون تعاليم شرعه. قال تعالى: (اللّه وليُّ الذين آمنوا يُخْرِجُهُمْ من الظُّلمات إلى النُّور و الذين كفروا أوْلياؤُهُمُ الطّاغوت يُخْرِجُونهُمْ من النُّور إلى الظلمات أولئك أصْحابُ النّار همْ فيها خالدون)[802].
وفي حق أولياء الشيطان نقرأ قوله تعالى: (فإذا قرأْتَ القُرآنَ فاسْتَعذْ بـالله من الشيّطان الرّجيم إنّهُ ليس له سلطانٌ على الذين آمنوا وعلى ربّهمْ يتوكلون إنّما سُلطانهُ علي الذين يتولّونه والذين هُمْ بهِ مشركون)[803].
وقوله: (ومنْ يتّخذ الشّيطان وليا من دون اللّه فقد خسر خُسرانا مبيناً)[804].
(إنهم اتخذوا الشياطين أولياء من دون اللّه ويَحْسَبُون أنّهمْ مُهتدون)[805].
(375)

(بعض علامات أولياء الشيطان)
ومن علامات أولياء الشيطان التي يجب أن يعرفها المسلم، لئلا يشتبه عليه ا لأمر، وتلتبس عليه الحقيقة، فهذه بعضها كما بينها شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: فإذا كان الشخص مباشراً للنجاسات والخبائث التي يحبها الشيطان، أو يأوي إلى الحمامات والحشوش، التي تحضرها الشياطين، أو يأكل الحيات والعقاب والزنابير وآذن الكلاب التي هي خبائث وفواسق، أو

---
[801] - سورة النساء: 65.

[802] - سورة البقرة: 257.
[803] - سورة النحل: 98- 100.
[804] - سورة النساء: 119.
[805] - سورة الأعراف: 30.

يشرب البول ونحوه من النجاسات التي يحبها الشيطان، أو يدعو غير الله، فيستغيث بالمخلوقات ويتوجه إليها، أو يسجد إلى ناحية شيخه، ولا يخلص الدين لرب العالمين، أو يلابس الكلاب أو النيران، أو يأوي إلى المزابل والمواضع النجسة، أو يأوي إلي المقابر- أو يكره سماع القرآن وينفر عنه، ويقدم عليه سماع الأغاني والأشعار، ويؤثر سماع مزامير الشيطان على سماع كلام الرحمن، فهذه علامات أولياء الشيطان لا علامات أولياء الرحمن.
قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا يسأل أحدكم عن نفسه إلا القرآن، فإذا كان يحب القرآن فهو يحب الله، وإن كان يبغض القرآن فهو يبغض الله ورسوله.
وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: لو طهرت قلوبنا لما شبعت من كلام الله عز وجل. وقال ابن مسعود رضي الله عنه: الذكر ينبت الإيمان
(376)
في القلب كما ينبت الماء البقل، والغناء ينبت النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل[806].
ومن الجدير بالذكر أن ولي الله هو من أدى فرائضه والتزم بآداب دينه، وعلى هذا فمن أظهر الولاية وهو لا يؤدي الفرائض ولا يجتنب المحارم، بل قد يأتي بما يناقض ذلك، لم يكن لأحد أن يقول: هذا ولي لله. فإن هذا إن لم يكن مجنوناً، بل كان متوالياً من غير جنون، أو كان يغيب عقله بالجنون تارة ويفيق أخرى، وهو لا يقوم بالفرائض، بل يعتقد أنه لا يجب عليه اتباع الرسول صلى الله عليه وسلم فهو كافر. وإن كان مجنوناً باطناً وظاهراً فقد ارتفع عنه القلم. فهذا وإن لم يكن معاقباً عقوبة الكافرين، فليس هو مستحقاً لما يستحقه أهل الإيمان والتقوى من كرامة الله عز وجل، فلا يجوز على التقديرين أن يعتقد فيه أحد أنه ولي الله، ولكن إن كان له حالة في إفاقته، كان فيها مؤمناً بالله متقياً، كان له من ولاية الله بحسب ذلك، وإن كان له حال في إفاقته فيه كفر أو نفاق، أو كان كافراً أو منافقاً ثم طرأ عليه الجنون، فهذا فيه من الكفر والنفاق ما يعاقب عليه، وجنونه لا يحبط عنه ما يحصل منه حال إفاقته من كفر أو نفاق. أ . هـ.[807].
ويكشف لنا الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله، جوانب هامة من حياة أولياء الخيال الدجاجلة، فيقول تحت عنوان: أولياء الخيال وأولياء الطاغوت والشيطان:
(377)
فأولياء الله- الذين يشهد لهم كتابه بالولاية له- هم المؤمنون الصالحون المتقون، ولكن اشتهر بين المسلمين- بعد عهد السلف- ما يدل على أن الأولياء عالم خيالي غير معقول، لهم من الخصائص في عالم الغيب والتصرف

[806] - الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان: ص64، 65.
[807] - انظر كتاب الفرقان: ص40، 41.

في أنبياء الله المرسلين، بل فوق كل ماوصف به جميع الوثنين آلهتهم وأربابهم التي اتخذوا من دون الله.
وينقلون مثل هذه الدعاوى عن بعض من اشتهروا بالولاية، ممن لهم ذكر في التاريخ ومن لا ذكر لهم إلا في كتب الأولياء[808]، الذين فُتِنَ المسلمون و المسلمات بهم، ممن يسمون المتصوفة وأهل الطريقة، ينقلون عنهم ما يؤيدون به مزاعمهم الخرافية الشركية.
ولئن أنكر عليهم منكر. ليقولن: هذا ضال مضل، منكر للكرامات، مخالف للقرآن. وقرؤوا عليه: (ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهمْ لا همْ يحْزنون)[809].
هذه الولاية الخيالية المبتدعة من محدثات الصوفية، ألبسوها ثوب الشريعة، وجعلوا للشريعة مقابلاً سموه الحقيقة[810]. أ. ه.

(378)

وحول خصائص الولاية وخاتم الأولياء فإني أضع بين يدي القارىء الكريم ما ذكره ابن عربي الذي يقول[811]: واعلم أن الولاية هي الفلك المحيط العام ولهذا لم تنقطع. وأما النبوة والتشيع والرسالة فمنقطعة.
والرسول من حيث هو وليٌ أتم من حيث هو نبي ورسول، فمرجع الرسول و النبي إلى الولاية والعلم.
ثم يقول عن الحقيقة: ما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولي الخاتم، حتى إن الرسل لا يرونه- متى رأوه- إلا من مشكاة النبوة. ثم يقول في الخاتم: وخاتم الأولياء الولي الوارث، الآخذ من الأصل، المشاهد للمراتب[812].
ولعله من الواضح أن فكرة خاتم الأولياء هذه فكرة باطنية قصد بها الموازاة بين الشرع الظاهر والشرع الباطن، وليست من الإسلام في شيء.
هذا ما يرويه ابن عربي من أن الله قد أكرم محمداً صلى الله عليه وسلم فجعل من أمته رسلاً من هو أقى منه، وهو إن لم يكن علوياً في النسب فهو علوي في المشهد والولاية، ومقامة فوق مقام الصديق لأنه أخذ نوره من مشكاة النبوة بالوراثة الروحية، وهي أكبر من مشكاة الصديقية[813].

(379)

وفكرة خاتم الأولياء فكرة باطلة لم يرد بها شرع ولا يوافق عليها عقل، وهي من اختراع الحكيم الترمذي، ثم صار يقول بها ويدعيها لنفسه كل من تسول

---

808 - مثل الأقطاب الأربعة المتداركة. أو مثل الدسوقي، الرفاعي، البدوي، الشعراني.
809 - سورة يونس: 62.
810 - بتصرف عن تفسير المنار للشيخ رشيد رضا رحمه الله.
فالصوفية مولعة دائماً بقلب الحقائق وتشويهها، فنراهم يأخذون بمقولات الباطنية الخبيثة التي تهدف لهدم الدين. ومن هذه الضلالات علم الحقيقة الذي يعتقدون به ويضعونه في منزلة أعلى من الشريعة، كما يقولون بعلم الباطن، وهكذا يلتقون مع الباطنية الهدامة لإفساد الدين وتقويض دعائمه.
811 - فصوص الحكم: ص134، نقلاً عن مصرع التصوف: ص173 للبقاعي.
812 - لقد ألف الحكيم الترمذي كتاباً سماه ختم الولاية زعم فيه أن خاتم الأولياء يكون في خاتم الزمان، وأنه أفضل ممن تقدمه من الأولياء ومن الشيخين، وهذا منكر.
813 - عنقاء مغرب: ص18، 19 نقلاً عن ولاية الله والطريق إليها.

له نفسه الطعن على الأنبياء، أو إبطال الشريعة الإسلامية، من أتباع الباطنية الغنوصية.
ومن المعلوم أن العصمة ليست إلا من حق الأنبياء، وأما ما يزعم به الشيعة والصوفية والرافضة وأمثالهم، من أن العصمة حق للأولياء، فهذا قول باطل ومردود ومخالف للكتاب والسنة.
يقول الشوكاني: وعصمة علي وحجية قوله ذهب إلى القول بهما جماعة من أهل البيت، وذهب جماعة منهم- وسائر المسلمين أجمعين- إلى أن المعصوم إنما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم على الخصوص، والحجة إنما هي ما جاء عن الله وعنه[814].
(380)

(العلم اللدني)
إن الشرع الإسلامي الحنيف لم يضف شيئاً اسمه العلم اللدني إلى أولياء الله سبحانه وتعالى، إلا أننا مع الأسف نجد من يقول بمثل هذه المزاعم، ويتمسك بها وكأنها وحي من عند الله، مع أنها تخالف ميزان شرعه الحكيم.
لقد أضاف الشيعة والصوفية وأشباههم- من المدرسة الباطنية- صفة العلم اللدني إلى مفهوم الولاية، وهو العلم الذي أخذه علي بن أبي طالب عن الرسول صلى الله عليه وسلم- كما يزعمون- ثم ورّثه لهم الإمام علي كرم الله وجهه. كما أنهم يرجعون هذا أيضاً إلى فكرة الوصاية التي قالوا بها، وإلى المؤاخاة التي عقدها الرسول صلى الله عليه وسلم بينه و بين علي رضي الله عنه، وإلى الحديث الذي وضعوه وهو: أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب[815].
وبهذا فقد نسب إليه المتصوفة علم الباطن، وخصوه بأنه تلقى أسرار التأويل عن النبي صلى الله عليه وسلم. فجلّ المتصوفة في البلاد الإسلامية يكادون يجمعون على أنهم يقتبسون طريقتهم من الإمام علي كرم الله وجهه، بل يصرحون أنهم أخذوا عنه الحكمة- كما يقول ابن أبي الحديد- ولهذا نجد المباحث الدقيقة في التوحيد والعدل مبثوثة عنه في فرش
(381)
كلامه وخطبه، ولا نجد في كلام أحد من الصحابة والتابعين كلمة واحدة في ذلك. وإذن فليس بعجيب أن نجد بعض العناصر الشيعية في التصوف[816]... وفي هذا ما يلقي ضوءا على ذلك التزاوج الذي نراه بين التشيع في التصوف، والذي يتمثل في تصوير أولياء الصوفية بصورة ولي الله علي بن أبي طالب، وإسناد ما يقال في أئمة الشيعة إلى أولياء

[814] - انظر كتاب الفرقان: ص84، 85 وعقود الزبرجد للشوكاني، عن كتاب ولاية الله: ص: 197.
[815] - راجع الصلة بين التشيع والتصوف: ج-2 ص22. وقد أورد الإمام الشوكاني هذا الحديث في الموضوعات من كتابه الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة: ص348.
[816] - انظر ولاية الله والطريق إليها: ص72.

الصوفية[817]. ومن ذلك وصف التستري المتوفي سنة 283 هـ.
للأولياء بأنهم: لا يزالون ينقلون من حال إلى حال، ومن علم إلى علم، فهم أبداً في المزيد من العلم فيما بينهم وبين ربهم[818]. أ. هـ. وصفة العلم اللدني هذه، واختصاص علي رضي الله عنه بالتأويل هو والأئمة من بعده[819] كما اختص محمد صلى اللّه عليه وسلم بالتنزيل- حسبما يدّعون- جعلتهم يسندون إلى الأئمة والأولياء صفة العصمة، وربما جعلتهم يزيدون فيها على الرسول صلى الله عليه وسلم.
ويحتجون لذلك بأن الرسول صلى الله عليه وسلم معه الوحي ينبّهه فلا يقع في خطإٍ، أما الإمام فليس معه الوحي، فهو معرّض للخطأ في إيصال العلم اللدني أو التأويل الباطني إذا لم يكن معصوما[820].
(382)
وقد بدأت هذه الفكرة من هشام بن الحكم[821]- أحد تلاميذ الإمام جعفر الصادق- وأنصاره- بعد وفاة الصادق- ولزمت التشيع ولم تنفصل عنه بل تأكدت، وتبجح بإعلانها معتنقوها بعد ذلك، ولا تزال موجودة إلى اليوم.
وهكذا فالعلم اللدني هو من اختراع الطرائق المعوجة، وأتباع المدارس الباطنية التي تتستّر بهذه المزاعم والتأويلات، لتجعل لها مكانة ومنزلة رفيعة في نفوس الناس، ولتحظى بالتقديس والإكبار من الأتباع السذج وأشبابهم، وهذا من تلبيس إبليس لم يأذن به اللّه سبحانه.
لذا كان حرياً بأتباع الإسلام وكل غيور عليه الحذر من أمثال هؤلاء الدجاجلة، الذين يتقنعون بالأقنعة الخبيثة، ويموهون على بسطاء المسلمين بالسوء والضلال. هؤلاء القوم الذين عزفوا عن كلام اللّه خالقهم، وعن سنة رسول اللّه صلى الله عليه وسلم الذي أرسله تعالى مرشداً وهادياً، فهو الملهم والمؤيد بوحي اللّه عز وجل. وقد تمسكوا بكلام زعموا أنه حق مؤيد من قبل اللّه جاء به الصادق محمد صلى الله عليه وسلم الذي لا ينطق عن الهوى ، وجملة مزاعمهم هذه أقوال وأحاديث مفتراة، ومنسوبة إلى الرسول صلى اللّه عليه وسلم زوراً وبهتاناً، لم يروها أحد من العلماء المعتبرين، ولا يوجد منها شيءٌ صحيح في كتب الحديث المعتبرة. فلا حول ولا قوة إلا ب اللّه.
(383)

(تشويه التاريخ)

تعرضت أمتنا الإسلامية لحروب كبيرة[822]، كما وجهت إليها طعنات مميتة-

---

[817] - دراسات في الفلسفة الإسلامية: ص128، 129. وولاية الله والطريق إليها.
[818] - الصلة بين التصوف والتشيع. وتفسير ابن كثير: ج-1- ص46.
[819] - الصلة بين التصوف والتشيع ج-1 ص760، 124 وغيرها.
[820] - منهاج السنة لابن تيمية: ص226. والصلة بين التصوف والتشيع: ج-1 ص146.
[821] - وهشام هذا، أحد الشيعة المتكلمين توفي سنة 199 هـ.
[822] - وفي الوقت نفسه الذي كانوا يعملون فيه على التهوين من شأن التاريخ الإسلامي- كبديل لذلك- حاولوا- وهم دائبون- أن يعملوا على تعظيم غيره في التواريخ، ما كان منها سابقاً للإسلام، أو تواريخ ا

وفي حقب متتالية- على أيدي أعدائها المتربصين بها- سراً وعلانية- وقد كانت محاربة القيم وطمس معالم التاريخ واحدة منها. لقد كان هدف قادة هذه الحروب القضاء على الإسلام، بوضع مخطط الدس والتشويه على تاريخه وحضارته المجيدة الزاهرة.

إن أساليب الحرب التي واجهها التاريخ الإسلامي من أعدائه، ليست وليدة هذا القرن، بل هي مبكرة منذ وجد الإسلام وتاريخه، وهم لم يحاولوا فقط التلفيق عليه أو الدس فيه أو رميه بالسهام، بل حاولوا أيضاً توجيه بعض أحداثه وإثارة الخلاف بين المسلمين، وفي العصر الحاضر بالذات.

(384)

وتدريس تاريخ الغرب والاهتمام به، كان الهدف منه النظر إليه نظرة الاقتداء أو الإجلال والتقدير، الأمر الذي ربما يخلو منه ما ندرس من تاريخنا.

ومن هنا كان إعجابنا بغيرنا، من دول الشرق والغرب كبيراً. وهؤلاء الذين وجهوا السهام إلى تاريخنا واعتدادنا بتاريخهم، فكان ما لديهم هو المثل الأ على لنا، أحلوا مثلهم في نفوسنا، وبذلوا الجهود المختلفة للحد من تعلقنا بتراثنا. وكان كل همهم أن نتحلل من اتجاهنا، ونقطع العلاقة بيننا وبين تاريخنا، واتبعوا لذلك كل الوسائل متعاونة، حتى التنصير والتطبيب والتعليم[823].

إن أعداء الإسلام يقصدون هدم الإسلام، فسلكوا لذلك كل الوسائل مهما كانت مجافية لروح العلم وقواعدالخلق. والعلمية عندهم هنا ما يخدم الغرض.

وحين يأتي الأمر إلى الإسلام- أو يكون موضوع البحث- فالأسلوب العلمي- حين ذاك- هو الطعن. وهكذا فقد أصيب الإسلام بنكبات مؤثرة ألحقت به الأ ذى، وأوجبت له علينا خدمة كبيرة.

وأعداؤنا في هذا الموقع، منهم محليون ومنهم خارجيون، فالمحليون هم من المحسوبين على أمتنا وتاريخنا، وأما الخارجيون فهم المستشرقون

(385)

ومن كان على شاكلتهم. وكان الهدف هو القضاء على الإسلام، بانتزاعه أو زعزعته، نتيجة الأحقاد الدفينة والأطماع، وذلك بوسائل متنوعة صوبت نحو حصون أمة الإسلام، لزرع إسفين التدمير والتخريب، للقضاء على العقيدة والتاريخ والحضارة. ومما لا شك فيه أن هذه الحركات والتيارات المناوئة كانت مختلفة ومتباينة خلال التاريخ الطويل، وإن هذه المحاولات قديمة قدم التايخ. وما نشاهده في هذا العصر هو امتداد له، وحلقة في هذا الصراع بين الحق والباطل، وإن اختلفت السبل والوسائل.

لأمم الأخرى التي تلت ظهوره. ومن هنا جاء الاهتمام بتاريخ الأمم الغالبة الأوروبية، فدرس لنا بتفصيل كثير يفوق أحياناً التفصيل الذي يتعلق بتاريخنا الإسلامي، بل وعلى حسابه، حتى غدا كثير منا يعرف عن تاريخهم ورجالهم ونهضاتهم أكثر مما يعرف عن تاريخنا الإسلامي.

[823] - التبشير والاستعمار: ص35، 59، 63.

والله تعالى يقول: (بلْ نقذِفُ بالحقِّ على الباطِلِ فَيَدْمَغُهُ فإذا هو زاهقٌ)[824].
أما الاستشراق الماكر فهو وليد التنصير، وإن تلبس هيئة البحث والعلم، كما تلبس التنصير هيئة الرحمة وتظاهر بالعطف على الناس، وادعى الإنقاذ ونشر المعرفة، وكذلك- لهذا السبب- تراهم سيطروا - في كثير من بلداننا الإسلامية - العربية منها وغير العربية- على التعليم.
فكان رجالهم- أيام الاحتلال- يشرفون عليه ويخيططون له، وبعد انتهاء الا حتلال السياسي كان وكلاؤهم الأمناء من أهل البلاد يؤدون تلك المهمة خير أداء، وهم من ورائهم يوجهونهم ويخططون لهم. لذلك فهم في بعض البلدان يفرضون رجالا ً معينين في مناصب معينة، كان من أهمها التعليم والإعلا م. ومن هنا ضعفت هذه الأمة وقلت معرفتها بتعاليم دينها وتاريخها،
(386)
ووضعت الثقة والتعظيم في أولئك الغالبين الذين تفرقوا في القوة والإنتاج المادي.
ومن هنا قد نرى أن أي اتجاه- مهما كان مخلا ً- أو أية فلسفة - فكرة أو تهمة- مهما حملت من الخشونة، قد تجد لها في جسم هذه الأمة وفي عقلها مكاناً أي مكان. بعد أن ضعفت مقاومتها، وقلت أو كادت تزول مناعتها، التي كان إيمانها بدينها وتاريخها مصدراً لها.
ونراهم أيضاً قد زاد اهتمامهم بكل شيءٍ إلا الإسلام وتاريخه، بل ربما يكون الاهتمام بحية وتشويه. وكذلك ان لإثارتهم النعرات القديمة والقوميات الضيقة أثره البالغ لدى كثير من الدول الإسلامية، حيث برزت الدعوات الهدامة، كالقومية أو الوطنية أو الكسروية أو الفرعونية والفينيقية وغيرها، كما أنشؤوا الدراسات والمعاهد والمتاحف التي تهتم بمثل هذه الأمور.
لقد تعرض تاريخ الإسلام لمطاعن مختلفة، منها ما كان على أيدي أعداء تقليدين، كالمستشرقين وغيرهم من رجال الغرب، ومنها ما كان على أيدي أعداء محليين، متسترين بالانتماء للعروبة وغيرها، ومن بين هؤلاء الدكتور فيليب حتى- وهو مستشار غير رسمي لوزارة الخارجية الأمريكية في شؤون الشرق الأوسط، وإن تظاهر بالدفاع عن القضايا العربية في أمريكا- إ لا أنه على ما يتضح يعتبر الإسلام رجعية ويحاول الانتفاض منه. ومن جهة أخرى فقد دس وشوّه كثيراً، بل
(387)
وطعن في تاريخ الإسلام والعرب وحط من منزلتهم، كما يظهر ذلك جلياً في كتبه التي وضعها، وفي مؤلفاته التاريخية[825].
والحقيقة أن كثيراً من المستشرقين ينظرون إلى الإسلام بمثل هذه النظرة، وبعضهم أيضاً يعتبرونه العقيدة الوحيدة التي تخفيهم وتواجههم كسد منيع

[824] - سورة الأنبياء: 18.
[825] - الاستشراق والمستشرقون، ما لهم وما عليهم: ص53. لمصطفى السباعي.

أمام ما يريدون. وهم في كل جهودهم يحاولون تفتيته أو تمييعه. ويعبر عن هذا المعنى المستشرق الفرنسي ماسنيون في أكثر من موقف يروى عنه. ولقد كان يعمل مع الجيش الفرنسي في لبنان، في المكتب الثاني- المخابرات - برتبة نقيب. ومن مآثره ما يروى أنه هو الذي أشرف على الاستفتاء في لبنان- بعدا الحرب العالمية الأولى، أيام الاحتلال الفرنسي- فزور هذا الا ستفتاء، حيث كان يوزع الليرات الذهبية لشراء التأييد لما يريد. وما علمنا أنه تغير بل إن مواقفه من الإسلام والمسلمين لتنم عن الحقد والكراهية، فكيف يمكن أن يوثق بمثل هذا الرجل وفي كتاباته، أو يوضع هو وأمثاله في عداد الثقات أصحاب التصانيف العلمية؟. أم هو التقلييد غير المميز و التسليم للغالب؟!![826].

إن أسلافنا الصالحين, الذين دونوا تراثنا التاريخي وغيره, مهما ذكر عنهم من مآخذ- قد تكون غير أساسية أصلا- فهم عامة أصحاب الدقة والأسلوب الموضوعي والأمانة العلمية. وإن ذلك كان جزءاً من

(388)

عقيدتهم، التي أحبوها وعاشوا لها وفي ضوئها، وعلى الأقل فهم أعطونا عموماً جميع المواد الخام الموثوق بها، إلى جانب الروايات الأخربي الضعيفة - ربما مجرد روايتها ولعل ضعفها كان معروفاً- وبالإمكان تصفية ما تعكر بها. وليس مطلباً كبيراً أن تبقى علينا تصفية هذه الروايات، ثم بناء الشيء الكامل الذي ننشده في وضع التصانيف بالطريقة العصرية والأسلوب الحديث الذي نريد. لقد بذل هذا السلف الصالح غاية الجهد، في جمع التراث والمحافظة عليه وتنقيته، ورد كافة المحاولات التي بذلت في التشويه وطمس معالم الحقيقة بطغيان الباطل عليها[827].

والواقع أن القصص في هذا المجال كثيرة، وكلها تشير وتدل على مقدار التدقيق عند علماء الإسلام في الرواية، والمشقة والتشديد إلى أبعد الحدود في تحري الصواب، والبحث عن الحقيقة، وسد كافة النوافذ مهما صغرت، و التي يمكن أن يخالطها شيءٌ من الخطل أو الباطل.

إن الحرب التي تشن ضد التاريخ الإسلامي لم تتوقف حتى هذه اللحظة، وإن كانت قد خفت أو ظهرت بأثواب جديدة عصرية متطورة، حتى أطلقت على الإسلام تعابير ووصفته بأوصاف ليست له، ومن ناحية أخرى فقد شوه تاريخنا من جراء الدس والافتراء، الذي تعرض له على أيدي المؤرخين، الذين غيروا الحقيقة وافتروا على الله وعلى رسوله وكتابه.

(389)

وكما هو معروف إذا درس التاريخ بشكل أصيل واقعي عملي، متحر للصواب وللمعاني التي وراء هذا التاريخ، يكون عاملا ً في بعث إسلامي يسعى لإ

---

[826] - نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي: ص52.

[827] - انظر مقدمة ابن خلدون.

إقامة وجوده، حاملاً راية الخير ومشعل النور، الذي ينير درب السالكين، وذلك ما يخالفه الأعداء وترتعد منه الفرائض.
إن أبناء أمة الإسلام لتجهل الكثير من سيرة أسلافها وقادتها الأمجاد، لأن الأعداء المدسوسين قد سلطوا على تاريخ هذه الأمة أضواء معتمة، وتجنّوا على الحقيقة، وشوهوا سمعة الأبطال. وجعلوا منهم نماذج للانحراف و الخيانة.
ومن القادة الذين لم ينصفهم التاريخ المعاصر إلا نادراً، وتعرض تاريخهم الحافل بالكرامة والإباء والسؤدد، إلى مطاعن وافتراءات واهية، لا يسعفها دليل أو حجة، الخليفة المجاهد الذي سأضعه بين يدي القارىء مثالاً حياً لأعلام أمتنا الخالدين، وهو عظيم من عظمائها الذين يجب ألا يهملهم التاريخ الخالد. وهذا النموذج لهؤلاء العظماء هو السلطان عبدالحميد[828] رحمه الله وأسكنه فسيح جناته.
(390)
(السلطان عبدالحميد) المفترى عليه
تسلم السلطان عبدالحميد الحكم سنة 1876م. بعد عزل خليفتين هما عبدالعزيز، ومراد الخامس على يد مدحت باشا- اليهودي الماسوني- الذي عمل على تنصيب الخليفة عبدالحميد بدلا من أخيه مراد الخامس. وعندما تسلم السلطان عبدالحميد وجد أن مدحت باشا ورفاقه- من يهود الدونمة- قد دبروا خضوع الخلافة والدولة العثمانية إلى حكومات أوروبية بحجة الإصلاح وحماية الرعايا من غير المسلمين.
ولما كان السلطان عبدالحميد حراً أبياً، فقد امتنع عن مجاراة مدحت في استخذائه للغرب، المستعمر الطامع في الدولة الإسلامية العظيمة.
ولم يطق السلطان أن يرى مدحت يمهد بدسائسه لإنجاح ثمانية وأربعين نائبا نصرانيا، من مجموع 117 نائبا هم أعضاء مجلس المبعوثان - البرلمان- كما لم يطمئن لتصرفات مدحت المشبوهة، من حيث تآمره واشتراكه بخلع الخلفاء وعزل الحكام، وفكر بإيقافه عند حده.
وأن دعوى الحرية التي يدعو لها خداع وتضليل، ومطالبته الحقيقية للحرية، إنما يعني لنفسه ولبني قومه من يهود عبيدهم ومن النصارى، ويمنعها عن الآخرين.
وفي تاريخ تركيا الطويل لم يرو عن شخص ضحى باستقلال تركيا، ونادى بوصاية وانتداب استعماري على شعب تركريا سوى مدحت باشا،
(391)
الذي سمته صحافة الغرب اليهودية بأبي الحرية. وشخص يهودي آخر جاء بعده هو صاحب جريدة وطن[829]، تلك الجريدة التي كانت تنطق باسم الا

---

[828] - أفردت ترجمة خاصةل حياة السلطان عبدالحميد في كتابي أعلام الإسلام، الذي أرجو أن يرى النور قريباً. والله المستعان. إنه نعم الولي ونعم النصير.
[829] - الأفعى اليهودية في معاقل الإسلام: ص80.

استعمار والجالية اليهودية في تركيا. ومن أجل هذا فقد عزل السلطان مدحت باشا ونفاه إلى أوروبة، أخيراً قدمه للمحاكمة على جريمة قتل السلطان عبدالعزيز صدر الحكم بإعدامه، إلا أن السلطان خففه اكتفى بنفيه إلى الطائف فمات هناك.
وبعد زوال نفوذ مدحت باشا استمرت اليهودية في بث سمومها ومؤامراتها على السلطان، الذي كان شجىً في حلوقهم، كما ضغطت عليه الصهيونية العالمية برئاسة ثيودور هرتزل، الذي زاره وعرض عليه فكرة الهجرة لفلسطين، واستيطان اليهود فيها، وحاول إغراءه بالمال الكثير فرفض السلطان ذلك. وقد رد السلطان عبد الحميد على هرتزل- عند مقابلته وتوسله لهجرة اليهود لفلسطين- ومما قاله: إن أرض وطننا لا تباع بالدراهم. إن بلادنا التي حصلنا على كل شبر منها ببذل دماء أجدادنا لا يمكن ان نفرط بشبر منها، دون أن بذلنا أكثر ممابلنا من دماءٍ في سبيلها[830].
وحينما أدرك اليهود ثبات السلطان في وجه أطماعهم، دبروا المؤامرات وحاكوا الدسائس عليه، بواسطة جمعياتهم السرية وغيرها، لهدم خلافة الإسلام والتخلص من الخليفة. وزادت في إيضاح الدور
(392)
الماسوني اليهودي، في القضاء على السلطان المجاهد عبدالحميد، أذكر ما كتبه السيد محمد رشيد رضا في مجلة المنار- العدد الأول من سنة 1329هـ.
عن كتاب الأفعى اليهودية: ص86: كان السلطان عبدالحميد عدواً للجمعية الماسونية، لاعتقاده أنها جمعية سرية تسعى لإزالة السلطة الدينية من حكومات الأرض، وهو يفتخر بالخلافة الإسلامية ويحرص عليها.
وقد تنفس الزمان بعد الانقلاب الذي كان لهم فيه أصابع معروفة، فأسسوا شرقاً عثمانياً أستاذه الأعظم طلعت بك ناظر الداخلية، وأركانه زعماء جمعية الاتحاد والترقي، وأنصارهم من اليهود وغيرهم. ولأجل هذا نرى طلعت بك لا يبالي بسخط الأمة ولا برضاها، في إدارته التي استغاثت منها المملكة بألسنة ولاياتها كلها، إلا ولاية سلانيك وكذا أدرنة، وسلانيك الآن مركز السلطة الحقيقية.
وأشد ما يحزن المرء أن يرى عدداً كبيراً من كتاب العرب والمسلمين، يجاري الدعاية اليهودية الماسونية التي شوهت تاريخ السلطان عبدالحميد.
وكم من الكتب نشرت مؤيدة أكاذيب اليهود، التي صورت السلطان المظلوم والمفترى عليه، سكيراً ظالماً فاجراً متوحشاً[831].
كل هذا من أجل أن تغطى حقيقة تاريخية ناصعة، هي أن انتصار الماسونية والصهيونية في اغتصاب ديارنا المقدسة في فلسطين، لم يتم إلا بعد زوال حكم السلطان عبدالحميد الثاني.

---

[830] - المصدر السابق: ص84.
[831] - سلامة موسى، كتاب الثورات: ص92- 97. مقتبسا عن الأفعى اليهودية: ص88- 89.

(393)
وهذه الحقيقة ليست من عند العرب المسلمين، وإنما وردت على لسان نبي الصهيونية هرتسل، في تقريره الذي رفعه إلى لجنة الأعمال الصهيونية في أكتوبر سنة 1902م. على أثر زيارته للسلطان. فقد قال هرتزل في تقريره: أقرر- على ضوء حديثي مع السلطان- أنه لا يمكن الاستفادة من تركيا، إلا إذا تغيرت حالتها السياسية، بدخولها في حرب. أو وقوعها في مشاكل دولية.
وأعتقد أنه لابد من كسب عطف الحكومة الانجليزية على المسألة الصهيونية.
وبعد عزل السلطان عبدالحميد نشطت الصهيونية على يد الماسون واليهود الدونمة وجمعية الاتحاد والترقي وغيرها سنة 1908م. وكانت تضم هذه التكتلات عناصر مختلفة من شتى الألوان، فمنهم دعاة الإلحاد والإرهاب والإ جرام، من يهود يونان وبعض الشخصيات العسكرية، أمثال مصطفى كمال وجمال باشا وجاويد وغيرهم من المتآمرين.
كما نجحت الدعاية الصهيونية الماسونية الصليبية في إلصاق الرذائل و النقائض- زوراً وبهتاناً- تمشياً مع مخططها الرهيب، للنيل من أعدائها بكل ما أوتيت من قوة، حيث ألصقت بعدوها اللدود، المحامي والمجاهد عن حياض الدين والوطن تهماً باطلة واهية، وكان ضحيتها السلطان عبدالحميد، المفترى عليه من قبل أعداء الله وقتلة الأنبياء كل هذا لأنه كان عقبة كأداء، وصخرة صلبة تحطمت عليها أطماعهم.
(394)
ومهما قيل عن مساوىء السلطان عبدالحميد وعهده الميمون، فإنه يكفيه فخراً أن القوى التي تآمرت على إسقاطه كانت معادية للعرب والإسلام.
ويكفيه فخراً أنه صان الإمبراطورية الإسلامية مدة حكمه المجيد وعهده الخالد. وإن عملية التمزيق لم تبدأ إلا بعد أن سيطر اليهود والماسون على الآ ستانة- مارس 1909م.

(مقترحات)
إن عمل المؤرخ المسلم كبير ومهم، لأسباب كثيرة تضاف إلى ما سبق ذكره.
إن الظروف السابقة نفسها حالت دون فهم أشياء كثيرة، عليه أن يدرسها بدقة، مما قد لا تتوفر أحياناً لقلة الإمكانات، وانشغال الأفراد والأساتذة المتخصصين بتهيئة معاشهم وضمان مورد لهم، ولعل الهيئات أو المؤسسات أو الدول الإسلامية تضع مشروعاً، ليكون إطاراً لمضمون المخطط الشامل للدراسات التايخية، وتكوين لجان متخصصة لدراسة هذا المشروع، من حيث الكتابة والتأليف، ويكون متفقاً مع أسس التاريخ الإسلامي العلمية، على اعتبار أن تاريخ الإسلام مرتبط بالعقيدة من حيث الدافع والقاعدة، ومن حيث المحرك والصبغة الدائمة، مع بيان أثر العقيدة في العمل ونتائجها ، التزاماً بها أو انحرافاً عنها.

على أن هذا التاريخ كائن حي متصل بالحياة، ولا يزال مستمراً
(395)
رغم ما أصابه. وهذا يقتضينا أن تكون كتابة التاريخ الإسلامي مستمرة وشاملة لجميع بقاع المسلمين حتى هذه الساعة.
كما يجب نفي كل الافتراءات والتلفيقات، التي أقحمت على هذا التاريخ، و التفسير الخاطىء الذي قامت عليه هذه الأباطيل، كما علينا أن ندرك أهمية تاريخنا في حياتنا، ونحن مرتبطون به وهو جزءٌ من حياة أمة الإسلام، وندرسه وندرّسهُ أيضاً على أساس العبرة والاقتداء والإفادة الشاملة.
لذا فإنه يصبح عرض التاريخ الإسلامي بصورة صحيحة، ضرورة لا مفر منها ، ليس فقط لأهميتها، ولكن أيضا لانطباقها والواقع التاريخي. ولكن هذا العرض لا يمكن أن يتهيأ إلا إذا كان من منطلق إسلامي، وبقلم من يقف في المركز الإسلامي، يطل على الحياة الإسلامية ويعيش الباحث بكل كيانه في جو الإسلام[832].
إن كل أمة تحترم نفسها وعقيدتها ولها شخصيتها ، لا تهمل تاريخها ولا ترضى أي نوع من التعليم أو الأفكار، أو الموجهين يسيؤون ويشوهون هذا التاريخ، ويثيرون الشبهات الباطلة التي لا سند لها من الواقع، بل هي قلب للواقع والحقيقة، وليس وراءها إلا العداء والكراهية.
ولكي تكون كل أمورنا ومقاييسنا على أساس إسلامي، فالأمر يقتضي ألا يدرس التاريخ الإسلامي وحده، من وجهة النظر الإسلامية المنصفة فحسب، ولكن يجب أن تكون دراستنا كذلك لكافة مراحل تاريخ
(396)
الأمم الأخرى، التي سبقت الإسلام، والتي لحقته. كما يجب دراسة مادة السيرة النبوية وفقهها، وتعريف أبناء الأمة- وفي أثناء دراستها التعليمية الدنيا، وغيرها من مراحل التعليم- لتاريخ المسلمين، عوضاً عن التوسع في تاريخ الأمم الأخرى، كما يجب أن تختار المقررات والكتب الأساسية، وتنفذ وتكتب المناهج في التاريخ الإسلامي بواسطة من فهموا خصائص الإسلام ومقوماته، وألموا بحقيقة تاريخه، أمناء على أسلوب عرضه وبيان وجهه المشرق.
وحين تدريسنا لأبطال هذه الأمة- رجالاً ونساءً- لابد أن يكون ذلك شاملاً كل الميادين الإنسانية، في الفكر والسياسة- سلماً وحرباً- والاجتماع و التعليم والتربية وأنظمة الحياة، وإسهام المسلمين في كافة الاتجاهات، ودورهم الرائد في بناء الحياة الفضلى، وتعمير الأرض بالخير، ونشر معالم الحق والعدل، وفع راية الحرية والمساواة. ومن المفيد جداً حين التعرض للحملات الظالمة، والتشكيك بحضارة الإسلام وقيمها، الإلمام بالحركات الهدامة- داخلية وخارجية- السياسية والفكرية، أفراداً وجماعات، في

---
832 - الحضارة الإسلامية في الأندلس: ص97. وكتاب نظرات في دراسة التاريخ الإسلامي.

التاريخ الإسلامي، في الماضي والحاضر.
فبكتابة التاريخ الإسلامي، وتدريسه في جوه الطبيعي، نسهم في إنشاء الجيل المؤمن بإسلامه، والمعتز بعقيدته وتاريخه، وبالتالي نجده حثيث السير ليعيد ذلك الدور الفريد، الذي كان للإسلام في هذه الأرض، كما يمكن للدعوة الإسلامية فيها، وينيرها ويعمرها بالعدل

(397)

والخير، كما عمرها سلفنا الصالح رضوان الله عليهم[833]، الذين كانوا الهداة و المرشدين، والقادة الفاتحين، وصناع التاريخ المجيد.
وهكذا فقدحملت أمة الإسلام أمانة التاريخ وأدت دورها العملاق على هدي منقذ البشرية، وحامل لواء التوحيد، القائد والمعلم رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم الذي تلقى الرسالة عن الله تعالى، وأداها كاملة لذلك السلف الذي ورث رسالة الإسلام، والذي ينتظر من الخلف أن يؤدي واجبه نحوها، فهماً ودراسة وحماية. إن القلم أمانة وعن الأمانات ستسألون: (وسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَموا أيَّ مُنْقلَبٍ ينْقلِبُونَ)[834].

(398)

(تاريخ مخترع وأحداث لم تقع)

إن أكثر مما يعتمد عليه مشوهو حقائق التاريخ- من معلومات مخترعة- في تراجم كثيرة من الحكام والأمراء والسلاطين، أو العهود، أقاويل مختلقة كاذبة دسها عن عمد وقصد أناس من أعداء الإسلام وتاريخه، تحقيقاً لهدف يتبنونه، سخّروا فيه أنفسهم لدراسة التاريخ الإسلامي وكتابته، طبقاً للخطة التي رسموها، وفق إطار منهجي مدروس.
وعند دراسة حقيقة تاريخية أو ترجمة لشخصية إسلامية، كخليفة أو زعيم بارز، فإنه لا يليق بنا معشر أصحاب لغة الضاد أن نعرض عن تاريخ الطبري، وابن خلدون، وابن كثير، وابن الأثير، والذهبي وغيرهم، لأمانتهم وصدق ما نقلوه من أحداث ، ولأنهم اعتمدوا منهجاً سليماً طبقاً لمنهج الرواية والسند، وكما قيل: فأهل مكة أدرى بشعابها.
هذا هو طريق العدل والإنصاف، الذي يجب أن يلتزمه قراءُ تاريخنا الإسلا مي، من أبناء أمة العرب والإسلام.
ومما يؤسف له أن معظم قرائنا هذه الأيام لا يلتفتون إلي تواريخنا الموثوقة ، بل نراهم حريصون على مطالعة كتب تاريخية مشوهة، نسجتها رؤوس

[833] - بهذه المناسبة نذكر أن التاريخ الهجري هو ذكرى هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم وكان بها علو كعب الإسلام وظهوره. ومن المؤسف أن المسلمين- في هذه الأيام- قد انصرفوا عن التايخ الهجري وتقييد الحوادث به، واستعاضوا عنه التاريخ الأفرنجي، مع أن الواجب عليهم هو التمسك بـ التاريخ الهجري للحفاظ على شخصيتهم المستقلة ونذكر هنا لهم قول سيدنا عمر الفاروق رضي الله عنه: الهجرة فرقت بين الحق والباطل فأرخوا بها.
[834] - سورة الشعراء: 227.

خبيثة من أعداء أمتنا. ومهما بحثت لها عن جذور أو شواهد في المصادر العربية الأصيلة فلن تعثر على شيء.
اقرأ أخبار الفتح الإسلامي، أو الحروب الصليبية مثلا ً في كتب
(399)
التاريخ العربية الموثوقة، ثم عد فاقرأ هذه الأخبار كما صاغها وكتبها المستشرقون[835] والأوروبيون وتلاميذهم، لترى التناقض المذهل والافتراء العجيب.
واقرأ ترجمة هارون الرشيد في الكتب التاريخية الأصيلة، كابن الأثير ابن كثير والطبي وابن خلدون، تجد نفسك أمام عابد متنسك، آلى على نفسه أن يهب حياته كلها للجهاد في سبيل الله، وإقامة دين الله في الأض، في ظلال شرع الإسلام الحنيف، وفي سيرته- رحمه الله- تجد أنه كان يغزو عاماً ويحج عاماً، يصلي في اليوم والليلة مائة ركعة، ما لم يعتلّ بعلة أو يكن مشغولا ً بغزو، لا يقطع بأمر في مسألة إلا بعد أن يلقى بها العلماء، ويطمئن إلى حكم الله فيها، وتجده مع كل هذا غير معصوم، قد يجتهد فيخطىء، ويغضب فيأثم، ويعصى ثم يتوب.
ثم اقرأ ترجمة هذا الخليفة المجاهد المؤمن في كتب هؤلاء الموظفين - من المستشرقين وغيرهم- في تشويه تاريخ الإسلام وطعنه، عند قراءتك لترجمة الرشيد تجده رجلا ً آخر، لا يستفيق من المجون واللهو، يعيش بين دنان من الخمر، يظل متقلباً في حياة من الترف والنعيم..
لن تجد شيئاً من هذا كله في أي مصدر من المصدر التاريخية العربية الأ صيلة، وإنما تجد عكس ذلك تماماً.
ونحن نتساءل، هل نصدق ما يرونه لنا كتّاب لم يكن لهم وجود
(400)
أو معاصرة أو قرب عهد بمن عاصر الخليفة هارون الرشيد كالمستشرقين؟.
أم نصدق من عاش عهد الرشيد أو قريب عهد منه، وقد توفرت فيه صفات المؤرخ الموثوق البعيد عن كل شبهة- كالطبري مثلا ً-؟.
لا أعتقد أن عاقلا ً أو منصفاً يقبل الاستماع لشهادة من لم يكن موجوداً أثناء وقوع الحادثة، ويقدمه على من شهد الحادثة، ومجرياتها، مع توفر الأ مانة لديه.
وهذا موقفنا من أعداء الإسلام الجدد- رجال الاستشراق وأعوانهم- الذين كانت بلادهم إبان عهد الرشيد تعيش الظلمة والجهل، وقد بلغت عاصمة الرشيد قمة التمدن والحضارة والعلم آنذاك، وهو العصر الذهبي لدولة الإسلا م، كما كان أبناء أوروبا يفدون إلى معاهد العلم في الديار الإسلامية.
إن المنصفين من الأوروبيين وغيرهم يعترفون بهذه الحقائق، وما تحويه بطون تواريخهم لشاهد صدق لما نقول، ومع هذا فقد يكون الأوربيون

[835] - من هؤلاء المستشرقين الخبثاء غولد زيهر وفيليب حتى- العربي الأصل- وفون كريمر.

معذورين في تصويرهم لحياة هارون الرشيد بهذه الصورة - القاتمة المشوهة- فهم ليسوا إلا أحفاداً لأولئك الرومان، الذين جند الرشيد حياته كلها في سبيل سحق كيدهم، وإخضاعهم لحكم الدولة الإسلامية، وهم ليسوا إلا أحفاد مليكهم نقفور الذي أراد أن يتمرد على نفوذ الدولة الإسلامية وحكمها- في عهده- وأرسل إلى الرشيد يهدد ويتوعده، فكتب إليه الرشيد: من هارون الرشيد أمير المؤمنين إلى نقفوز كلب الروم، قرأت

(401)

كتابك يا ابن الكافرة، والجواب ما ترى ما تسمع. ثم انطلق إليه في جيش جرار على طريق مفروشة بالثلوج، مملوءة بالصقيع والأعاصير، حتى أناخ بباب هرقلة، ففتح وغنم وقاتل حتى خضع له نقفور وطلب منه الموادعة على خراج يؤديه كل عام.

فلما رجع الرشيد ووصل إلى مقره نقض نقفور العهد، وخان الميثاق يائساً من رجعة الرشيد إليه، إذ كان البرد شديداً والثلوج تهمي على طول الطريق، ووصل الخبر إلى الجند فكتموه عن الرشيد إشفاقاً عليه وعلى أنفسهم، ولكنه ما لبث أن علم الخبر بعد ذلك فقال:

أوقد فعل نقفور ذلك؟! وكر راجعاً- في أشدِّ محنة وأعظم كلفة- ثم لم يبرح يغزو ويقاتل حتى بلغ ما أراد[836].

وبعد: فهذا يا أخي- مثل واحد ضربته لك عن أحد رجال الإسلام وعظمائهم، الذي تعرضت سيرته العطرة وحياته الحافلة بالمجد والعزة إلى الطعن و الدس الرخيص الذي لا يصدر إلا عن الحاقدين كأحفاد نقفور الذي قام بتأديبه هذا المجاهد- الخليفة الرشيد- الزاهد.

أهذا هو الترف والتنعم اللذان يعرفهما تاريخنا الإسلامي- الحافل بمآثر العظماء- كما في سيرة بطل الإسلام الرشيد؟! ولكن الحقيقة مرة، فقد قلب أحفاد- كلب الروم- نقفور الحقيقة، وشوهوا التاريخ، وأفسدوا القيم، وما بعد الحق إلا الضلال.

(402)

لقد شوه المستشرقون وجنودهم صحائف التاريخ الإسلامي وحضارته الزاهرة، فهم ينفثون حقدهم وسمومهم على الإسلام وعظمائه.

وبهذا الصّنيع الفاسد أصبح أبناء الإسلام يجهلون تاريخ عظمائهم - كالرشيد العادل- نتيجة تشويهات ومطاعن أعداء هذه الأمة، التي أهدت للبشرية رسالة الإسلام، التي تكفلت لمن يعيش في كنفها سعادة الدنيا ونعيم الآخرة: (فأمّا الزّبدُ فَيَذْهبُ جُفاءً ما ينْفَعُ النّاس فيمْكّثُ في الأرض).

---

[836] - من أراد البط والتفصيل فليرجع إلى البداية والنهاية، والكامل في التاريخ، ومختصر تاريخ العرب.

(الخليفة هارون الرشيد)
(المجاهد العابد)
أخلاقه وحكمه- 170- 193هـ

كان هارون الرشيد- رحمه الله- في الحق من أعظم حكام العالم، ويعتبر عهده من ألمع عهود الحكم الإسلامي في التاريخ. وكذلك كان محافظاً على تكاليف الشرع، تقياً ورعاً ومحسناً كريماً، وقلّ من يضاهيه في متانة الخلق وحدة الذكاء، وكذلك كان جنديا بالفطرة والممارسة، وكثيراً ما قاد المعارك بنفسه، وقضى على الفتن في كافة أنحاء البلاد، ونعمَ التجار وطلاب العلم و الحجاج- في عهده الزاهر- بنعمة الطمأنينة والأمن.
(403)
وكذلك اهتم بالكليات والمدارس والمستشفيات، والطرق والجسور والقنوات والمساجد التي شيدها في جميع أنحاء البلاد[837].
وكذلك أيضاً قاد بنفسه قوافل الحجاج إلى الأماكن المقدسة تسع مرات.
وكان بلاطه ألمع بلاط في ذلك العصر، فإليه كان العلماء والحكماء يفدون من جميع أنحاء العالم، فيوليهم جميعهم عطفه وتشجيعه، وكذلك شمل بتشجيعه وعطفه كافة فروع العلم والمعرفة[838].
وعندما شعر باقتراب منيته، دعا كل من في معسكره من أفراد أسرته- بني هاشم- وخاطبهم بقوله: إن كل مخلوق ميت، وكل جديد بال. وقد نزل بي ما ترون، وأنا أوصيكم بثلاث: الحفظ لأماناتكم، والنصيحة لأئمتكم، واجتماع كلمتكم. وانظروا محمداً وعبدالله - ولديه الأمين والمأمون- فمن بغى منهما على صاحبه فردوه عن بغيه، وقبحوا له بغية ونكثه[839].
(404)

(هارون الرشيد يؤدب الروم)
عقدت ملكة الروم- أوغستا إيريني- مع المسلمين عهداً يقضي بأن تدفع للمسلمين خراجاً معيناً، مقابل عدم الاعتداء على حدود بلادها، وقد احترم المسلمون هذا العهد وتمسكوا بشروطه. وفي عهد تقفور- نيكفورس- نقض العهد الذي عقدته أوغستا إبريني السابقة مع المسلمين.
ويذكر المؤرخون[840] أن نقفور أرسل رسالة بذيئة إلى الخليفة الرشيد يقول

---

[837] - أفردت بحثاً موسعاً عن سيرته العطرة- الخليفة الرشيد- في كتابي أعلام الإسلام الذي أرجو الله أن يعينني على إتمامه، لأتمكن من نشره في أقرب فرصة بعون الله.
[838] - لقد لاقى الرشيد وجه ربه مجاهداً خارج امبراطوريته، على عكس حكام العرب والمسلمين في هذا العصر، الذين عطلوا فريضة الجهاد حتى أصبحت ديارهم مرتعاً للأعداء، وإن احتلال فلسطين وحرق المسجد الأقصى المبارك لخير شاهد على ما نقول.
[839] - مقدمة ابن خلدون، ومختصر تاريخ العرب: ص229 وما بعدها.
[840] - المصدر السابق نفسه.

فيها: من نقفور ملك الروم، إلى هارون الرشيد ملك العرب أما بعد: فإن الملكة التي كانت قبلي أقامتك مقام الرخ، وأقامت نفسها بمكان البيدق، فحملت إليك من أموالها ما كُنْتَ حقيقاً بحمل أمثاله إليها، ولكن ذلك ضعف النساء وحمقهن، فإذا قرأت كتابي فاردد ما حصل قبلك من أموالها، وافتد نفسك بما يقع به المصادرة لك، وإلا فالسيف بيننا وبينك.

ويقول المؤرخ: إن الرشيد عندما قرأ هذا الكتاب غضب غضباً شديداً، بحيث لا يجرؤ أحد على النظر إليه، أو التفوه بكلمة في حضرته، كما تفرق جلساؤه، وترك وزراؤه المجلس صامتين.

ثم كتب الخليفة على ظهر الكتاب: بسم الله الرحمن الرحيم. من هارون الرشيد أمير المؤمنين، إلى نقفور كلب الروم.قد قرأت كتابك.

والجواب ما تراه لا ما تسمعه.

(405)

وقد بر الخليفة بوعده، وسار في اليوم نفسه على رأس جيشه، لم يتلكأ في الطريق إلى أن وصل إلى هرقلة- إحدى قلاع الدولة البيزنطية- حيث التقى ذلك الروماني المغرور بالخليفة، ولقي على يديه هزيمة شنعاء منكرة[841].

وقد ذكر الإمام السيوطي في تاريخه بأن هذه المعركة كانت نصراً مبيناً للمسلمين. وبعد هزيمة نقفور توسل في طلب الصلح، وتعهد بدفع غرامة أكثر من السابق يؤديها كل سنة، فقبل الخليفة توسله، وعاد إلى مقرّه[842].

ولم يكد الرشيد يصل إلى مقره حتى نقض نقفور عهده، ظناً منه أن الخليفة يستحيل عليه النزول إلى الميدان مرة أخرى، في ذلك الفصل القاسي. ولكن رجاءه ضاب، ذلك أنه ما أن علم الرشد بنقضه العهد حتى عاد أدراجه، ولشد ما كانت دهشة نقفور من تلك المفاجأة، ومن مخاطرة أمير المؤمنين في ذلك الشتاء القارس، وتمكنه من عبور جبال طوروس المكسوة بالثلوج، وفي الحال أسقط في يده وفر من المعركة، بعد أن أصيب بثلاثة جروح تاركاً وراءه أربعين قتيلا ً في الميدان[843].

وعاد نقفور إلى طلب الصلح، فلبى الخليفة طلبه، ولكنه اتخذ قبل عودته جميع الاحتياطات للحيلولة دون نقض المعاهدة من جديد.

(406)

وكان نقفور ما يكاد يسمع باشتباك هارون الرشيد في معارك أخرى، حتى ينقض عهده، فلا يلبث أن يمنى بالهزيمة والفشل[844].

وبعد، فهذا غيض من فيض من أخبار الخليفة المجاهد، والعابد الزاهد

---

[841] - انظر ابن خلدون وكتاب مختصر تاريخ العرب: ص230.

[842] - راجع مختصر تاريخ العرب: ص227.

[843] - انظر غيبون ومختصر تاريخ العرب. وابن الأثير.

[844] - انظر سيد أمير علي. والمسعودي. وابن الأثير. وموير.

الرشيد، الذي قضى معظم أيام حكمه الميمون في نشر الإسلام وتأديب طواغيت الكفر والملاحدة، الذين قد تحدثهم أنفسهم بالتطاول على أرض الإ سلام ومعاقله، على عكس أمراء وحكام هذا العصر، الذين أصبح جلهم تابعاً لإحدى القوتين- شرقية أو غربية- وليس لهم كلمة تسمع، ولا وزن في ميزان السياسة الدولية. لذا يحق لنا أن نفاخر بالرشيد المجاهد القائد، الذي لم ينم على ضيم، ألا فلنتذكر الأجداد أصحاب الكرامة والعزة، الذين سادوا العالم لا متثالهم لأمر الله، وتطبيق شريعة الإسلام. أما ما يتبجح به الدساسون، ويروج له أقزام هذا العصر من كتاب مرتزقة، حول عملاق عصره وفريد زمانه العابد المجاهد هارون الرشيد، من أنه كان يعيش حياة الترف والبذخ، هدفه الوحيد تلبية رغائبه وشهواته، والانغماس في المجون، بمرافقة أصحاب اللهو كأبي نواس وغيره.. هذا الترهات لا تعدو أن تكون قصصاً مخترعة، وأخباراً ملفقة، دسها أعداء هذه الأمة الذين يتاجرون بالضلال و الفساد، ولا تستند إلى دليل أو حجة أو برهان. إن تاريخ الرشيد هو بحق من أبرز ما حوته بطون التاريخ، إذ كان مع ألمع شخصيات العالم، وأكثرها زهداً وورعاً وعدلاً ً. وحبذا لو عاد المغرضون
(407)
والمشوهون إلى التاريخ الموثوق، عندها يتخلصون من عقدهم وأحقادهم الدفينة.

(ورثة الأنبياء)

بين الله تعالى منازل السعداء لأوليائه، العاملين بأمره والملتزمين بشرعه، كما بين سبحانه منازل الأشقياء التعساء، الذين ضل سعيهم في الحياة الدنيا ، وباؤوا بالخيبة وسوء عقبى الدار.
يقول ابن القيم: ورثة الرسل وخلفاؤهم في أممهم، هم القائمون بما بعثوا به ، علماً وعملا ً ودعوة للخلق إلى الله على طريقهم ومنهاجهم، وهذا أفضل مراتب الخلق- بعد الرسالة والنبوة- وهي مرتبة الصديقية، ولهذا قرنهم الله في كتابه العزيز فقال: (ومنْ يطع الله والرّسُولَ فأوْلئِك مع الذين أنعم الله عليهم من النّبيّين والصِّدّيقين والشُهداء والصّالحين وحسُنَ أوْلئِكَ رفيقاً)[845]. فجعل درجة الصديقية معطوفة على درجة النبوة، وهؤلاء هم الربانيون، وهم الراسخون في العلم، وهم الوسائط بين الرسول وأمته، فهم خلفاؤه وأولياؤه، وحزبه وخاصته وحملة دينه، وهم المضمون لهم أنهم لا يزالون على الحق. لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك. قال تعالى:
(والّذين آمَنُوا بـالله ورُسُلِهِ أوْلئِكَ هُمُ الصِّدّيقون والشُهداء عنْدَ ربّهم لهُمْ

[845] - سورة النساء: 69.

أجْرُهُمْ ونُورهمْ)[846].

(408)

إلى أن يقول: والمقصود أن درجة الصديقية والربانية، ووراثة النبوة وخلافة الرسالة هي أفضل درجات الأمة، ولو لم يكن من فضلها وشرفها إلا أن كل من علِم بتعليمهم وإرشادهم، أو علم غيره شيئاً من ذلك، كان له مثل أجرهم، مام دام ذلك جاريا في الأمة على آباد الدهور. وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لعلي بن أبي طالب: (والله لأن يهدي الله بك رجُلا ً واحداً خير لك منْ حُمْرِ النّعم)[847].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (منْ سنّ في الإسلام سنّةً حسنةً فعُمِلَ بها بعدهُ كُتبَ له مثل أجرِ منْ عمل بها ولا ينقص من أجورهمْ شيءٌ)[848].

وصح عنه صلى الله عليه وسلم أيضاً أنه قال: (إذا مات العَبْدُ انْقطعَ عمَلهُ إلا منْ ثلاثٍ: صدقةٍ جارية أوْ علمٍ يُنْتفعُ به أو ولد صالح يدْعو له).

وفي السنن عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنّ العالم يستغفرُ له منْ في السّموات ومنْ في الأرض حتى النّملة في جُحْرها). وصح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (منْ يُردِ الله به خيراً يُفقّههُ في الدين)[849]. وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنّ الملائكة يُصلّون على مُعلِم الناس الخير). وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: (إنّ العلماء ورثة الأنبياء وإنّ الأنبياء لم يورّثوا ديناراً ولا درْهماً وإنّما ورّثوا العلم فمنْ أخذه أخذَ بحظٍّ عظيمٍ وافرٍ)[850].

(409)

(العلماء يحاكمون الحكام)

إن الله سبحانه وتعالى قد أعد للحاكم العادل منزلة رفيعة، ومكانة عالية يحظى بها، وينعم بالسعادة في ظلها، لأنه أقام حكم الله الذي أوكله إياه: (وإنّ الله لهاد الذين آمنوا إلى صراطٍ مستقيمٍ)[851].

وقال عليه الصلاة والسلام: (من اسْتَرْعاهُ الله رعيّة ثمّ لمْ يُحطْها بالنّصيحة إلا حرّم الله عليه الجنّة)[852]. كما جاء في الحديث الصحيح:

---

[846] - سورة الحديد: 19.

[847] - رواه أبو داود عن سهل بن سعد الساعدي. والنعم: بفتح النون والعين المهملة، الإبل. وخص حمرها لأنها كرامها.

[848] - هو قطعة من حديث طويل. رواه مسلم والنسائي وابن ماجة والترمذي باختصار.

[849] - رواه البخاري في الأدب المفرد، ومسلم في صحيحه.

[850] - راجع طريق الهجرتين: ص458، 459.

[851] - سورة الحج: 54.

[852] - رواه البخاري.

(سَبْعَةٌ يُظلّهم الله في ظلِهِ يومَ لال ظلّ إلا ظلّه، إمام عادلٌ...)[853].
أقول: إن شعلة الإيمان لا زالت تضيءُ قلوب العلماء في عصور عديدة، وهم لا زالوا يدركون مهمتهم في الحياة، وإن كان بعض الحكام يومئذ قد أصابهم بعض التنكب عن جادة الحق، فتضيق صدورهم لمحاسبة العلماء لهم، ولكن بأي شيءٍ كانوا يقابلون تلك المحاسبة؟. هذا ما يختلف فيه الحكام، ويتفاوتون فيه تبعاً لتفاوت إيمانهم بالإسلام.
فلنقرأ هذا عن شيخ الإسلام أحمد بن تيمية رحمه الله تعالى، بموقفه الرائع من محاسبة غازان التتري، وهو رابع ملك مسلم من التتار.
(410)
وردت الأنباء في أواخر سنة 698هـ. بزحف غازان التتري وجيشه من إيران نحو حلب، وفي وادي سليمة يوم 27 ربيع الأول سنة 699هـ.
التقى غازان بجمع الناصر بن قلاوون، وبعد معركة حامية الوطيس هزم جمع الناصر، وولي الجند وأمراؤهم الأدبار، ونزح أعيان دمشق إلى مصر يتبعون سير الناصر، حتى خلت دمشق من حاكم أو أمير أو أعيان البلاد، ولكن شيخ الإسلام بقي صامداً مع عامة الناس، فاجتمع شيخ الإسلام مع من بقي من أعيان البلاد، واتفق معهم على تولي الأمور، وأن يذهب هو على رأس وفد في الشام لمقابلة غازان - مقابلته في بلدة النبك-.
وقد دارت بينهما مناقشة عنيفة، بل محاسبة شيخ الإسلام لغازان على تصرفه هذا ونكثه للعهد، وكلمه كلاماً قوياً شديداً أشار إليه ابن كثير في تاريخه[854]، وفصله كما سمعه من الشيخ الصالح أبي عبدالله محمد بن عمر البالسي، الذي كان من أعضاء وفد المقابلة.
قال البالسي: إن الشيخ ابن تيمية قال لغازان- وترجمانه يترجم كلام الشيخ: أنت تزعم أنك مسلم، ومعك قاض وإمام وشيخ ومؤذنون- على ما بلغنا- فغزوتنا وبلغت بلادنا على ماذا؟! وأبوك وجدك كانا كافرين، وما غزوا بلاد الإ سلام بعد أن عاهدونا، وأنت عاهدت فغددت وقلت فما وفيت. وجرت لابن تيمية مع غازان أمور قام بها ابن تيمية كلها لله، وقال الحق ولم يخش إلا الله عز وجل.
(411)
ثم قرب غازان إلي الوفد طعاماً، فأكلوا إلا ابن تيمية، فقيل له: ألا تأكل؟ فقال: كيف آكل من طعامكم، وكله مما نهبتم من أغنام الناس، طبختموه بما قطعتم من أشجار الناس؟. وغازان مصغ لما يقول، شاخص إليه لا يعرض عنه.
وإن غازان- من شدة ما أوقع في قلبه من الهيبة والمحبة- سأل: من هذا الشيخ؟. إني لم أر مثله! ولا أثبت قلبا منه! ولا أوقع من حديثه في قلبي، و

---

[853] - متفق عليه.
[854] - البداية والنهاية: ج14- ص8، 7.

لا رأيتي أعظم انقياداً لأحد منه. فأخبر بحاله وما هو عليه من العلم والعمل، ثم طلب منه غازان الدعاء، فقام الشيخ يدعو فقال:
اللّهم إن كان عبدك هذا، إنما يقاتل لتكون كلمتك العليا، وليكون الدين كله لك، فانصره وأيده، وملكه البلاد والعباد، وإن كان قد قام رياءً وسمعة طلباً للدنيا، ولتكون كلمته هي العليا وليذل الإسلام وأهله، فاخذله وزلزله ودمره واقطع دابره. وغازان يؤمِّن على دعائه ويرفع يديه.
قال البالسي: فجعلنا نجمع ثيابنا خوفاً من أن تتلوث بدم ابن تيمية إذا أمر بقتله، فلما خرجنا من عنده قال قاضي القضاة- نجم الدين وغيره: كدت أن تهلكنا وتهلك نفسك. والله لا نصحبك من هنا.
فقال: إني والله لا أصحبكم.
قال البالسي: فانطلقوا عصبة وتأخر هو في خاصة نفسه، ومعه
(112)
جماعة من أصحابه، فتسامعت به الخواتين والأمراء أصحاب غازان، فأتوه يتبركون بدعائه وهو سائر إلى دمشق. والله ما وصل إلي دمشق إلا في نحو ثلاثمائة فارس في ركابه، وكنت أنا من جملة من كان معه، وأما أولئك الذين أبوا أن يصحبوه، فخرج عليهم جماعة من التتار، فشلحوهم: أي سلبوهم وما معهم. أ. هـ[855].
هذه هي صورة من مواقف محاسبة العلماء للحكام، وذاك هو حكم الإسلام في وجوب محاسبة الحكام، وفي عقاب الله تعالى لمن لم يقم به، أو لم يفسح المجال له. وقد تمسك المسلمون بذلك- حكاماً ومحكومين- وقاموا به خير قيام.
لقد جاء المستعمر الكافر، بحكام من أبناء المسلمين باسم المسلمين - بعد أن قضى على دولة الإسلام، وأزال نظام الخلافة عن الوجود- جاء بهؤلاء الحكام لا ليحكموا بالإسلام، ولكن ليحكموا بغيره[856].
وإذا طالب المسلمون بإسلامهم، وحاسب العلماء حكامهم تجهمت
(413)
الوجوه، وتقطبت العيون، وضاقت الصدور، وغضبت النفوس، لم كل ذلك يا قوم؟!.. والإسلام دين الله الذي ارتضاه للناس، عبادة وأخلاقاً ودولة وحكماً وتشريعاً، وأنظمة لسائر شؤون الحياة، والحكام قد تولوا أمر المسلمين، و المسلمون أهل البلاد؟! وقد قال تعالى: (ومَنْ لمْ يَحْكُمْ بما أنْزَلَ اللّه فأؤلئك

---

[855] - مختصر منهاج السنة للذهبي: ص332. عن الإسلام بين العلماء والحكام.
[856] - من المؤسف والمحزن حقا أن تتعرض دولة إسلامية أفريقية- أوغندة- سنة 1979م لغزو استعماري صليبي حاقد، فيكتسح البلاد ويدنس الأعراض ويهدم المساجد، ويقتل المسلمين ويمثل فيهم، مع أن حاكم هذه الدولة- عيدي أمين- كان مؤيداً ومناصراً لقضايا العرب والإسلام، فقد قطع علا قاته مع الصهاينة مغتصبي فلسطين، كما طرد الأجانب الغربيين من بلاده، ومع كل هذا فقد كان مواقف حكام المواكب والمهرجانات سلبية، حيث لم يحركوا ساكنا، وكأن الأمر لا يهم المسلمين، = وهذا دليل واضح على سوء حال الصنائع والدمى التي ربطت مصيرها بأعداء الأمة، وارتمت في أحضان الاستعمار الخبيث. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

هُم الكافرون)[857].

(أثر استبعاد الملوك والرؤساء للأمُم والشعوب وإفسادهم للدنيا والدين)
يقول الإمام محمد عبده[858]: غمرت مشيئة الرؤساء إرادة من دونهم، فصار هؤلاء كأشباح يديرها اللاعب من وراء حجاب، ويظنها الناظر إليها من ذوي ا لألباب، فتفقد بذلك الاستقلال الشخصي. وظن أفراد الرعايا أنهم لم يخلقوا إلا لخدمة ساداتهم وتوفير لذّاتهم، كما هو الشأن في العجماوات من البهائم مع من يقتنيها.
ضلت السادات في عقائدها وأهوائها، وغلبتها على الحق والعدل شهواتها، ولكن بقي لها من قوة الفكر أردأ بقايا، فلم يفارقها الحذر من أن بصيص النور الإلهي، الذي يخالط الفطر الإنسانية، قد يفتق الغلف التي أحاطت بـ القلوب، ويمزق الحجب التي أسدلت على العقول، فتهدي العامة إلى السبيل، ويثور الجم الغفير على العدد القليل. لذلك لم يغفل الملوك والرؤساء أن ينشئوا سحباً من الأوهام،
(414)
ويهيئوا كسفاً من الأباطيل والخرافات[859]، ليقذفوا في عقول العامة، فيغلظ الحجاب، ويعظم الر ّين: (كلا ً بلْ رانَ على قلُوبهم)[860].
ويختنق بذلك نور الفطرة، ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم.
مسلمون يحجون إلى معابد النصرانية:
الناس بلا علماء هم جهال، تتخطفهم شياطين الإنس والجان من حدب وصوب، تعصف بهم المنكرات، وتعمهم الضلالات من جميع الجوانب و الجهات.
لقد كثرت بين طلاب الحكم والملك الفتن والمصادمات إبان العصور المتعاقبة، وكان النصر حليف الجهال، الذين تولوا الأمر والنهي، وفتكوا بما بقي من أثر للعلم والمعرفة، فساد الانحراف وانتشر الضلال وساد الظلم والظ لام، وعمت الجهالة والفوضى العقلية بين المسلمين، تحت حماية الجهلة من حكامهم وساستهم، الذين لم يكن لهم من هم سوى مناصبهم الكرتونية، التي بنوها على ظهر هذا الشعب الذي رزىء بهم.
لقد اعتز هولاء الساسة والحكام بكراسيهم، وأهملوا المهمة التي

---

[857] - سورة المائدة: 44.
[858] - انظر رسالة التوحيد.
[859] - استوطن أحد الأمراء الفسقة دمشق في القرن الماضي وكان ذا سلطان ومال، ومن مؤيدي مذهب الاتحاد والحلول الكفري، الذي تصدى لكشف زيفه وضلاله الإمام ابن تيمية بالحجج الدالة القاطعة، وقد عرف هذا الأمير بعداوته لدعوة السلف الصالح، علاوة على محاربته لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قد استخدم كافة الوسائل الشيطانية لجمع كتب الإمام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم وحرقها، وبهذا الفعل الشنيع حرم البشرية من هذه الكنوز النادرة.
[860] - سورة المطففين: 14.

(415)
ائتمنوا عليها، فتبعهم معظم شعبهم الجاهل، الذي لم يعرف سوى تقديم الولا
ء لحاكمه وسيده.
إن المهمة التي خلق الإنسان من أجلها أصبحت مجهولة لدى هؤلاء - من حكام ومحكومين- كل هذا يعم ويطم بلاؤه تلك المجتمعات التي احتكمت لشرع الطاغوت، واستبدلته بقانون السماء. ولعمر الله، فإن آفة الحياة الجهل المراكب، الذي يعيشه أمثال هؤلاء، لغياب سلطان العلم، و الجهل بدستور السلام والدين الحنيف.
إن مسلمي اليوم- وخاصة من يعش منهم في أفريقيا- لا يعرفون من أحكام الإسلام إلا القليل، وقد يجهلون أركان الإسلام! وليس أدل على ذلك إلا تجاهل حكام المسلمين لمهماتهم، وأهمها التعليم بأحكام الشريعة، ونشر العلوم بين صفوف الأمة، والدليل على ذلك أيضاً حال مسلمي جمهورية م
الي، التي يشكل مجموع مسلميها 90 بالمائة من مجموع السكان.
ولوضوح الرؤية وجلاء الموقف، عما تعانيه شعوب أفريقيا من جهالة وتأخر- وخاصة المسلمين منهم- فإني أضع بين يدي القارىء الفقرات التالية، التي تكشف بجلاءٍ عن جهل مسلمي دولة مالي لعقيدتهم وأحكامها.
جاء في مجلة صوت الأرض المقدسة تحت عنوان : (الكاثوليك والمسلمون في مالي يحجون معاً إلى مزار العذراء!! ثم تقول[861]: لقد
(416)
قام ما يقارب. الخمسة آلاف حاج من كاثوليك ومسلمين في مالي، بالحج الخامس الذي قادهم من باماكو إلى كيا، حيث تجثم عذراء سوداء نحتت في القرن الماضي، وترأس هذا الحج سيادة رئيس الأساقفة مارياتي- القاصد الرسولي في أفريقية الغربية- فأعرب- في العظة التي ألقاها أثناء القداس الحبري- عن فرحته لمساهمته في الصلاة إلى العذراء، ولمشاطرته آمال الشعب المالي: وأنتم أيها النصارى الماليون، تتّحدون بحضوركم في تقديم الإكرام إلى العذراء، وأنتم أيها المؤمنون، الذين انضممتم إلى هذه الص
لاة دون أن تكونوا نصارى، تعبرون عن إيمانكم ببتولية مريم وأمومتها، وقد تكون مريم رابطة اتحاد بين النصارى والمسلمين. أ. هـ.
هذا ما يحصل في دول أفريقيا الاسلامية، حيث ينشط التبشير والتنصير لتفريغ تلك من رسالة التوحيد، وإخماد جذوة الإيمان التي تعطر تلك الربوع.
أما دور حكامم المسلمين فهو إهمال فريضة نشر الإسلام أمام الغزو التنصيري.
جاء في الحديث الصحيح أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (إنّ منْ أشْراطِ السّاعة أنْ يُرْفَعَ، ويَثْبُت الجهل، ويُشْرب الخمْرُ، ويظْهرَ الزّنا، وتكْثُر

---
861 - مجلة صوت الأرض المقدسة صادرة عن المكتب الكاثوليكي الأردني.

النِّساء، ويقلّ الرّجال حتى يكون لخمسين امرأة القيّمُ الواحد)[862].
إن أكبر نذير بين لفناء العالم، هذه الخمسة التي ذكرها رسولنا
(417)
وسيد الخلق محمد صلى الله عليه وسلم فعلى قادة الأمم الانتباه لها، والإ
كثار من العلم الشرعي الصادر عن الحكيم القائل:
(ربُّ السّموات والأرض وما بَيْنَهُما فاعْبُدْهُ واصْطَبِرْ لعبادته هلْ تعْلم له
سَمِيّا)[863].
قال الحسن البصري: أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا
الناس، ولا يشتروا بآياته ثمناً قليلا ً، ثم قرأ، ثم قرأ: (يا داودُ إنّا جعَلْناك
خليفةً في الأرض فاحْكُم بين النّاس بالحق ولا تتّبع الهوى فيُضِلّك عن سبيل
الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهمْ عذابٌ شديدٌ بما نسوا يوم
الحساب)[864].
ولو أيقن هؤلاء الحكام بيوم الحساب لآمنوا في الدنيا، وحكموا بين الناس بـ
الحق المنزل من عند الله سبحانه. إن الحاكم- وكل مسؤول- إذا ما علم أن
الحكم تكليف لا تشريف، وأنه أمانة يجب صيانتها، إذا علم هذا وتحقق في
دنيا الواقع، فلا شك أن المنهاج والمنطلق يكونان تحت رعاية الإسلام، حيث
يعم الرخاء وتسود الطمأنينة، في ظل العقيدة وكنف الإسلام وحكمه
الحنيف.
أما ما تعانيه أمتنا هذه الأيام، من وطأة الجور، واستبداد حكامها الذين
يذبون عن الفكر الأجنبي، المتمثل في القوانين الوضعية، وكيل الطعن
المتوالي على الفقه الإسلام ورجاله ودعاة العودة إليه، فهو نتيجة عدم
تمسكهما بشريعة الله وأحكام كتابه، بينما يقف أنصار الشريعة
(418)
وعلماؤها موقف المشدوه ضعيف السلاح، لأنه لا سلطة لهم ولا حول ولا
قوة، يواجهون هذا الزحف الاستعماري المتستر باسم قادة المسلمين
المستغربين، الذين وصلوا للحكم باسم شعوبهم المسلمة، ونضالها في سبيل
الحرية الوهمية.
إنا نذكر الحكام الحريصين على الإمارة- وقد ضيعوا الأمانة مقابل
احتفاظهم بالكرسي والصولجان- نذكرهم بقول رسول الإسلام محمد صلى
الله عليه وسلم: (إنّكمْ ستَحْرِصون على الإمارة وستكون ندامةً يوم القيامة
فنعمَ المُرْضِعَةُ وبئسَتِ الفاطمة)[865].
واذكروا قول الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم لأبي ذرّ الغفاري لما سأله

---

[862] - رواه البخاري.
[863] - سورة مريم: 65.
[864] - سورة ص: 26.

[865] - رواه أحمد والبخاري والنسائي. نيل الأوطار: ج-8- ص289. واللفظ للبخاري.

أن يستعمله:
(يا أبا ذرٍّ إنك ضعيفٌ وإنها أمانةٌ وإنها يوم القيامة خزْيٌ وندامةٌ إلا من أخذها بحقّها، وأدّى الذي عليه فيها)[866].
سوف تسألون عن الإسلام، الذي أصبح غريباً في بلادكم، شرائعه معطلة وستسألون عن المسلمين الذي ضيعتم وفرقتم وحدتهم إرضاءً للشيطان.
(وسَيَعْلَمُ الذين ظلموا أيّ مُنْقلبٍ ينقلبون)[867].
(419)

(ديوان محاكم التفتيش)

تمهيد:
يجهل الكثير من أبناء المسلمين ديوان محاكم التفتيش الذي أنشأه بعض أتباع النصرانية خلال القرون الوسطى- عصر الانحطاط- في أوروبا.
ومن المعلوم أن المسلمين قد لحق بهم كثير من الاضطهاد على يد وحوش محاكم التفتيش، الذي تستروا بالدين وتقنعوا بالنصرانية، تمويهاً للناس وتغطية لجرائمهم البربرية، التي اقترفوها بحق الإنسانية، التي لم يشهد لها التايخ مثيلا ً.
ونظراً لما يكتنف ديوان التفتيش من سرية وغموض- لا يعرفها إلا القليل- فقد رأيت من المفيد أن أقدم إلى القارىء لمحة موجزة عن نشأة هذا الديوان وأعماله الإجرامية، ليطلع عليها القارىء الكريم، ويلم بعض الإلمام بأخبار تلك الفواجع المؤلمة، والمجازر الوحشية التي تمت على يد رجال المحاكم التفتيشية[868]، وعلى يد رجال الديوان الجهنمي المقدس، الذي باركه أتباع النصرانية الذين يزعمون-زوراً وبهتاناً- بأنهم من أتباع السيد المسيح- عليه السلام- رسول المحبة والسلام،
(420)
وحامل لواء العدل والفضيلة، الذي يتبرأ من أمثال هؤلاء الأشقياء الضالين.
ولو أنك- يا أخي القارىء - قلبت صفحات التاريخ فلعلك لست بواقع على صحف أسود من صحف ديوان التفتيش. ولست تعثر بمن هو أشد قسوة وأغلظ قلباً، وأبعد عن الرحمة والإنسانية من رجال هذا الديوان. ولن تجد من هم أقرب إلى الوحشية والبربرية، وارتكاب الموبقات والمعاصي من تلك العصابات الآثمة الخاطئة، وتأتي من المنكرات البشعة ما يذيب القلوب الرحيمة ويفتت الأكباد، تلك الجماعات الإجرامية التي استترت خلف اسم

---

[866] - رواه أحمد ومسلم. نيل الأوطار: ج-8- ص297.
[867] - سورة الشعراء: 227.
[868] - أول ما ظهر ديوان محاكم التفتيش في فرنسا، ثم شمل معظم أوروبا، وانتقل بعدها إلى الفردوس الإسلامي المفقود- الأندلس- ويهمنا معرفة ما لحق بمسلمي الأندلسي من اضطهاد وتقتيل على أيدي طغمة محاكم التفتيش المجرمة، التي تسترت بالدين بعد أن باركها الحكام والساسة الطغاة.

الدين لترتكب أبشع الفظائع، من قتل وتعذيب وهتك أعراض، وجمع للسحت من الأموال، واغتصابها بكل طريقة يعرفها المتلصصة من الناس، ويطرق تفننوا هم في تنفيذها، حتى بزوا بها كبار اللصوص ورؤساء عصابات السفاكين والقتلة المجرمين، وكانوا هم المبرزين في كل ما يحمر له وجه الإ نسانية خجلا ً من ارتكاب كل ألوان البغي والفسوق والإثم والعدوان. تلك الجرائم التي لا يقرها عليهم من كان له ذرة من العقل، أو كان على شيء ولو يسير من الإنسانية الحساسة.

لقد كانت تلك العصابات- التي دعت نفسها برجال التفتيش- أدنى من البهائم العُجْم فهماً لشيء يعرف الإنسانية والشفقة، وكانت تلك العصابات تبيح لأ فرادها التفنن في أعمال القسوة، وابتزاز الأموال والاستيلاء عليها، والفتك با لأعراض بدرجة لا تباري، فاقت فيها أكبر

(421)

عصابات القتلة المجرمين، منذ عرف تايخ الإجرام حتى اليوم.

وهكذا فقد ادعت هذه العصابة أنها من أتباع المسيحية السمحة، التي حمل لواءها السيد المسيح عليه السلام، وذلك قبل أن تمتد إليها أيدي التشويه و التحريف والتزوير. ونحن لا نعتقد أن ديناً سماوياً يرضى بشيءٍ مما أتوه.

وانتسبوا أيضاً لدين عيسى بن مريم عليه السلام، وحاشا أن يكون السيد المسيح قد أوصى بتلك الفظائع والجرائم، فإنما كان يدعو للمحبة والسلام و الأمن والأمان.

ويكفي أن تعلم- يا أخي- أن تلك العصابات قد ظهرت أثناء العصور المظلمة، التي عرفت بعصور التعصب الديني المذموم، تلك القرون المظلمة التي حدثت فيها الحروب الصليبية الممقوتة، إذ كانت تساق فيها الجيوش و الجماعات المتحمسة لدين القساوسة والرهبان - الذين جعلوا أنفسهم للناس أرباباً من دون الله- لغزو البلاد الإسلامية، ولاستخلاص بعض أجزائها- مثل فلسطين الأرض المقدسة، مهبط رسالات السماء- من يد أصحابها المسلمين، بحجتهم الواهية الملفقة، وهي اضطهاد زوار القبر المقدس والأماكن المقدسة، وبدعوى صد النصارى عن زيارتها والتبرك بها[869].

قامت تلك الحروب الصليبية في القرون الوسطى واستمرت زمناً طويلا ً، وهي تتشكل حسب الظروف والمناسبات، بل حسب أهواء رجال الكنيسة ومآربهم الشيطانية، وتتسمى بأسماء عدة، حتى إن

(422)

بلاد فلسطين- القدس- لما سقطت في يد الإنجليز- أثناء الحرب العالمية الأ ولى- صرح القوم بأنها نهاية الظفر وخاتمة الحروب الصليبية.

ومعنى هذا أن الحرب الأخيرة التي دارت رحاها في الشرق إنما كانت حرباً

---

[869] - انظر كتاب محاكم التفتيش: ص70 وما بعدها بتصرف.

صليبية، كالتي دعا إليها بطرس الناسك الراهب أثناء القرون الوسطى.
(كيف نشأت عصابة التفتيش)
ذكر المؤرخون بدأ أعمال تلك العصابات، التي أخذت على عاتقها أن تردّ عن النصرانية أخطار الإلحاد والكفر والزندقة، وأن تصد عن النصارى مصائب خافوا أن تحيق بهم، فقالوا: إنه قد قامت في مدينة (ألبي)- إحدى مدن فرنسا الجنوبية- جمعية سرية للعمل- في نظر رجال الكنيسة- على هدم الدين وبث الإلحاد في عقول الناس، ونسبت تلك الجمعية إلى المدينة التي ظهرت فيها، فسمي أعضاؤها بالألبيين.
ولقد كان الحافز لهذه الجمعية على القيام بعملها، ما كان قد غلب من سلطان القساوسة، واستخدامهم هذا السلطان الروحي في إفساد المجتمع وقتل روح النشاط فيه. ولما رأى أحبار الكنيسة ما قد حدث رُئي أنه من الحزم أن تنشأ قوة منظمة لمقاومة الإلحاد والزندقة- في نظرهم- الآباء الدومنيكيين بتلك المهمة، لمطاردة والزنادقة- في نظرهم- وأن يعملوا على عقابهم، مستمدين العون من ذوي النفود المدنيين
(423)
ومن العظماء في ذلك العصر. وقد أنشئت تلك المحاكم في فرنسا وإيطاليا وألمانيا ومملكة أراغون وبلاد البرتغال[870].

(آلات التعذيب بمحاكم التفتيش)
أقدم فيما يلي فكرة موجزة عن وسائل التنكيل والتعذيب، والتي كان يستخدمها رجال التفتيش في تعذيب الناس، والتي قد لا يصدقها أبناء القرن العشرين، إلا إذا تيسر لهم الاطلاع على مخازي الصهيونية الحديثة، ومخازيها الإجرامية في فلسطين، التي فاقت جرائم النازية والفاشية. أما كيف يتم تعذيب المسلمين وغيرهم من المضطهدين، والتنكيل بهم من قبل عصابات محاكم التفتيش، فقد كانت تجري تلك الفظائع في قاعات مظلمة رطبة جدرانها سوداء، وقد ثبتت فيها مسامير ناتئة قد صدئت، يغلق عليها بباب من الحديد السميك، وفي أرضها سلاسل ضخمة مشدودة إلى حلقات في الأض- وكانت تلك السلاسل لربط المذنبين حين تعذيبهم- وإلى جانب ذلك توجد مجالد من الجلد المعقود على رصاص، ودواليب وسحابات ذات مسامير صدئة حادة لتمزيق الأجساد، وعضاضات حديدية لعض اللحم، ثم أكاليل حديدية ذات مسامير حادة ناتئة من الداخل، تطوق بها
(424)
جبهة المعذب، ثم يأخذ المعذِّب بتضييقها شيئاً فشيئاً، بواسطة مفتاح يدور بلولب، حتى تغرز المسامير في الرأس. ثم هناك كلاليب ذات رؤوس حادة لسحب أثداء النساء من الصدور، وآلات لسل اللسان من أصله، وأخرى

---
[870] - المصدر السابق: ص73 وما بعدها.
إن كتاب محاكم التفتيش كتاب فريد، يكشف عن جرائم النصرانية ضد المسلمين، يستحسن مطالعته.

لتكسير الأسنان، وأحذية حديدية تحمي لدرجة الاحمرار يلبسونها لمن ساء حظه، ووقع في يد أولئك الوحوش، ثم يأخذ الموكل بالتعذيب في تضييقها شيئاً فشيئاً، وسفافيد معلقة في السقف لكي تشنق المعذب نصف شنق، فلا هو حي فيرجى ولا هو بالميت فيوارى، ثم سلاسل ضخمة وأثقال حديدية معلقة أيضا في نواحي مختلفة- في السقف- ليربط فيها السجين وبينها، فتتجاذبه وتمزق أعضاءه تمزيقاً في جهات عديدة. وتابوت هو عبارة عن خزانة حديدية، يقف فيها المعذب، وفي بابها ست من الحراب القصيرة المثبتة، فإذا ما أغلق ذلك الباب بقوة، دخلت حربتان في عيني المعذّب، فتنفذان من مؤخرة الجمجمة، وتدخل حربة في قلبه وأخرى في معدته وأخريان في بطنه. ثم كانت توجد آلات كثيرة لطي الإنسان وكسر عظام ظهره، ثم أخرى لإنزال نقط الماء البارد على رأسه- بعد حلق شعره- نقطة نقطة حتى يجن المسكين بعد ساعات أو زمن قليل[871].

ومن أنواع التعذيب أيضاً ما كان يتم بواسطة تمزيق الأعضاء، حيث يعلق الرجل أو المرأة في السقف، وتربط كل يد وكل رجال إلى حبال مثبتة في بكر في الزوايا الأربع للغرفة، وتوضع أثقال في أطراف تلك

(425)

الحبال، كل ثقل منها مائة كيلو جرام، فتجذب تلك الأثقال أطرافه، ويبقى المسكين كأنما هو نائم وهو معلق في الفضاء، وتتمزق أطرافه على هذه الكيفية إن لم يعترف لهم بكل شيءٍ، وهم يسألونه أثناء إجراء العملية، وكلما أصر على السكوت وعدم الإجابة زادوا في وضع أثقال جديدة، وبقى كذلك حتى يموت[872].

(أمثلة لضحايا محاكم التفتيش)

اعلم يا أخي- يرحمك الله- بأن الحديث من أعمال رجال التفتيتش- الذين لحقهم العار الشنار، ولفظتهم الأرض، وسخط عليهم القدر- يطول لما ارتكبوا من سوءٍ وظلم وجرائم بحق الإنسانية. هذه الفظائع والفواحش التي اقترفوها لا يمكن للمرء أن يقف على تفاصيلها إلا إذا ألمّ بأطراف الموضوع، ووقف علي تفاصيلها. وهذا يتطلب جهداً كبيراً، وحسبنا بعض الأمثلة:

1- قبض على شيخ متنصر وهو في سن السبعين- سنة 1560م- 967هـ لأنه كان يطالع كتباً عربية في التوحيد الإسلامي، ولم ينكر الرجل التهمة ولكنه عارض باعتباره كافراً، ولم يفد كلامه وتبريره لأعماله، وحكم على الرجل بحرقه، وزج به في السجن حتى يوم التنفيذ. ولما كان الشيخ مريضاً فإنه توفي في السجن.

(426)

---

[871] - انظر كتاب محاكم التفتيش: ص83، 84. للدكتور علي مظهر.

[872] - انظر محاكم التفتيش: ص96.

فرئي أولا ً حرق تمثال يرمز له!! ولكنهم عادوا وقضوا بإخراج جثته من القبر، وإحراقها علناً في حفلة الحرق، وأن يلحق كفره وإثمه ذاكره، فتبقى ملوثة وتلحق أسرته، فلا يباح لأحد أبنائه أن يتقلد منصبا ً أو عملا ً لا يرضى عنه رجال التفتيتش، ثم صودرت أموال الشيخ!!. وهو الشيء المهم جداً عند رجال التفتيش وشياطين محكمة مرسيه بالأندلس[873].

2- وحرقت متنصرة- سنة 1575م- لاتهامها بالكفر والإلحاد، وقد أجبرت على الاعتراف بذلك، تحت تأثير التعذيب في سجن الديوان، ثم عادت فأنكرت اعترافها، ولم يفد كل ذلك أمام قسوة قلوب رجال الدين الوحوش[874].

3- وعذب عالم بقطع يديه ورجليه وسل لسانه، لأنه قال ذات مرة، أمام نفر من معارفه وأصدقائه، بأنه يستحيل عليه أن يصدق أن الله ذاته قد تجسد وصلب[875]. ألا قاتلهم الله على إفكهم وضلالهم وشركهم، وتعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

4- وصدرت أحكام ببرشلونة ومجريط سنة 1680م- 1091هـ- بحق مسلم من قادس كان اسمه مصطفى، وأجبر على أن يبدل اسمه باسم نصراني، وأصبح يدعى (لازارو فرناندو) وقد انضم

(427)

إلى قرصنة الجزائر، ولم ينكر الرجل إسلامه بل أصر عليه، فأعدم حرقاً هو وجماعة أخرى اتهموا بتهم عديدة. ولم يغفل الديوان المقدس- صاحب الجرائم والفظائع- ولم يتوان لحظة عن أداء المهمة البربية، التي تطوع أفراده بالقيام بها، فقد صدرت أحكام من محاكمه ببلد الوليد، وطليطلة ومجريط، وفي قرطاجنة حيث ضُبِطَ جماعة من المتنصرة، يصلون سراً بمسجد هناك- سنة 1193هـ- 1779م- ولا تسل عما لا قوه من جزاءٍ وعقاب وحرق[876].

واعلم يا أخي - رعاك الله- أن كل من تقدم للديوان- ديوان المخازي و الجرائم- بالدس في حق غيره لإهلاكه وتعذيبه أمكنه ذلك.

ومن التهم الغريبة أن فلاناً أنشد أغانٍ عربية، أو أنه يكثر من الاستحمام- كما هو عند المسلمين- أو لدفاعه- ولو بكلمة واحدة- عن محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم أو لتكفين ميت بأثواب جديدة، أو الامتناع عن أكل لحم الخنزير وشرب النبيذ ، أو لإحراز كتب عربية، أو لقيامه إلى الصلاة، أو صومه، أو لوضوئه، أو لوجود أوراق باللغة العربية وحرق وجلد ومصادرة وتعذيب، وتشهير بإركاب المتهم حماراً- وقد علق بظهره لوحة فيها اسمه وتهمته- ثم يطاف به في أرجاء المدينة.

---

[873] - محاكم التفتيش: ص112- 113.
[874] - المصدر السابق: ص114.
[875] - انظر المصدر السابق: ص116.
[876] - المصدر السابق: ص49- 50.

(428)

وقد تفنن رجال الديوان في أحكامهم وفي تعذيبهم تفنناً عجيباً[877].

أما عن عدد الضحايا، التي ارتكبها ديوان محاكم التفتيش، فهي أكثر من أن تحصر، إذ قدر بعض المؤرخين أن عدد من عذب من المسلمين- بعد سقوط غرناطة- بثلاثة ملايين نسمة، قتل من قتل وحرق ونجا بنفسه من نجا[878].

وخربت غرناطة والأندلس وأوحشت من أهلها، حتى لم يبق للمسلمين من ملكهم الكثير إلا الذكرى المؤلمة، وذلك لتفريطهم وإفراطهم.

ويقدر المؤرخ (فليورنتي)- وهو خبير بأعمال الديوان- عدد الضحايا حتى أوائل القرن التاسع عشر بما يأتي:

1- 31912- حرقاً.

2- 17659- أحرقت رموزهم أو تماثيلهم.

3- 271450- وقعت عليهم عقوبات متنوعة ولكنها شديدة.

وقدر عدد المنفيين- كما يقول المؤرخ الاسباني فليورنتي- بألف ألف نسمة- مليون- على أقل تقدير[879].

ومن المعلوم أن الديوان استمر في جبروته وطغيانه وفجوره، حتى احتل الفرنسيون اسبانيا، وصدر أمر نابليون- ص1808م- 1223هـ- بإلغائه، ولكنه عاد للحياة في عهد فرديناند السابع- ملك اسبانيا-

(429)

الذي أحياه- سنة 1814- 1230هـ- وظل في مظالمه حتى سنة 1834م - 1251هـ. لما وافق مجلس النواب الاسباني على إلغائه نهائياً في أسبانيا، بعدما أتى من الجرائم والفظائع مما لم يعرف لها مثيل في التاريخ[880].

ولا شك أن أمثال تلك الفظائع الوحشية، والأعمال الإجرامية التي كان يأتيها الديوان، وتلك الأحكام القاسية الجائرة، التي كانت تقضي بها محاكم التفتيش، وتنفذها في حق كل من يخالف أوامرها، ويخرج على تعاليمها التعسفية، التي لم يسلم منها الكثير من النصارى واليهود، حيث ينصب التنكيل والاضطهاد على كل من يخالف ديوان التفتيش، وإن لم يكن مسلماً.

هذه بعض الفظائع التي لم يسبق لها مثيل في تاريخ كبار المجرمين، وطغمة الأشقياء الفاسدين.

وبعد: فهذه يا أخي القارىء صورة مصغرة لبعض فظائع وحوش ديوان التفتيش- وهي غيض من فيض- الذي كان يقوم باسم الدين النصراني، الذي يبرأ منه المسيح بن مريم- عبدالله ورسولله عليه السلام- وهي اصورة يرى فيها القارىء ما كانت عليه قلوب هؤلاء القساوسة والرهبان الأعلاج من القسوة الغلظة، التي لم تمت إلى الإنسانية بصلة، بل إن وحوش الغاب لتنفر منها

---

[877] - محاكم التفتيش: ص114.

[878] - المصدر السابق: ص44.

[879] - المصدر السابق: ص48.

[880] - نفس المصدر: ص52 وما بعدها.

وتأباها.
ولا يفوتنا أن نذكر في ختام كلامنا هذا، أن المصائب التي حاقت

(430)
بالمسلمين في تلك البلاد، إنما كانت جزاء تفرقهم وانقسامهم شيعاً وطوائف متناحرة، حتي فشلوا وذهبت ريحهم. (وأطيعوا اللّه وَرَسولهُ ولا تنَزعُوا فَتَفْشَلَوا وتذْهَبَ رِيحُكُمْ واصبْروا إنّ اللّه مع الصّابرين)[881].

(هل الإنسان خليفة الله في الأرض؟)
شاعت على ألسنة جمهرة كبيرة من أبناء المسلمين مقاله، إن الإنسان خليفة اللّه في الأرض، مع أن كثيرا من النصوص تنفي هذه المقالة، لذا فإني أقدم عدداً من الدلائل والنصوص الثابتة الدالة على بطلان دعوى القائلين بهذه المقولة.
قال الإمام النووي: لا ينبغي أن يقال للقائم بأمر المسلمين خليفة اللّه، بل يقال: الخليفة, أو خليفة رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم وأمير المؤمنين.
وقال النووي: روينا في شرح السنة للإمام أبي محمد البغوي عنه قال رحمه اللّه: لا بأس أن يسمى القائم بأمر المسلمين أمير المؤمنين.
والخليفة- وإن كان مخالفاً لسيرة أئمة العدل- لقيامه بأمر المؤمنين.
قال: ويسمى خليفة لأنه خلف الماضي قبله وقام مقامه.
وقال: ولا يسمي أحد خليفة اللّه تعالي: بعد آدم وداوُد عليهما الصلاة والسلام[882].
(431)
قال اللّه تعالى: (إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً)[883]. قال تعالى: (يا دَاوُدُ إنّا جعلناك خليفةً في الأرض)[884].
وعن ابن أبي مليكة أن رجلا ً قال لأبي بكر الصديق رضي اللّه عنه:
يا خليفة اللّه. فقال: أنا خليفة محمد صلى اللّه عليه وسلم، وأنا راض بذلك:
وقال رجل لعمر بن عبدالعزيز رضي اللّه عنه: يا خليفة اللّه. فقال: ويلك، لقد تناولت تناولا ً بعيداً، إن أمي سمتني عمر. فلو دعوتني بهذا الاسم قبلت، ثم كبرت فكنيت أبا حفص، فلو دعوتني به قبلت، ثم وليتموني أموركم فسميتموني أمير المؤمنين، فلو دعوتني بذاك كفاك.
وذكر الإمام- أقضى القضاة- أبو الحسن الماوردي البصري الفقيه الشافعي في كتابه- الأحكام السلطانية- أن الإمام سمي خليفة لأنه خلف رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم في أمته. قال: فيجوز أن يقال: الخليفة - على الإطلاق

---
[881] - سورة الأنفال: 46.
[882] - الأذكار النووية: ص310.
[883] - سورة البقرة: 30.
[884] - سورة ص: 26.

- ويجوز: خليفة رسول الله.
ثم قال: واختلفوا في جواز قولنا: خليفة الله. .فجوره بعضهم، لقيامه بحقوقه في خلقه، ولقوله تعالى: (هُو الذي جَعَلَكمْ خلائفِ في الأرض)[885].
وامتنع جمهور العلماء من ذلك، ونسبوا قائله إلى الفجور[886].
قال شيخ الإسلام ابن تيمية: وقد ظن بعض القائلين الغالطين - كابن عربي- أن الخليفة عن الله- مثل نائب الله-
(432)
والله تعالى لا يجوز أن يكون له خليفة، ولهذا قالوا لأبي بكر: يا خليفة الله. فقال: لست بخليفة الله، ولكني خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم. حسبي ذلك[887].
بل هو سبحانه يكون خليفة لغيره، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (اللهُمّ أنْتَ الصّاحب في السّفر والخليفة في الأهل اللهمّ اصبحنا في سفرنا واخلفنا في أهلنا). رواه الترمذي وابن ماجه.
ولا يجوز أن يكون أحد خلفاً- منه أي من الله تعالى- ولا يقوم مقامه. إنه لا سميّ له، ولا كفء له، فمن جعل له خليفة فهو مشرك به[888].
ومن أدلة من استشهدوا على خلافة الإنسان في الأرض- القائلين بأن الإنسان خليفة الله- قوله تعالى: (إنّا عرضنا الأمانة على السّموات والأرض و الجبال فأبيْنَ أنْ يَحْمِلنها وأشْفقنَ منها وحملها الإنسان إنّه كان ظلوماً جهولاً)[889].
وهذه الآية حجة عليهم لا لهم بدليلين:
أولاً: إن الله سبحانه عرض هذه الأمانة على السموات والأرض والجبال، فإذا كان الإنسان هو خليفة الله، فكيف عرض سبحانه هذه الأمانة على غيره؟.
(433)
ثانياً: كيف يجعل الله الإنسان خليفة في الأرض، ثم يقول عنه: (إنّهُ كان ظلوماً جهُولاً).
ومن الآيات التي استدل بها هؤلاء المجوّزون على هذه الخلافة قوله تعالى: (إذْ قالَ ربُكَ للملائكةِ إنّي خالقٌ بشراً مِنْ طين فإذا سوّيْتُهُ ونفخْتُ فيه منْ رُوحي فقعوا له ساجدين فسجدَ الملائكةُ كلهُمْ أجْمَعُونَ إلا إبليس استكبر وكان من الكافرين قال إبليس ما منعك أن تسْجُدَ لما خَلَقْتُ بيديّ أسْتَكْبَرْتَ أمْ كُنْتَ من العالين قال أنه خيرٌ منْهُ خلقْتَني من نارٍ وخَلَقْتهُ من طينٍ قال

[885] - سورة فاطر: 39.
[886] - انظر الأذكار النووية: ص310.
[887] - رواه أحمد في المسند.
[888] - فتاوى ابن تيمية: ج-3- ص461.
[889] - سورة الأحزاب: 72.

فاخْرُجْ منا فإنّك رجيمٌ)[890].
وليس في هذه الآية حجة لهم فيما ذهبوا إليه. والغريب أنهم فهموا من قوله تعالى: (ونَفَخْتُ فيه منْ روحي) أي من روح الله نفسه، مما جعلهم يتأكدون من هذه الخلافة، مع أن المقصود من روحه التي خلقها، وإلا كان الإ نسان جزءا من الله، وهو سبحانه (ليْسَ كمِثْلهِ شيءٌ) (ولمْ يَكُنْ له كُفُوًا أحدٌ)[891]. (وجعلوا له منْ عبادهِ جُزْءا إنّ الإنسان لكفورٌ مبينٌ)[892].
وإذا كان لا يصح أن نقول: إن الإنسان خليفة الله. فكذلك لا يصح أن نقول: إنه أفضل المخلوقات- كما زعم هؤلاء القائلون بالخلافة ليدعموا حجتهم- ودليلنا على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه- وهو على سمو مكانته- لم يقل: إنني سيد المخلوقات. .بل قال: (إنّني سيّدُ ولدِ آدم).
(434)
إن هناك الملائكة السفرة الكرام البررة، الذين يستنسخون من اللوح المحفوظ.
وليس لدينا نص صريح على أفضلية الإنسان عليهم ولا العكس[893].
وليت هؤلاء المجوّزين حاولوا فهم قوله تعالي: (وإذ قال ربُك للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرض خليفةً قالوا أتجْعَلُ فيها منْ يُفْسدُ فيها ويَسَفَكُ الدمّاء ونحن نسبّحُ بحمدك ونقدسّ لك قال إنّي أعلَمُ ما لا تعْلمون)[894].
إن هؤلاء الملائكة لو فهموا أن آدم خليفة الله، لما تجرؤوا ولا توهموا أن خليفة الله سيفسد في الأرض ويسفك الدماء، إنما فهموا أن آدم وذريته من البشر، سيخلفون من سبقهم من المخلوقات، الذين أفسدوا في الأرض. ذكر ذلك ابن عباس والحسن رضي الله عنهما[895].
ومن أعظم الأدلة على بطلان دعوى القائلين بأن الإنسان خليفة الله في الأ رض قوله صلى الله عليه وسلم في حديث له لأحد قواده: (وإذا حاصرْتَ أهْلَ حصعنٍ فأرادوك أنْ تجعل لهمْ ذمّة اللّه، وذمّة نبيّه، فلا تجعلْ لهمْ ذمّة اللّه وذمّة نبيه, ولكن اجعل لهم ذمتك, وذمة أصحابك, فإنكم إن تخفروا ذممكم أهْون من أن تخفروا ذمّة اللّه وذمّة نبيّهِ، وإذا حاصرْتَ أهل حصنٍ ف أرادوك أن تُنْزِلَهُمْ على حكم
(435)
اللّه فلا تُنْزِلْهُمْ ولكن أنزلهُمْ على حُكْمِكَ فإنّك لا تدْري أتُصيبُ حُكْمَ اللّه أم لا)[896].
ويقول المفسر الكبير ابن كثير، في تفسير الآية التي اتخذها القائلون بخلافة

[890] - سورة ص: 71- 77.
[891] - سورة الإخلاص: 4.
[892] - سورة الزخرف: 15.
[893] - مجلة الوعي الإسلامي 1386هـ.
[894] - سورة البقرة: 30.
[895] - راجع تفسير الإمام أبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي البغدادي المتوفى سنة 596 رحمه الله.
[896] - رواه الإمام مسلم.

الإنسان لله تعالى- التي هي من أعظم حججهم على إثبات دعواهم- قال رحمه اللّه في تفسيرها: (وإذْ قالَ ربّكَ للملائكة إنّي جاعلٌ في الأرضِ خليفةً) أي قوماً يخلف بعضهم بعضاً، قرناً بعد قرن، وجيلا ً بعد جيل، كما قال تعالى: (هُو الذي جَعَلَكُمْ خلائف في الأرض). (ويجْعَلَكُمْ خُلَفَاء الأرض) وقال: (ولوْ نشاء لجَعَلنَا منكُمْ ملائكة في الأرْض). (ويجعلكمْ خُلفاء الأرض) وقال: (ولوْ نشاء لجعلنا منكُمْ ملائكةً في الأرض يخْلفون). وقال: (وَخَلَفَ منْ بعْدهِمْ خلفٌ)[897].

ويقول صاحب تفسير التحرير والتنوير: والمراد من الخليفة هنا إما المعنى المجازي، وهو الذي يتولى عملا ً يريده المستخلفُ، مثل الوكيل والوصي، أي جاعل في الأرض مدبراً، يعمل ما نريده في الأرض، فهو استعارة أو مجاز مرسل وليس بحقيقة، لأن اللّه تعالى لم يكن حالا ً في الأرض ولا عاملا ً فيها العمل الذي أودعه في الإنسان، وهو السلطنة على موجودات الأرض، و لأن اللّه تعالى لم يترك عملا ً كان يعمله فوكله إلى الإنسان، بل التدبير الأ عظم لم يزل لله تعالى، فالإنسان هو الموجود الوحيد الذي استطاع- بما أودع اللّه في خلقته- أن يتصرف في مخلوقات الأرض بوجوه عظيمة لا تنتهي، خلاف غيره من الحيوان. وإما أن يراد

(436)

من الخليفة معناه الحقيقي، إذا صح أن الأرض كانت معمورة من قبل بطائفة من الجن[898].

ثم يقول: فالخليفة آدم، وخلافته قيامه بتنفيذ مراد اللّه تعالى من تعمير الأ رض بالإلهام أو بالوحي، وتلقين ذريته مراد اللّه تعالى من هذا العالم الأرضي ، ومما يشمله هذا التصرف- تصرف آدم- بسنّ النظام بأهله وأهاليهم، على حسب وفرة عددهم واتساع تصرفاتهم[899].

ونقل الإمام القرطبي- رحمه اللّه- ما ملخصه، عن زيد بن علي: وليس المراد هاهنا بالخليفة آدم عليه السلام فقط. وعزاه القرطبي إلى ابن عباس وابن مسعود وجميع أهل التأويل.

ومن العجيب أن هؤلاء الذين يروجون لفكرة خلافة الإنسان لله في الأرض، لم يقتصروا على جعل أبي البشر آدم عليه السلام خليفة اللّه- كما يمكن أن يفهم بعضهم من ظاهر الآية الكريمة- بل نراهم قد تجاوزوا ذلك، فذهبوا إلى القول بخلافة البشر كلهم، المؤمن منهم والكافر، والصالح الفاسق، الخارج على شرع اللّه وأحكام دينه والملتزم وبناءً على ما تقدم فلا يجوز أن يكون أحد خلفاً لله تعالى أو يقوم مقامه، لأنه سبحانه فردٌ صمدٌ لا سميّ له ولا كفءَ: (ولمْ يكُنْ له كفواً أحدٌ). ومن قال بما يخالف هذه الآية الكريمة، وجعل لله سبحانه خليفة، فهو مشرك باللّه شاء أو أبي.

---

[897]- انظر تفسير ابن كثر: ج-1: سورة البقرة آية: 30 وما بعدها.

[898] - تفسير التحرير والتنوير: ج-1- ص376، 377.

[899] - انظر المرجع السابق: ص377 وما بعدها. للشيخ محمد بن عاشور رحمه اللّه.

(437)

إن فكرة خلافة الإنسان لله في الأرض، مأخوذة عن نظرية الحلول والاتحاد، ونظرية القطب الغوث لغلاة الصوفية وأضرابهم من المدرسة الباطنية الخبيثة، فقد قال ابن عربي: لا يكون من قطب الغوث بالزمان إلا واحد، فمنهم من يكون ظاهر الحكم ويحوز الخلافة الظاهرة، كما حاز الخلافة الباطنة من جهة المقام، كأبي بكر وعمر وعثمان وعلي وابن عبدالعزيز و المتوكل، ومنهم من حاز الخلافة الباطنة خاصة، ولا حكم في الظاهر، كأحمد بن هارون الرشيد، والسبتي وأبي يزيد البسطامي- قاتلهم الله- وأكثر الأ قطاب لا حكم لهم في الظاهر. أ. هـ.[900].

وأنكر من هذا وأشد ما ذكره أبو الحسن الشاذلي حين قال: للقطب خمس عشرة علامة، عدد منها أن يمدّ بمدد العصمة، والخلافة- وهو أن يكون خليفة الله في الأرض - والنيابة، وهي أن يكون نائباً عن الحق في تصريف الأ حكام[901].

وهكذا يليتقي دعاة هذه المقولة- الإنسان خليفة الله في الأرض- بما يروج له أصحاب نظرية الاتحاد والحلول المشركون، الذين يريدون أن يطلقوا خصائص الألوهية على المخلوقات، وهذا هو الشرك الأعظم الذي يخلد أصحابه في النار. والله سبحانه: (لَيْسَ كَمِثْلِه شيءٌ).

(ولَمْ يَكُنْ لَهُ كفُوا أحدٌ)[902] تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا.

(438)

(العابد الجاهل)

أكرم الله عباده المؤمنين بالإيمان، ورفع منزلة العلماء العاملين بعلمهم النافع، والداعين إلى الله على هدى وبصيرة. قال تعالى: (يرْفَعِ الله الذين آمنوا مِنْكُمْ والذين أوتوا العِلْمَ درجاتٍ)[903].

فللعماء الصادقين في دعواهم درجات عالية، ومنازل رفيعة عند الله سبحانه ، فهم الذين لم يبخلوا على أمتهم بعلمهم النافع، وخاصة ما يتعلق بالعقيدة والتوحيد، فقد نشروا هذا العلم، وقاموا على بيانه وتطبيقه، ونصحوا الأمة، وبذلك قوضوا معالم الجهل، ودكوا معاقل الضلال والإلحاد.

والإنسان- أي إنسان- لا يستطيع التثبت أو التبصر بأمر دينه إلا بالعلم و التفقه، فمن حقق لنفسه نصيباً وافرا من العلم أمن عاقبة أمره، وعبد ربه على هدى ونور، طالما اتقى الله كان وق ّافاً عند حدود شرعه المبين.

أما الجاهل الذي لم يتفقه في دينه، فقد يعبد الله بإخلاص وصدق، ولكنه قد يخرج على أمر الله دونما علم، لأنه لا يستطيع أن يميز بين الحلال والحرام

[900] - الفتوحات المكية: ج-2 ص8.

[901] - انظر التصوف بين الحق والخلق: ص89 وما بعدها.

[902] - سورة الإخلاص: 4.

[903] - سورة المجادلة: 11.

أو النور والظلام، فيرتكب المعاصي والمنكرات، لجهله بالعقيدة والعبادات وأضدادها من المحظورات، كالبدعيات والشركيات. وكذلك فعالم السوء المبتدع يضلل الناس ويخرجهم عن الطريق

(439)

السوي، كما أن العابد الجاهل- الذي لا يدرك موازين العبادة- يخشى عليه من الانحراف والهلاك، لأنه فاقد الإدراك بمعالم الطريق القويم فتزل قدمه، كمن يلج البحر ويتوغل داخله وهو لا يجيد السباحة، ولا يعرف كيف يقاوم وحوش البحر وأمواجه، فقد يكون هلاكه أقرب إلى الظن من نجاته، وذلك لعدم دربته وخبرته، وجهله لعالم البحار ولوازمها.

وقد بين رسولنا صلى الله عليه وسلم درجات العلماء العاملين في قوله: (فضْلُ المُؤْمنِ العالمِ على المؤمنِ العابدِ سبْعون درجةً)[904].

قال ابن القيم: وأما العابد الجاهل فآفته من إعراضه عن العلم وأحكامه، وغلبة خياله وذوقه ووجده وما تهواه نفسه[905]. ولهذا قال سفيان بن عيينة وغيره: احذروا فتنة العلم الفاجر وفتنة العابد، فإن فتنتهما فتنة لكل مفتون، فهذا بجهله يصد عن العلم وموجبه، وذاك ببغيه يدعو إلى الفجور[906].

وقد ضرب الله سبحانه مثل النوع الآخر بقوله: (كمَثَلِ الشَّيطان إذْ قال للإ نسان اكفُرْ فلمّا كفر قال إنّي بريءٌ منك إنّي أخاف اللّه ب ّ العالمين فكان ع اقبتهما أنهما في النار خالدين فيها وذلك جزاء الظالمين)[907].

(440)

وقصته معروفة، فإنه بنى أساس أمره على عبادة الله بجهل، فأوقعه الشيطان بجهله، وكفره بجهله، فهذا إمام كل عابد جاهل يكف ولا يدري، وذاك إمام كل عالم فاجر، يختار الدنيا عن الآخرة. وقد جعل سبحانه رضا العبد بالدين، وطمأنينته وغفلته عن معرفة آياته وتدبرها والعمل بها، سبب شقائه وهلاكه، ولا يجتمع هذان - أعني الرضا بالدنيا والغفلة عن آيات الرب- إلا في قلب من لا يؤمن بالمعياد، ولا يرجو لقاء رب العباد، وإلا فلو رسخ قدمه في الإيمان بالميعاد، لما رضي الدنيا ولا اطمأن إليها، ولا أعرض عن آيات الله.

وأنت إذا تأملت أحوال الناس، وجدت هذا الضرب هو الغالب على الناس، وهم عماد الدنيا. وأقل الناس عددا من هو خلاف ذلك, وهو من أشد الناس غربة بينهم، لهم شأن وله شأن، علمه غير علومهم وإرادته غير إرادتهم، وطريقه غير طريقهم، فهو في واد وهم في واد. قال تعالى:

(إنّ الذين لا يرجُون لقاءنا ورضوا بالحياة الدّنيا واطْمَأنّوا بها والذين هُمْ عنْ

---

904 - رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله. وانظر مختصر شعب الإيمان ص38 للإمام البيهقي.

905 - الفوائد: ص137.

906 - المصدر السابق.

907 - سورة الحشر: 16، 17.

آياتنا غافِلونَ أولئك مأوَاهمُ النّار بما كانوا يكسبون)[908].
ثم ذكر وصف ضد هؤلاء ومآلهم وعاقبتهم بقوله: (إنّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات يهْديهمْ ربُهمْ بإيمانهم تجْري من تحتهم الأنهار
(441)
في جنّات النّعيم)[909]. فهؤلاء إيمانهم بلقاء الله أورثهم عدم الرضا بالدنيا وعدم الطمأنينة إليها، ودوام ذكر آياته، فهذه مواريث الإيمان بالمعاد، وتلك مواريث عدم الإيمان والغفلة عنه[910].
يقول ابن القيم: الجاهل يشكو الله إلى الناس، وهذا غاية الجهل بالمشكو و المشكو إليه، فإنه لو عرف ربه لما شكاه، ولو عرف الناس لما شكا إليهم.
ورأى بعض السلف رجلا ً يشكو إلى رجل فاقته وضرورته فقال: يا هذا، و الله ما زدت على أن شكوت من يرحمك إلى من لا يرحمك.
وفي ذلك قيل:

وإذا شكوت إلى ابن آدم إنما		تشكو الرحيم إلى الذي لا يرحم

والعارف إنما يشكو إلى الله وحده، وأعرف العارفين من جعل شكواه إلى الله من نفسه لا من الناس، فهو يشكو من موجبات تسليط الناس عليه، فهو ناظر إلى قوله تعالى:
(وما أصَابكمْ منْ مُصيبةٍ فبما كسَبَتْ أيْديكم)[911] (وما أصابك من سيئة فمن نفسك)[912]. (أولما أصابتكم مُصيبةٌ قد أصَبْتمْ مِثْليْهَا قلْتمْ أنى هذا قلْ هو من عند أنْفسِكمْ)[913].
(442)
فالمراتب ثلاثة، أخسها أن تشكو الله إلى خلقه، وأعلاها أن تشكو نفسك إليه ، وأوسطها أن تشكو خلقه إليه[914].

(تحامل الغرب وتجنيه)

لقد سدد أعداء الإسلام سهامهم المسمومة صوب الإسلام ودستوره الخالد، و لا ريب أن الصراع بين الحق والباطل سيستمر ما دام الليل والنهار، وهذا بيّنٌ في تحامل الغرب وتجنيه على أمّة الإسلام.
من هذا المنطلق لا يسعني إلا أن آتي بوجهات نظر الغرب عن الإسلام وأهله،

---

[908] - سورة يونس: 7 ، 8.
[909] - سورة يونس: 9.
[910] - الفوائد: ص137، 138.
[911] - سورة الشورى: 30.
[912] - سورة النساء: 79.
[913] - سورة آل عمران: 165.
[914] - الفوائد ص: 116- 117.

وهما فئتان: فئة متحاملة على الإسلام، وفئة تنصف الإسلام بتحريها التاريخ الصادق من غير تحيز.
الفئة الأولى: المتحاملة والمتجنية من الغربيين على الإسلام.
يقول (بيرك وبرنارد لويس) مستدلين بقوله تعالى:
(لقدْ كانَ لسبإٍ في مسْكنِهمْ آيةٌ جَنّتَان عنْ يَمينٍ شمالٍ كلُوا منْ رّزْق ربّكمْ واشَكُروا له بلْدَةٌ طيّبةٌ وربٌ غفورٌ فأعرضوا فأرْسلنا عليهمْ سيْلَ العرمِ وبدّلْنَاهم بجنّتَيْهمْ ذواتيْ أكلٍ خمطٍ وأثلٍ وشيءٍ من سدْرٍ قليل)[915].

(443)

يقولولان: إن انهيار سد مأرب في القرن السادس، وما أصاب البلاد من تقلب الأحوال الاقتصادية والاجتماعية دفعهم إلى الهجرة، ولا فرق في ذلك بين الهجرات السابقة، التي قام بها الآراميون والكنعانيون، والهجرات اللاحقة التي قام بها العرب عقب ظهور الإسلام[916].
ويشاركهما في هذا الرأي (توماس آرنولد) ويشتد تحاملا ً عن سابقيه فيقول: إن حركة التوسع العربي كان هي هجرة جماعة نشيطة، دفعها الجوع والحرمان إلى أن تهجر صحاريها المجدبة، وتجتاح بلاداً أكثر خصباً كانت ملكاً لجيران أسعد منهم حظا[917].
ومن الواضح أن هذه الآراء تتضمن كثيراً من التضليل والبعد عن الحقيقة، ومن هذا فلنستمع إلى الفئة الثانية، من الغربيين الذين ينصفون الإسلام بتحريهم التاريخ الصادق من غير تحيز.
الفئة الثانية: غربيون يحققون التايخ وينصفون الحق.
يقول صاحب كتاب محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل و القرآن: ليس أدل على إنصاف المسلمين وبيان حقيقة الغرض، من أقوال قادة الحرب المقهورين، فهذا هو الامبراطور هرقل يسخط علي الحاكم

(444)

الروماني، ويندد بانكساره أمام جيوش المسلمين، فيقول الحاكم مدافعاً عن نفسه: إنهم أقل منا عدداً، وإنّ عربياً واحداً يعادل مائة من رجالنا، ذلك أنهم لا يطمعون في شيء من لذآت الدنيا، ويكتفون بالقليل من الكساء والغذاء، ف ي الوقت الذي يرغبون فيه في الاستشهاد، لأنه أفضل طريق يوصلهم إلى الجنة على حين نتعلق نحن بأهداف الحياة، ونخشى الموت يا سيدي الا مبراطور.
ويتحدث (بيرون)[918] مؤكداً أن الحماسة الدينية وحدها هي التي أدت إلى

---

[915] - سورة سبإ: 15، 16.
[916] - محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن بقلم إبراهيم خليل أحمد.
[917] - لم يصل الأمر بالمسلمين لتكون فتوحاتهم سببها الجوع والحرمان، وهدفها اجتياح بلاد غيرهم الخصبة، لأنهم- المسلمين- كانوا أهل تجارة ويسار في رحلتي الشتاء والصيف. كما لم يكن هدف فتوحاتهم مادياً ودنيوياً، بقدر ما كان يعني نشر مبادىء الإسلام الحنيف، ولعل في تخييرهم لأهل الب لاد المفتوحة بين الإسلام أو الجزية أو القتال أصدق دليل على ما نقول...
[918] - تاريخ أوروبا: بيرن- 47.

نجاح العرب في حركتهم التوسعية فيقول: إن الفارق كبير بين الجرمان أو المغول، الذين غادروا بلادهم ومعهم نساؤهم وأطفالهم وعبيدهم ومواشيهم ، بغية السلب والنهب والحصول على أرض جديدة تدر عليهم من خيراتها عيشاً رغداً، والعرب الذين خرجوا في أوائل القرن السابع الميلادي ينادون بأن (لا إله إلا الله محمّدٌ رسول الله) دون أن يصطحبوا معهم سوى سيوفهم وخيولهم.

حقيقة إن الفتح الإسلامي أعقبه حركة أخرى للتهجير والاستيطان في الولا يات المتحدة الجديدة التي تم فتحها، ولكن هذه الحركة الأخيرة لم تبدأ إلا بعد أن انتهت الحركة الأولى بنحو قرنين من الزمان، تغيرت فيه أوضاع المسلمين في البلاد المفتوحة، وأصبحت جزءاً من المجتمع العربي الإسلا مي.. ومع هذا فإن (بيكر) يؤكد أن النظرة السالفة

(445)

التي ما زال بعض المثقفين- وغيرهم في أوروبا حتى اليوم- يعتقدون صحتها بعيدة عن الواقع لأن الوثائق المعاصرة كلها تثبت أن العرب لم يفرضوا دينهم على أهالي البلاد المفتوحة، بل فرضوا سيطرتهم السياسية لا غير، فسيطرة العرب السياسية هي التي انتشرت بقوة السلاح، أما الديانة الإ سلامية فقد وجدت سبيلها إلى قلوب عدد كبير من أهالي البلاد المفتوحة، بدليل ما أجممعت عليه الوثائق من تسامح العرب المطلق من النصارى و اليهود على السواء، وهو تسامح لم يخطر على بال إنسان، ولم يحظ به النصارى واليهود في ظل حكامهم السابقين[919].

ولا شك أن روح التسامي والتسامح، التي عرف بها العرب، والتي لا يوجد لها نظير في الشرق أو الغرب في العصو الوسطى، كان لها أكبر الأثر في تفهمهم للحضارات الأخرى السابقة تفهماً صحيحاً واضحاً وفي تفهم الأ وروبيين والأفريقيين لحضاراتهم تفما مفيداً. أ.هـ.[920].

وهكذا كانت مواقف بعض المنصفين الغربيين لتاريخ الأسلام وللحقيقة العلمية، مما يثلج صدر هذه الأمة، ذات العقيدة الشريفة والهداية الربانية، وصفعة قوية في وجوه المغرضين من أهل الباطل ودعاة الكذب والخداع و التدليس.

ذلك بأن العرب المسلمين لم يفرقوا في نشاطهم الحضاري بين

(446)

المسلمين وغيرهم، بل سمحوا للنصارى واليهود بالتتلمذ عليهم والاستفادة منهم، فأقبل الأوروبيون في الأندلس وصقلية، والآسيويون في الشام وغيرها، على دراسة العارف الإسلامية وترجمتها، مما ساعد على نهضة

---

919 - موسوعة كمبردج لتاريخ العصور الوسطى: مجلد2. ص33. محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل.

920 - المرجع السابق: ص92، 93.

أوروبا في العصور الوسطى، وشواهد ذلك كثيرة اعترفت بها أوروبا وغيرها..
أريد أن أذكر الغرب- لعلهم نسوا- بالحروب المذهبية الدامية، منذ عهد لوثيروس إلى القرن الثامن عشر وألا يأخذوا على المسلمين في عهد بني أمية حركة التذمر التي سادت أقباط مصر، والتي لم يكن من ورائها أي لون من ألوان الاضطهاد الديني، فهلا أخذ على الامبراطور (دوقلد يانوس) أنه أذل النصارى، وحاول إبادتم، حتى أن أقباط مصر ربطوا تقويمهم القبطي بهذا الاضطهاد الديني الذي حل بهم؟.
كما أذكِر الغرب ودعاتهم- أصحاب الهوى والضغينة- بأن يذكروا دائما ما حل بأقباط مصر، من اضطهاد ديني سافر للعقيدة، مما جعلهم يؤدون شعائرهم الدينية تحت الأض، أو في أقبية بعيدين عن أنظار الرومان!! هل ينسى الغرب هذا كله، أم أن الحقيقة مرة عندهم؟! الواقع يا غرب أن هذا التذمر- الذي وقع من أقباط مصر في عهد الدولة الأموية- لم يكن وليد اضطهاد ديني، بل كانت ترجع أسبابه إلى ظروف اقتصادية بحتة، اكتنفت الدولة الأ موية في فترة من فترات توسعها السياسي والعمراني، وأرادت أن تعتمد في نفقاتها على دخلها القومي، مما استلزم فرض ضرائب على الولايات
(447)
الإسلامية التي كانت مصر واحدة منها، ولم تفرض هذه الضرائب على أقباط مصر فحسب بل عليهم وعلى المسلمين أيضاً، وهذه هي العدالة المطلقة في الواجبات التي تفرضها الدولة على المواطنين.
بل أكثر من هذا يا غرب، لقد استطاعت الأمة الإسلامية- بعد توسعها السياسي شرقاً وغرباً- أن تقصم ظهر الأباطرة والملوك، وأن تغسل سبعمائة سنة عاشها الغرب في ظل الامبراطوية الرومانية الغربية، والشرق في ظل ا لامبراطورية الفارسية.. استطاع الإسلام أن يغسل عقول سكان الأقاليم مما علق بها، من عقائد فاسدة وتعاليم باطلة وتقاليد سقيمة.. استطاع الإسلام أن يضيء كضياء الشمس في وضح النهار، وكفى هذه الشعوب أن تتمتع ب النور الذي يُشعه عليها القرآن الكريم، وسنة الرسول العظيم عليه السلام.
ويقول بيكر: إن أوروبة- في العصور الوسطى- نظرت إلى انتشار الإسلام من وجهة النظر الكنسية الدينية، وكأن الكنيسة قد أفزعها وآلمها ضياع البلاد ب الشام ومصر وأعالي العراق، وكانت ترتبط بأصول النصرانية، فراحت تفسر انتشار الإسلام في هذه البلاد بأنه لم يتم إلا بحد السيف.
إن هذا هو الزيف ومناقضة الواقع، وهم بهذا الادعاء يموهون على خوف ينتابهم، ورهبة تسري في أوصالهم عند سماعهم للإسلام
(448)
والعرب[921]، وقد سجل التاريخ أنهم لم يكن لهم شأن حين احتضنهم العاهل

---
[921] - ومثالا على حقدهم الأسود، عندما أعلن عن إقامة مركز إسلامي في روما- حاضرة الفاتيكان-

الروماني- الامبراطو قسطنطين- بحمايته لهم وحماية عقيدتهم، وذلك باستصدار قانون بمرسوم- ميلانو سنة 314م- باعتبار أن النصرانية دين رسمي للدولة، شأنها في ذلك شأن الوثنية[922].
أما الإسلام فهو كالعملاق الذي ولد ولم يركن إلى حماية دولة من الدول، بل استمد مجده من الله الملك القهار، فهو كالعملاق الذي يحمي ولا يهدد، يصون ولا يبدد، وهو في كل هذا يحرص كل الحرص على العزة والكرامة.
نقول لدعاة الغرب- المتحاملين منهم خاصة على هذا الدين ونسألهم: أين كانوا؟. وعلى أي حال كانت عواصمهم، إذا ما قورنت بحاضرة الرشيد دار السلام- بغداد الغرب والمسلمين- وقرطبة الأندلس، في ذلك العهد من عهود ا لإسلام الزاهرة؟!. وحسبنا قول الحق سبحانه:
(فأمّا الزّبد فيذْهبُ فجاءً وأمّا ما ينفع النّاس فيمكث في الأرض)[923].

(449)

(تكسب المرأة)
اهتم الإسلام بأبنائه، وحفظ لهم مقومات بقائهم واستمرار حياتهم، وأولى الجانب الأخلاقي كثيراً من عنايته واهتمامه، لما يترتب عليه من نتائج إيجابية، لها الأثر البالغ في بناء الشخصية الإسلامية وحفظ كيانها، وفق المنهاج الإلهي والسلوك السوي.
لقد أنعم الله سبحانه على أمة الإسلام بنعم كثيرة ومنن وفيرة، حباها إياها دون سائر الأمم، كما أولاها نعمة الدين، التي هي بحق من أعظم النعم وأكبر المنن، فهل نقابل نعمة المنعم الكريم بالجحود والتمرد على شرعه ودينه؟!
أم أنّ حق الشكر يوجب علينا الامتثال لأمره تعالى، والتزام منهجه القويم؟!
ولما امتدت إلينا عدوى عادات الغرب الكافر في كل شيءٍ، قلدناه في عاداته وأباطيله وترهاته، وتمشينا مع أهوائنا فيما ينافي تعاليم ديننا، وقد بدأت مجتمعاتنا تفتح صدرها لكل وافد، وبلا أدنى تفكير أو دراسة أو تدبر. هكذا بدأت أوساطنا الاجتماعية منفتحة على كل جديد مستورد دخيل، فقلدت الغرب- صاحب الرذيلة وموئل الجريمة- في قرننا العشرين، فها هي المجتمعات المختلطة قد عمت دوائر الحكومة ومكاتب البوليس والشركات والمدارس والمعاهد وأماكن اللهو، كالسينما والمقاهي والأندية والمحافل المختلفة.

فقد صعق الإيطاليون الصليبيون لهذا النبأ، وملؤوا الجدران وأبواب المتاجر بالشعارات المعادية للإسلا م، منددين بإقامة أي مركز إسلامي هناك. وينسون أنهم ملؤوا بلاد المسلمين بالمنصرين المفسدين دون معارضة أحد. وفي نشر الإسلام بينهم خير عظيم لو كانوا يعقلون.
[922] - محمد صلى الله عليه وسلم في التوراة والإنجيل والقرآن: ص: 94 وما بعدها.

[923] - سورة الرعد: 17.

(450)
بهذه البساطة قلد أبناء الشرق المسلم الغرب الملحد، في مفاسده وضلاله، وها نحن أولاء نرزح تحت وطأة مفاتنه، ونجني ثمار شروره وآفاته المدمرة، أما طريق الخلاص فهي واضحة جلية، وتكمن في العودة لتعاليم الإسلام، و التفيؤ بظلاله الوارفة، والتحصن في كنفه المكين.
إن نظرة خاطفة على ما جناه الاختلاط من المفاسد والمنكرات، التي ملأت جوانب الحياة، لتلك المجتمعات التي وقعت في هذا البلاء العظيم - اختياراً أو اضطراراً- تدل دلالة واضحة على سوء منقلبها وانحلال أخلاقها، الذي مرده انفلات المرأة من بيتها، وتفكك الأسر والتمرد على الفطرة، والانقياد للهوى والشيطان.
إن الدعوة السافرة- التي يطلقها المضللون- إلى نزول المرأة في المواقع و الميادين التي تخص الرجال، أمر خطير ومعول هدم في المجتمع الإسلامي، ومن أعظم آثاره المروعة آفة الاختلاط، الذي يعتبر بحق من أعظم وسائل انتشار الفاحشة، التي تفتك بالمجتمع وتهدم قيمه وأخلاقه.
والكتاب والسنة دلا على تحريم الاختلاط، وتحريم جميع الوسائل المؤدية إليه. قال سبحانه وتعالى: (وقرْنَ في بُيُوتكُنّ ولا تبرّحْنَ تبرُّجَ الجاهلية الأ ولى)[924]. وقال الله تعالى: (يأيُّها النّبيُّ قلْ لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدْنِينَ عليهنّ من جلابيبهنّ ذلك أدْنى أنْ
(451)
يُعرفن فلا يؤذين وكان الله غفوراً رحيماً)[925]. وقال عز وجل: (قلْ للمُؤْمنين يَغُضُّوا منْ أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكى لهمْ)[926].
يأمر الله نبيه عليه الصلاة والسلام أن يبلغ المؤمنين والمؤمنات، أن يلتزموا بغض النظر وحفظ الفرج من الزنا، ثم أوضح سبحانه أن هذا الأمر أزكى لهم، ومعلوم أن حفظ الفرج من الفاحشة إنما يكون باجتناب وسائلها، ولا شك أن إطلاق البصر، واختلاط النساء بالرجاء والرجال بالنساء، في ميادين العمل وغيرها، من أعظم وسائل وقوع الفاحشة، وهذان الأمران المطلوبان من المؤمن يستحيل تحققهما منه، وهو يعمل مع المرأة الأجنبية، كزميلة أو مشاركة في العمل له، فاقتحامها هذا الميدان معه لا شك أنه من الأمور التي يستحيل معها غض البصر وإحصان الفرج، والحصول على زكاة النفس وطهارتها[927].
وسداً لذريعة الفساد، وإغلاقاً لباب الإثم والمعصية، وحسماً لأسباب الفتنة، وحماية للجنسين من ألاعيب الشيطان وجنوده، فقد زود الإسلام أتباعه بـ

---

[924] - سورة الأحزاب: 33.
[925] - سورة الأحزاب: 59.
[926] - سورة النور: 30.
[927] - مجلة الجامعة الإسلامية سنة 1398هـ. من مقال للعلامة الشيخ عبدالعزيز بن باز حفظه الله ونفع به الأمة.

المقومات الكفيلة بحصانتها وسموها، فلنستمع لهذه النصوص، فقد صح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (اتقوا الدُنيا واتقوا النِّساء فإنّ أوّل فتنة بني إسرائيل كانت النِّساء). وصح

(452)

عنه صلى الله عليه وسلم: (ما ترَكْتُ بعْدِي فتْنَة أضَرُّ على الرّجال من النِّساء)[928].

وما أحسن قول فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما سئلت: ما خير للمرأة؟. فقالت: ألا ترى الرجال لا يراها الرجال. فضمها رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صدره وقال: (ذُرِّيّةٌ بعضها من بعضٍ).

وأما أحرانا أن نتدبر هذه النصيحة النبوية: (لأن يُطْعنَ في رأس أحدكم بِمِخْيَطٍ منْ حديدٍ خيْرٌ له أنْ يمسّ أمرأة لا تحلُّ له)[929]. قال علي بن أبي ط الب رضي الله عنه: ألا تستحيون؟!.. ألا تغارون؟، يترك أحدكم امرأته[930] تخرج بين الرجال![931].

أما وسائل عيش المرأة وتثقيفها، فقد أولاها الإسلام رعايته وعنايته، ف الرجل يقوم بالنفقة على زوجته وتقديم كافة لوازمها، ومن جهة أخرى يجب الإكثار للمرأة من دروس الدين، من القرآن والسنة والتوحيد والفقه، والا هتمام بالعقيدة لتطهير النفس من شوائب الجهل والخرافة ورواسب الشرك، كالسحر والرقى الشركية والشعوذة ودعاء غير الله سبحانه.

(453)

وكذلك يجب الاهتمام بالجانب الأخلاقي والتركيز على أهمية الفضائل، ودور المرأة في تربية الأجيال، ومعرفتها لواجبات الأسرة، وقد صرح الإسلا م للمرأة بالعمل ضمن حدود مملكتها، إذ خلقها الله بطبيعة معينة تختلف عن طبيعة الرجل، كما تختلف وظيفتها عن وظيفة الرجل، وبأداء كل منهما دوره تنعم البشرية بالسعادة في الدنيا وبالنعيم في الاخرة.

أقول: ليطمئن دعاة الاختلاط فقد سمح الإسلام للمرأة بالعمل، ولكن بحدود ضمن سياج الحصانة وبدون اختلاط، فقد شاركت المرأة المسلمة في أعمال الحقل والمنزل والجهاد[932]، ولكن في جو ملائكي طاهر من الطرفين، حيث خرجت للتمريض وخدمة جند الله، على الطريقة التي يرضاها الله سبحانه.

---

[928] - رواه الترمذي والدارقطني: راجع المرأة المسلمة: ص136 . للأستاذ وهبي سليمان.

[929] - المخيط: الإبرة أو المسلة ونحوهما. قال المنذري: رواه الطبراني والبيهقي. ورجال الطبراني ثقات. رجال الصحيح.. انظر السلسلة الصحيحة للألباني.

[930] - يا لحقارة الرجال الذين يدفعون بنسائهم إلى بيوت الآخرين في سهرات عائلية مختلطة، أو يفتحون بيوتهم لأصدقائهم في غيابهم ثم يعيبون الغيرة!!

لا يأمنن على النساء أخٌ أخاً   ما في الرجال على النساء أمين

[931] - انظر المرأة المسلمة: ص136 للأستاذ وهبي سليمان.

[932] - أباح الإسلام للمرأة أن تعمل وفق طبيعتها، فلها أن تقوم بالتعليم والتمريض أو الكتابة في المؤسسات النسائية، بعيدة عن مزاحمة الرجال، أما دعوى إدخالها كجندي يحمل السلاح، كما هو حال الصهاينة وأشباههم، فهذه وسيلة لإفساد الجند، وهي وسيلة ترفيهية للجنود تتنافى وشرع الإسلام، الذي يحرص على جلب المصالح ودرء المفاسد وإغلاق باب فتنتها وحسم بواعثها.

وصدق الله العظيم: (وإنّ الله لهادِ الذين آمنوا إلى صراط مستقيمٍ)[933].
ومما تقدم نستطيع القول: إن المرأة تستطيع ان تقوم بأعمال كثيرة إذا ما أحسن لها الاختيار، سيما إذا كان هذا العمل بعيداً عن مزاحمة الرجال، ويليق بكيانها وفطرتها التي تختلف كثيراً عن فطرة الرجل وأهليته.

(454)

لقد اهتم الإسلام بالمرأة وأولاها عنايته، لأنها تمثل العمود الفقري للأسرة وأساس المجتمع، فهي مطالبة بتربية النشء وتعهده وحفظه، والعناية بالأ بناء حتى يشتد عودهم، ومسؤولة عن خدمة الأسرة ومساعدة زوجها في أعمالها، بعيدة عن مواطن الاختلاط.
وأمام المرأة أبواب العمل مفتوحة، كالتعليم والتمريض والكتابة والشؤون الا جتماعية، ضمن الإطار النسوي ووفق مواهبها وخصائصها التي خصها الله بها، وقد علم بأنها تبدع وتنجح فيما اختصت به أكثر من الرجال.
والإسلام لم يكلف البنت والمرأة بالإنفاق على الأب أو الزوج أو الأم، بل على هؤلاء تقع مسؤولية نفقة المرأة، لتتفرغ للحياة الزوجية والأمومة، والإ شراف على شؤون الأسرة، لتظل مصونة طاهرة، لها سمعتها الكريمة النظيفة في المجتمع. قال تعالى: (الرّجال قوّامون على النساء بما فضّل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم)[934].
وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (دينارٌ أنْفقتَهُ في سبل الله ودينارٌ أنفقتهُ في رقبةٍ، ودينارٌ تصدّقت به على مسكين، ودينارٌ أنفقته على أهلك، أعظمها أجراً الذي أنفقته على أهلك)[935].
أمام فلسفة الغربيين حول مستقبل البنت، ومهمتها بعد البلوغ، فهي تقوم على أساس إنفاقها على نفسها، وادخار ما يزيد على مصاريفها

(455)

للحياة الزوجية المستقبلية، وليس على أقربائها الالتزام بالنفقة عليها، كما عليها مساعدة زوجها في النفقة على بيتها وأبنائها.

(أقوال أهل الخبرة في عمل المرأة)

بناءً على تردي أحوال الأسرة وتفككها- بعد نزول المرأة إلى ميدان العمل- فقد تذمر الغربيون، وشكوا سوء مآلهم وانتكاسهم- لفساد أسرهم وانحلال مجتمعهم- فصاحوا مرددين بقرب اضمحلال وانهيار حضارتهم نتيجة انحرافهم وسقوطهم.
ولتجلي هذه الصورة المظلمة، والهوان الذي حل بدول الغرب المنحل، وبنظيره معسكر الشرق الذي تردى أيضاً إلى الهاويةالسحيقة، نتيجة لفساد ا

---

[933] - سورة الحج: 54.

[934] - سورة النساء: 34.

[935] - رواه مسلم: مختصر الترغيب والترهيب لابن حجر العسقلاني.

لأنظمة وتحطيم الروابط الأسرية، والفشل الذريع الذي جناه هؤلاء في حياتهم الكئيبة، فإني أذكر شيئاً من أقوالهم وآراء عدد من المفكرين في ذلك.

1- يقول العالم الشهير {اجوست كونت} مؤسس علم الاجتماع الحديث في كتابه[936]: لو نال النساء يوماً من الأيام هذه المساواة المادية، التي يتطلبها لهن الذين يزعمون الدفاع عنهن بغير رضائهن[937]، فإن

(456)

ضمانتهن الاجتماعية تفسد على قدر ما تفسد حالتهن الأدبية، لأنهن في تلك الحالة سيكنّ خاضعات- في أغلب الصنائع- لمزاحمة يومية قوية، بحيث لا يمكنهن القيام بها. كما أنه في الوقت نفسه تتكدر المنابع الأصلية للمحبة المتبادلة[938].

2- ولما كتبت {مدام هير كور}- الشهيرة بالمدافعة عن حقوق النساء- إلى أسرة الفيلسوف الاشتراكي المشهور {برودون} تسأله رأيه في مسألة النساء، أجابها كما يقول في كتابه[939]: إن هذه الجهود المبذولة من النساء لا تدل إلا على علة أصابت جنسهن، وهي تبرهن على عدم استعدادهن لتقدير قوة أنفسهن، وسياسة أمورهن بذاتهن[940].

وبعد أن برهن على ذلك بالأدلة العلمية قال: إن حالة المرأة في الهيئة

(457)

الاجتماعية- إذا جرت على النسق الذي تريدينه كما هو حال الرجل- فيكون أمرها انتهى، فإنها تصير مستعبدة مملوكة[941].

3- ويقول الفيلسوف الاقتصادي {جول سيمون} في مجلة المجلات المجلد 17: النساء قد صرن الآن نساجات وطباعات.. ألخ. وقد استخدمتهن الحكومة في معاملها، وبهذا فقد اكتسبن بضعة دريهمات، ولكن في مقابل ذلك قد قوضن دعائم أسرهن تقويضاً. نعم، إن الرجل صار يستفيد من كسب

---

[936] - النظام السياسي.

[937] - ويجب التنبيه على أن الإسلام قد تكفل بالمرأة بنتاً وأماً، وصانها وحفظ كرامتها وفي نظام الإسلام الذي يفرغ المرأة لأداء أقداس رسالة اجتماعية- كأمّ وربة بيت- لأعظم رد على مزاعم دعاة تحرير المرأة، وهي دعاوى ساقطة. ولقد سمعنا وشاهدنا ثمار دعوة تحرير المرأة، والتي تعني أول ما تعني خروج المرأة على تقاليدها وفطرتها.. أما تحريرها، فهو تحرير من الأخلاق والفضائل التي هي رأس مالها، ولا يوجد بديل لنظرة الإسلام ونظامه، لأنه من تعليم خالق البشر العليم بأسرارهم ومطالبهم. وقد قال سبحانه: (أفحكمَ الجاهلية يبغون ومن أحْسنُ من الله حكماً لقومٍ يوقنون).

[938] - دائرة المعارف وجدي: 605، 606.

[939] - ابتكار نظام.

[940] - يا لهوان المرأة- طبعاً المرأة الغربية وبنت دعاة الاشتراكية المهزوزة- لقد تلاشت قيمها وانسلخت عن أنوثتها وذاتيتها، حتى أصبحت مستعبدة للأهل والزوج والهوى، أما في بلاد الغرب- صاحب دعوة تحرير المرأة وانطلاقها- حيث تتلاشى تبعيتها لأسرتها، فينسبونها لأسرة زوجها ويقال: مدام فلان. ومما يؤسف له أن هذه العادة المبتدعة شاعت في بلادنا فتسمى المرأة باسم زوجها- كما هو واضح في جواز السفر والهويات الشخصية- كما أنه ليس لها حق التصرف في مالها إلا بإذن زوجها، فهذا أيضاً جور وإهانة للمرأة الغربية، ونسبتها إلى زوجها بدعة منكرة لا يجوز العمل بها، فهل من مدكر؟!.

[941] - عن دائرة المعارف: ج-8- ص605، 606.

امرأته، ولكن بإزاء ذلك قل كسبه لمزاحمتها له في عمله. ثم قال: وهناك نساءٌ يشتغلن بمسك الدفاتر، وفي محلات التجارات، ويستخدمن في الحكومة في وظيفة التعليم، وبينهن عدد عديدات في التلغرافات و البوسطات- هكذا- والسكك الحديدية وبنك فرنسا، والكريدي ليونيه، ولكن هذه الوظائف قد سلختهن من أسرهن سلخاً[942].

4- ويقول (اجوست كونت) في كتابه النظام السياسي: وفي حالة عدم وجود زوج ولا أقارب للمرأة يجب على الهيئة الاجتماعية أن تضمن حياة كل امرأة[943]، إما في مقابل عدم استقلالها- الذي لا يمكنها أن تتجنبه- وإما على الخصوص بالنسبة إلى وظيفتها الأدبية الضرورية.

وإليك في هذا الموضوع المعنى الحقيقي للرقي الإنساني: يجب أن تكون (1) الحياة النسوية منزلية على قدر الإمكان، ويجب تخليصها من كل عمل خارجي ليمكنها على ما يرام أن تحقق وظيفتها الحيوية[944].

5- ويقول {جيوم فربرو} البحاثة الشهير في مجلة المجلات المجلد 18: يوجد في أوروبا كثير من النساء اللواتي يتعاطين أشغال الرجال، ويلتجئن بذلك إلى ترك الزواج بالمرة، وأولاء يصح تسميتهن بالجنس الثالث، أي أنهن لسن برجال ولا نساء. ثم قال: وقد ابتدأ علماء العمران يشعرون بوخامة عاقبة هذا الأمر المنافي للسنن الطبيعية، فإن هاته النسوة - بمزاحمتهن للرجال- صار بعضهن عالة على المجتمع، لا يجدن ما يشتغلن به، ولو تمادى الحال على هذا المنوال لنشأ منه خلل اجتماعي عظيم الشأن[945].

وإنا لنذكر أن هتلر في أواخر أيامه قد بدأ بمنح الجوائز لكل امرأة تترك عملها خارج البيت وتعود إلى بيتها، وكذلك فعل موسوليني يومئذ[946].

ويكاد يجمع مفكرو الغرب على أنه ليس هنالك من سبب لضياع الأبناء، وفسادهم وتفكك أسرهم، إلا هجر المرأة بيتها لتعمل خارجه.

6- قال الفيلسوف {برتراند راسل}: إن الأسرة انحلت باستخدام المرأة في الأ عمال العامة، وأظهر الاختبار أن المرأة تتمرد على تقاليد

(459)

الأخلاق المألوفة، وتأبى أن تظل أمينة لرجل واحد إذا تحررت اقتصاديا[947].

7- جرى عام 1960م استفتاء في المانيا- بين الرجال- عن المرأة المثالية، فتبين من نتيجة الاستفتاء أن الرجل الألماني لا يؤيد فكرة اشتغال المرأة، و لا يتحمس للزواج منها. والمرأة المثالية في رأيه، هي سيدة البيت التي تهتم بشؤون أسرتها، وتقوم بتربية أطفالها، بدون أي مساعدة من أمها، وهي التي

---

[942] - راجع دائرة معارف فريد وجدي: ص606.

[943] - ونحن المسلمين نفخر على العالم بالإسلام، الذي كفل لكل من يستظل تحت سلطانه بكل مطالب الحياة، حتى البهائم.

[944] - دائرة المعارف لفريد وجدي: ج-14- ص612.

[945] - راجع المصدر السابق: ج-8 ص616.

[946] - المرأة بين الفقه والقانون: ص179.

[947] - المصدر السابق.

تطهو جيدا، وتوفر لزوجها الراحة الكاملة[948].

8- في عام 1960م تجمعت 74 دولة في مؤتمر الجريمة في لندن، فقرر أن من أهم عوامل ازدياد الجرائم بين الأحداث خروج المرأة من البيت، والفراغ الذي تتركه لأبنائها الأحداث[949].

9- نشرت الأهرام ما يلي: أستاذة جامعية في انجلترا، وقفت هذا الأسبوع أمام مئات من طلبتها وطالباتها، تلقي خطبة الوداع بمناسبة تقديم استقالتها من التدريس، قالت الأستاذة: ها أنا قد بلغت الستين من عمري، ووصلت فيها إلى أعلى المراكز، نجحت وتقدمت في كل سنة من سنوات عمري، وحققت عملا ً كبيراً في المجتمع، كل دقيقة في يومي كانت تأتي علي بـ الربح، حصلت على شهرة كبيرة وعلى مال

(460)

كثير، أتيحت لي الفرصة أن أزور العالم كله، ولكن هل أنت سعيدة الآن بعد أن حققت كل هذه الانتصارات؟.

لقد نسيت ما هو أهم من ذلك كله، نسيت أن أتزوج، وأن أنجب أطفالا ً وأن أستقر، إنني لم اتذكر ذلك إلا عندما جئت لأقدم استقالتي، شعرت في هذه اللحظة أنني لم أفعل شيئاً في حياتي، وإن كل الجهد الذي بذلته طوال هذه السنوات قد ضاع هباءً، فسوف أستقيل وسيمر عام أو اثنان على استقالتي، وبعدها ينساني الجميع في غمرة انشغالهم بالحياة، لو كنت قد تزوجت وكونت أسرة كبيرة، لتركت أثراً كبيراً وأحسن في الحياة.

إنني أنصح كل طالبة تسمعني، أن تضع هذه المهام أولا ً في اعتبارها، وبعدها تفكر في العمل والشهرة. أجل سوف تخسر المرأة ما لا يعوضه جاه ولا شهرة ولا مال ولا منصب، إنها إذا لم تحافظ على هذا المطلب تخسر عشاً سعيداً هادئاً حالماً. فتجربة ستين عاماً أضعها أمام مسامع الجميع فلنتفكر!![950].

10- وقالت {آني رود} الإنجليزية: لأن تشتغل شاباتنا خوادم - كالخوادم- خير وأخف بلاءً من اشتغالهن في المعامل، حيث تصبح البنت ملوثة بأدران تذهب برونق حياتها إلى الأبد. ألا ليت بلادنا كبلاد المسلمين، فيها الحشمة و العفاف والطهارة. نعم، إنه لعار على بلاد الإنكليز أن تجعل مثلا للرذائل بمخالطة الرجال، فما بالنا

(461)

لا نسعى وراء ما يجعل البنت تعمل بما يوافق فطرتها الطبيعية، من القيام في البيت وترك الأعمال- أعمال الرجال - للرجال لسلامة شرفها[951].

11- قال أنطون نيميلان- وهو روسي شيوعي: الحق أن جميع العمال قد

---

[948] - انظر صوت الإسلام: عدد 90 -سنة 1379هـ. والإسلام في قفص الاتهام: ص219.

[949] - صوت الإسلام: عدد 125- سنة 1961.

[950] - جريدة الأهرام: سنة 1380- 1961.

[951] - مجلة النار: مجلد 4- ص486.

بدت فيم أعراض الفوضي الجنسية، وهذه حالة خطرة تهدد النظام الا شتراكي بالدمار، فيجب أن نحارب بكل ما أمكن من الطرق، لأن المحاربة في هذه الجهات ذات مشاكل وصعوبات، ولي أن أدلكم على آلاف من الأ حداث يعلم منها أن الإباحية الجنسية قد سرت عدواها، لافي الجهال والأ غرار فحسب، بل في الأفراد المثقفين من طبقة العمال أيضاً[952].

12- وللعلامة الكبير الأستاذ محمد فريد وجدي- صاحب دائرة المعارف- في هذا الموضوع كلام أوفى على الغاية، من الخير أن نسجله في هذا المقام.

قال رحمه الله: أما مشاركتها- المرأة- للرجل في أعماله الخارجية، فإن الفطرة المجردة، والعلوم العصرية نفسها تنافيها، وترى فيها خطرا عظيماً على المجتمع، فأما الفطرة، فإنها تأبى أن ترى المرأة- التي اختصها الخالق سبحانه بمهمة تكثير النوع الإنساني وتربيته- تتكلف فوق ما تعانيه من المشاق، مشاطرة الرجال في أعمالهم المرهقة، وأن تهجر دارها ساعات طويلة، وأن تترك أولادها يهيمون على وجوههم في الشوارع والأزقة، وهم في أشد الحاجة إلى حمايتها ورعايتها.

(462)

هذا أمر يأباه مجد الفطرة، لذلك ألهم الناس من أقدم عهودهم، أن يضنوا بنسائهم عن الأعمال الخارجية، وأن يقصروهن على الحياة الداخلية، اللّهم إ لا همجاً متوحشين يعيشون بجوار الغابات الأفريقية والاسترالية، فيجلس رجالهم لا يعملون شيئاً ويسرحون نساءهم، ليجلبن لهم ما يتسنى لهن جلبه من جذور الأشجار وأوراقها، وما يصطدنه من بعض الحيوانات الصغيرة ليقتاتوا بها، كما تفعل الوحوش الضارية، فهؤلاء لا يقام لهم وزن، ولا يعبأ بهم في الاستدلال.

وأما العلم، فقد قال كلمته الأخيرة في هذا الموضوع، لا يزال أقطابه يرددونها[953].

13- جاء في إحدى المذكرات المقدمة لإصلاح التعليم الجامعي في مصر ما يلي:

الفتاة المصرية في مسيس الحاجة إلى تربية الروح، وذلك عن طريق دراسة خاصة بها، دراسة خاصة بها، دراسة تتفق وكونها من أمهات المستقبل، فليس كل المواد التي تدرس في كلية الآداب تتفق ومستقبل الفتاة.

إن الاختلاط- بصورته الحالية في جميع الكليات- يتنافى والشرع الإسلامي، وإن الدراسة الخاصة بالفتاة لخير تحديد لمصيرها، وخير معين على حياتها المقبلة[954].

(463)

14- يقول الأستاذ شفيق جبري في كتابه أرض السحر: إن المرأة في أميركا

---

[952] - انظر كتاب الحجاب للمودودي: ص209.

[953] - انظر كتاب إسلامنا: ص219، 220 للأستاذ سيد سابق. حفظه الله ونفع به المسلمين.

[954] - يقظة الفكر العربي: ص184 للاستاذ أنور الجندي.

أخذت تخرج عن طبيعتها، في مشاركتها للرجل في أعماله.
إن هذه المشاركة لا تلبث أن تضعضع قواعد الحياة الاجتماعية، فكيف تستطيع المرأة أن تعمل في النهار، وأن تعنى بدارها وبأولادها في وقت واحد؟[955].
فالمرأة الأميركية قد اشتطت في هذا السبيل اشتطاطاً قد يؤي في عاقبة ا لأمر إلى شيءٍ من التنازع بينها وبين الرجل[956].
وقد علقت على ذلك السيدة سلمى الكزبول- من زعيمات الحركة النسائية في بلادنا، وقد زارت أوروبا وأميركا أكثر من مرة- فقالت في جريدة الأيام- تاريخ 3 أيلول سنة 1962م. قالت: يلاحظ أن النساء أصبحن يمارسن أعمال الرجال، في مصانع السيارات وتنظيف الشوارع والطرقات، فيتألم المشاهد لشقاء المرأة في صرف شبابها وعمرها في غير ما يتناسب مع الأنوثة و الطبيعة والمزاج.
وقد أسعدني ما قاله الأستاذ جبري، لأني عدت من رحلتي إلى الولايات المتحدة، منذ خمسة أعوام وأنا أرثي لحال المرأة، التي جرفها تيار المساواة
(464)
الأعمى، فأصبحت شقية في كفاحها المر لكسب العيش، وفقدت حتى حريتها، هذه الحرية المطلقة التي سعت طويلا لنيلها، إذا أمست أسيرة للآلة الدقيقة. لقد أصبح التراجع أمراً صعباً . ومن المؤسف حقاً أن تفقد المرأة الغربية أعز وأسمى ما منحها إياه الطبيعة[957]، وأعني أنوثتها، ومن ثم سعادتها، لأن العمل المستمر المضني قد أفقدها الجنات الصغيرات، التي هي الملجأ الطبيع للمرأة والرجل على حد سواءٍ، والتي لا يمكن أن تتفتح براعمها ويفوح شذاها، بغير المرأة الأم وربة البيت، ففي الدور وبين أحضان الأسرة سعادة المجتمع والأفراد، ومصدر الإلهام وينبوع الخير والإبداع[958].
وما أحسب هذه الأمثلة من الأقوال والآراء بحاجة إلى تعليق عليها، وإنني لأ رجو أن تكون درساً وموعظة تنتفع بها الأجيال في حاضرها ومستقبلها. كما أرجو المولى سبحانه أن يلهم المسلمين الرشد والصواب، وأن يجنبهم مزالق الفتنة العمياء- الكامنة في حضارة الغرب ومفاتنه- وأن يبصرهم بأمورهم قبل أن تفلت نهائياً من أيديهم، فيقعوا فريسة الانحلال والتمزق والضياع.
إن الهوى الجانح، والغرض المريض، يعميان البصائر عن رؤية الحق، ويصمّان الآذان عن سماعه، وما غاية البحث إلا الوصول إلى الحقيقة الناصعة، التي

---

[955] - ما أعدل الإسلام، وما أعز أتباعه، الجميع سعداد في ظلاله، الأسرة أمينة على مستقبلها والمرأة مصونة في كنف زوجها وأبيها، لها تصرف مشروط بعدم الإسراف في مال زوجها، ولها علي تصرفها أجر وثواب من عند الله.. فهل في الدنيا شريعة تسمو بالمرأة في شخصيتها وملكيتها وميراثها كشريعة الإسلام؟ وهل تطلب المرأة المعاصرة لهذا التشريع بديلا ً؟. اللهم لا. إلا إذا كانت من الذين طمس الله على قلوبهم فأعمى قلوبهم وأبصارهم.
[956] - المرأة بين الفقه والقانون: ص183.
[957] - بل الذي منحها هو الله سبحانه وتعالى، والطبيعة مخلوقة لا تمنح شيئاً لأحد ولا تمنعه عن أحد.
[958] - انظر المرأة بين الفقه والقانون: ص183.

يجب أن تضاف إلى سجل الحقائق العلمية الخالدة.
(465)
أقول: ألا فليطمئن دعاة الإسلام وحملة راية التوحيد، فالإسلام والحمد لله حصن منيع بذاته، ومع ذلك فهو بحاجة إلى دعاة مخلصين، مسلّحين بـ العقيدة النقية، يضحون ويعملون فلا يبخلون ولا يكسلون، ويرددون على الدوام كلمة الحق سبحانه:
(ولَيَنْصُرَنّ الله منْ ينْصُرُهُ إنّ الله لقويٌ عزيزٌ)[959].
(من ثمرات الانحطاط والاختلاط)
لا شك أن الاختلاط آفة من الآفات، ومصيبة من المصائب التي رزئت بها الإ نسانية على مر العصور.
لقد استحث الاختلاط المطلق- بين الذكور والإناث- غريزة التبرج والعُري في النساء وازدواجهن بالرجال تلوثاً بالفواحش، فالجاذبية الجنسية- التي أودعتها الفطرة في الرجل والمرأة، ولها عليهما سلطان لا ينكر- تزداد قوة واشتداداً باختلاط الجنسين، وتتخطى حدوده بكل سهولة، وهذا ما وصلت إليه الحال في المدنية الغربية وكل من حذا حذوها.
فالصور العارية والأدب المكشوف، والقصص الغرامية والمراقص و المسرحيات المشحونة بالعواطف والنزعات العارمة، وسائر وسائل الفتنة
(466)
التي ملأت جوانب المجتمع، هذه المغريات كفيلة بتحطيم كيان الأمة، و التاريخ يشهد أنه ما سرت هذه الأوبئة والآفات في مفاصل أمة إلا أوردتها التلف والفناء.
وكما هو معلوم أن من وقع بين ذراعي الغول فأنى له النجاة منه ومن غوائله وعواديه؟. والآن أريد أن أبين بشيءٍ من التفصيل ثمرات الاختلاط ونتائجه المدمرة، التي هي بمثابة السرطان الخبيث والشلل الفتاك في جسم الأمة، وهذه بعض الثمار أسوقها للعظة والاعتبار:
1- يكتب القاضي- بن لندسي- الذي أتيح له الاطلاع الواسع على أخلاق النشء الأميركي، لكونه رئيسا لمحكمة جنايات الصبيان- بدفور- يكتب في كتابه، تمرد النشء الجديد ص 322: إن الصبية في أميركا قد أصبحوا يراهقون قبل الأوان، ومن السن الباكرة جداً يشتد فيهم الشعور الجنسي.
وبحث هذا القاضي عن أحوال - 312 - صبية على سبيل الأنموذج، فعلم أن- 255- صبية منهن كن أدركن البلوغ فيما بين الحادية عشرة والثالثة عشرة من سني أعمارهن، ويوجد فيهن من أمارات الشهوة الجنسية والمطالب الجسدية مالا يكون عادة إلا في بنات الثامنة عشرة فما فوقهن سناً[960].
2- ويذكر الدكتور- اديث هوكر- في كتابه، القوانين الجنسية أنه ليس من

---
[959] - سورة الحج: 40.
[960] - انظر كتاب الحجاب: ص100، 101.

الغريب الشاذ- حتى في الطبقات المثقفة- أن بنات سبع أو ثماني سنين منهن يخادنّ لداتهنّ من الصبية، وربما تلوثن معهم
(467)
بالفاحشة. فيقول: بنت في السابعة من عمرها، من بيت عريق في الشرف و المجد، ارتكبت الفحشاء مع أخيها وعدد من أصدقائه. ونفر آخر من خمسة أولاد، يشتمل على صبيتين وثلاثة صبيان، متجاورين متقاربي البيوت، وجدوا متعلقين بعضهم بالعلاقات الجنسية، وقد حفزوا على ذلك غيرهم من الأولاد أيضاً، وكان أكبر أولئك سناً ابن عشر سنين. وبنت أخرى في التاسعة- كانت في ظاهر الأمر تحت رقابة شديدة- وجدت سعيدة بكونها حبيبة عشاق ذوي عددا!![961].

3- جاء في تقرير طبيب من مدينة- بالتي مور- أنه قد رفع إلى المحاكم في تلك المدينة أكثر من ألف مرافعة في مدة سنة واحدة، كلها في ارتكاب الفاحشة مع صبايا دون الثانية عشة من العمر[962]. وهذا كله ثمرة للبيئة المهيجة التي تتهيأ فيها عومل الإثارة والإذكاء للعواطف من كل جانب[963].

4- يقول كاتب أميركي: إن الأوضاع التي يعيش فيها معظم أناسنا في هذه ا لأيام، تبعد عن الفطرة بعداً يجعل الفتية والفتيات يشعرون بدبيب الحب في نفوسهم من السن الخامسة عشرة- وساء مصيراً- لأن هذا الولوع بالأمور الجنسية الناشيء فيهم قبل الأوان، قد يعود عليهم- بل هو دائما يعود- بأسوا ما يكون من النتائج، وأهونها
(468)
أن البنات في سن الصبا يفرون مع أخدانهن، أو يتزوجن في السن الباكرة، وينتحرن إن هن لقين في غرامهن الخيبة والفشل[964].

5- يقول الدكتور هوكر عن تمتع الجنس بالجنس، نتيجة التهاب العواطف وا لإثارة في المؤسسات: إنه لا تزال تحدث في مثل هذه المدارس والكليات، ودور التربية للمرضات والمدارس الدنية، حوادث من تسافح الوالدين مع الجنس الواحد فيما بينهما، وقد تلاشى- أو كاد- ميلهم الطبيعي إلى الجنس ا لآخر[965].

6- وللمصلحين الأخلاقيين في القطر الأميركي مجلس يعرف باللجنة الأربعة عشرية، يُعْنى بالفحص عن مكامن الفجور، والتحقيق في حالة البلاد الخلقية ، واتخاذ التدابير العملية لإصلاح الأخلاق على نطاق واسع، وقد جاء في تقريرها: إن كل ما يوجد في البلاد الأميركية من المراقص والنوادي الليلية،

---

[961] - نفس المصدر: ص101.

[962] - نفس المصدر: ص101، 102.

[963] - ما أروع شرع الإسلام، وما أسمى أحكامه، فقد سد باب الذرائع وأقفله بإحكام، وحسم دابر الفتنة، وكفل لأتباعه العزة والكرامة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: (مُرُوا أولادكم بالصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشرٍ وفرّقوا بينهم في المضاجع).

[964] - انظر كتاب الحجاب: ص103.

[965] - انظر كتاب الحجاب: ص108.

ومحال الزينة وحجرات التدليك ومراكز تمويج الشعر، قد أصبح جلها مواطن للفجور ودوراً للبغاء، بل هي أقبح منها وأشنع، لما يرتب فيها من الرذائل التي لا تصلح للذكر[966].

7- كتب {بوب بيورو}: من العادة الجارية في طبقة العاملين في فرنسا، أن المرأة منهم تأخذ من خدنها ميثاقاً- قبل أن يعقد بينهما النكاح- أن الرجل سيتخذ ولدها الذي ولدته قبل النكاح ولداً شرعياً له[967].

8- وكتب بيبل- زعيم الحزب الديمقراطي الألماني بلا تحرج: وهل الرجل و المرأة إلا نوع من الحيوان؟! هل يكون بين أزواج الحيوانات شيءٌ من قبيل النكاح[968] بله النكاح الأبدي[969]؟!

وقد بلغ الانحطاط الخلقي إلى الدرك الأسفل، حيث إنه لم يعد الآن من الغريب الشاذ وجود العلاقات الجنسية بني الأقارب في النسب، الأب والبنت، والأخ في بعض الأقاليم الفرنسية، وفي النواحي المزدحمة من المدن[970].

9- أذاعت وكالة رويتر: ظهر/ 25/ ألف طفل غير شرعي في ولاية لويزيانا ا لأميركية، فناشدت اللجنة المشرفة على شؤونهم الشعب الأميركي مد يد المعونة لهؤلاء الأطفال، حتى يجدوا الغذاء والكساء[971].

10- رفع إلى محكمة لوران فتاتان قتلتا أولادهما، لكن أعفيتا

(470)

من العقوبة، وكانت إحداهما قد أهلكت ولدها بالإغراق، على حين كان أقاربها لا يزالون يربون لها ولداً سابقاً، وكانوا مستعدين أن يربوا لها هذا الآ خر، ولكن الظالمة أبت إلا أن تقتل المسكين، وارتأت المحكمة الفرنسية أن جرمها هين يغتفر.

وأما الأخرى فخنقت طفلها، ولما رأت فيه بعض حشاشة نفس تضطرب رمت به عرض الحائط فشجت رأسه. وهذه أيضاً لم يرها القضاة الفرنسيون تستحق العقوبة والقصاص[972].

---

[966] - نفس المصدر: ص94.

[967] - نفس المصدر: ص24.

[968] - نفس المصدر: ص80.

[969] - هذه هي قيمة الحضارة الغربية القائمة على ذبح الكرامة والخلق، التي سقطت ولفظت آخر أنفاسها. وقد أفصح عن ذلك إخوة القردة الذين غرقوا في أوحال الجريمة حتى الأذقان، فقال أحد زعماء الحزب الديمقراطي الألماني- وبلا تحفظ- بأنه لا يوجد بين الإنسان والحيوان أية فوارق في النكاح ومستلزماته، فلا غرابة عند هؤلاء إذا ما عانق الرجل الفتاة في الشارع، أو جامعها حسب هوايته على مشهد كما تفعل بعض البهائم- ولا أقول كل البهائم- لأن بعضها يحترز من هذه العملية التي يترفع القلم عن ذكرها، ولا يأتيها إلا في خلوة!.

ويزول العجب إذا ما علم السبب، حيث إن نظرية داروين- العجيبة الغريبة- تنص على أن الإنسان متطور، وقد مر في عدة مراحل، حيث كان حيواناً، ثم تطور إلى قرد.. أو العكس.. الخ.

[970] - انظر كتاب الحجاب: ص80.

[971] - راجع صوت الإسلام: عدد 104 والإسلام في قفص الاتهام: ص220.

[972] - ونحن بدورنا نرد على المتطاولين من المستشرقين- كبرو كلمان- من الذين أطلقوا ألسنتهم وأقلا مهم للنيل من الإسلام والمسلمين، عن طريق المرأة المسلمة، فإننا ندعوهم ليتجهوا أيضاً بعنايتهم إلى مشكلة المرأة الغبية الضائعة، التي تمر بمأساة قاسية تهدد كيانها وكيان الأسرة الغربية عموماً، وتهدد

وفي سنة 1918م نفسها جيء إلى محكمة السين براقصة، حالت نزع لسان ولدها من حلقة، ثم حطمت رأسه، وأخيرا قطعت منه الوتين، ولم تكن هذه المرأة مجرمة عند القضاة أو المحامين!![973].

فهل ترى من حيلة أو تدبير يخلص أمة من البوار، تمعن إلى هذا

(471)

الحد الفاحش في عدائها لنسلها، كما فعلت تلك النسوة الفاسقات، اللواتي قمن بأعمال إجرامية لا يجرؤ عليها الحيوان الأعجم؟!

(أولئك كالأنعامِ بلْ همْ أضلّ أولئك همُ الغافلون)[974].

11- يقول القاضي لندسي: إنه يسقط في أميركا مليون حمل- على أقل تقدير- في كل سنة، ويقتل آلاف من الأطفال من فور ولادتهم[975].

أقول: هذه حصيلة الاختلاط وتحرير المرأة ومساواتها بالرجل- كما يقول الواهمون- وما ذكرناه لخير دليل على سقوط دعاة تلك الخرافات. وأميركا التي تتبجح بحماية الإنسان وحفظ حق العيش له، هي أيضاً مع شقيقاتها الغربيات تعيش الظلمة والانتحار[976]. لا أريد أن أسهب في هذه التفاصيل المؤسفة المحزنة، ولكن أرى مع ذلك

(472)

ألا أختتم هذا الجانب. بدون أن أورد فيه مقتبسات من كتاب تاريخ الفحشاء- لجورج رائيلي اسكات- هذا الانجليزي الذي يكتب وهو يشير إلى حالة بلاده الفاسدة فيقول بعد كلام طويل:

مستقبل الجيل الجديد.

نحن نذكرهم بأن الآلاف من المواليد في الغرب- الذين لا يعرفون لهم آباءً- مشكلتهم هذه هامة تحتاج إلى حل، والمشردات من النسوة.

وقد ذكرت الإحصاءات الرسمية أنه من بين كل تسعة أطفال ولدوا في لندن خلال عام 1960م احد لم تتزوج أمه، وأثبتت الإحصاءات أيضا أن عدد المواليد في لندن بلغ 57368 طفلا بالإجهاض!!.

فأين حل المشكلة؟ أليس في الإسلام حلها؟. والمتفرنجة يعرفون أين الحل، ولكن الحقيقة مرة. راجع الإسلام في قفص الاتهام: ص218.

[973] - راجع الحجاب: ص98.

[974] - سورة الأعراف: 179.

[975] - انظر الحجاب: ص114.

[976] - نحن لا نتجنى على حضارة الغرب ودعاتها- الساقطين- ولكننا نريد لهم أن يعودوا إلى رشدهم و لا يلمزوا غيرهم، لذلك نريد أن نذكرهم بهذا المثال- وهو غيض من فيض- نذكرهم بالمذبحة الجماعية التي حصلت في قلب الولايات المتحدة الأميركية، وبالتحديد في ولاية غايانا، حيث قام جماعة معبد الشعب بأكبر عملية انتحارية عالمية، ذهب ضحيتها حوالي 800 شخص من الرجال والأطفال و النساء.

هذا ما حدث في مطلع عام 1979 وتناقلته وسائل الإعلام في حينه، أما دوافع هذه العملية الا نتحارية، فهي خروج أولئك القوم على تعاليم السماء وانقيادهم لأمر الهوي والشيطان، الذي عبدوه من دون الله، حيث انساق هؤلاء وراء الشهوات والضلال، وتعظيما لشخصية زعيمهم الشهواني المجرم، و الشيطان الأثيم الذي جرهم إلى هذا المصير الأسود.

ونحن إذا أردنا تحليل ذلك فلا يعدو أن يكون دليلا ً على المستوى الحضاري الهابط للحضارة الحديثة، التي يعيش في مستنقعاتها أبناء الغرب، صاحب دعوات الحرية والانعتاق من قوانين الأخلا ق والسلوك الإنساني السوي.

.... وإن لحرية النساء يداً لا تنكر في إيجاد هذه الأحوال. وقد بلغ من ضعف رعاية الآباء ورقابتهم لبناتهم[977] أنه قد تهيأ لهن من الحرية والانطلاق، ما لم يكن ميسوراً حتى للآباء قبل ثلاثين أو أربعين عاماً. ثم يقول:

والسبب الخطير- الذي قد عمت لأجله الفوضى الجنسية في المجتمع أن النساء لا يزلن يتهافتن على الأشغال التجارية، ووظائف المكاتب والحرف المختلفة، حيث تسنح لهن فرص الاختلاط بالرجال صباح مساء، وقد حط ذلك من المستوى الخلقي في الرجال والنساء، وقلل جداً من قوة المدافعة في النساء لاعتداءات الرجال علي عفتهن، ثم أطلق العلاقة الشهوانية بين الجنسين من القيود الخلقية..

فالآن أصبحت الفتيات لا يخطر ببالهن الزواج، أو الحياة العفيفة الكريمة، حتى صار اللهو والمجون- الذي كان يطلبه في الزمان الغابر أوغاد الناس- تطلبه كل فتاة اليوم.

وأمست البكارة والفتوة شيئاً من آثار الماضي- يؤود حفظهما فتاة العصر الجديد، فليست متعة الحياة عندها إلا من يعب لها كأس

(473)

اللذات في الشباب، فهي تسعى وراء تلك اللذات، وتبحث عنها في المراقص والأندية الليلة والفنادق والمقاهي، وربما أمعنت في بحثها هذا إلى أن تصحب رجلا ً أجنبياً إلى نزهة نازحة في السيارة، وبذلك تلقي بنفسها راضية مختارة إلى بيئة وأوضاع تشعل النزعات الجنسية إشعالا ً، ثم هي لا تخاف النتائج الطبيعية لذلك، بل ترضى بها وتستقبلها بطيبة نفس[978].

12- وقد جاء {أميل بوريسي} في تقريره بأمثلة متعددة من أحوال المسارح والملاهي، دونت بعد جولات في مختلف الملاهي والملاعب، فيقول عن واحدة منها، وقد كنا بحرف الهجاء س قال:

وفي مسرح س ألحّ النظارة على ممثلة، فحملوها مرة بعد أخرى على إعادة عرض متماد في الفحش، حتى صاحت بهم قائلة: فاتلكم الله يا فجار!! ألا ترون أن بجانبكم في هذه القاعة صغاراً؟!

من المسرحية، فكان ذلك العرض بالغاً في الدناءة والفحش، إذ لم تصبر على تكراره حتى تلك الماجنة المعتادة[979].

13- نشرت مجلة حضارة الإسلام الخبر التالي[980]: وافق مجلس الشيوخ الأ ميركي- من مدة قصيرة- على مشروع قانون يسمح للمحاكم

(474)

بمعاقبة الأمهات غير المتزوجات، اللواتي ينجبن طفلين أو أكثر، بالسجن من

---

[977] - ويجب أن نتؤكد أن الإسلام قد اعتنى بالأبناء، منذ لحظة التفكير في إقامة الأسرة، وأحاط وجود الأبناء بهالة من الكرامة والعناية، وألزم الآباء برعايتهم جسمانياً وروحانياً ووجدانياً.

[978] - راجع كتاب الحجاب: ص116، 117 للمودودي رحمه الله.

[979] - انظر كتاب الحجاب: ص87.

[980] - المجلد الثاني: ص489.

سنة إلى سنتين[981].
14- نشرت مجلة حضارة الإسلام في عددها الرابع، المجلد الثالث: ص443 ما يلي: في بعض الحفلات الخيرية[982]- في بلاد الغرب- تنظم مزايدات على قُبل الكواكب المعروفات، وقد دفع أحد الأثرياء في انجلترا- خلال الحرب العالمية الأولى- في حفل جرى 12.000 جنيه مقابل تقبيل إحدى الممثلات المعرفات حينذاك. ودفع آخر منذ بضعة أشهر 15000 جنيه في مناسبة مشابهة. وقد أوصى ثري في مانشستر ب- 25.0000 جنيه لفتاة، تقديراً لقبلة منحته إياها أثناء
(475)
إحدى حفلات عيد الميلاد[983].. أي ميلاد السيد المسيح، نبي الطهر والعفة و الحياء.
15- ونشرت مجلة حضارة الإسلام في عددها الثالث- المجلد الثالث: ص 331 ما يلي:
اكتشف المحقق الذي يدرس قضية انتحار- مارلين مونرو- أشهر ممثلة ع المية- رسالة محفوظة في صندوق الأمانات- في مانهاتن بانك- في نيويورك ، ألقت هذه الرسالة بعض الأضواء على انتحار مونرو، إذ وجد على غلافها كلمة تطلب عدم فتح هذه الرسالة قبل وفاتها.
فتح المحقق السالة فوجدها مكتوبة بخط مونرو بالذات، وهي موجهة إلى فتاة تطلب نصيحة مونرو عن الطريق إلى التمثيل. قالت مارلين في رسالتها إلى الفتاة، وإلى كل من ترغب بالعمل في السينما:
احذري المجد: احذري كل ما يجدعك بالأضواء. إني أتعس امرأة
(476)

---

[981] - أقول: مسكينية بنت حواء الغربية، أخرجوها من بيتها، ودفعوها لتعمل في المصانع والمحلات المتخللطة، فلما أنتجت هذه الفلسفة نتيجتها الطبيعية، قاموا يعاقبونها بالسجن سنوات عديدة، وهم أعلم الناس بأسباب هذه الجريمة البشعة، أما المرأة المسلمة، التي حفظ لها الإسلام كيانها وقيمتها، فهي والحمد لله مصونة مكرمة، لها حقوقها الأبوية والزوجية، وقد صانها الإسلام ورفع من قدرها فلتهنأ بسعادة الدنيا ونعيم الآخرة.

[982] - ما شاء الله، الغربيون لا يزالون بخيرا! حيث تنتشر أعمال البر والإحسان في جنبات المجتمع هنا هناك، ومع ذلك فالعمل الخيري عندهم يختلف عما ألفه أبناء الشرق المسلم، حيث تختلف صوره وأنماطه وتتنوع فصور الخير والإحسان عندهم تقوم على تنظيم حفلات الدعارة والقذارة للترفيه، تحت شعار أعمال الخير والبر، وعندما يفتح باب الاكتتاب تنظم المزايدات والمسابقات العلنية لتقبيل الكواكب الفاتنة والممثلات اللامعة، ويرصد ريع هذه الحفلات الشيطانية الساقطة للانفاق على مصالح الخير.
أقول: إنها المأساة المروعة، والهبوط إلى درك الرذيلة، إذا هكذا سقطت إنسانية الغربيين، وانسلخوا عن فطرتهم، فهل يقام الخير في مستنقع الرذيلة؟! وأنى لهم ذلك. وفاقد الشيء لا يعطيه؟!

[983] - هكذا ينتشر الفجور والفسق البواح من أقوام يدعون- زوراً وبهتاناً- أنهم من أتباع نبي الله ورسوله المسيح ابن مريم البتول، هذه السلالة الطاهرة المطهرة التي جبلت على العفة والحياء، ومع ذلك فقد ادعى أناس أنهم من أتباعها، ولو كان عندهم ذرة من إيمان أو مسكة من عقل لما نزلوا لهذا المستوى الهابط، فهم لا شك قوم لا خلاق لهم، فما أقل حياءهم، وما أكثر ضلالهم، ويا ليتهم حفظوا م اء وجوههم وترفعوا عن دناءاتهم في مثل تلك المناسب العظيمة.

على هذه الأرض[984]، لم أستطع أن أكون أماً. إني امرأة أفضل البيت والحياة العائلية الشريفة على كل شيءٍ. إن سعادة المرأة الحقيقية في الحياة العائلية الشريفة الطاهرة، بل إن هذه الحياة العائلية لهي رمز سعادة المرأة، بل الإنسانية. وتقول في النهاية: لقد ظلمني كل الناس. وإن العمل في السينما يجعل من المرأة سلعة رخيصة تافهة، مهما نالت من المجد والشهرة الزائفة، إني أنصح الفتيات بعدم العمل في السينما وفي التمثيل، إن نهايتهن إذا كن غافلات كنهايتي[985].

وبعد: فهذه أيُها القارىء بعض الثمار التي أنضجتها تربة الغرب وحضارته العفنة، وهي كما ترى ناتجة عن أوضاع شاذة وأنظمة فاسدة وضعها البشر، كدعوة الاختلاط وتحرير المرأة وما شابه ذلك، وهي تمرد على سنن الحياة. وليعلم أن ثمار الاختلاط- التي جناها الغربيون ومن سلك سبيلهم- ما هي إلا نتائج انحطاط المجتمع وعدم كبح جماح شهواته، أما آداب

(477)

الإسلام ومزاياه الفريدة، فهي محل ثقة وطمأنينة، لأنها من عند الله الذي خلق فسوى.

ولنحذر رياح السموم التي هبت على ديارنا، وافدة من أرض فاسدة. وقد انجرف بعض أبنائنا وراء غايات وأفكار الغربيين المدسوسة، وقلدوهم، واستوردوا مفاسدهم، مع أن في الإسلام الحل الشافي المشاكل البشرية، فهو يمزج الأخلاق بالقانون، فيجعل الحارس هو رقابة الله في ضمير المسلم ، وفي هذا يقول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الإحسان أنْ تعْبُدَ الله كأنك تراه فإنْ لم تكنْ تراه فإنه يراك)[986].

وحسبنا بما قدمنا أن تكون عبرة للمعتبرين وتذكرة للمبصرين، لتنتفع بها الأ جيال بعد أن غفل عنها بعضهم فسقط في تجاربها المرة. والسعيد من اتعظ بغيره، وكان له من الماضي عبرة للمستقبل.

هذه هي نصيحتي. والدين النصيحة: (وذكِّرْ فإنّ الذّكرى تنْفعُ المُؤمنين)[987].

(478)

(الثقافة والتعليم)

---

[984] - رحم الله أيام زمان، عندما كانت المرأة فيها إنسانية لها قيمتها وكرامتها، بعيدة عن سفاسف الحضارة الزائفة وقشورها، كما هو حال امرأة هذا العصر المضطرب، فقد عمت المفاسد وانتشر المجون ودواعيه، كالملابس الفاتنة والأحذية الطويلة والمساحيق، وهز الوسط والصور الجنسية الفاضحة، وزئير الموسيقى والأنغام الشجية، وكثرت الملاهي والمنتديات ووسائل الإعلام- وما تنشره من صور عارية وأفلام ساقطة- والسهرات المختلطة التي غلفها الظلام، وضاقت بأنفاس المخدرين المعربدين.

[985] - انظر كتاب المرأة بين الفقه والقانون للمرحوم الدكتور مصطفى السباعي، رحمه الله رحمة واسعة.

[986] - فقرة من حديث طويل رواه البخاري. راجع جواهر البخاري: ص53، 54.

[987] - سورة الذاريات: 55.

مقدمة:
يسود العالم صراع بين الثقافات، كما أن فيه صراعاً بين الكتل والمعسكرات، وتتقاسم العالم المعاصر ثلاث ثقافات، تمتد كل منها في منطقة كبيرة من مناطق العالم، إحداها الثقافة الإسلامية التي تسود العالم الإسلامي، تمتد جذورها في كل بلد، منذ دخول الإسلام وانتشاره في ذلك البلد. والثقافتان ا لأخريان ترجعان إلى أصل واحد، وهما الثقافة الديمقراطية والثقافة الاشتر اكية، ويمكن أن تطلق عليهما اسماً جامعاً مشتركاً يدل على وحدة أصلهما وهو: الثقافة الغربية. وليستا حالياً إلا فرع من شجرة واحدة ولونان، أو شك لان لمادة أصلية مشتركة. على ما بين الثقافتين الديمقراطية والاشتراكية من تنافس وتزاحم وتصارع، فإنهما تقفان كليهما بالنسبة للثقافة الإسلامية موقف الغزو والهجوم، وهدفها إزالتها وتغيير معالمها، وصبغ أهلها وأصحابها بصبغتهما، لكي تحل إحداهما محل ثقافة الإسلام.
وستقف يا أخي على الحرب الرهيبة، التي يشنها أبناء جلدتنا على ديننا وعقيدتنا، وكيف يسددون الضربات المميتة في قلب أمتنا، والتي يعجز عدونا الأكبر أن يسددها لمقاتلنا وصدورنا بطعناته القاتلة.
وبالإضافة إلى هذا فإننا نهدف لإيصال النور إلى البصائر التي فقدت

(479)

أو كادت تفقد نور الحقيقة، وهناك من اغتبط بهذا العمى ولا يرون له بديلا[988].
فهؤلاء القابعون على الغواية والعمى مفروغ منهم، إذ هم كأولئكَ الذين قال الله تعالى فيهم: (أفَرَأَيْتَ من اتخَذَ إلهَهُ هَوَاهُ وأضَلَّهُ اللّه على علمٍ وخَتَمَ على سمْعِهِ وقلبِهِ وجعلَ على بصرهِ غِشَاوَةً فمنْ يهْديه منْ بعد اللّه أفلا تذكرونَ)[989].
فهؤلاء الذين استحبوا العمى على الهدى، وأضلهم اللّه على علم، لو قدر للنور أن يرجع إليهم لقطعوا تياره بأيديهم، ولعادوا إلى ظلامهم لأنهم من النوع الذين قال اللّه فيهم: (ولوْ علمَ اللّه فيهمْ خيْراً لأسْمَعَهُمْ ولوْ أسْمَعَهُمْ لتولَوْا وهُمْ مُعْرِضون)[990].
ونحن نريد أن نذكِّر لكي ينفذ النور ويكشف ما تحت الأستار.
وبإزاحة حجب التدليس والشعوذة عن الأبصار، قد يدرك من فاته الإدراك، لما أحاطه من لبس وتمويه وضياع، حيث الدعوات البراقة الجوفاء، والضلا ل الكثيف الذي أغلق منافذ الرؤية، وعمى القلوب والأبصار. وفي الفقرات الآ تية ستقف على الآفات المختلفة، التي صدّعت بنية المجتمع الإسلامي ووحدته المتينة، وبالتالي إيجاد الوسائل والطرق الممكنة لتفادي هذا التصدع، والشرخ الذي بدأ ينخر في جسم الأمة، وخاصة ما يتعلق بحياة

---

[988] - بتصرف من كتاب صراع مع الباطل: ص50- 52.
[989] - سورة الجاثية: 23.
[990] - سورة الأنفال: 23

الناشئة، من حيث التعليم والمدارس
(480)
والجامعات والاختلاط، وما يتعلق بالأساتذة بالمعاهد العليا، ومناهج البحث والتدريس وغيرها من وسائل الثقافة والإعلام.

التعليم المدني:
إن للجامعات والمعاهد والمدارس خطراً كبيراً على عقائد طلابنا وأخلاقهم، لا يماري فيه إلا مكابر مغالط لا تهمه مصلحة هؤلاء الطلبة المسلمين، الذين لهم كيان خاص بهم، والذين هم عرضة للتيارات الفاسدة التي قد تجرفم في مقاعد الدراسة، حيث لابد من توفير الجو المناسب لأمثال هؤلاء الطلاب، وإيصال المعارف النافعة والمحصولات العلمية، التي هي أشبه ما تكون بـ المناعة والمصل الواقي، لحماية هذا الجيل من الوقوع في المحظور، و التزود بالثقافة الإسلامية النافعة.

(كيف يعيش طلابنا خارج الجامعة)
لا يخفى على أحد بأن الشباب في حد ذاته جنون، وأعني بذلك أنه قد تسيطر عليه تيارات جارفة، وتجرفه إلى ما لا يرتضيه المنطق السليم، وما يتنافى مع القيم الإسلامية، لأنه بطبيعته نزّاع إلى الشهوات، حتى في الأجواء التي يغلب عليها طابع التحفظ والاحتشام، وتسيطر عليها قوانين الفضيلة والالتزام. فكيف بهذا الشباب الوثاب بطبعه إلى الارتواء من الشهوات، إذا أطلق له العنان في مضماره، وعاش في ذلك الجو الزاخر بكل ما يُغري الشباب، ويدعوهم إلى التمتع باللذة المحرمة،
(481)
التي هي من أبرز ما يهفو إليه الشباب بطبعه الدفاع؟! كيف بهذا الشباب إذا بقي- وهو النزاع إلى الشهوات- يعيش سنوات طويلة في ذلك الجو، الذي لا يتاح فيه جريمة الزنا فحسب، بل يوجد فيه ما يحيط بالشباب من الدوافع القوية المختلفة، التي يجد الشباب نفسه أحياناً أسيراً وسطها، تدفعه بصورة شبه إجبارية إلى الانغماس في هذا الإثم المدمر، الذي يؤدي بصاحبه إلى أسوأ العواقب.
اعتقد أن النتيجة ستكون غير مرضية بالنسبة لهؤلاء الفتيان، الذين ابتعثوا باسم العلم، أو الذين أرسلهم أهلهم لمتابعة تحصيل العلوم بلا مراقب ولا حسيب، في مجتمع فيه الاستهتار والمجون والخلاعة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار. إن الشاب إذا بقي طويلا ً يسرح ويمرح في مجتمع تباح فيه جميع وسائل الانحراف والمجون، من خمر ورقص وغناءٍ ومسارح واختلاط وتبذل، وليس فيه أي حائل يحول بين الشباب وبين مخادنة من يرتضيها الخدن وترتضيه من النساء، وليس في معاهد العلم- التي يتلقى الدروس فيها- ما يغرس في نفسه روح الفضيلة والعفة، ويبغض

إليه الاقتراب من هذه المواطن الخطرة، بل فيها ما يغريهم بالانغماس في مزابلها، ومثل هؤلاء الذين يقذفون إلى تلك المجتمعات- الطلاب- الطافحة بـ المجون والفساد، كمثل ذلك الذي قال فيه الشاعر:

ألقاه في اليم مكتوفاًوقال له:		إياك إياك أن تبتلّ بالماء

(482)

إن فلذات الأكباد من شبابنا الذين تدفع بهم بلادنا، لتلقي العلم في تلك الجهات، والتي شأنها في التعليم ونظامها في الحياة كما ذكرنا، حيث يستوي فيها من تابع دراسته في جامعاتنا العربية أو أرسل إلى البلاد الأ جنبية، لأن التخطيط الغربي الأنظمة المعمول بها في جامعات الغرب، قد انتقلت عندنا بسمومها الناقعة وبجراثيمها القاتلة، فإذا ذهبت إلى جامعة عربية تدهش ويصيبك الذهول لما ستراه، من حيث الاختلاط والخلوة، بانفراد الشاب مع الشابة حتى في برك السباحة وغيرها.

مما يندي له جبين الإنسانية لهذا التهور والانحراف والشذوذ الأخلاقي، و الذي كان يأباه ابن الجاهلية الأولى. وماذا سيكون المردود لهذا الطالب الجامعي والفتاة الجامعية؟. لا شك أن المردود سيكون شراً على الأمة و العقيدة، وسموماً على الآخرين، وسيجلب هؤلاء الشر أكثر مما يجلبون الخير.

ذلك أنهم ليسوا ملائكة ولا أنبياء، حتى يستطيعوا التغلب على نوازع الفساد ، ودواعي الشهوة التي تحيط بهم من خلفهم وأمامهم ومن فوقهم ومن تحت أرجلهم. لاسيما وأن مرحلة الدراسة هذه هي مرحلة جنون الشاب، التي يكون فيها الشباب عادة تواقاً ينهم إلى إرواء شهواته الجسدية كما قال الشاعر:

قالت: عهدتك مجنوناً. فقلت لها:		إن الشباب جنون برؤه الكبر

وتوقان الشباب إلى الشهوات في هذه المرحلة ليس مرضاً، وإنما هو

(483)

طبيعة. قال تعالى: (سُنّةَ اللّه في الذين خَلَوْا من قَبْلُ ولن تجدَ لسُنّة اللّه تبديلا ً)[991].

فكل رجل كامل الرجولة، وفتاة كاملة الأنوثة لا شك أنهما قد مرا بهذه المرحلة الجياشة بنوازع الشباب القوية، ودوافع الشهوة الجنسية العرمة، ولهذا فإن علماء التربية وقادة الفضيلة يعتبرون هذه المرحلة من أدق

---

[991] - سورة الأحزاب : 62.

المراحل، التي يجب فيها التنبه للشباب وحمايتهم، والابتعاد بهم عن كل ما يزيد غرائزهم الجنسية التهاباً، ويزيد شبابهم جنوناً على جنون. فالموضوع إذن لا يخلو من الخطر على هؤلاء الشباب، بل إن عنصر الخطورة فيه يكاد- على ضوء التجارب المعروفة والتي يعيشها أولئك- يظهر مجسداً للعيان .
نعم، نحن لا ننكر أن هناك شباباً لهم من المناعة الدينية والخلقية- التي اكتسبوها بالتربية منذ الصغر- ما يجعلهم في مستوى أفضل، من حيث الا بتعاد عن مواطن الإغراء ودواعي السقوط، ورفض النظريات التي تدعو إلى الاستهتار بالإسلام وتعاليمه وعقائده في فصول الدراسة، وذلك بما اكتسبوه من تسلح ديني مركز، وخلق إسلامي متين قبل الذهاب للجامعة، سواءٌ كان في جامعات بلادنا في الداخل، أو بعد مغادرة البلاد للجامعات الأجنبية، ويتصلون بالمجتمعات الخطيرة، ولكن هذا لا يعني أن كل المطعمين باللقاح الديني والخلقي المكتسب في بلادهم يصمدون حتى النااية في وجه تيارات المجون المغرية،
(484)
وعواصف الانحراف المدمرة، التي يجبرون عليها يومياً نتيجة الاحتكاك والا ختلاط، في الجامعة وفي الشارع وفي المطعم وفي وسائل النقل وغيرها[992].
فكثير من هؤلاء لا يستطيعون الصمود طويلا ً أمام هذه التيارات، و العواصف المضنية للنفوس المحافظة، بل ألقوا السلاح بسرعة غير منتظرة واستراحوا من عناء المقاومة، فجاروا التيار واستجابوا لنداءات الشباب وصيحات المراهقة، التي أطلقها أمثالهم، فوقعوا في المفاسد والمنكرات التي ما استطاعوا منها النجاة.

(خطر انتداب المدرسين):

ظهر في الآونة الأخيرة اتجاه خطير، أعلنت فيه الحرب على القيم والفضائل والتراث الإسلامي كافة، حيث ظهر الإلحاد وتفشت الإباحية في الدراسات الجامعية، ومن المعلوم أن معاهد العلم عندما تستقبل كل عام أفواجاً من الأ ساتذة، يفدون إليها لأجل التدريس- وخاصة الأساتذة المنتدبين- ومن بينهم أساتذة تخرجوا في جامعات مشبوهة، لاسيما إذا ما كان تخصصها واتجاهاتها وميولها بعيداً عن النزعة الدينية. وقد احتضن أمثال هؤلاء الأ ساتذة معاهد جامعات غربية، وأشرف عليهم أساتذة أجانب، لاسيما إذا ما كانوا من المستشرقين أو ممن لهم ميول للتبشير أو محاربة الدين وتشربوا بنزعات إلحادية.
كذلك هناك اتجاه في الدراسة الجامعية فيه استهتار بالأديان، واستهتار
(485)

[992] - راجع كتاب صراع مع الباطل بتصرف، ففيه نفع كبير. جزى الله مؤلفه عنا خيراً.

بالإسلام بنوع خاص، والطلبة حينما يرون الأساتذة يلقون إليهم بمثل هذا الآ راء الشيطانية، وبمثل هذه الاتجاهات، يسهل عليهم الانحراف، بل ويشككون في عقائدهم وفي دينهم.

ولا أخطر على شبابنا مما نسبة بعض الأساتذة، الذين لا يربطهم بالإسلام إلا الإسم، ومن هؤلاء من تصدروا للتدريس حتى إنهم أصبحوا مديرين للجامعات، تلك النسبة التي تشدق بها ورفع عقيرته متجنياً على الإسلام وأهله، مفترياً بأن الدين قد ذهب بأمن الحياة ذاتها.

ولا يخفى على أحد انتشار الخلاعة والانحراف الخلقي، وهو المردود على فلذات أكبادنا، والمستعاض عن التقويم السليم والخلق القويم، كما أن الا ستهتار قد بلغ ذروته، حيث يكاد الفتى أو الشاب يجر الفتاة المستهترة من ثيابها، وهو يقلبها رأساً على عقب أمام أهلها وإخوتها وغيرهم، باسم العلم و التقدم والحضارة.

كذلك منن المؤسف حقاً أن بعض أساتذة الجامعة المنحرفين، ودعاة الإلحاد، قد انبرى أحدهم داعياً إحدى بناته لمراقصتها- الروك أند رول- ليكون القدوة السيئة لغيره، ولم يكن هذا مجرد صدفة ولكنه حقيقة واقعة. وقد حصل منذ سنين على مرأى ومسمع غيره ليجاريه من يجاري، وليس هذا بعجيب، ويصدق على هذا الضرب والأنموذج ما قاله الشاعر:-

(486)

إذا كان رب البيت للدف ضارباً		فشيمة أهل البيت كلهم الرقص

أجل، لقد حصل ذلك حقاً، حيث إن أستاذاً جامعياً دعا عدداً من الطلبة الشبان إلى بيته، وبعد شرب الشاي راقص بعض الشباب بنته- تلك الرقصة المسماة الروك أند رول- ترفيهاً احتساباً منه، وهذا ما نشرته الصحف و الجرائد آنذاك. ويا هول ما نشرت[993].

إذن فهؤلاء الأساتذة الجامعيون- المنتدبون[994] لتثقيف أبنائنا- ليس لديهم من العلم إلا ما تحصلوا عليه داخل هذه الجامعات، على أيدي أمثال هؤلاء ا لأساتذة المشبوهين.

وهذا أمر لا يخفى ما فيه من الخطورة علينا، لأن لنا كياناً خاصاً يختلف عن كيان جميع بلدان العالم، وهذا هو الكيان الإسلامي الذي نحاول حمايته و الحفاظ عليه، وسط هذه العاصفة من التيارات الجارفة، والمبادىء الهدامة المستوردة والعادات الفاسدة التي أحاطت بنا من كل جانب، والتي أخذت

---

[993] - انظر صراع مع الباطل بتصرف: ص56.

[994] - ومما يذكر أن الجامعات العربية تفضل حملة الشهادة الغربية- من أبناء العرب- للتدريس فيها، وذلك يجر من الفساد كل ما تعلمه هؤلاء في الغرب، من أشكال الحياة الأوروبية الفاسدة، فإن لم يجدوا جلبوا الأساتذة الغربيين بأبهظ الأجور.

تتحفز لاكتساحنا وهدم كياننا الإسلامي، الذي لا حياة لنا إلا به. ومما لا جدال فيه أننا لا نستطيع الاحتفاظ بكياننا وسط هذه الدوامة الخطيرة من المبادىء التي تغتلم حولنا، والتي هي- بالإجماع- حرب على كياننا هذا، إلا إذا ضاعفنا وسائل الوقاية وأسباب الدفاع عن هذا الكيان الخاص، وذلك لا يتم إلا عن طريق

(487)

التربية والتعليم، فهذه الآلاف المؤلفة من شباب المدارس وأطفالها، هم وحدهم الذين يمكن الاعتماد عليهم للحفاظ على كياننا الإسلامي وتركيزه- إذا ما تم في جميع مراحل تعليمهم تركيز الوعي الإسلامي منذ الصغر- تركيزاً خاصاً وعلى درجة ممتازة جداً، تجعلهم يتدرجون في مدارج الثقافة الإسلامية العميقة الواعية الواسعة، حتى نهاية مرحلة التعليم. وهنا سيعتبر كل واحد منهم نفسه مسؤولا عن حماية هذا الكيان، الذي سيشعر- عن صدق وإيمان وإدراك- بأنه الكيان الذي لا حياة له ولا سعادة له بدون استقامته وتعضيده، وهنا- بالتأكيد- سيقف الكيان الإسلامي شامخاً كالعملاق الجبار، يدوس بقدمه كل محاولة تحاول النيل منه والتأثير عليه، وستنزاح أمامه- كالأقزام- كل المبادىء الهدامة المستوردة، والتيارات الفاسدة المتعفنة التي تحالفت اليوم ضده، وأجمعت على الفتك به، وأخذت- فيما وراء الحدود- تتحفز للقضاء عليه، ولكن هذا الحلم الجميل لن يتم أيضاً إلا إذا تولى الإشراف على تربية وتثقيف هذه الآلاف من الشباب والأطفال في مدارسنا أساتذة عرفوا حقيقية الإسلام، وامتزجت نفوسهم بثقافته السامية ومعارفه ، بحيث تصبح هذه المعارف والثقافات في مقر القيادة العليا لباقي ثقافات الأساتذة للضبط وتقويم الاعوجاج.

(488)

(استيراد الثقافة المنحرفة)

لعل أخطر مسألة نتعرض لها في بحث الثقافة والتعليم، هي مسألة استيراد الثقافة، تلك النقطة الهامة التي يترتب عليها نتائج سلبية للآثار المدمرة التي تنعكس على الفرد والمجتمع. أجل، إنا نحب الصراحة فيما نقوله حول هذه المسألة، إذ أن الشر المدمر للدين، والتيارات الملحدة والمحطمة للدولة، إنما تنطلق أول ما تنطلق من المؤسسات التعليمية، إذا ما سيطرت عليها ثقافات مستوردة، يعمل الوافدون بها داخل المعاهد العلمية، لإضعاف الحركة الإسلامية بالتدرج، تمهيداً لمحوها من دائرة التعليم كافة. وأظننا لسنا بحاجة إلى وضع النقاط على الحروف، ولفت النظر إلى المخالفات القائمة والعظات المجسدة، التي تنبىءُ بالكوارث والمحن، التي أتت على الأخضر واليابس، حتى أظلمت الحياة ولم يعد بالإمكان الصبر عليها وتحملها، وهذا هو المردود المنعكس على الثقافات المستوردة التي غزت ديارنا عن طريق استيراد المدرسين، الذين يحملون ثقافات فاسدة مناهضة لروح الرسلام،

ومن ثم ليحتلوا مقاعد القيادة في المجتمع، لأن الكثيرين منهم قد وصلوا إلى غايتهم، مما سبب حصول المأساة المفجعة. وللخلاص من ذلك يجب القيام بحملة تطهير لجهاز التعليم في بلادنا، والتخلص من كل من تشم منه رائحة الثقافة العصرية الملوثة، وتسليم المراكز التعليمية- في المؤسسات العليا التعليمية- لأشخاص من بني جلدتنا، محصنين، بالثقافة الإسلامية، بعد استئصال شأفة الثقافة المستودة، وكل من

(489)

يعمل على نشرها في معاهدنا ومؤسساتنا، وخاصة المدرسين المنتدبين من دول الغرب الملحد.

بالإضافة إلى ما ذكر، فيجب عدم إرسال أبنائنا إلى تلك المعاهد، ذات الثقافة الملوثة، وخاصة دول أوروبا وأميركا، لأنهم إذا ما عادوا إلى بلادهم، فسيكونون مطعمين بالغث والسمين، بحيث لا يستطيعون أن يؤدوا الرسالة المقدسة، التي يفترض أن تكون خالية من الشوائب.

لذلك كان حريا بنا أن نختار المعلمين من أصحاب الكفاءات الدينية، إذ أن الا ستعانة بهؤلاء المعلمين، لتوسيع كياننا ومجتمعنا الإسلامي، ونشر الثقافة الإ سلامية بين أبناء الأمة، أمر حتمي لا مفر منه. وبهذا نستطيع أن نحافظ على مسيرتنا الرائدة، وفق منهج تربوي مدروس، وعلى خطوط قويمة تصل بنا إلى شاطىء السلامة، بعد استغنائنا عن كافة المدسين الأجانب، أصحاب الثقافة المنحرفة، والبرامج التعليمية الفاسدة الملوثة.

(وسائل النشر والدعاية)

إن وسائل الإعلام والنشر والدعاية في بلادنا العربية والإسلامية، من أكبر بؤر الفساد وجراثيم المجتمع، التي لا يزال معظمها منابر للفساد والإلحاد و التشكيك في الدين، يصرح من فوق أعوادها كتاب متمسلمون بالانتقاد الشديد لنصوص الدين الحنيف. والبعض الآخر من هذه الوسائل الصحف، قد جعلت- ولا تزال تجعل- من صفحاتها

(490)

معارض واسعة للتحريض علي الإثم، والدعوة إلى الانحلال والرذيلة.

كما أن كبار الكتاب- كما يسمونهم- وأساطين الأدب العربي- كما يصفونهم في بعض بلادنا الإسلامية والعربية - لا تزال أقلامهم تقطر دماً وتنفث سماً، من جراء الطعنات النافذة التي أصابوا- ولا يزالون يصيبون- بها الإسلام في صميمه ومقاتله.

إنه البلاء المستورد من مستنقع الفساد، وثقافة التغريب والحضارة المسمومة، التي غزت ديارنا الإسلامية. كذلك الكاتب العربي المرموق الذي، اتهم الإسلام- في قحة وصفاقة- بأنه مخرب الأجيال ومروع الشعوب[995]

---

[995] - انظر صراع الباطل: ص60.

وما يعلنه الآخرون، الذين يشربون الخمور، ويتصرفون تصرف الخلعاء بأقلا مهم وكتاباتهم الماجنة، لذا كان لابد لنا من الوقوف الحازم في وجوههم، وتقليم أظفار المنشقين أمثالهم.

(أسباب الانهيار)

ويمكن إجمال انهيار مجتمعنا الإسلامي، وتخبطه في دياجير الظلمة بعدما كان رائداً، وحاملا ً لمشعل النور والهداية قروناً طويلة إلى الأسباب التالية:

1- السينما والمسرح وما يعرض على الشاشة، من حيث نشر الرذيلة والفساد والتحريض على محاربة القيم والأخلاق.

(491)

2- الصحف والمجلات والجرائد وما تنشره الأبواق المسمومة من دعايات مغرضة، كالأخبار والتعليقات الخليعة، التي أرخى لها العنان دونما حسيب أو رقيب، فقامت هذه الصحف المسمومة- ولا زالت تقوم- بنشر ما يحرّض على الإثم والمجون، من صور عارية فاضحة، وقصص خليعة ماجنة عابثة.

3- إباحة اختلاط الجنسين والتشجيع عليه بين البالغينن، وخاصة في معاهد التعليم من مدارس وجامعات.

4- السفور والتبذل الذي بلغ بالنساء إلى درجة التفسخ والعري، حتى إن الشباب يجارون النساء في التهتك والميوعة والخنفسة والانحراف.

5- القصص الخليعة، والروايات الماجنة التي تتاجر بها الأقلام الآثمة، وتدعو لها في الصحف والمجلات، بين المراهقين والمراهقات.

6- خلو المدارس والجامعات من التربية الدينية في جميع مراحل التعليم، إ لا بعض الحصص الإضافية في المنهاج المعتمد.

7- قيام الأساتذة والمعلمين في المدارس والجامعات بنشر روح الاستهتار با لإسلام بين الطلبة، مما يربي في نفوسهم احتقار هذا الدين وعدم الاهتمام بعقيدتهم.

8- إباحة القوانين في بعض بلاد العرب والمسلمين لارتكاب جريمة الزنا و الفواحش والقمار وكافة المحرمات، وبدون رقابة أو فرض

(492)

عقوبة على المخالفين، الذين وقعوا في مثل هذه الجرائم الفاحشة.

9- مشاركة الإذاعة بنشر الأغاني الماجنة المستهترة، والتمثيليات المسمومة التي لا نتيجة لها إلا تدريب السامعين على سلوك طرق الانحراف والفساد.

10- ضعف الرقابة في المنزل، وإعطاء المرأة كامل الحرية لتركه والخروج إلى أي مكان تشاء[996].

هذه الأسباب الموجزة، التي أدت إلى وصول بلادنا العربية والإسلامية إلى

---

[996] - راجع صراع مع الباطل: ص63.

ما وصلت إليه من تميع وتحلل، مما جعل المصلحين هناك يقلقون لهذا، ويحاولون إنقاذ الغرقى من لجة الفساد الخلقي، الذي طغت أمواجه بشكل مريع، وما هذا إلا من مخلفات الثقافة المستوردة والحضارة الغربية المنحرفة، التي تسابقت الدول على تهيئة الجو لها، وإفساح المجال لها دونما وازع أو مؤنب، لغفلة أهل الحق عن أصحاب الباطل.

(سبيل الخلاص)

لقد تعرضت أمتنا لأخطار كثيرة، على فترات متعاقبة، واستطاعت أن تتلا فى ما يتعرض سبيلها، على ضوء مقوماتها الإسلامية التي منحها إياها الإس لام الحنيف، واستطاعت بالفعل خلال مدة قصيرة أن تكون رائدة للبشرية، ومنقذة للشعوب من أوحال الشرك وفساد الأنظمة

(493)

لما كانت الدول- وعلى اختلاف اتجاهاتها- تعمل جهدها وبكافة الوسائل المتيسرة لديها- وعلى وجه الخصوص في أجهزة التعليم ومعاهد الثقافة المختلفة- حيث تجند كل إمكاناتها لغرس ونشر كل ما يعزز كيانها، ويزين للناس محاسن اتجاهاتها، وعظمة الأسس التي تقام عليها، وسلامة العقائد التي تسير بموجبها.

إذا كانت هذه الدول المفلسة حقيقة، تضرب بيد من حديد لخنق أي صوت- مهما كان خافتاً- يخالف اتجاهها وأسلوب حياتها وخطها المرسوم، فلماذا لا نعمل نحن مثلهم في مناهجنا، فنجعل هم ّنا الأكبر شغلنا الشاغل في المدرسة والجامعة، والإذاعة والصحافة وبصفة دائمة مركزة؟!.

وفي هذا تعزيز لكيان الدين الإسلامي، ونشر سلامة اتجاهاتنا المقتفية أثر هذا الدين الحنيف، وغرس حبها واحترامها في نفوس طلابنا بصفة واعية مركزة، والضرب بعنف على يد كل مخرب أو فاسد أو موتور، يشتم منه رائحة التجهيز أو الدفاع عن أي اتجاه يخالف اتجاهنا الإسلامي، سواءٌ كان ذلك في الصحافة، حيث النشر والدعاية المغرضة والفساد الذي يحاربه الإس لام، وتأباه النفوس، وكذلك المراقبة الصارمة لكل أجهزة الدعاية، كدور السينما، وأجهزة التليفزيون التي لا تترع عن نشر المفاسد والدعوات الهدامة ، ولا سيما ما يتعلق بحضارة الغرب الفاسدة، من حيث تقليده في الاختلاط واللباس وغيرها من التقاليد. ولتكن وسائل بناء وتحصن، لا وسائل هدم وتخريب في

(494)

صرح أمتنا المجيدة، التي قال عنها سبحانه بأنها خير الأمم: (كُنْتُمْ خيْرَ أمّةٍ أُخْرِجَتْ للنّاس تأمُرُونَ بالمعْرُوف وتنْهَوْنَ عن المُنْكرِ وتؤْمِنُونَ بـالله)[997].

وهكذا أراد لنا الإسلام أن نكون وسائل نفع وبناء، ليعم الخير والأمن ربوع ا

---

[997] - سورة آل عمران: 110.

لأرض.
وهكذا نريد أن نربي المسلم، على ألا يكون جهاز استقبال ليلتقط كل شيء حتى ولو كان فيه دماره. نريد من كل جهاز إعلام أن يشدد الحملة على هذا الضعف النفسي، الذي أصاب المسلم والمسلمة، فجعلهما يتخليان عن أهم مبادىء الإسلام في سبيل أن يقال: متمدن، متحضر، متقدم، عصري!!.
نريد أن نوقظ في نفس المسلم روح الاعتزاز بإسلامه، وتقاليده الحقة النابعة منه، حتى يرفض في إصرار وشدة كل ما يمس هذه التقاليد كما يرفض أي شيءٍ يمس ماهيته.
إذا قمنا بهذه الواجبات تجاه أنفسنا وأمتنا، فإننا ولا شك سنتخلص من الكثير من هذه العوائق وهؤلاء المنحرفين، وكما لا يخفى فإن الخير والشر في صراع دائب، ولكن العبرة في محاربة الشر وأهله، ولقد حُفت الجنة بـ المكاره. وفي مثل هذا فليتنافس المتنافسون.
أجل، إن علينا أن نقوم بهذا الدور، الذي لا مندوحة لنا إلا بطرقه
(495)
وولوجه، وذلك بصراحة مكشوفة، لأننا معشر المسلمين علينا واجبات جلى، لا يجوز التهاون بها أو غض الطرف عنها. وفي هذا لا نكون قد أتينا بدعاً من القول، فإذا جاءنا متفلسف مخادع، ليشرح لنا فكره أو اتجاهه، ويحاول تطعيم شبابنا الغض باتجاهاته المعاكسة لاتجاهات الإسلام، أو يحاول التلا عب بالأفهام، سواءٌ كان ذلك عن طريق الصحف أو بوسائل الإعلام المختلفة.
إزاء هذه الأعمال المشبوهة، يجب علينا أن نكون دائماً متأهبين، لمواجهة ما يعترض سبيلنا من دعوات، فليست أرضنا مزرعة للفساد، بل هي معقل لتصدير الخير والفضيلة لكافة بقاع العالم، المتعطشة لنور الإسلام، ليتوارى الفساد ودعاته ويتلاشى إلى غير رجعة. كما علينا أن نوضح أن بلادنا لا تحتمل سوى مبدأ واحد هو المبدأ الإسلامي، الذي جاء به منقذ البشرية رسول الله صلى الله عليه وسلم ديناً ودولة.
لقد عاشت الأمم دهوراً متخبطة في ضلالها، حتى منّ الله عليها برسالة الإسـ لام المنقذة، هذا الإسلام الحنيف الذي ارتضاه الخبير العليم لعباده المؤمنين منهاجاً ودستوراً. إن الذين يبثون اتجاهاتهم القومية والحزبية، وغيرها من ا لاتجاهات التي تتعارض وعقيدة المسلمين وتناوىء الإسلام، هؤلاء لا يجوز لنا بحال أن نقبلهم في صفوفنا، لأنهم يعادون الله وشرعه. كذلك لا يجوز لنا السكوت عن أصحاب دعوات التغريب، واللاهثين وراء الأنظمة الوضعية لإحـ لالها محل الأنظمة
(496)
والقوانين السماوية، التي أرادها الله لأهل الإيمان، تشريعاً فيه خيرهم وسعادتهم ونجاتهم في الدنيا والاخرة.
ولابد من التنويه بالحضّ على عدم التساهل مع الأعداء الذين يعيشون في ا

لأرض فساداً وتدميراً، ومن بين هؤلاء زمرة الإعلام والكتّاب وأصحاب الأقلا
م المأجورة، الذين سخروا أنفسهم لخدمة الشيطان. ولابد من توجيه هؤلاء
توجيهاً إسلامياً خالصاً، ليكونوا أدوات بناء وتعمير، ولينشروا الخير و
الفضيلة بين صفوف الأمة.
وهناك ناحية خطيرة لا تقل عن سابقاتها، وهي الدور الذي يلعبه المعلمون و
المعلمات في حياة الأمة، علينا أن نعد هؤلاء إعداداً إسلامياً، ليقوموا
بدورهم الفعال المناط بهم على الوجه الأكمل، من حيث تربية الأبناء التربية
الدينية الحقة، وأن يكونوا أدوات نشر للخير ومصابيح هداية.
أما الأوضاع التي عليها المعلمات هذه الأيام- وفي كافة مراحل التعليم- فهي
أوضاع فاسدة مُزرية، يندى لها الجبين، لأنهن يظهرن في ميدان التعليم،
وفي فصول المدارس متبرجات، كأن إحداهن في ليلة زفافها!! وماذا ينتظر
من معلمة ومربية- اسما- وعارضة ازياء أو ممثلة مسرح- حقيقةّ؟1 إلى ماذا
سيؤول إليه حال بناتنا الوديعات؟ أليست معلماتهن قدوتهن؟ أعتقد جازماً
أن غالبية هؤلاء الفتيات سيقلدن معلماتهن فيما هن عليه، فيا لها من مآس
تنتظرها أجيالنا المقبلة.

(497)

أقول ناصحاً للآباء وللأمهات- الذين يحرصون على فلذات أكبادهم- عليهم
أن يتقوا الله في أماناتهم، وألا يضيّعوها بتسليمها إلى الشيطان طواعية
وبدون أدنى عناءٍ.
والرسول صلى الله عليه وسلم حذرنا وأخبرنا أن الناس كافة سيسألون عن
أماناتهم التي أنيطت بهم: (كلكم راعٍ وكُلُّكُمْ مسؤولٌ عنْ رعيّتهِ). ولا يفوتني
أن أنبه على ملابس المعلمات والطالبات، التي يجب أن تكون ساترة للجسم،
صوناً للعفة والأخلاق. وعلى وزارة التربية والتعليم مهمة إصدار القوانين
الرادعة لكل مخالف ومستهتر بالقيم والأخلاق والتقاليد الإسلامية. وكذلك
لابد من تشكيل هيئة يكون من بين اختصاصاتها الأمر بالمعروف والنهي عن
المنكر، لتكون مراقبة ومسؤولة عن تنفيذ القوانين والقرارات التي تصدرها
الدولة بحق مخالف لا يطبق هذه القوانين.
أما دور الصحف والمجلات الخليعة الماجنة، التي تحوي في بطونها كل
فسق ورذيلة، وتنشر الأخبار والدعايات المغرضة والصور العارية، فيجب إغ
لاقها تقليم أظفار محرريها، ليكونوا عبرة لكل فاجر مرتاب، كما على الدولة
مراقبة كافة وسائل الإعلام، وقطع دابر دعوات الشر والانحلال، وعدم إذاعة
ونشر الأغاني الماجنة، التي تعرض الأمة إلى الفساد والضياع.

(498)

(نصيحة)

شعوراً بالواجب، ومن منطلق الحرص على أبناء أمتي، فإني أقدم هذه
الكلمة المتواضعة، التي أتمنى على الله أن لا تذهب أدراج الرياح، فهي
صيحة في واد، أبتغيها حسبة لله، آملا ً تدبرها والعمل بمضمونها لأن

الدين النصيحة:
إني أطالب أمتي بالتوبة إلى الله سبحانه وتعالى، والتمسك بدينه، و التواصي بحقه، تحكيم شريعته، والجهاد في سبيله، والاستقامة على ذلك من قبل أبناء الأمة كافة- حكاماً ومحكومين- فبهذا فقط يحصل لنا النصر، ويهزم العدو الذي أفسد الأخلاق وحارب العقيدة، وأهلك الحرث والنسل.
وصدق الله سبحانه حين قال: (والعَصْرِ إنّ الإنسان لفي خُسْرٍ إلا الذين آمَنُوا وعملوا الصّلحات وتواصوْا بالحقّ وتواصوا بالصّبر)[998]. وقال سبحانه: (إنْ تنْصُروا الله ينصركمْ ويُثَبِّتْ أقْدامكمْ)[999].
وبهذا فقط يحصل التمكينن في الأرض، الذي وعد الله به عباده المؤمنين:
(وعد الله الذين آمنوا منكمْ عملوا الصّالحات ليَسْتَخْلِقَنّهُمْ في الأرضِ كمَا اسْتَخْلَفَ الذينَ منْ قبْلِهمْ وليُمَكِّنَنّ لهُمْ دينَهُمُ الذي ارْتضى لهُمْ وليُبَدِّلَنّهُمْ منْ بَعْدِ خَوْفِهمْ أمْناً)[1000].

(499)

وهكذا عندما يلتزم المسلمون بشرع ربهم، يجدون في رحابه الأمن والسلام، ويعم النور، ويحكم بالعدل في كنف الإسلام العادل، وهداية القرآن الكامل الشامل. فليهنأ المسلمون بهذه البشارة الإلهية، وهي وعد من قبل الحق سبحانه لعباده وجنده المؤمنين بالاستخلاف في الأرض والتمكين لدينهم، وهو الصادق في وعده سبحانه وتعالى وقد قال: (وعْدَ الله لا يُخْلِفُ الله الميعادَ)[1001].

(تعطيل مهمة الهيئات الدينية)

ما أكثر الضربات والمطاعن التي سددها أعداء الإسلام إلى قلب أمتنا الإسلامية الماجدة، فقد مُنيت بالاستعمار الذي جعل منها فريسة مستسلمة ليس لها من حول ولا قوة، حيث جعلها في حالة انحلال ديني عام وتدهور أصابها في حالتها الاقتصادية والثقافية والسياسية. وقد ظهر هذا الانحلال في السلوك الفردي، فانحرف الناس عن نهج الدين، واستهوتهم المظاهر الغربية، فأقبل كثير منهم على الخمور والفجور والقمار والربا ونحو ذلك.
ثم دب دبيب التهاون في الدين، فتناول العبادات والعقائد، كما انتشرت في الجوّ ضروب من الفلسفة والمذاهب الضالة، والحزبيات البغيضة، حيث يتنافر الأخ مع أخيه، والصديق مع صديقه، كلّ

(500)

يحاول الدفاع عن حزبه وضلالته ومذهبه ونحلته، ويرفض كل شيء في سبيل الحفاظ على سمعة حزبه ومبدئه الذي يعتنقه كأنه دينه الذي ارتضاه

---

998 - سورة العصر.
999 - سورة محمد: 7.
1000 - سورة النور: 55.
1001 - سورة الزمر: 20.

خالقه سبحانه وتعالى[1002].
وقد استمالت هذه المذاهب والأحزاب والدعوات المختلفة عدداً من الشباب وغير الشباب، وصارت العلاقة الجنسية النزعة الإباحية الشغل الشاغل للسينما، ولكثير من المجلات والصحف السيارة، ابتغاء وفرة الربح وكثرة الدخل، فانحرف الشباب، وفسدت الأسرة، ثم عم السيل وطم، فانهارت الفضائل الاقتصادية والاجتماعية.
ويمكن القول: إن من أهمّ العوامل في هذا الممجال حلول القانون الوضعي محلّ الشريعة الإسلامية، في ضبط الحياة في الأمة الإسلامية، والسيطرة عليها وتوجيهها، ثم ما طرأ على التربية الإسلامية من تغيير عميق، غيّر معالمها وضيّق الخناق عليها وأعجزها عن أداء مهمتها. أما الانقلاب الذي جاء فيه التغيير الوضعي، فلم يكن مجرد إحلال قانون محل آخر، ولكنه هزّ الأخلاق الإسلامية من أساسها. ويرجع هذا إلى أن مبادىء القانون الوضعي تختلف عن أسس الشريعة الإسلامية اختلافاً أساسياً، فالقانون الوضعي يري أن مهمته مقصورة على تنظيم العلاقة الاجتماعية، أما السلوك الفردي فإنه لا يتردد في التصريح بأنه يقع خارج نطاق سلطانه، وإنه من أجل ذلك متروك لحرية الفرد، ومن ثم فهو لا يعاقب على المنكرات والفواحش ولا يتعرض لمرتكبيها.
(501)
أما الشريعة الإسلامية فقد وضعت على أساس مبدأ مختلف، فالسلوك الفردي كالسلوك الجماعي يقع تحت طائلة القانون الإسلامي، وعلى هذا الأ ساس يقوم التشريع الخاص بالحدود وضروب التعزيز، التي وضعت لشرب الخمر ولعب القمار والزنا وكافة المنكرات، وضروب الفساد الداخلة في دائرة السلوك الفردي، وما كاد القانون الوضعي يحلّ في بلاد العرب والإسلام محلّ الشريعة الإسلامية، ويعطل الحدود، حتى سنحت الفرصة لشذاذ الآفاق، وط لاب الربح من الغربيين، فأقبلوا من كل فج وصوب، وشرعوا ينشرون الحانات ودور اللهو والفساد والرذيلة في جميع بلاد المسلمين، فكان هذا بداية انقلاب أخلاقي واسع المدى، وهو انقلاب يقوم على أساس التفلت من قيود الأخلاق والدين، ويبدأ في حدود ضيقة وعلى استحياء، ثم ينمو ويمتد ويشجع الناس على المجاهرة والاستهتار. وها نحن نجني تلك المحاصيل المسمومة التي قضت على كل فضيلة.
وكان لوسائل النشر والإعلام الأثر البالغ في تشجيع ورعاية هذه الاتجاهات المشبوهة والدعاية لها. والأثر العام لهذا الجو الجديد ه ضياع هيبة الدين، وإذا انحلت الهيبة وفقد الناس احترام الشريعة، وتجرؤوا على الإخلال بها، انتشرت هذه الروح الخبيثة وقوضت معالم الحياة الإسلامية بصورة عامة، قد لا يكون من السهل تلافيها والسيطرة عليها. ويأتي بعد ذلك دور التربية ا

[1002] - التربية الدينية التي يحتاجها العالم الإسلامي في الوقت الحاضر. للدكتور إبراهيم اللبان: ص 10.

لإسلامية نفسها- وهو يفوق في ضرره وشره ما أصاب الشريعة- فإن الخطة العامة التي رسمها الاستعمار
(502)
لبلوغ مآربه، هي الاستعانة بالقانون الوضعي على إطلاق سراح الشهوات من قيود الشريعة، ثم الاعتماد على التربية في تنشئة جيل يجهل دينه، ولا يتقيد به في حياته الفردية والاجتماعية، وهو يعتقد أن هذا احتياط ضروري لضمان استقراره وبقائه- لأنه يدرك تمام الإدراك أن الروح الإسلامية ألدُّ أعداء السيطرة الأجنبية اللادينية- إذ هي الضمان الوحيد الذي يكفل له البقاء والسيطرة، ويجب أن تتسع دائرتها فلا تقتصر على القانون بل تشمل التربية أيضاً. وباستخدام مبدأ اللادينية يمكن أن تنقل الشعوب الإسلامية في سهولة ويسر، إلى حياة بعيدة عن الإسلام والروح الإسلامية المعادية للا ستعمار، وفي جوها يسهل نقل كل النظم والأفكار والنظريات الغربية العقلا نية إلى عالم العرب والإسلام. هذه هي فلسفة الاستعمار العامة، وهي تقوم على أساس إحلال مبدأي اللادينية والعقلانية محل الهداية الدينية، في الفكر والقانون والتربية وسواهما.

كان الانقلاب، الذي أدخله الاستعمار على التربية والتعليم الإسلامي، حدثاً من أكبر الأحداث التي أصابت المجتمع الإسلامي في عهد السيطرة، فقد رأى القوم رأي العين الحمية الدينية التي قابلتهم بها المقاومة، وعرفوا أنها صادرة عن الروح الدينية، وأيقنوا أن لا قرار لهم في البلاد التي استعمروها، إلا إذا قضوا على هذه الروح في الأجيال المقبلة من أصلها، بل الواقع أن خطتهم كانت ترمي إلى أمرين أساسيين، أحدهما إنشاء جيل مجانس لهم في ثقافتهم، ليسهل عليهم الاتصال به والتفاهم
(503)
معه. والثاني- وهو أخطر الأمرين- أن تخلو الأجيال المقبلة من الدين، ومن الثقافة الإسلامية والحمية الدينية، وكان لابد لبلوغ هذا الهدف من النظر في الوضع القائم في جو التربية والتعليم، وتغييره تغييراً أساسياً[1003].

في ذلك الحين كانت التربية الإسلامية تجمع خصائص هامة منها:

أولا ً: إنها كانت تعتمد أساساً على علوم الدين واللغة العربية، فكانت بذلك ثقافة إسلامية خالصة. وكان واضحاً أن المقاومة العنيفة، التي واجهها الا ستعمار في أيامه الأولى، إنما نشأت من هذه الثقافة.

ثانيا: إن هذه التربية كان يتولاها علماء الدين في المدارس والمعاهد، التي كانت قائمة في ذلك الوقت- بوجه الإجمال- مدارس ومعاهد دينية، يتولى التعليم والتدريس فيها العلماء. وقد استمر أمر التربية والتعليم بيد علماء

[1003] ـ انتفعنا في هذا البحث بمراجعات هامة. ولخصنا فقرات عديدة من بحث التربية الدينية التي يحتاجها العالم الإسلامي للدكتور إبراهيم اللبان فجزاه الله خيراً.

الدين منذ زمن بعيد حتى عهد الاستعمار[1004].
ثالثاً: سعة منهج الدين، فقد كان يتضمن علم الكلام وعلم الفقه والتفسير و الحديث. أما علوم اللغة فقد شملت النحو والصرف وعلم البلاغة. هذه هي ثقافة وتربية المسلمين قبل عهد الاستعمار البغيض. وقد قرر الاستعمار أن يستبدل بهذه الثقافة ثقافة أخرى بديلة، تكفل له

(504)

حسن التفاهم، وتزيل من طريقه عقبة الدين وهكذا كان، فقد أدخل نظام التعليم الغربي ليحل محل التعليم الإسلامي التقليدي، كما حرص على أن تكون مناهج المدارس العامة- التي أنشأها- خالية من الدين أو بتعليم ديني مزيف خال من عوامل القوة والتأثير، ومن أجل هذا امتدت يده إلى التعليم الديني فأضعفته وخنقته، وقد انتقلت مهمة التربية والتعليم في يد علماء الدين وأسندت إلى الدولة- من هيئات دينية إلى هيئات مدنية- وأصبح التعليم في أيد غير أمينة غير متخصصة، وبذلك ضاع المنهج والحصص، وأهمل امتحان الدين وأصبحت المادة غير أساسية في بعض مراحل التعليم ، وتعطل كل ما من شأنه رفع كيان المسلمين، وبهذا أصبح التعليم الديني نسياً منسياً. فلا حول ولا قوة إلا بالله.

(منهاج الرسول صلى الله عليه وسلم في التربية)

أول ما نقرره في صدر هذه الكلمة، هو أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان مربياً، وأنه جرى في تربيته للمسلمين على أصح المبادىء وأصدقها، وأدق الطرق وأقومها، وأتم المنهاج وأشملها. ولابد أن نتعرض لكل مبدأ من هذه المبادىء بكلمة فيها الدقة والوضوح، مع الإيجاز وترك الإسهاب. ونبدأ بهذه القضية وهي:
أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مربياً. ولن نجد صعوبة في إثبات هذه الحقيقة، فقد ورد في القرآن عدة آيات تقرر هذه الحقيقة العامة، نكتفي منها

(505)

بقوله تعالى في سورة الجمعة: (هُوَ الذي بعَثَ في الأ ُمِّيّينَ رسولا ً منْهُمْ يَتْلو عليهمْ آياتهِ ويُزَكّيهمْ ويُعَلِمهُمُ الكتابَ والحِكْمة وإن كانوا منْ قبلُ لفي ضلالٍ مُبينٍ).
بنص هذه الآية الكريمة كان الرسول عليه الصلاة السلام مربياً لأمته، فقد بعثه الله جل وعلا ليتلو على الناس آياته، التي تتضمن أصول الإسلام، ولكنه لم يرسل لمجرد التلاوة بل ليعلمهم أيضاً ما يشتمل عليه الكتاب و

[1004] - وليس أدل على ذلك من إطلاق اسم شيخ أو فقيه على المعلم في بعض الدول العربية استصحاباً للماضي، حيث كان التدريس في المساجد و المدارس ينتهي إلى أهل الدين في العلماء.

السنة، من أصول الدين وفروعه. وكانت كذلك أقواله وأفعاله تعلمهم الكثير من حقائق الدين، وتفصِّل لهم المجمل من الآيات الكريمة. ومعنى هذا أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان مكلفاً أن يعلم المسلمين الدين، وأن يعتمد في تعليمه على ما ينزل عليه من آيات القرآن، وما يجيئه به الوحي من ربه، فيدلي به إلى الناس بلفظه وتعبيره من السنن القولية، كما كان فعله وإقراره لما يراه أو إنكار له من مصادر الدين والتربية الدينية حقاً.
ولم يقف عمل الرسول صلى الله عليه وسلم بنص الآية عند تعليم ما ينطوي عليه الكتاب والسنة من مبادىء الإسلام، بل تناول مهمة أخرى جليلة، وهي تزكية المسلمين من العادات والأخلاق الفاسدة، التي كانت شائعة في المجتمع في ذلك الحين، وواضح من ذلك أن الرسول الكريم- وبنص القرآن- كان مربياً، وقد مارس هذه المهمة قرابة ثلاث وعشرين سنة، فآتت ثمارها في شخصية أبي بكر وعمر، وكبار الصحابة وعامة المسلمين.

(506)

وعندما نقول التربية أو التعليم الإسلامي، فإننا نعني التربية والتعليم الديني في جميع الآفاق والمستويات، في المسجد والمدرسة والمجامع العامة.
فالذي أدعو إليه هو أن تتذكر الهيئات الدينية الإسلامية ما يقوله القرآن نفسه، وهو أن الله بعث رسوله ليتلو على الناس آياته ويعلمهم الكتاب و الحكمة- أي السنة- ويزكيهم. وأن الرسول صلى الله عليه وسلم وقف عليهم معظم جهوده، لأجل هذا العمل الإسلامي الجليل.
وواضح أن مهمتهم في المجتمع هي نفس مهمة الرسول التربية المذكورة، فليقوموا لأدائها بصدور منشرحة وقلوب متفتحة راغبة متفانية، فهذا هو السبيل الوحيد الذي اختاره القرآن وسار على نهجه الرسول صلى الله عليه وسلم[1005] للاحتفاظ بالدين وتكوين المسلمين، فإلى هذا الطريق فليتجهوا، وعليه فليسيروا إلى الهدف الإسلامي الأعلى، وهو نشر الدين وتسلح المسلمين بالعقيدة الراسخة، وتربيتهم تربية إسلامية. وبهذا تعلو كلمة الإسلام وترفع راية الإيمان، وتسمو أمة التوحيد.
هذه صورة من صور المجتمع الإسلامي في عهده الأول. نسأل الله عز وجل أن يوفقنا ويوفق أمتنا ويجعل كلمته هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى. والحمد لله رب العالمين.

(507)

(المنهاج الإسلامي في معالجة التربية الدينية)

لقد كان من الشذوذ الصارخ أن تسلخ التربية الدينية من سلطة الهيئات الدينية العليا، ويعهد بها إلى هيئات مدنية بحتة. إن هذا الوضع الشائن

[1005] - راجع المصدر السابق.

يجب أن يزول، وأن تضطلع هيئات دينية إسلامية بمهمة التربية الدينية، حتى يتسنى للناشئة معرفة دينهم، والالتفاف حوله متمسكين بأهدابه، حاملين أسمى المبادىء وأنبل القيم، ومعتدِّين برسولهم العظيم صلى الله عليه وسلم، الذي أرسله تعالى منقذاً للبشرية ومربياً للعالمين.
والذي أقترحه في هذا الصدد، هو أن مهمة الهيئات الدينية في مجال التربية الدينية[1006] يجب أن تكون واسعة، وأن يعترف لها بها حتى تستطيع أن تؤدي واجبها، وتحقق الآمال المنوطة بها، ويجب أن تشمل فيما تشمل:
أولاً: إعداد المربي الديني، ووضع المناهج والنشر الديني، والمدارس الدينية الخاصة، والانتفاع بالهيئات الدينية الأخرى، والعناية بالتربية العلمية فإعداد المربي الديني المتخصص[1007]، يجب إعداده في كليات دينية، في بلادنا الإسلامية.
(508)
ولابد من إعداده في منهج خاص يتفق ومهمته الجليلة، ويجب أن تكون الصدارة في هذا المنهج للقرآن الكريم والسنة، وتكون دراسة موضوعية تسير طبقاً لترتيب أصول الدين وفروعه. ولابد كذلك من تجديد طريقة تعليم الدين حسب الطرق الحديثة للتربية الدينية.
كما يجب إعداد المربيات الدينيات أيضاً، وفي كليات دينية خاصة للمربيات، اللاتي سيعهد إليهن بعدد من الواجبات التربوية، منها التربية الدينية في مدارس الإناث على كل مستوياتها، وتعليم ربات البيوت وبالطرق العلمية الحديثة والأساليب المناسبة، ولا مانع من إنشاء دراسات دينية خاصة مسائية أو صباحية، في أماكن عامة مناسبة لمدة معينة، تناسب الدروس التي سوف تعطى خلال تلك المدة، كما تعالج مشكل تربية الأطفال وجلبها و التربية الإسلامية. ويجب أن تكون كليات إعداد المربين للتربية الدينية تحت إشراف الهيئة الدينية العليا.
ثانياً: المناهج والطرق: تقوم الهيئات الدينية العليا بوضع مناهج التربية الدينية لكل المدارس والمعاهد، ولكن يجب أن تخضع هذه العملية لعدة مبادىء:
أول هذه المبادىء التي يجب مراعاتها في وضع مناهج التربية الدينية، هو أن يختص القائمون بهذا الأمر- الهيئة الدينية العليا- بأكبر قسط من العناية، فتوضع دراستها في صدر المناهج سابقة لكل ما عداها. وسأكتفي ببعض الإشارات إليها، فهناك حديث نبوي: (بُني الإسلامُ

[1006] - التربية الدينية للدكتور إبراهيم اللبنان.
[1007] - وبهذه المناسبة يؤسفنا أن نذكر أن عامة الطلاب المتفوقين في دراستهم الثانوية ينصرفون عن العلوم الشرعية، نظراً لتدني رواتب خريجيها، ويتجهون إلى التخصصات العلمية كالطب والهندسة. وكان واجب الحكومات الإسلامية أن تشجع التعليم الديني بتقديم المكافآت السخية، ومضاعفة رواتب الخريجين منهم.

(509)
على خمْسٍ) وغيره من الأحاديث. وفي القرآن الكريم عدد من الآيات خاص بها مثل قوله تعالى: (وقضى ربُك ألا تعْبُدوا إلا إيّاهُ)[1008].
وقوله تعالى: (قلْ تعَالوا أتلُ ما حرّمَ ربُكّمْ عليْكّمْ)[1009].
ولابد أن تظهر الصبغة الاجتماعية بوضوح، فتدرس أحكام الأسرة بعناية خاصة. أما العدل الاجتماعي في الإسلام فيجب أن يتبوأ من المنهج المكان الكبير اللائق، وأن نركز الاهتمام على تحديث طرق التدريس.
ثالثاً: التعليم الديني العملي: يجب التركيز على أن التربية الدينية العملية جزءٌ من مهمة الهيئات الدينية العليا. ويجب أن يظهر ذلك بداية في المدرسة الابتدائية، وتربية التلاميذ على العبادة العملية.
كما تدرب المدرسة طلابها على الإحسان للفقراء والمحتاجين. وعلى البيت أن يقوم بتدريب الأطفال على العبادة العملية منذ صغرهم، فهذا تدريب منزلي تقوم به الأم، كما توزع على الأمهات والمربيات بعض الكتب الدينية، منها طرق تربية الأطفال، بأسلوب سهل واضح نافع يناسب المدارك و المستويات العامة.
رابعاً: النشر ومدرسة الجمعة: يجب نشر الكتب الدينية المناسبة للشباب و الشابات والأطفال، ويجب أن تكون هذه الكتب بأسلوب مناسب لكل طبقة وثقافتها ومستواها، كما يجب أن تستغل مدرسة الجمعة فترة العطلة الأ سبوعية أو الصيفية وغيرها، بالنسبة للطلاب
(510)
وغيرهم، مما يناسب الظروف والحالة العصرية، وأن تتضمن العلاج للمشاكل الأسبوعية، كما تتناسب وظروف المجتمع.
خامساً: الكتاب والسنة: لا بد للتربية الدينية أن تعتمد الكتاب والسنة اعتماداً كاملا ً، وعدم نشر ما لم يكن منسجماً مع دستور المسلمين.
وتنقية الكتاب من كل الشوائب والأحاديث الضعيفة والموضوعة والمنكرات المختلفة، كما لا يجوز الفصل بين العقائد والأحكام الشرعية من ناحية، وبين مصادرها من الكتاب والسنة من ناحية أخرى.
سادساً: الكتاب المدرسي: يجب أن يكون مؤلفاً من مختارات كتبها العلماء وا لأئمة، من ذوي القلوب الحية في المسائل الدينية المتضمنة للمنهج، وفي مقدمة هؤلاء العلماء شيخ الإسلام ابن تيمية وابن قيم الجوزية والإمام محمد عبده والشيخ محمد رشيد رضا وغيرهم.
أما كتب التلاميذ الأخرى- المرافقة للمنهج والمقرر- فيجب أن تتألف من مختارات دينية، تؤخذ من كتب كبار العلماء، خالية من كل لوثة أو شبهة، ولها صلة مباشرة بالمنهج الدراسي، وأن تكون مناسبة لعقول الطلاب

[1008] - سورة الإسراء: 23.
[1009] - سورة الأنعام: 151.

ومستواهم.
سابعاً: هيئات فنية وفلسفة التربية الإسلامية: يجب أن تكون للهيئات الدينية العليا هيئات فنية متخصصة، ترجع إليها للمشورة وتعتمد عليها في حل المشاكل التربوية، كما يجب وضع فلسفة عامة للتربية الدينية الإسلامية، وأن تكون هذه الفلسفة في معاهد التربية المتخصصة.

(511)

ثامناً: معاهد التربية: تنشيء الهيئات الدينية العليا معاهد للتربية خاصة بطلبتها، تدرس فيها التربية، أصولها وطرقها ومنهاجها، من وجهة النظر الإسلامية، وعلى أساس فلسفة التربية الإسلامية.

وإجمال القول: يجب أن توكل إلى الهيئات الدينية التربية الدينية، لأن علماء الدين هم أهلها وأحق الناس بها، وهي مهمتهم الكبرى.

ولكن يجب أن يمارسوها على أساس أنها تربية علمية وعملية وخلقية لا علمية فقط. ولابد لهم من لجنة فنية يسترشدون بها في الشؤون الفنية.

كما يعتمد على الكليات الدينية في إعداد المربين- مثل كليات أصول الدين بعد تعديل مناهجها بما يتفق مع مهمة المربي الديني- وعلى كليات التربية التي تنشئها لدراسة مبادىء التربية وطرقها.

وتضع السلطات الدينية العليا- بالاشتراك مع بعض العلماء المعروفين بروحهم الدينية العالية- مناهج التربية الدينية. كما يقوم المربون والمربيات المعدّون للقيام بالتربية الدينية بواجباتهم في جميع المراحل. وهكذا يتحقق الخير العام في ظل تربية إسلامية موجهة. والله الموفق والحمد لله رب العالمين.

(512)

(أتباع النصرانية يطالبون بالإسلام)

لا شك أن الإسلام الحنيف هو الملجأ الوحيد، والحصن الفريد والدرع الحصين، والمعقل الأمين لكل من يلج معاقله ويعيش في أكنافه، ويستظل في ظلاله الوارفة الظليلة.

فقد تكفل الله سبحانه لأتباع دينه وموحديه الأمان والاطمئنان في الحياة الدنيا، والسعادة السرمدية في الحياة الآخرة.

وليس غريباً أن يعتنق كثيرٌ من الناس هذا الدين، من أمم وملل مختلفة الأجناس. ليس لشيءٍ وإنما مردٌ ذلك لتلبيته مطالب النفوس البشرية، ويسره وسهولته وسماحته، وخلوه من التعقيد والجفاء والألغاز التي تطفح بها سائر المذاهب والديانات الأخري.

ومن يمن الطالع وحسن التوفيق، أن نسمع بين الفينة والأخرى من يعلن إسلامه، ويعتنق هذا الدين القويم، الذي يتكفل بتحقيق رغائب البشر ومطالبهم

الروحية والمادية وسائر مصالح العباد، وغير ذلك فيما يتعلق بشؤون الفرد و الجماعة.
وهكذا يجد الإنسان ضالته في كنف الإسلام المنيع، ذلك الدين القيم الذي ارتضاه الله معقلا ً وموئلا ً للناس كافة، فهو دين الفطرة التي فطر عليها الناس جميعاً.
ويعجبني ما قاله العلامة أبو الحسن الندوي حين قال: فالدين الإسلامي
(513)
حقٌ مشاع وثروة مشتركة لجميع الأمم والشعوب، والعناصر والأجناس والأسر والبيوتات والبلاد والأوطان، ليس فيه احتكار مثل احتكار بني لاوي من يهود، أو البراهمة من الهنود. لا يتميز فيه شعب من شعب، ولا نسل من نسل، وليس الاعتماد فيه على العرق والدم، بل الاعتماد فيه على الحرص و الشوق وحسن التلقي وزيادة التقدير، والتفوق في الجهاد والاجتهاد والدين والتقوى[1010]. وقد قال الله تعالى:
(أيُها النّاس إنّا خَلَقناكمْ من ذكرٍ وأنثى وجَعَلناكمْ شـُعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرَمَكمْ عندَ الله أتقاكمْ إنّ الله عليمٌ خبيرٌ)[1011].
وفيما يلي بعض الآراء والأقوال لرجال السياسة والفكر، من أتباع النصرانية- قديماً وحديثاً- الذين ينصفون الدين الإسلامي ويطالبون بتطبيقه، لأنه التشريع الوحيد الذي يحقق للإنسانية سعادتها وطموحاتها في أمن وطمأنينة واستقرار، وذلك لمزاياه الفريدة ومآثرة الرشيدة، التي يمتاز بها عن سائر الأنظمة.
1- يقول نابليون بونابرت: وآمل أن لا يمضي وقت طويل حتى أستطيع أن أجمع العقلاء والمثقفين، من جميع الأقطار، لنقيم نظاماً موحداً على أسس القرآن، لأنها هي وحدها الحق، وهي وحدها التي تهدي إلى سعادة البشرية[1012].
2- يقول أنيس ميخائيل جرجس- القاهرة: أقول للمسؤولين
(514)
باطمئنان: طبقوا أحكام الشريعة الإسلامية ليتحقق للجميع الاستقرار والأمان. لقد عشنا- نحن النصارى- القرون الماضية في ظلها آمنين على أنفسنا وأموالنا وأعراضنا. جاهل من يقول:
إننا نحمي الزناة والسكارى واللصوص والعابثين بالأديان من العقاب الصارم[1013].
3- قال عميد كلية الحقوق في جامعة فيينا الأستاذ شيريل: إن البشرية

[1010] - النبوة والأنبياء: ص195.
[1011] - سورة الحجرات: 13.

[1012] - من كتاب بونابرت والإسلام. تشرفس- باريس. عن كتاب لماذا أسلمنا: ص136.
[1013] - مجلة الدعوة- القاهرة- سنة 1399هـ.

تفخر بانتساب محمد إليها، ذلك الأمي الذي استطاع أن يأتي بشريعة، سنكون نحن الأوروبيين أسعد ما نكون لو وصلنا إلى قمتها بعد ألفي عام[1014].

4- ويقول برنارشو الإنجليزي: لقد تنبأت بأن دين محمد سيكون مقبولا ً لدى أوروبا غداً، وهو قد بدأ يكون مقبولا ً لديها اليوم.

ثم يقول: أما أنا فأرى واجباً أن يدعى محمد منقذ الإنسانية.

وأعتقد أن رجلا ً مثله، إذا تولى زعامة العالم الحديث نجح في حل مشكلاته، وأحل في العالم السلام والسعادة، وما أشدّ حاجة العالم إليه. ثم يقول: وقد دان كثرون من قومي ومن أهل أوروبا بدين محمد في الحاضر، وهذا يجعلنا قادرين على أن نقول:

إن تحول أوروبا إلى الإسلام قد بدأ[1015].

(515)

ويقول برناردشو أيضاً: إني أرى في الإسلام دين أوروبا في أواخر القرن العشرين.

ومن قبله قال جوته: إذا كان هذا هو الإسلام أفلا نكون مسلمين؟!![1016].

5- قال أحد وجهاء النصارى في طرابلس الشام للسيد رشيد رضا رحمه الله: إن في الإسلام فضائل كالجبال أو أشمخ وأرسخ، ولكنكم دفنتموها[1017] حتى لا تكاد تعرف أو ترى. ونحن عندنا شيءٌ قليل ضئيل[1018].

6- يقول المستشرق جولد زيهر: إنه إذا أردنا الإنصاف، ينبغي أن نؤمن بأن في منهج الإسلام قوة صالحة توجه الإنسان نحو الخير[1019].

(516)

7- أما السير و د. آرنولد فقد قال- في كتابه الدعوة في الإسلام ص53-

---

[1014] - من كتاب حتى لا نخدع: ص199 د. عبدالودود شلبي.

[1015] - حبذا لو فهم المسلمون- وخاصة بعض مقلدي الحضارة الغربية المتفرنجة- هذا الكلام الذي يقوله أتباع النصرانية وغيرهم من المنصفين، عن عظمة الإسلام وسموه، وإنه هو وحده الذي يضمن السعادة للناس، وليست القوانين الوضعية المستوردة، التي لم تعد صالحة لحل مشاكل واضعيها من الغربيين، بل هي قاصرة عن تحقيق ذلك. ومن الأجدر بالمسلمين أن يتمسكوا بشرع الإسلام الذي تتوفر فيه الحلول الشافية لكافة مشاكل البشر في كل زمان ومكان.

وليعلم أن تعاليم الإسلام هي الكفيلة بتحقيق المصالح الإنسانية، لأنها صادرة عن الخالق العليم بحاجات النفس البشرية: للمزيد يراجع كتاب حياة محمد لهيكل، وكتاب العدالة الاجتماعية في الإسلام والماركسية: ص76. د. مصطفى محمود.

[1016] - انظر الإسلام والماركسية: ص76. د. مصطفى محمود.

[1017] - حقاً إن كثيراً من أبناء المسلمين وحكامهم وعلمائهم في غفلة عن دين الله، فهم مفتونون بالأنظمة الغربية والقوانين الوضعية، كما أن المسؤولية الكبرى تقع على الحكام والعلماء، عما أصاب المسلمين من ضياع وهوان، إذ أبعدت الحكومات الإسلامية الإسلام عن شؤون الحياة، واختارت للمسلمين ما حرمه الله عليهم، وحالت أن يتعلم المسلم دينه وعقيدته.

وعلماء السوء والمنافقون يسكتون على فساد الحكام وضلالهم، ولا يغضبون لله بل يهتمون لمصالحهم فقط.

[1018] - من كتاب الإيمان والحياة: ص164.

[1019] - الإسلام والماركسية: ص76.

ترجمة حسن إبراهيم حسن ورفيقه: ولما بلغ الجيش الإسلامي وادي الأردن، وعسكر أبو عبيدة في فحل، كتب الأهالي النصارى في هذه البلاد إلى العرب يقولون: يا معشر المسلمين، أنتم أحب إلينا من الروم، وإن كانوا على ديننا، أنتم أوفي لنا وأرأف بنا، وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا..
وفي صفحة 54 يقول آرنولد: وهكذا كانت حالة الشعور في بلاد الشام إبان الغزوة التي وقعت بين سنتي 633- 639م. والتي طرد فيها العرب جيش الروم من هذه الولاية تدريجيا[1020].
أجل هكذا صنع الإسلام في نفوس البشر، إذ كانت له المهابة والعظمة و التقدير، لأن أهله صانوه فصانهم، وأعزوه فأعزهم اللّه.
فحين كان المسلمون يحيون الإسلام مفاهيم سليمة، ويعيشونه أحكاماً صحيحة، عاملوا غيرهم معاملة تفيض بالرفق والمرحمة، مما دعا شعوب الأ رض أن تسارع في طلبه والعيش في كنفه العادل، وهذا الذي دعا أيضا أهل حمص- النصارى- أن يقولوا للقائد المسلم: لحكمكم أحب إلينا من حكم الروم من بني ديننا[1021].
وما أحرانا أن نتدبر هذه البشارة المحمدية والحكمة النبوية، وهي برهان عظيم على عظمة الإسلام، لحاجة الناس إليه، لكماله ونضجه
(517)
فلنستمع: (لوْ كانَ الإيمانُ عند الثّريا لتناوله رجالٌ منْ فارسَ)[1022].
أو كما قال عليه الصلاة والسلام.
وبعد: فهذه بعض أقوال ودعوات المنصفين من أتباع الديانات الأخرى:
عرضتها عليك أخي القارىء لتكون على بينة من أمر الإسلام المنصف العادل الحاني، حيث لجأت إليه شعوب الأرض منذ فجره الأول، واعتنقه الناس لأ نهم وجدوا فيه ضالتهم المنشودة، فطالبوا بتطبيقه والتزامه والانضواءِ تحت لوائه، وفضلوه على غيره حتى قال بعضهم: لحكم الإسلام أحب إلينا من حكم بني ديننا.
فيا لروعة الإسلام ويا لعظمته وشموخه. إنها لشهادة تاريخية منصفة، خرجت من أفواه أتباع النصرانية المعتدلين، علاوة على ما أفصح عنه أحد المتعصبين- وهو المستشرق جولدزيهر- الذي اعترف بفضل الإسلام ومنهجه القويم. فيا ليت أبناء قومي يسمعون، وإلى اتباع الحق يبادرون، وفي مثل ذلك فليتنافس المتنافسون. وهذه شهادات بعض النصارى، وهي غيض من فيض ولا تحتاج إلى تعليق، والفضل ما شهدت به الأعداء.
لقد رعى الإسلام أتباع الديانات الأخرى، واهتم بأمورها وصانها، وحدد علا قة المسلمين بأتباعها، كما ورد في قوله سبحانه: (لا ينْهاكمْ اللّه عن الذين لم ْ يُقاتلُوكمْ في الدِّين ولم ْ يُخرجوكمْ من دياركمْ أنْ تبرُوهم وتقْسطوا

[1020] - شبهات حول الإسلام: ص195.
[1021] - المنهزمون: ص620، 61.
[1022] - رواه ابن أبي حاتم وابن جرير والترمذي. وانظر تفسير ابن كثير: ج-4- ص183.

إليهمْ إنّ اللّه يحبُّ المُقسطين)[1023].
(518)
فأقام العلاقة بين هؤلاء وبين المسلمين على أسمى ما عرفت البشرية من علاقات، تجاوزت حد الإنصاف إلى آفاق البر والرحمة. وهذا الطراز من النصارى الذي يربطهم بالمسلمين عهد وميثاق جعلهم الرسول الأعظم صلى اللّه عليه وسلم في رعايته وحمايته، وهو يربي الأمة وينظم حقوقها لتعرف عدوها من صديقها: (منْ آذي ذمِّيًا فأنا خصْمُهُ. ومنْ كُنْتُ خَصْمُهُ خَصَمْتَهُ يوم القيامة)[1024].

مسك الختام
(أهل السنة والجماعة الفرقة الناجية)
تمهيد:
بعد أن تحدثت طويلا ً- أخي القارىء- عن مختلف الفرق والمذاهب و النحل، والعقائد والفلسفات المختلفة التي كشفنا- بعون اللّه- عن الكثير من أسرارها، وهتكنا أستارها، وأثبتنا في غير ما ريبة حقيقة أهدافها، وأنها بجملتها قائمة لهدم دين الإسلام، وتوهين ارتباط أتباعه بمبادئه وأنظمته السامية.
وبعد هذا التسيار الطويل، الذي أملته على سنون حافلة بمختلف الفرق الضالة المضلة، أجدني تواقاً للحديث عن الفرقة الناجية - جعلنا اللّه منها- وبيان أهم أوصافها ومبادئها وأصولها ومعتقداتها.
(519)
ورد في الحديث الصحيح أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم قال: (افْتَرَقَتِ اليهود على إحدى وسبْعين فرقةً. وتفرّقت النّصارى على اثنَتين وسبعينَ فرقةً. وتفرّقتْ أمّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةً)[1025].
وعن معاوية رض اللّه عنه أن النبي صلى اللّه عليه وسلم قال: (ألا إنّ من قبْلكمْ منْ أهل الكتاب افْترَقوا على ثنتين وسبعين ملّةً وإنّ هذه الملّة ستفترقُ على ثلاث وسبعين، ثنْتَانِ وسبْعون في النّار، وواحدةٌ في الجنّة وهي الجماعة)[1026]. وفي رواية قالوا: من هي يا رسول اللّه؟. قال: (ما أنا عليه وأصحابي)[1027]. أي إن الفرقة الناجية هي التي تتبع سنة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وتقتفي آثار الصحابة في الأقوال والأفعال.

[1023] - سورة الممتحنة: 8.
[1024] - ذكر الخطب عن ابن مسعود في الجامع الكبير وسكت عنه.
[1025] - أخرجه أبو داود وابن ماجه، وأحمد والترمذي وقال عنه: حديث حسن صحيح. انظر السلسلة الصحيحة للألباني: ج-1- ص12.
[1026] - رواه أبو داود وأحمد وحسنه الترمذي. انظر السلسلة الصحيحة للألباني: ج-1 ص204.
[1027] - انظر الطحاوية: ص578.

ومن جهة أخرى نرى أن الاختلاف في الأمة واقع، كما أخبر الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وأن عامة المختلفين من الأمة الإسلامية ها لكون، إلا أهل السنة والجماعة.

(الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة والجماعة)

أقدم فيما يلي أهم الأصول التي اجتمع عليها أهل السنة والجماعة، هي ما يلي:

1- إثبات الحقائق والعلوم على الخصوص والعموم.

(520)

2- العلم بحدوث العالم في أقسامه، من أعراضه وأجسامه.

3- معرفة صانع العالم وصفاته..

4- معرفة صفات الله الأزلية.

5- معرفة أسمائه وأوصافه.

6- معرفة عدله وحكمته سبحانه.

7- معرفة رسله وأنبيائه الكرام.

8- معرفة معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء.

9- معرفة ما أجمعت الأمة عليه من أركان شريعة الإسلام.

10- معرفة أحكام الأمر والنهي والتكليف.

11- معرفة الخلافة والإمامة وشروط الزعامة.

12- معرفة أحكام الأولياء ومراتب الأئمة الأتقياء.

13- معرفة أحكام الأعداء من الكفرة وأهل الأهواء[1028].

(521)

(أهم مبادىء ومعتقدات أهل السنة والجماعة)

أقدم فيما يلي أهم معتقدات ومبادىء وأوصاف أهل السنة والجماعة:

أولاً: يعتبر أهل السنة والجماعة أن التواجد هو أول الأمر وآخره، وهو أهم واجب على المسلم، وهو حق خلق الله على العبيد. ويتضمن ثلاثة أنواع:

أحدها: الكلام في الصفات.

والثاني: توحيد الربوبية، وبيان أن الله وحده خالق كل شيءٍ.

والثالث: توحيد الألوهية، وهي استحقاقه سبحانه وتعالى أن يعبد وحده لا شريك له[1029].

ويعتقد أهل السنة والجماعة أن الله واحد لا شريك له، ولا خالق سواه، ولا

1028 - انظر الفرق بين الفرق: ص309، 310.

1029 - للبسط يراجع كتاب شرح العقيدة الطحاوية: ص76 وما بعدها.

معبود غيره، ولا شيء يعجزه. ومن زعم أن للكون خالقاً سوى الله فقد أشرك بالله، ومن تعبد بشرع غير شرعه فقد أشرك به، ومن استعان أو ذبح أو نذر لأحد من مخلوقاته، فقد أشرك بالله شركاً أكبر.

وأهل السنة والجماعة يتبرؤون من الشرك كله- حمانا الله وإياهم والمؤمنين من كل زيغ وضلال.

(522)

ثانياً: ويؤمنون بأن الله قديم، لا بداية له. دائم بلا نهاية، ولا يشبه الأنام: (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وهو السّميع البصير)[1030]. والله تعالى حي لا يموت، قيوم لا ينام[1031].

ثالثاً: ويؤمنون بما وصف الله به نفسه، وما وصفه به رسوله، من غير تحريف ولا تعطيل، ومن غير تكييف ولا تمثيل. وهم في باب خلقه وأمره وسط بين المكذبين بقدرة الله، الذين يومنون بقدرته الكاملة ومشيئته الشاملة وخلقه لكل شيءِ، وبين المفسدين لدين الله، الذين يجعلون العبد ليس له مشيئة ولا قدرة ولا عمل، فيعطلون الأمر والنهي والثواب والعقاب، فيصيرون بمنزلة المشركين الذين قالوا: (لوْ شاء الله ما أشْرَكنا ولا آباؤنا ولا حرّمنا من شيءٍ)[1032].

فيؤمن أهل السنة بأن الله على كل شيءٍ قدير، فيقدر أن يهدي العباد، ويقلب قلوبهم، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن. فلا يكون في ملكه ما لا يريد، ولا يعجز عن إنفاذ مراده، وأنه خالق كل شيءٍ من الأعيان والصفات و الحركات[1033].

(523)

ويؤمنون بجميع الأسماء الحسنى، وما دلت عليه من الصفات، ما ينشأ عنها من الأفعال، مثل القدرة، إذ يجب الإيمان بأن الله على كل شيء قدير.

ويثبتون جميع ما ورد في الكتاب والسنة من الصفات لا فرق بين الذاتية منها، كالعلم والقدرة والإرادة والحياة، والسمع والبصر ونحوها، والفعلية، ك الرضا والمحبة والغضب والكراهة.

وكذلك لا فرق بين إثبات الوجه واليدين ونحوهما، وبين الاستواء على العرش والنزول، فكلها مما اتفق السلف على إثباته بلا تأويل ولا تعطيل ولا تشبيه ولا تشبيه ولا تمثيل، على عكس الجهمية والمعتزلة.

وإن مأخذ أسماء الله التوقيف عليها إما بالقرآن أو السنة الصحيحة، أو بإجماع الأمة عليه، لا يجوز إطلاق القياس عليه[1034].

رابعاً:

[1030] - سورة الشورى: 11.
[1031] - راجع شرح الطحاوية: ص99- 123 وما بعدها.
[1032] - سورة الأنعام: 148.
[1033] - انظر عقيدة أهل السنة: ص14، 15. لابن تيمية.
[1034] - انظر شرح العقيدة الواسطية: ص96 وما بعدها. والفرق بين الفرق: ص326.

ويؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله عز وجل خالق بلا حاجة، رازق بلا مؤنة[1035]، مميت بلا مخالفة، باعث بلا مشقة، خلق الخلق بعلمه، قدر لهم أقداراً، وضرب لهم آجالا ً، ولم يخفَ عليه شيءٌ قبل أن يخلقهم، وعلم ما هم عاملون قبل أن يخلقهم، وأمرهم بطاعته ونهاهم عن معصيته، وكل شيءٍ يجري بتقديره ومشيئته[1036]، ولا رادّ لقضائه لا معقب لحكمه ولا غالب لأمره، يهدي من يشاءُ ويعصم

(524)

ويعافي فضلا ً، ويضل من يشاء ويخذل ويبتلي عدلا ً. وهو سبحانه متعال عن الأضداد والأنداد[1037].

خامساً:

ويؤمنون أن للعبد قدرة ومشيئة وعملا ً، وأنه مختار ولا يسمونه مجبوراً، إذ المجبور من أكره على خلاف اختياره، والله سبحانه وتعالي جعل العبد مختاراً لما يفعله، فهو مختار مريد، والله تعالى خالقه وخالق اختياره، وهذا ليس له نظير، فإن الله ليس كمثله شيءٌ، لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله[1038].

سادساً:

ويومنون أن محمداً عبدالله المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى[1039] وأنه خاتم الأنبياء وإمام الأتقياء سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين. وكل دعوة النبوة بعده فغيٌ وهوى[1040]. وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة

(525)

الورى، بالحق والهدى وبالنور والضياء[1041].

سابعاً:

ويؤمنون بأن القرآ الكريم كلام الله، منه بدأ بلا كيفية قولا ً، وأنزله على رسوله حياً، صدقه الؤمنون على ذلك حقاً، أيقنوا أنه كلام الله تعالى بـ الحقيقة، ليس بمخلوق ككلام البرية، فمن سمعه فزعم أنه كلام البشر فقد

[1035] - أي بلا كلفة وثقل. شرح الطحاوية : ص125.

[1036] - يعني أن مشيئته تعالى وإرادته شاملة لكل ما يقع في هذا الكون، من خير أو شر وهدى وضلا ل.

[1037] - شرح الطحاوية: ص155 وما بعدها.

[1038] - راجع عقيدة أهل السنة: ص15 لابن تيمية رحمة الله.

[1039] - اعلم أن كل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا ً، وبينهما عدة فروق تراها في تفسير الآلوسي: ج-5 - ص449، 450 وغيره. ولعل الأقرب أن الرسول من بعث بشرع جديد، والنبي من بعث لتقرير شرع من قبله، وهو بالطبع مأمور بتبليغه ، إذ من المعلوم أن العلماء مأمورون بذلك، فهم بذلك أولى كما لا يخفى. يراجع شرح الطحاوية وتعليق الألباني عليها ص: 22، 23.

[1040] - وقد أخبر صلى الله عليه وسلم أمته ناصحاً ومحذراً لها في عدة أحاديث، أنه سيكون بعده دجالون كثيرون.
وقال في بعضها: (كلُهُمْ يزْعمُ أنه نبيٌ وأنا خاتم النبيين، لا نبي بعدي). رواه مسلم وغيره.
ونذكر من هؤلاء الدجاجلة دجال الهند- غلام أحمد القادياني- ودعاة نحلة الضلال وعلى رأسهم الباب، شيطان القرن التاسع عشر، علي محمد الشيرازي وتبعه دعاة البهائية الفاسدة.

[1041] - انظر شرح الطحاوية: ص176.

كفر، وقد ذمّه الله وعابه وأوعده بسقر، حيث قال: (سأُصْليه سَقَرَ)[1042].
فلما أوعد الله بسقر لمن قا ل: (إنْ هذا إلا قول البَشَرِ)[1043]. علمنا وأيقنا أنه قول خالق البشر، ولا يشبه قول البشر[1044]. كما أنه متفق على صحته وسلامته من الزيادة والنقصان، ويفهم طبقاً لأصول اللغة العربية[1045]، وهم يؤمنون بكل حرف منه، وأنه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلقه، وهو المصدر الأول لكل عقائد المسلمين.

(526)

ثامناً:

وأجمعوا على أن كلام الله عز وجل صفة أزلية، وأنه غير مخلوق ولا محدث ولا حادث، خلاف قول القدرية في دعواهم أن الله تعالى خلق كلامه في جسم من الأجسام[1046].

تاسعاً:

وأجمع أهل السنة والجماعة على أن الله تعالى يكون مرئياً لأهل الجنة في الآخرة فقط، بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق القرآن: (وُجُوهٌ يومئذ ناضرةٌ إلى ربّها ناظرةٌ)[1047]، وقال سبحانه في حق الكفار: (كلّا إنّهُمْ عنْ يومَئذٍ لمَحْجُوبون)[1048]. فدل ذلك أن أولياء الله سبحانه يرونه، عكس الكفار الذين يحجبون عنه عز وجل.

أما المعتزلة والشيعة فقد نفوا رؤية الله سبحانه وتعالى في الآخرة.

أما رؤيته تعالى في الدنيا، فقد أخبر الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح أن أحداً منا لا يراه حتى يموت[1049]، وقد صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه نفى رؤيته حين سئل عنها بقوله: (نُورٌ أنى أراه). فينبغي التمسك بهذا[1050].

عاشراً:

ويؤمنون بأن المعراج حق، أي أنه عرج بجسد المصطفى صلى الله عليه وسلم يقظة

(527)

إلى السماء، ثم إلى ما شاء الله تعالى من المقامات العُلى، وأكرمه الله بما

[1042] - انظر شرح الطحاوية: ص176.

[1043] - سورة المدثر: 26.

[1044] - انظر الطحاوية: ص179.

[1045] - من المعلوم أنه إذا اصطدم القرآن بشيء من معتقدات الشيعة والصوفية وغيهم من دعاة الباطنية الضالة، فإنهم يؤولونه تأويلات عجيبة، تخرج عن مضمونه ومعناه لتتفق مع مذاهبهم المنحرفة، حيث إنهم يقولون بأن للقرآن ظاهراً وباطناً، ليخفوا ضلالهم ويستروا سوءاتهم المكشوفة.

[1046] - انظر الفرق بين الفرق: ص325.

[1047] - سورة القيامة: 22، 23.

[1048] - سورة المطففين: 15.

[1049] - رواه مسلم.

[1050] - يراجع الفرق بين الفرق: ص324 ورسالة العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني ص: 26، 27، وكذلك شرح العقيدة الواسطية: ص94 وما بعدها.

شاء وأوحى إليه: (ما كذبَ الفؤاد ما رأى)[1051].

أحد عشر:

ويؤمنون بالحوض الذي أكرم الله به رسوله الأعظم صلى الله عليه وسلم غياثاً لأمته.

وقد جاء ذكر الحوض في أحاديث كثيرة بلغت مبلغ التواتر، نذكر منها هذا الحديث حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: (أنا فَرَطُكُمْ على الحوض[1052]).

ثاني عشر:

وعندهم أن الشفاعة التي ادخرها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأمته حق، ومنها:

(أ) شفاعته صلى الله عليه سلم في أهل الموقف حتى يقضى بينهم، بعد أن يتراجع الأنبياء، آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم عن الشفاعة حتى تنتهي إليه.

(ب) وشفاعته صلى الله عليه وسلم الثانية في أهل الجنة أن يدخلوا، وهاتان الشفاعتان خاصتان له.

(ج-) وأما الشفاعة الثالثة، فيشفع صلى الله عليه سلم فيمن استحق النار. وهذه الشفاعة له ولسائر النبيين والصديقين وغيرهم، فيشفع فيمن استحق النار أن لا يدخلها، ويشفع فيمن دخلها أن يخرج منها[1053].

(528)

أما نفاة الشفاعة- من المعتزلة والخوارج وأشبابهم- فذاك قول هم قائلوه فلا يلتفت إليه. وقد ذكر شارح الطحاوية أن شفاعة الرسول صلى الله عليه وسلم قد تضمنت ثمانية أنواع، فليراجعها من شاء البحث والتحقيق فإنه هام.

ثالث عشر:

ويعتقدون بإثبات السؤال في القبر، وبعذاب القبر لأهل العذاب، وقالوا بـ الصراط والميزان، ومن أنكر ذلك دحضت قدمه- زلقت رجله- على الصراط إلى نار جهنم[1054].

رابع عشر:

ويؤمنون باللوح[1055] والقلم والعرش والكرسي، وبالملائكة والنبيين والكتب

[1051] - سورة النجم: 11.

[1052] - حديث متفق عليه. انظر العقيدة الطحاوية: ص250، 251 فرَطُكم أي: سابقكم.

[1053] - شرح العقيدة الواسطية: ص140، 141.

[1054] - الفرق بين الفرق: ص339. والطحاوية: ص469- 472.

[1055] - واللوح هو المذكور في قوله تعالى: (بلْ هو قرآنٌ مجيدٌ في لوحٍ محفوظٍ). وهو من الغيب الذي يجب الإيمان به، ولا يعرف حقيقته إلا الله سبحانه، ومن يعتقد أن بعض الصالحين يطلعون عليه فذلك كفر بالآيات والأحاديث المصرحة بأنه لا يعلم الغيب إلا الله سبحانه وتعالى. رسالة العقيدة الطحاوية شرح وتعليق الألباني.

السماوية المنزلة على المرسلين، ويشهدون أنهم كانوا على الحق المبين[1056].

خامس عشر:

والإيمان عندهم هو الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر و القدر خيره وشره وحلوه ومره من الله تعالى. والمؤمنون كلهم أولياء

(529)

الرحمن[1057]. وأكرمهم عند الله أطوعهم وأتبعهم[1058] للقرآن.

سادس عشر:

وهم يتبعون السنة والجماعة[1059]، ويجتنبون الشذوذ والخلاف والفرقة ويحبون أهل العدل والأمانة ويبغضون أهل الجور والخيانة. وعندهم الحج والجهاد ماضيان[1060] مع أولي الأمر من المسلمين- برهم وفاجرهم- إلى قيام الساعة، لا يبطلهما شيءٌ ولا ينقضهما[1061].

سابع عشر:

ويقولون بتفضيل الأنبياء على الملائكة والأولياء، خلاف قول من زعم

(530)

أن في الأولياء من هو أفضل من الأنبياء[1062] وقالوا بعصمة الأنبياء من الذنوب، وتأولوا ما روي عنهم من زلاتهم على أنها كانت قبل النبوة، خلاف قول من أجاز عليهم الصغائر[1063].

ثامن عشر:

ويؤمنون بمعجزات الرسول العظيم محمد صلى الله عليه وسلم كانشقاق القمر وتسبيح الحصا في يده صلى الله عليه وسلم ونبوع الماء من بين

[1056] - الطحاوية: ص292- 309 وما بعدها.

[1057] - وليعلم أن أولياء الرحمن هم الذين يتبعون أوامره ولا يخالفون سنة نبيه. وأن دعوى الكرامة وخوارق العادات ليست كما يتوهم بعض الناس، بل كل ذلك من الإهانات الفاسدة التي نهى عنها الشرع، فولي الله هو من ينقاد للشرع ويلتزمه: (ألا إنّ أولياء الله لا خوفٌ عليهمْ ولا همْ يحْزَنون الذين آمنوا وكانوا يتقّون).

[1058] - انظر شرح العقيدة الطحاوية: ص410 وما بعدها.

[1059] - ويدخل في جماعة أهل السنة كل من أصحاب مالك والشافعي والأوزاعي والثوري وأبي حنيفة وابن أبي ليلى، وأصحاب أبي ثور وأصحاب أحمد بن حنبل، وأهل الظاهر وسائر الفقهاء وتابعيهم بإحسان، الذين اعتقدوا في الأبواب العقلية أصول الصفاتية، ولم يخلطوا فقهه بشيءٍ من بدع أهل الأ هواء الضالة. يراجع الفرق بين الفرق: ص301.

[1060] - والجهاد على قسمين: الأول فرض عين، وهو ضد العدو والمهاجم لديار المسلمين، كما فعل اليهود الآن في بيت المقدس، الذين استحلوا فلسطين واستباحوا حرماتها وأفسدوا فيها. فالمسلمون جميعاً آثمون حتى يخرجوا الصهاينة من أرض الإسلام- فلسطين المغتصبة وغيرها.

والثاني فرض كفاية، إذا قام به البعض سقط عن الباقين، وهو نشر الإسلام في سائر المعمورة.

[1061] - انظر شرح العقيدة الطحاوية: ص430-437.

[1062] - والحق أن الصوفية وبعض الشيعة هم الذين يروجونه لهذه الخرافة إذ أن نبياً واحداً أفضل من جميع الأولياء وأن النبوة أخص من الولاية، والرسالة أخص من النبوة، وأن أفضل الخلق بعد الرسل وا لأنبياء هم الصحابة، وعلى رأسهم أبو بكر الصديق، وقد بين ذلك الحديث الصحيح: (خَيْرُ القرون قرني ثمّ الذني يلونهمْ...). فلتتدبر ذلك.

[1063] - يراجع الفرق بين الفرق: ص335.

أصابعه، وإشباعه الخلق الكثير من الطعام اليسير ونحو ذلك كثير[1064].

تاسع عشر:

ويقولون بخلق الجنة والنار خلاف قول من زعم أنهما غير مخلوقتين. وقالوا بدوام نعيم الجنة على أهلها ودوام عذاب النار علي المشركين[1065]. وقد قال تعالى في نعت الجنة: (أُعِدّتْ للمُتّقين) وفي وصف النار: (أعدّتْ للكافرين). وفي الحديث القدسي: (أعدَدْتُ لعبادي الصّالحين ما لا عينٌ رأت ولا أذنٌ سمعتْ، ولا خطر على قلبِ بشرٍ)[1066].

(531)

عشرون:

وقالوا بنبوة عيسى عليه السلام- خلاف قول منكريه من البراهمة واليهود- وأنكروا قتل سيدنا عيسى، وأثبتوا رفعه إلي السماء، وأنه سينزل إلى الأرض بعد خروج الدجال، فيقتله ويقتل الخنزير ويريق الخمور، ويستقبل في صلا ته الكعبة ويؤيد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويحيي ما أحياه القرآن ويميت ما أماته القرآن. وقالوا بتكفير كل متنب - متنبىءٍ- سواءٌ قبل الإسلا م- كزرادشت وماني ومزدك- أو بعده- كمسيلمة والأسود- ويلحق بهم مشعوذ الهند غلام أحمد القادياني والباب على طريقهم الخبيثة، وكذلك فهم يؤمنون بنبوة موسى عليه السلام خلاف قول منكريه[1067].

واحد وعشرون:

ويؤمنون بملك الموت[1068]، الموكل بقبض أرواح العالمين. وبالكرام الكاتبين، فإن الله جعلهم علينا حافظين. ويؤمنون بسؤال القبر من قبل منكر ونكير، وقد وردت بذلك الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة الكرام[1069].

(532)

اثنان وعشرون:

ويؤمنون بيوم البعث وجزاء الأعمال يوم القيامة، والعرض والحساب وقراءة الكتاب والثواب والعقاب[1070].

ثلاث وعشرون:

ويؤمنون بأشراط الساعة، من خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام من السماء، وبطلوع الشمس من مغربها، وخروج دابة الأرض من

1064 - نفس المصدر.

1065 - النار في الاخرة ناران، نار تفنى، وهذه نار العصاة والمذنين من المسلمين. ونار لا تفنى وتبقى أبد الدهر، وهي نار الكفار والمشركين. للمزيد يراجع كتاب الوابل الصيّب لابن قيم الجوزية رحمه الله.

1066 - انظر الفقه الأكبر: ص79، والفرق بين الفرق: ص339.

1067 - بتصرف عن الفرق بين الفرق ص: 332 وما بعدها.

1068 - لقد ذكر القرآن اسم قابض الأرواح فسماه ملك الموت، وأما تسميته الشائعة بين الناس بعزرائيل فهذا كلام لا أصل له، وهو مدسوس من دسائس الأعداء. فليتنبه المسلمون لهذا.

1069 - انظر العقيدة الطحاوية: ص438- 453.

1070 - ر السابق ص: 456- 465 وما بعدها.

موضعها. وفي خروج الدجال نذكر هذين الحديثين.
عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال:
(إنّ الله لا يخْفى عليْكمْ إنّ الله ليس بأعْور- وأشار بيده إلى عينه- وإنّ المسيح الدّجال أعور عين اليمنى كأنّ عينهُ عِنَبَةٌ طافية).
متفق عليه.
وعن أنس بن مالك رضي الله عن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وما منْ نبيٍّ إلا وأنذر قومه الأعور الدّجال، ألا إنه أعور، وإنّ ربّكم ليس بأعور ومكتوبٌ بين عينيه ك ف ر)[1071]. فسره في رواية : (أيْ كافرٌ).
وعن نزول سيدنا عيسى عليه السلام نذكر هذا الحديث الصحيح:
عن أبي هريرة أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (والذي نفْسي بيدهِ ليُوشكنّ أنْ

(533)

ينْزلَ فيكم ابن مريم حكماً عدْلاً[1072]، فيَكْسر الصّليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية. ويفيض المال حتى تكون السّجدة خيراً من الدّنيا وما فيها).
ثم يقول أبو هريرة: اقرؤوا إن شئتم: (وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً)[1073].

أربع وعشرون:

ويؤمنون بأن الغيب من خصائص الألوهية. وأن الله تعالى قد أطلع أنبياءه- ومنهم رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم- على بعض أمور الغيب لضرورات معينة، خلاف من يدعون بأن معرفة الغيب من حق أئمتهم وشيوخهم وأوليائهم، حتى إن بعضهم ينسب الألوهية لهؤلاء الأولياء، كما يفعل بعض الشيعة والمتصوفة. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

خمس وعشرون:

ويحبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يفرطون في حب أحد منهم[1074] ولا يتبرؤون من أحد منهم. ويبغضون من يبغضهم وبغير الخير يذكرهم.
وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان.

(534)

1071 - رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

1072 - ومن المؤسف أن يخرج بعض أدعياء العلم في القرن العشرين بمزاعم ساقطة، بدعوى عدم خر وج الدجال، أو نزول عيسى عليه السلام، وهذه أقوال لا تستند على برهان، بل تصطدم مع النصوص الشرعية الثابتة، وقد فند فساد هذه المزاعم علماء عدول في الماضي والحاضر، فلا يجوز الاغترار بدعوى الهوي والزيغ.

1073 - سورة النساء: 159.

1074 - نحبهم حسب الحدود الشرعية، بلا تجاوز ولا مغالاة في حب أحد منهم، فهم جميعاً عدول وهم غير معصومين، عكس دعوى الشيعة الباطلة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وغيره من أئمتهم، حيث يغالون مغالاة تخالف الشرع الحكيم. فلا حول ولا قوة إلا الله.

ستة عشرون:

ويثبتون الخلافة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أولاً لأبي بكر الصديق رضي الله عنه، تفضيلاً له وتقديماً على جميع الأمة، ثمث لعمر بن الخطاب. ثم لعثمان ثم لعلي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وهم الخلفاء الراشدون والأئمة المهتدون[1075].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: ومن طعن في خلاقة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله[1076]. فتأمله.

وعندهم أن علماء السلف- من السابقين ومن بعدهم من التابعين - أهل الخير والأثر وأهل الفقه والنظر- لا يذكرونهم إلا بالجميل.

ومن ذكرهم بسوءٍ فهو علي غير السبيل. وهم لا يصدقون كاهناً ولا عرافاً، وأن دين الله في الأرض والسماء واحد هو دين الإسلام. قال تعالى: (إنّ الدِّين عنْدَ الله الإسلام)[1077] وقوله سبحانه: (ورضيتُ لكمُ الإسلام ديناً)[1078].

سبع وعشرون:

ويتبعون الكتاب والسنة، ويطيعون الله ورسوله، ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، وينتخب أهل الحل والعقد الخليفة- الإمام- من ذوي الكفاءة من جماعة المسلمين. ويحتكمون إلى الكتاب والسنة.

وعندهم الحديث الشريف هو المصدر الثاني مني مصادر التشريع، والمفسر

للقرآن. ولا يخالفون أحكام أي حديث صحت نسبته للنبي صلى الله عليه وسلم[1079].

ثمان وعشرون:

ويصلون الجمع والأعياد والجماعات، لا يدعون الجمعة والجماعة، كما يفعل أهل البدع من الرافضة وغيرهم، فإن كان الإمام مستوراً لم يظهر منه بدعة ولا فجور، صلى خلفه الجمعة والجماعة باتفاق الأئمة الأربعة، وغيرهم من أئمة المسلمين[1080].

تسع وعشرون:

وهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ارتكبه، كالزنا والسرقة وشرب الخمر- كما دانت بذلك الخوارج، وزعموا أنهم بذلك كافرون- والإيمان عندهم قول وعمل يزيد وينقص.

ثلاثون:

[1075] - راجع الطحاوية: ص535 وما بعدها.

[1076] - مجموعة الفتاوى: ج-3 - ص153 لابن تيمية.

[1077] - سورة آل عمران: 19.

[1078] - سورة المائدة: 3.

[1079] - راجع تبيين كذب المفتري: ص161، 162 وقارن الخطوط العريضة لأسس دين الشيعة الإمامية: ص48.

[1080] - راجع مجموعة الرسائل والمسائل: ج-5- ص198.

ويحبون السلف من صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ويثنون عليهم بما أثنى الله عليهم، ويشهدون للعشرة بالجنة الذين شهد لهم الرسول صلى الله عليه وسلم.
ويكفون عما شجر بين الصحابة الكرام، ولا يبتدعون في دين الله بدعة لم يأذن بها، ويفارقون دعاة البدع والأهواء[1081]. ونعوذ بـالله من كل ضلالة وغواية.
(536)
وبعد: فهذا يا أخي القارىء ما يدين به ويعتقده أهل السنة والجماعة- الفرقة الناجية- جعلنا الله وإياك منها، ونحن براءٌ إلى الله من كل من خالف الذي ذكرناه وبيناه. وإنا نسأل العلي الكريم أن يثبتنا على الإيمان، ويختم لنا به، ويعصمنا من الأهواء المختلفة والآراء الضالة، وأن يهدينا سبيل الرشاد، وأن يجمعنا مع أهل طاعته من الأنبياء والصديقين والشهداء وحسن أولئك رفيقاً.
وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. والحمد لله رب العالمين.
(537)
(رجاء واعتذار)
هذا ما اتسع المقام لعرضه، قياماً بما أخذه الله على المسلمين من النصح لله ولرسوله ولخاصة المسلمين وعامتهم. فإن كنت قد أصبت فذلك الفضل من الله، وإن كان الثانية فأستغفر الله.
وإني لأرجو من كل مطلع على هذا الكتاب، أن يدعو لنا بالخير، وأن يزودنا باستدراكاته، والمؤمنون بخير ما تناصحوا.
ولا أزعم أنني أحصيت معاول الهدم كلها في هذا الكتاب، ولكني أعتقد بأنني نبهت على معظمها، ووجهت الأنظار إلى اليقظة والاحتراس منها، ولجأت إلى التحليل واستخلاص العبر وبيان ما يجب عمله حيال قوى الشر والأعداء في كل موقع.
ولعلي بعد ذلك لا أكون قد أسأمت القارىء الكريم من تطويل، دعتني إليه ضروة البحث ودفعتني إليه رغبة الاستيفاء والاستقصاء، وإني لواثق كل الثقة من أن الله سبحانه ناصر لجنده وهازم لأعدائه- مهما كثروا وعظمت قواتهم- بشرط أن يصدقوا إيماناً وجهاداً وعملاً ً، ويحققوا ما أوجبه الله عليهم، هو سبحانه الحافظ لدينه وملته وأن كياننا الإسلامي لأعظم من هدم الهدامين وكيد الكائدين إلى يوم الدين.
(538)
(إنا لنَنْصرُ رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياة الدُنيا ويوم يقود الأشهاد).
وصلى الله على سيدنا محمد، إمام المجاهدين وخاتم المرسلين، وعلي آله

[1081] - انظر تبيين كذب المفتري: ص160 وما بعدها.

وأصحابه الغر الميامين.
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

خالد بن محمد بن علي الحاج
مدينة الزرقاء- الأردن
1399هـ - 1979م.

(ثبت المراجع والمصادر)

1- القرآن الكريم.
2- موقف اليهود من الإسلام- عبدالعزيز بن باز.
3- سلسلة الأحاديث الصحيحة - محمد ناصر الدين الألباني.
4- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوع- محمد ناصر الدين الألباني.
5- صفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم- محمد ناصر الدين الألباني.
6- أحكام الجنائز وبدعها- محمد ناصر الدين الألباني.
7- المدخل الى مذهب ابن حنبل- ابن بدران
8- كبرى اليقينيات الكونيةي- د. محمد سعد رمضان البوطي.
9- تحديد النسل- د. محمد سعيد رمضان البوطي.
10- الفكر الإسلامي في تطوره- د. محمد البهي.
11- الدين بين الفرد والمجتمع- د. أحمد محمود البربري.
12- الفرق بين الفرق- عبدالقاهر البغدادي.
13- تطهير الجنان والأركان- أحمد بن حجر آل بوطامي.
14- بروتوكولات حكماء صهيون- محمد التونسي.
15-الفكر الإسلامي المعاصر- غازي التوبة.
16- أضواء كاشفة- أسعد بيوض التميمي.
17- جذور البلاء- عبدالله التل.
18- الأفعى اليهودية- عبدالله التل.
19- فرق الشيعة- النوبختي.
20- مشكاة المصابيح- محمد الخطيب التبريزي.
21- الفتاوى الكبرى- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
22- شرح حديث النزول- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
23- منهاج السنة النبوية- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
24- الفرقان- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
25- العبودية- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
26- قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة- أحمد بن عبد الحليم بن تيمية.
27- مجموعة الرسائل الكبرى- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.

28- الحسبة- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
29- النصيرية- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
30- عقيدة أهل السنة والجماعة- أحمد بن عبدالحليم بن تيمية.
31- الفقه الأكبر- أبو حنيفة النعمان.
32- الكامل في التاريخ- ابن الأثير.
33- المنتظم في تايخ الملوك- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.
34- القرامطة- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.
35- تلبيس إبليس- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.
36- صيد الخاطر- أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي.
37- تفسير زاد المسير- أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي.
38- أعلام الموقعين- ابن قيم الجوزية.
39- طريق الهجرتين- ابن قيم الجوزية.
40- إغاثة اللهفان- ابن قيم الجوزية.
41- الفوائد- ابن قيم الجوزية.
42- زاد المعاد- ابن قيم الجوزية.
43- منهاج المسلم- أبو بكر طاهر الجزائري.
44- أساليب الغزو الفكري- د. علي محمد ورفيقه جريشة.
45- قضايا العصر في ضوء الإسلام- أنور الجندي.
46- المدخل- ابن الحاج.
47- مصرع الشرك والخرافة- خالد محمد علي الحاج.
48- أعلام الإسلام- خالد محمد علي الحاج- مخطوط.
49- المُحَلِّى- علي بن أحمد بن جزم.
50- الفصل في الملل والأهواء والنحل- علي بن أحمد بن حزم.
51- البابيون والبهائيون- عبدالرزاق الحسني.
52- الروح والإيمان- أحمد عبدالمنعم الحلواني.
53- الإسلام- سعيد حوى.
54- الرسول- سعيد حوى.
55- تاريخ الدولة الإسلامية- د. حسن إبراهيم حسن.
56- قواعد المنهج السلفي- أحمد بن حجر العسقلاني.
57- فتح الباري- أحمد بن حجر العسقلاني.
58- طائفة القاديانية- محمد الخضر حسين.
59- رسائل الإصلاح- محمد الخضر حسين.
60- طائفة الدروز- د. محمد كامل حسين.
61- المقدمة- عبدالرحمن بن خلدون.
62- الإسلام في قفص الاتهام- شوقي أبو خليل.
63- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر- أحمد بن محمد بن هارون الخلال.
64- الغارة على العالم الإسلامي- محيي الدين الخطيب ورفيقه.

65- تركيا الحديثة- محمد دروزة.
66- أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا- د. أحمد عبدالجواد الدومي.
67- سنن أبي داود- أبو داود.
68- التفسير والمفسرون- محمد حسين الذهبي.
69- الإسرائيليات والتفسير والحديث- د. محمد حسين الذهبي.
70- التوراة- تاريخها وغاياتها- سهيل ديب.
71-التوصل إلى حقيقة التوسل- محمد نسيب الرفاعي.
72- أسرار الماسونية- الجنرال جواد رفعت.
73- لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم- شكيب أرسلان.
74- الصهيونية في الميزان- محمود أرشيد.
75- أصول الدعوة - د. عبدالكريم زيدان.
76- البرهان في علوم القرآن- برهان الدين الزركشي.
78- المرأة بين الفقه والقانون- د. مصطفى السباعي.
79- الاستشراق والمستشرقون- د. مصطفى الساعي.
80- الكواشف الجلية- عبدالعزيز السلمان.
81- فقه السنة- سيد سابق..
82- إسلامنا - سيد سابق.
83- العقائد الإسلامية- سيد سابق.
84- حتى يغيروا ما بأنفسهم- جودت سعيد.
85- الإتقان في علوم القرآن- جلال الدين السيوطي.
86- تفسير الجلالين- جلال الدين السيوطي، جلال الدين المحلي.
87- المقاصد الحسنة- شمس أبي الدين الخير محمد بن عبدالرحمن السخاوي.
88- الإسلام المصفى- عبدالله السمان.
89- الموافقات- عبدالله الشاطبي.
90- الاعتصام- عبدالله الشاطبي.
91- الفتاة- محمود شلتت.
92- الصلة بين التصوف والتشيع- د. مصطفى كامل الشبيبي.
93- الملل والنحل- عبدالكريم الشهرستاني.
94- حتى لا نخدع - د. عبدالرؤوف شلبي.
95- إسلام بلا مذاهب- د. مصطفى الشكعة.
96- الباعث على إنكار البدع والحوادث- عبدالرحمن بن اسماعيل أبو شامة.
97- التصوف بين الحق والباطل- محمد فهد شقفة.
98- الحقبة المثالية في الإسلام- د. إبراهيم على شعوط.
99- منهج القرآن في التربية- محمد شديد.
100- نيل الأوطار- محمد بن علي الشوكاني.

101- الفوائد المجموعة- محمد بن علي الشوكاني.
102- القول المعتبر- محمد علي الشوكاني.
103- قطر الولي- محمد بن علي الشوكاني.
105- السنن المبتدعات- عبدالسلام محمد خضر الشقيري.
106- الأغاني- أبو الفرج الأصفهاني.
107 - صراع بين الحق والباطل- سعد محمد صادق.
108- المخططات الاستعمارية لمكافحة الإسلام- محمد محمود الصواف.
109- نداء الإسلام- محمد محمود الصواف.
110- سبل السلام- الصنعاني.
111- تطهير الاعتقاد - الصنعاني.
112- تفسير المنار- محمد رشيد رضا.
113- حياة الاستاذ الإمام- محمد رشيد رضا.
114- تاريخ الطبري- محمد بن جرير الطبري.
115- تفسير الطبري- محمد بن جرير الطبري.
116- شرح العقيدة الطحاوية- أبو جعفر أحمد الطحاوي.
117- روح الدين الإسلامي- عفيف عبدالفتاح طبارة.
118- البابية والبهائية في الميزان- د. مصطفى الطير.
119- البدعة وتحديدها- د. علي عزت عبيد.
120- الشفا- القاضي عياض.
121- جواهر البخاري- مصطفى محمد عمارة.
122- تبين كذب المفتري فيما نسب للإمام الأشعري- أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر.
123- تفسير التحرير والتنوير- محمد الطاهر بن عاشور.
124- حقيقة البابية والبهائية- محسن عبدالحميد.
125- مختصر تاريخ العرب- سيد أمير علي.
126- كشف الخفاء- اسماعيل العجلوني.
127- تاريخ العرب قبل الإسلام- جواد علي.
128- الفرق الإسلامية- محمود العشيشي.
129- مفتاح كنوز السنة- محمد فؤاد عبد الباقي.
130- الصهيونية- عبدالحمن سامي عصمت.
131- تايخ الحروب الصليبية- د. سعيد عبدالفتاح عاشور.
132- الإسلام وأصوول الحكم- علي عبدالرزاق.
133- الفتوحات المكية- محيي الدين بن عربي.
134- جامع بيان العلم وفضله- ابن عبدالبر.
135- تربية الشريعة المرفوعة- أبو الحسن الكتاني بن عراف.
136- دمروا العالم- جلال العالم.
137- القدس العربية- محمد أديب العامري.

138- تفسير العزيز الحميد- سليمان عبدالله بن عبدالوهاب.
139- ثورة الأحرار على الاستعمار- هاشم الأعظم.
140- الدين والعلم الحديث- إبراهيم محمد عبدالباقي.
141- العقد الفريد- ابن عبد ربه.
142- تاريخ الجمعيات السرية- د. محمد عبدالله عنان.
143- خفايا البهائية- د. أحمد عون عوف.
144- إحياء علوم الدين- الإمام الغزالي.
145- دفاع عن العقيدة والشريعة- محمد الغزالي.
146- من هنا نعلم- محمد الغزالي.
147- ظلام من الغرب- محمد الغزالي.
148- فقه السيرة- محمد الغزالي.
149- المرأة المسلمة- وهبه سليمان الخاوجي.
150- التبشير والاستعمار- د. عمر فروخ ورفيقه.
151- تاريخ العرب والمسلمين- عمر فروخ ورفيقه..
152- أعداء الماضي والحاضر والمستقبل- عبدالرحيم فوده.
153- كيف نتأدب مع المصحف- محمد رجب فرجاني.
154- قواعد الحديث- محمد جمال الدين القاسمي.
155- إصلاح المساجد- محمد جمال الدين القاسمي.
156- الإيمان والحياة- د. يوسف القرضاوي.
157- العبادة في الإسلام- د. يوسف القرضاوي.
158- الحلال والحرام- د. يوسف القرضاوي.
159- الجامع لأحكام القرآن- القرطبي.
160- البدع والنهي عنها- القرطبي.
161- في ظلال القرآن- سيد قطب.
162- العدالة الاجتماعية في الإسلام- سيد قطب.
163- شبهات حول الإسلام- محمد قطب.
164- جاهلية القرن العشرين- محمد قطب.
165- تفسير القرآن العظيم- محمد بن إسماعيل بن كثير.
166- البداية والنهاية- محمد بن إسماعيل بن كثير.
167- أم القرى- عبدالرحمن الكواكبي.
168- الدين والدولة- نجيب الكيلاني.
169- التحدي الصهيوني- ماجد عرسان الكيلاني.
170- تفسير روح المعاني- محمد عبدالله الآلوسي.
171- غاية الأماني- محمود شكري الآلوسي.
172- فتح المجيد- عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ.
173- التربية الدينية التي يحتاجها العالم الإسلامي- د. أحمد اللبان.
174- الإسلام والتقاليد الجاهلية- آدم عبدالله الألوري.

175- العقيدة الإسلامية وأسسها- عبدالرحمن حسن حينكة الميداني.
176- أجنحة المكر الثلاثة- عبدالرحمن حسن حينكة الميداني.
177- الإبداع في مضار الابتداع- علي محفوظ.
178- المغني- ابن قدامة المقدسي.
179- مختصر منهاج القاصدين- ابن قدامة المقدسي.
180- الحجاب- أبو الأعلي المودودي.
181- الإسلام والماركسية- د. مصطفى محمود.
182- مروج الذهب- المسعودي.
183- حياة ابن تيمية- د. محمد يوسف موسى.
184- البهائية في نظر الشريعة والقانون- علي علي منصور.
185- الترغيب والترهيب- عبدالعظيم المنذري.
186- محاكم التفتيش- د. علي مظهر.
187- تأملات في المرأة والمجتمع- محمد المجذوب.
188- فجر الإسلام- أحمد أمين.
189- ضحى الإسلام- أحمد أمين.
190- الصراع بين الفكرة الإسلامية والغربية- أبو الحسن علي الحسن الندوي.
191- القادياني والقاديانية- أبو الحسن علي الحسني الندوي.
192- النبوة والأنبياء- أبو الحسن علي الحسني الندوي.
193- ردة جديدة- أبو الحسن علي الحسني الندوي.
194- الإذاعة لما كان وما سيكون بين يدي الساعة- محمد صديق حسن النجادي.
195- الإسرائيليات وأثرها في كتب التفسير- د. رمزي نعناعة.
196- شرح صحيح مسلم- محي الدين يحيى بن شرف النووي.
197- رياض الصالحين- محي الدين يحيى بن شرف النووي.
198- معارج الألباب- حسن بن مهدي النعمي.
199- السيرة النبوية- ابن هشام.
200- الزواجر- ابن حجر الهيثمي.
201- تاريخ الأديان- طه الهاشمي.
202- شرع العقيدة الواسطية- محمد خليل هراس.
203- دعوة التوحيد- محمد خليل هراس.
204- وولاية الله والطريق إليها- إبراهيم إبراهيم هلال.
205- مجلات ورسائل دينية مختلفة.

الباب الثاني
الفصل الأول – شبهات وردها